ربيع الأبرار و نصوص الأخبار

تأليف

أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

٤٦٧ هـ - ٥٣٨ هـ

تحقيق

عبد الأمير مهنا

الجزء الخامس

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

الطبعـــة الأُولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

مؤسّسَة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠

الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس: ٨٣٣٤٤٧ .

ربيع الأبرار
و
نصوص الأخبار

٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس والسبعون

اللهو ، واللعب ، واللذات ، والقصف وذكر التبذير وما يتصل به ، واتباع الشهوات

١ ـ البراء[١] رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : من قضى نهمته من الدنيا حيل بينه وبين شهواته في الآخرة . ومن مد عينه إلى زينة المترفين كان مقيتاً في ملكوت السماوات . ومن صبر على القوت الشديد صبراً جميلاً أسكنه الله من الفردوس حيث شاء .

٢ ـ معاذ بن جبل : بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقال : إياك والتنعم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين .

٣ ـ أبو هريرة رفعه : شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم .

٤ ـ حكيم : اجتنب الشهوة فإنها رأس كل مهلكة ، ألم تر السباع الضارية ، والبزاة الصائدة كيف تصاد بالشهوة فتصير في أيدي الناس أسرى؟ .

٥ ـ أبو سليمان داوُد بن نصير الطائي صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه : إذا كنت تشرب الماء البارد المروق ، وتأكل اللذيذ الطيب ، وتمشي في الظل الظليل ، فمتى تحب الموت والقدوم على الله ؟ .

---

(١) البراء : هو البراء بن عازب . تقدّمت ترجمته .

٦ ـ وقيل لداوُد : ألا تتحول من الشمس ؟ فقال : إني لأستحي من ربي أن انقل قدمي إلى ما فيه راحة بدني .

٧ ـ وصف بعض البلغاء طروباً فقال : إنه لأطرب من زنجي عاشق سكران .

٨ ـ قال الحجاج لخريم الناعم : ما النعمة ؟ فقال : الأمن ، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال : زدني ، قال : الصحة ، فإني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال : زدني ، قال : الغنى ، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش . قال : زدني قال : الشباب ، فإني رأيت الهرم لا ينتفع بعيش قال : زدني ، قال : لا أجد مزيداً .

٩ ـ أبو نواس :

شققت من الصبا واشتق منّي ... كما اشتقت من الكرم الكروم
فلست أسّوف اللذات عني ... مياومة كما دفع الغريم

١٠ ـ [آخر] :

فللّه منيّ جانب لا أضيعه ... وللهو منّي والبطالة جانب

١١ ـ نظر أعرابي إلى رجل جالس على الماء يرمي فيه بالدنانير ، فقال : يا هذا ، لقد أراحتك النعمة وأتعبتها .

١٢ ـ قال عمرو بن العاص لمعاوية : ما بقي من لذتك ؟ قال : عين خرارة[١] في أرض غوارة[٢] ، وعين ساهرة لعين نائمة .

١٣ ـ وقال عمرو[٣] : أن أبيت معرساً بعقيلة من عقائل الحي .

١٤ ـ وقال وردان[٤] : الإفضال على الأخوان . فقال معاوية : اسكت

---

(١) العين الخرّارة : الغزيرة المياه .
(٢) الأرض الغوارة : المنخفضة .
(٣) عمرو : هو عمرو بن العاص السهمي القرشي الصحابي .
(٤) وردان : هو مولى عمرو بن العاص وهو الذي كَتب كتب الأمان الذي أعطاه عمرو بن العاص أهل مصر وشهد فيه الزبير وابناه عبد الله ومحمد سنة ٢٠ هـ .

فأنا أحق بهذا منك . قال : قد أمكنك فافعل .

وروي أنه قال : أن ألقى كريماً قادراً بعقب إحسان كان مني إليه .

١٥ ـ وقال سليمان لابنه : قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا الفاره[١] ، الكثبان العفر[٢] .

١٦ ـ وقيل لعبد الملك ، فقال : محادثة الأخوان في الليالي القمر على . . . . وامتطينا العذراء ، فلم يبق من لذتي إلاّ صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ .

١٧ ـ وقيل لأعرابي : فيمَ اللذة ؟ قال : في قبلة على غفلة .

١٨ ـ وقال آخر سيف كبرق ثاقب ، ولسان كمخراق لاعب[٣] .

١٩ ـ وقال الطفيلي : في مائدة منصوبة ، ونفقة غير محسوبة ، عند رجل لا يضيق صدره من البلع ، ولا تجيش نفسه من الجرع .

٢٠ ـ وقال آخر : في ندامى تغلق دورهم وتغلي قدورهم .

٢١ ـ وقال العالم : في حجة تتبختر اتضاحاً ، وشبهة تتضاءل افتضاحاً .

٢٢ ـ وقال الراعي : في واد عشيب ، ولبن حليب .

٢٣ ـ وقال العابد : في عمل يخلص ، ورياء ينقص ، وقلب عن الدنيا يسلو ، وهمة إلى الله تعلو .

٢٤ ـ وقال أعرابي : اشتهي محضاً روياً ، وضباً شوياً .

---

(١) الفاره من الدواب : النشيط .

(٢) العفر : ظاهر التراب .

(٣) مخراق لاعب : المخراق عبارة عن قطعة من القماش ونحوه تلوى بشكل معين فيستعملها الصبيان للضرب أثناء اللعب .

٢٥ ـ وقال المضياف : في كوم(١) تنحر ، ونار تسعر(٢) ، وضيف ينزل ، وآخر يرحل .

٢٦ ـ وقال المغني : مجلس يقل هذره(٣) ، وعود(٤) ينطق وتره ، ورجل عقول ، يفهم ما أقول .

٢٧ ـ وقال الشجاع : طِرف(٥) سريع ، وقرن صريع .

٢٨ ـ وقال البحار : شربة من ماء الفنطاس(٦) بقشر النارجيل(٧) ، ونومة في ظل الشراع .

٢٩ ـ عبد الرّحمن بن الحكم : لذة العيش زحف الأحرار إلى طعامك ، وبذلك الأشراف وجوههم لك ، وقول المنادي الصلاة أيها الأمير .

٣٠ ـ اجتمع عبد الله بن عمر ، وعروة ومصعب إبنا الزبير ، وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمنوا ، فقالوا : أبدأ أنت ، قال : ولاية العراق وتزوج سكينة بنت الحسين(٨) وعائشة بنت طلحة(٩) ، فنال ذلك ، وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف وجهزها بمثلها .

---

(١) كوم : جمع كوماء وهي الناقة الطويلة العظيمة السنام .
(٢) أسعرت النار : أشعلتها .
(٣) هذر الرجل في كلامه : هذى ، أي خلط وتكلم بما لا ينبغي . والهذر هو سقط الكلام الذي لا يُعبأ به .
(٤) العود : آلة العزف المعروفة .
(٥) الطِرف : الكريم من الخيل .
(٦) الفنطاس : حوض السفينة .
(٧) النارجيل : جوز الهند .
(٨) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب . توفيت سنة ١١٧ هـ . تقدّمت ترجمتها .
(٩) عائشة بنت طلحة : هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي . كانت أديبة عالمة بأخبار العرب ، فصيحة . أمّها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وخالتها عائشة أم المؤمنين . كانت لا تستر وجهها فعاتبها زوجها (مصعب بن الزبير) في ذلك ، =

وتمنى عروة الفقه وأن يحمل عنه ، فناله ، وتمنى عبد الملك الخلافة ، فنالها وتمنى ابن عمر الجنة .

٣١ - ولّى يحيى البرمكي إبنه الفضل خراسان ، فبلغه اقبال منه على اللهو ، فكتب إليه : أما بعد ، فقد بلغني عنك ما كنت جديراً بغيره ، وقد يهفو ذو الحنكة ، ويزل الحليم ، ثم يعود إلى ما هو أولى به ، حتى كأن أهل دهره لم يعرفوه إلاّ بذلك ، وقد كتبت إليك بأبيات إن تجاوزتها صرمتك[١] حولاً ، وعزلتك عن سخط :

انصب نهاراً في طلاب العلى | واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل بدا مقبلاً | واستترت فيه وجوه العيوب
فبادر الليل بما تشتهي | فإنما الليل انهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكاً | يستقبل الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره | فبات في أمن وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة | يسعى بها كل عدو رقيب

فارتدع عما كان فيه .

٣٢ - أنزل الله تعالىٰ في الخمر ثلاث آيات ، أولها ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾[٢] ، فكان المسلمون بين شارب وتارك ، إلى أن شرب رجل ودخل في الصلاة فهجر[٣] ، فنزلت : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾[٤] ، فشربها من شرب من المسلمين ، حتى شربها

= فقالت : إن الله قد وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس فما كنتُ لأستره . كانت تقيم بمكة سنة ، وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى الطائف تتفقّد أموالها . أخبارها مع الشعراء كثيرة ولعمر بن أبي ربيعة غزل بها . توفيت سنة ١٠١ هـ .
راجع ترجمتها في الدر المنثور ٢٨٣ وفي أعلام الناس ٢ : ٨٨٥ والأغاني .

(١) صرمتك : هجرتك وابتعدت عنك .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢١٩ .
(٣) هجر في الصلاة : خلط في كلامه وهذى .
(٤) سورة النساء ، من الآية : ٤٣ .

عمر فأخذ لَحْيَ بعير[1] فشج رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتل بدر بشعرَ الأسود بن عبد يغوث[2] :

وكائن بالقليب قليب بدر	من الفتيان والشرب الكرام[3]
وكائن بالقليب قليب بدر	من الشيزى المكلل بالسنام[4]
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام[5]
أيعجز أن يرد الموت عنيّ	وينشرني إذا بليت عظامي[6]
ألا من مبلغ الرّحمٰن عنيّ	بأني تارك شهر الصيام
فقل للّه يمنعني شرابي	وقل للّه يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج مغضباً يجر رداءه ، فرفع شيئاً كان في يده ليضربه ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله ورسوله .

فأنزل الله تعالىٰ : **﴿إنما يريد الشيطان ـ إلى قوله ـ فهل أنتم**

---

(١) اللَّحْيُ : العظم الذي فيه الأسنان ، الفك .

(٢) الأسود بن عبد يغوث : كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات في علّة الاستسقاء . وفي لسان العرب (مادة شيز) أن هذا الشعر لابن سوادة .

(٣) القليب : هو قليب بدر الذي قذف فيه من قتل من قريش . ويُقال : يوم القليب أي معركة بدر الكبرى .

(٤) رواية لسان العرب :

فماذا بالقليب قليب بدرٍ من الشيزى يُزَيَّنُ بالسّنام

الشيزى : شجر تُتّخذ منه الجِفان ، وأراد بالجفان أربابها الذين كانوا يُطعمون فيها وقُتلوا ببدر وأُلقوا في القليب ، فهو يرثيهم ، وسمّى الجفان شيزى باسم أصلها . والجفان : جمع جفنة وهي القصعة والقدر الكبير .

(٥) الصدى : جسد الإنسان بعد موته . وكان أهل الجاهلية يذكرون أن طائراً يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه فإذا قتل أقبل يصوّت على قبره حتى يُدرك بثأره ويسمى هذا الطائر الصدى والهام . والهام أيضاً نوع من البوم الصغير يألف القبور والأماكن الخربة ينظر من كل مكان أينما درت أدار رأسه واحدته هامة وتسمّى أيضاً الصدى .

(٦) يوم النشر : يوم القيامة .

منتهون﴾[1] ، فقال عمر : انتهينا .

٣٣ ـ قال عبد الملك بن مروانَ لنصيب[2] : هل لك فيما يتنادم عليه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تأملني ، فإن جلدي أسود ، وخلقي مشوه ، ولست في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك عقلي ، فأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه ، فأعجبه كلامه وأعفاه .

٣٤ ـ استوصف رجل ابن ماسويه[3] دواء الباه[4] ، فقال : عليك بالكباب والشراب ، وشعر أبي الخطاب . هو عمر بن أبي ربيعة .

٣٥ ـ أتى عبد الملك يعود : فقال للوليد بن مسعدة الفزاري[5] : ما هذا ؟ قال : عود يشقق ، ثم يرقق ، ثم يلصق ، ثم تمد عليه أوتار ، وتضرب به القيان فيطرب له الفتيان ، وتضرب رؤوسها بالحيطان . وامرأتي طالق إن كان أحد في المجلس الا وهو يعلم منه مثل ما أعلم ، أولهم أنت يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : مهلاً يا وليد .

٣٦ ـ قيل لأعرابي : أما تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلي .

٣٧ ـ علي بن أبي كثير[6] مولى بني أسد :

---

(١) سورة المائدة ، من الآية : ٩١.

(٢) نُصيب : هو نُصيب بن رباح . تقدّمت ترجمته .

(٣) ابن ماسويه : طبيب مشهور سرياني الأصل عربي المنشأ . عهد إليه هارون الرشيد ترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم وجعله أميناً على الترجمة ورتّب له كتاباً حاذقين كان مجلسه ببغداد من أعمر المجالس .
راجع ترجمته في أخبار الحكماء للقفطي ٢٤٨ وطبقات الأطباء ١ : ١٧٥ وفهرست ابن النديم .

(٤) الباه : الشهوة إلى المجامعة والنكاح .

(٥) الوليد بن مسعدة الفزاري : لم نقف له على ترجمة .

(٦) علي بن أبي كثير : هو مولى بني أسد ، كما ذكر المرزباني في معجم الشعراء ، =

سقاني ثلاثاً بعد سبعٍ وأربعٍ　　فخثرن ما بين الذؤابة والنعل
ورحت أجوب الأرض أركل متنها　　إذا هي مالت بي ليعدلها ركلي
ترى عينيَ الحيطان حولي كأنها　　تدور ولو كلّمتني قلت ذو خبل
فلا العين تهديني وبالرجل ما بها　　فلأياً بلأي ما دفعت إلى أهلي

٣٨ ـ تهوع سكران في طريق فلحس كلب شفتيه ، فقال : خدمك بنوك ولا عدموك . ثم شغر[١] على وجهه ، فقال : وماء حار أيضاً ؟ بارك الله عليك ! .

٣٩ ـ كان لأبي تمام صديق يسكر من قدحين ، فكتب إليه يدعوه : إن رأيت أن تنام عندنا فافعل .

٤٠ ـ مر أبو نؤاس برجل ينشد :

وما مسها نار سوى أن علجهم　　سعى في نواحي كرمها بسراج[٢]

فالتفت إليه فقال : ما له أحرق الله قلبه كما أحرقها ؟ ! .

٤١ ـ خرج سوار القاضي[٣] إلى المسجد ماشياً ، فلقيه سكران فقال : القاضي أعزه الله يمشي ! امرأتي طالق إن حملته إلاَّ على عاتقي . فكره سوار أن تطلق امرأته ، فقال : ادن يا خبيث ، فحمله على عاتقه ، ثم رفع رأسه فقال : أأهملج أم أعنق[٤] ؟ فقال : مشياً بين مشيين ، واحذر الآبار والزلق ، والصق بأصول الحيطان . فقال : كأنك أردت المرائي من

= وقيل : هو مولى بني تيم الله بن ثعلبة . كان صاحب شراب وفتوّة .
مدح عبد الله بن المقفّع واستكتبه أبو بجير الأسدي عند تقلّده الأهواز للمنصور وله معه أخبار .

(١) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه فبال .
(٢) العلج : هو الرجل الضخم من رجال العجم .
(٣) سوار القاضي : هو سوار بن عبد الله القاضي . تقدّمت ترجمته .
(٤) أعنق : أسير العنق . والعنق هو السير السريع . والهملجة : هو ضرب من سير الإبل في سرعة .

الفروسية . فلما أوصله إلى المسجد أمر بحبسه ، فقال : أهذا جزائي منك ؟ فتبسم وتركه .

٤٢ ـ السكارى ثلاثة : قرد حرك رأسه ورقص ، وكلب هارش ونبح ، وحية زويت فنامت .

٤٣ ـ مر عقال الناسك[١] بمرداس بن حذام الأسدي[٢] فاستسقاه لبناً ، فصب له خمراً وعلاه باللبن ، وشربه فسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام ، فقال :

سقيت عقالاً بالثوية شربة فمالت بعقل الكاهلي عقال[٣]
قرعت بأم الخل حبة قلبه فلم ينتعش منها ثلاث ليالي[٤]

٤٤ ـ قال رجل لابن له يتعاطى الشراب : يا بني دع الشراب ، فإنما هو قيء في شدقك ، أو سلح على عقبك ، أو حد في ظهرك .

٤٥ ـ قال عبد الملك للأخطل : صف لي الخمر . قال : أولها صداع وآخرها خمار[٥] . قال : فما يعجبك منها ؟ قال أن بينهما طربة لا يعدلها ملكك ، وأنشأ يقول :

إذا ما نديمي علّني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير

---

(١) عقال الناسك : لم نقف له على ترجمة .
(٢) مرداس بن حذام الأسدي : إسلامي كان ينزل الكوفة ، وكان شاعراً خبيثاً . قيل : حزام ، وقيل خذام ، وقيل حذام . راجع معجم الشعراء ٣٧٠ والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٠٩ .
(٣) الثوية : خُريبة إلى جانب الحيرة ذكر العلماء أنها كانت سجناً للنعمان بن المنذر ، كان يحبس بها من أراد قتله فكان يُقال لمن حُبس بها ثوى أي أقام فسمّيت الثوية بذلك .

ورواية معجم البلدان :
سقينا عقالاً بالثوية شربةً فمال بلبّ الكاهلي عقالُ

(٤) أُم الخل : كناية عن الخمر .
(٥) الخُمار : وجع الرأس الذي تحدثه الخمرة عندما يكثر من شربها الإنسان .

خرجت أجر الذيل حتى كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

٤٦ ـ سمع عالم قول الشاعر : ما لها تحرم في الدنيا وفي الجنة منها ؟ فقال : لصداع الرأس ونزف العقل . ذهب إلى قوله تعالىٰ : ﴿**لا يصدعون عنها ولا ينزفون**﴾[١] .

٤٧ ـ قال الضحاك بن مزاحم لرجل : ما تصنع بشرب النبيذ ؟ قال : يهضم طعامي . قال : ما يهضم من دينك وعقلك أكثر .

٤٨ ـ كانت مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة[٢] تحت زبان بن سيار[٣] ، فمات عنها وخلف ابنه عليها ، فأخبر بذلك عمر رضي الله عنه وبأنه يشرب ، ففرق بينهما ونهاه عن الشرب ، فقال :

ألا لا أُبالي اليوم ما فعل الدهر إذا ذهبت عني مليكة والخمر
فإن تكن الأيام فرقن بيننا فحيّ ابنة المري ما طلع الفجر

٤٩ ـ كان لأزدشير[٤] غلامان ذكيان موكلان بحفظ ألفاظه إذا غلب عليه السكر ، أحدهما يملي ، والآخر يكتب حرفاً حرفاً ، فإذا صحا قرىء عليه ، فإن كان فيه شيء خارج عن آيين الملوك وآدابهم جعل على نفسه

---

(١) سورة الواقعة ، الآية : ١٩ .

(٢) مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة : كانت تحت زبان بن سيّار فخلف عليها ابنه منظور بن زبان فولدت منه وفرّق بينهما الإسلام ، وتزوجها طلحة بن عبيد الله . كانت تكنّى أُم خولة .
راجع ترجمتها في الإصابة ٨ : ١٩٥ و ٦ : ١٤٢ .

(٣) زبان بن سيّار : هو زبان بن سيّار بن عمرو بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة الفزاري . راجع الخبر في الإصابة ٦ : ١٤١ وقد اختصره الزمخشري هنا اختصاراً مخلاً . هذا وهذا النكاح هو ما يسمى نكاح المقت وفيه نزلت الآية : ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلّا ما قد سلف**﴾ .

(٤) أزدشير : هو أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية ملك من سنة ٢٢٦ م إلى سنة ٢٤١ م .

ألا يزمزم[1] ذلك اليوم إلاَّ على خبز الشعير والجبن عقوبة لنفسه .

٥٠ ـ اجتمع محدث ونصراني في سفينة ، فصب النصراني من ركوة[2] كانت معه في مشربة وشرب ، وصب فيها وعرضها على المحدث ، فتناولها من غير فكر ولا مبالاة ، فقال النصراني : جعلت فداك ، إنما هو خمر ، فقال: من أين علمت أنها خمر؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي وحلف أنها خمر . فشربها بالعجلة ، وقال للنصراني : أنت أحمق ، نحن أصحاب الحديث نضعف سفيان بن عيينة ويزيد بن هارون ، أفنصدق نصرانياً عن غلامه عن يهودي ، والله ما شربته إلاَّ لضعف الإسناد .

٥١ ـ ممن حرم الخمر في الجاهلية علقمة بن نضلة[3] ، وقال :

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً ... لمذهبة مالي ومنسية حلمي
وجاعلني من الضعاف قواهم ... ومورثتي حرب الصديق بلا جرم

وقيس بن عاصم ، وذلك أنه شرب ، فلما سكر مدَّ يده ليلتمس القمر ، فلما أصبح أخبر ، فاستسفه فعله وحرمها ، وقال : لا أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم وقال :

تركت القداح وعزف القيان ... والخمر تصفية وابتهالا

٥٢ ـ وقال ابن أوفى[4] لقومه حين نهوا عن شرب الخمر :

أنهد بن زيد ليس في الخمر رفعة ... فلا تقربوها إنني غير فاعل

---

(١) الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ولكنه صوت يديروه في خياشيمهم وحلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض . والعلوج : ضخام الجثة من رجال العجم .

(٢) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، ومنه الركوة لإبريق القهوة عند أهل بلادنا .

(٣) علقمة بن نضلة : لم نقف له على ترجمة .

(٤) ابن أوفى : هو عبد الله بن أبي أوفى . تقدمت ترجمته .

فإني وجدت الخمر شيئاً ولم يزل أخو الخمر حلالاً شرار المنازل

٥٣ ـ كان رجل يقول لوكيله : اشتر لي المطبوخ وحلف الخمار على أنه مطبوخ . فيأتي بالمطبوخ ، فيقول الرجل : ليس له صفاء ولا حسن ، أريد أرق منه . فلا يزال يردده حتى يأتيه بالخمر الصرف ، فيقول : أما أحلفت الخمار ؟ أما استوثقت منه ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ثقة والله وقد حج ، ثم يتعد يشربه بقلب مطمئن .

٥٤ ـ الخمر مصباح السرور، ولكنها مفتاح الشرور .

٥٥ ـ اترك النبيذ قبل أن يبلغ الحد الذي يوجب الحد[١] .

٥٦ ـ المهلبي الوزير[٢] : الشراب بغير دسم سم ، وبغير نغم غم .

٥٧ ـ تغدى الحجاج عند عبد الملك ، ثم دعا بالشراب ، فقال : أعفني يا أمير المؤمنين ، فإني أضرب عليه أهل العراق ، فوالله لئن شربته لا ضربت عليه أبداً . قال : يا أبا محمد ، إنه نبيذ الرمان ، يشهّي الطعام ، ويزيد في الباه ، قال : أما قولك يشهي الطعام ، فوددت أن هذه الأكلة كفتني حتى أموت ، وأما قولك يزيد في الباه ، فحسب الرجل أن يصرع في كل شهر مرة .

٥٨ ـ أبو حنيفة عن إبراهيم[٣] : كانت الرواية كل سَكَر[٤] حرام فزادوا فيها ميماً .

٥٩ ـ أخذ الطائف[٥] فتياناً يشربون ومعهم أعرابي ، فأتى بهم

---

(١) الحدّ : القصاص الشرعي . وقد تقدّم شرح حدود الله تعالىٰ .

(٢) المهلبي الوزير : هو الحسن بن محمد المهلبي ، استوزره معزّ الدولة بن بويه ، وقرّبه الخليفة المطيع العباسي ثم لقبه بالوزارة فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان فلقب بذي الوزارتين . له شعر رقيق . توفي سنة ٣٥٢ هـ .

(٣) إبراهيم : هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي . تقدّمت ترجمته .

(٤) السَكَرُ : الخمرة .

(٥) الطائف : هو العاسّ ليلاً (شرطي الأخلاق في أيامنا) .

الحجاج . فقال الأعرابي : والله ما كنا في شر ، قدم إلينا هذا الكريم عافاه الله خبزاً من لباب البر ، ولحماً من سمان الضأن ، وطيباً من نبيذ السعن[1] ، وعنده رجل معه خشبية يعرك أذنيها فينطق جوفها ، فبينا نحن على أحمد حال وأرضاها إذ وغل[2] هذا اللئيم ، فأكل وشرب حتى إذا تضلع[3] غدر بنا ، وساقنا إليك لؤماً وسفالة .

فضحك الحجاج ، ووهب لهم الطائف يفعلون به ما شاؤوا .

٦٠ ـ يزيد بن المهلب : وددت لو أن كل كأس بألف دينار ، وكل منكح في جبهة الأسد ، فلا يشرب إلاّ جواد ، ولا ينكح إلاّ شجاع .

٦١ ـ الحسن : لو كان العقل عرضاً لتغالى الناس في ثمنه ، فالعجب لمن يشتري شيئاً بماله يشربه فيذهب عقله .

٦٢ ـ وعن عبد الله بن الأهتم[4] : لو كان العقل يشترى ما كان علق أنفس منه ، فالعجب لمن يشتري الحمق بماله فيدخله رأسه ، فيقيء في جيبه ويسلح في ذيله ، يمسي محمراً ، ويصبح مصفراً .

٦٣ ـ النبي ﷺ : من بات سكران بات للشيطان عروساً .

٦٤ ـ عيسى عليه السلام : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنساء حبائل

---

(١) السَّعْنُ والسُّعْنُ : هو ، كما في اللسان ، شيء يُتّخذ من أدم شبه دلوٍ إلاّ أنه مستطيل مستدير وربما جُعلت له قوائم ينْتبذ فيه ، وقد يكون بعض الدلاء على تلك الصنعة ، والسُّعْنُ أيضاً : القربة البالية المتخرّقة العنق يبرّد فيها الماء .

(٢) وغل على القوم : دخل عليهم فشرب معهم من غير أن يُدعى .

(٣) تضلّع : انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب .

(٤) عبد الله بن الأهتم : من خطباء بني تميم . تولى شرطة البصرة سنة ٧١ بعد قتل مصعب حين غلب على ولايتها حمران بن أبان . وفي سنة ٩٧ هـ أوفده يزيد بن المهلب حين ضجر بالعراق إلى سليمان بن عبد الملك ليعمل على توليته خراسان فوفّق في ذلك .

راجع ترجمته في البيان والتبيين ١ : ٣٥٥ .

الشيطان ، والخمر داعية للشرّ .

٦٥ ـ [شاعر] :

بلوت النبيذيين في كل بلدة فليس لأخوان النبيذ حفاظ[١]
إذا دارت الأرطال أرضوك بالمنى وإن فقدوها فالوجوه غلاظ[٢]

٦٦ ـ حكيم : إياك وأخوان النبيذ ، فبينا أنت متوج عندهم مخدم ، مسجود له معظم إذ زلت بك القدم ، فجروك على شوك السلم[٣] . واحفظ قول القائل :

وكل أُناس يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
لئن قلت هذا لم أقل عن جهالةٍ ولكنني بالفاسقين عليم

٦٧ ـ شرب رجل من إداوة[٤] عمر رضي الله عنه ، فسكر ، فجلده ، فقال : إنه من نبيذك! فقال: إنما جلدت لسكرك.

٦٨ ـ قيل لسعيد بن سلم[٥] : أتشرب النبيذ ؟ قال : لا ، قيل : لِمَ ؟ قال : تركت كثيره لله ، وقليله للناس .

٦٩ ـ قال ابن صدقة العطار البصري[٦] : لو لم يوجب اجتناب

---

(١) بلوتُ : اختبرتُ .
(٢) الأرطال : جمع رطل وهو وزن يبلغ اليوم ، في بعض البلاد العربية ، اثنتي عشرة أوقية ، وكان في ما مضى يقرب من الأوقيتين .
(٣) السَّلَم : شجر ذو شوك يُدبغ بورقه وقشره ، ويسمّى ورقه القَرَظ له زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيّبة الريح تؤكل في الشتاء وهي في الصيف تخضرّ . واحدته سلمة .
(٤) الإداوة : قربة تكون من الجلد يوضع فيها الماء .
(٥) سعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي .
تقدّمت ترجمته . ورواية العقد الفريد : سعيد بن أسلم ، ولم نقف له على ترجمة .
(٦) ابن صدقة العطار البصري : لم نقف له على ترجمة .

السَكَر[1] إلّا قول الأحنف[2] : «تركته مخافة أن احتاج بالعشي إلى تقويم من احتاج إلى تقويمي بالغداة» لكفى به .

٧٠ ـ قال حكيم الهند : عجباً عجباً لمن كان شرابه عصير الكرم ، وطعامه الخبز واللحم ، ثم اقتصد في أكله وشربه وجماعه وتعبه ، كيف يمرض وكيف يموت ؟ .

٧١ ـ شهد رجل عند شريك[3] ، فقال المدعي عليه : إنه يشرب النبيذ ، فقال له شريك : أتشربه ؟ قال : نعم ، وأنا الذي أقول :

وإذا المعدة جاشت ... فارمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ ... ليس بالحلو الرقيق
يهضم المطعم هضماً ... ثم يجري في العروق

فقال شريك : قم فأثبت شهادتك . وأراد الكسر على المشهود عليه .

٧٢ ـ دخل الهيثم بن خالد[4] على عبد الملك وبوجهه آثار ، فقال : ما هذا ؟ قال : قمت بالليل فصدمني الباب ، فقال عبد الملك :

رأتني صريع الكأس يوماً فسؤتها ... وللشاربيها المدمنيها مصارع

فقال : آخذك الله بسوء ظنك يا أمير المؤمنين ، قال : بل آخذك الله بسوء مصرعك يا هيثم .

٧٣ ـ كان وكيع بن أبي سود[5] مدمناً ، فولى ابن أخيه بعض

---

(١) السَّكَرُ : الخمرة .
(٢) الأحنف : هو الأحنف بن قيس السعدي . تقدّمت ترجمته .
(٣) شريك : هو شريك بن عبد الله النخعي القاضي . تقدّمت ترجمته .
(٤) الهيثم بن خالد : لم نقف له على ترجمة .
(٥) وكيع بن أبي سود : هو وكيع بن حسّان بن قيس بن أبي سود الغداني . له أخبار مع الحجاج وقتيبة بن مسلم الباهلي وسليمان بن عبد الملك . غلب على خراسان تسعة أشهر . ذكره الجاحظ في الخطباء من الجفاة والأعراب المحرمين .
راجع أخباره في عيون الأخبار ٢ : ٤٨ والطبري وابن الأثير .

الأعمال ، فبلغه أنه يشرب ، فدعا به وقال : إني استعملتك لأشرفك وارفع ذكرك فأقبلت على الشرب ! فقال : والله ما شربت حسوة منذ وليتني ، ولكني الساعة سكران . قال : من أي شيء ؟ قال : من ريحها منك .

٧٤ ـ استفتى أعرابي من جبلي طي[١] ابن أبي ذئب[٢] في النبيذ وقال : يحسن الوجوه ، ويسخي الأنفس ، ويسلي الهموم ، ويحض على النجدة ، فقال : هو حرام . فقال : إنه ينفعني من أرواح تعتريني ، ويصلح عليه جسمي ، قال : لم يجعل الله فيما حرم شفاء ، فأنشأ يقول :

دع ابن أبي ذئب وإن كان مفتياً ... وأصحابه واشرب حلالاً من التمر
ومن رطبٍ زهوٍ إذا ما وجدته ... وكل نبيذ من عتيق ومن بسر
فإن الهدى في غير ذلك فاعلمن ... وما الأمر إلَّا في الفواحش والخمر

٧٥ ـ قال حفص بن غياث[٣] : كنت عند الأعمش، وبين يديه نبيذ ، فاستأذن قوم فسترته ، فقال : لِمَ سترته ؟ فقلت : كرهت أن يقع فيه ذباب . فقال : هيهات هو أمنع جانباً من ذاك .

٧٦ ـ علي رضي الله عنه : الشطرنج ميسر العجم . وعنه أنه مرَّ بقوم يلعبون الشطرنج ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون .

---

(١) جبلاطيء : هما أجأ وسلمى .

(٢) ابن أبي ذئب : هو محمد بن عبد الرّحمٰن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب . وُلد عام الجفاف سنة ٨٠ هـ . محدّث ورع . وهو الذي قال للمنصور : الظلم فاشٍ ببابك . توفي سنة ١٥٨ هـ . وقيل : توفي سنة ١٩٥ هـ .
راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٧٨٧ وتذكرة الحفاظ ١ : ١٧٩ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٠٣ .

(٣) حفص بن غياث : هو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة النخعي . وُلد سنة ١١٧ وولي قضاء الشرقية ببغداد أيام هارون الرشيد ثم عزله وولاه قضاء الكوفة . كان من أصحاب الأعمش ، يتبع في قضائه أحكام ابن أبي ليلى . توفي سنة ١٩٤ هـ .
راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٢ : ٤١٥ وميزان الاعتدال ١ : ٥٦٧ .

٧٧ ـ عمر رضي الله عنه وقد ذكر عنده الشطرنج : إني لأعجب من ذراع في ذراع يدبرها الحكماء منذ وضعت لم يقفوا لها على غاية .

٧٨ ـ قيل لابن مجاهد[١] : إن الصولي[٢] صنّف كتاباً في القرآن سمّاه «الشامل» فقال : إنه جيد الدست[٣] ، أراد أنه شطرنجي حاذق . فأما القرآن فإنه منه في قطر بعيد .

٨٩ ـ دخل أبو العنبس[٤] على أبي تمام وهو يلعب بالشطرنج ، وكان وسخاً ، فقال : ما أوسخ هذا الشطرنج ! قال أبو تمام : فكيف لو رأيت اللعب ؟ فإنه أوسخ من الشطرنج .

٨٠ ـ كان أبو القاسم الكسروي[٥] يقول : لا ترى شطرنجياً غنياً إلّا بخيلاً ، ولا فقيراً إلّا طفيلياً ، ولا تسمع نادرة باردة إلّا على الشطرنج .

٨١ ـ قالوا : على الملك أن ينصف صاحبه في اللعب بالشطرنج والصوالج[٦] والصيد والرمي في الغرض ، ولا يتفضل عليه وعلى صاحبه

---

(١) ابن مجاهد : هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، من أهل بغداد كان شيخ القرّاء في زمانه . وُلد في بغداد سنة ٢٤٥ هـ . كان حسن الأدب رقيق الخلق فطناً جواداً . له تصانيف . مات ببغداد سنة ٣٢٤ هـ ودفن في مقبرة له بباب البستان .
راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ١٤٤ وغاية النهاية ١ : ١٣٩ .

(٢) الصولي : هو محمد بن يحيى الصولي ، أبو بكر . تقدّمت ترجمته .

(٣) جيّد الدّست : أي شطرنجي حاذق (فارسي معرب) .

(٤) أبو العنبس : هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس بن المغيرة بن ماهان ، من أهل الكوفة ، ولي قضاء الصيمرة فنُسب إليها . كان أديباً ظريفاً شاعراً هجاءً خبيث اللسان ، هاجى أكثر شعراء زمانه وله مع البحتري مناظرة ، وهجاه أكثر شعراء زمانه وله معرفة بالنجوم . نادم المتوكل والمعتمد وتوفي سنة ٢٧٥ هـ ودفن بالكوفة .
راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٢٣٨ وإرشاد الأريب ٦ : ٤٠١ .

(٥) أبو القاسم الكسروي : ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر وقال : كان جامعاً بين الكتابة والشعر ضارباً بأوفر السهم في الظرف .

(٦) الصوالج : جمع صولجان وهي العصا المعقوفة الرأس ومنها «صولجان الملك» (فارسية) .

المشاحة وترك الأغضاء .

٨٢ ـ حكي عن سابور[١] أنه لاعب ترباً[٢] له بالشطرنج على إمرة مطاعة ، فقمره[٣] تربه ، فقال سابور : ما إمرتك ؟ قال : أركبك حتى أخرج بك إلى باب العامة . فدعا ببرقع فتبرقع به ، وجثا لتربه .

٨٣ ـ استأذن يحيى بن أكثم على المتوكل وهو يلعب بالنرد مع الفتح بن خاقان ، فغطيت الرقعة بمنديل . فقال له المتوكل : إني كنت ألاعب الفتح فكره دخولك واحتشمك ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن خاف أن أعلمك عليه ، فضحك وأمر له بمال .

٨٤ ـ احتضر شطرنجي وهو يقول : شاه مات مكان الشهادة .

٨٥ ـ سئل الشعبي[٤] عن اللعب بالشطرنج ، فقال : لا بأس به إذا لم يكن هناك تقامر وتباذل .

٨٦ ـ بعضهم : كنا في السجن مع ابن سيرين[٥] فكان يمر بنا ونحن نلعب بالشطرنج ، فيقوم قائماً فيقول : ارفع الفرس ، افعل كذا .

٨٧ ـ سعيد بن المسيب : كنت ألعب بالشطرنج مع صديقي في بيته حين خفت الحجاج .

٨٨ ـ علي بن الجهم :

أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين حرين معروفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها فطناً ... من غير أن يأثما فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تنم

---

(١) سابور : هو سابور بن أردشير . تقدّمت ترجمته .

(٢) الترب : المماثل في السنّ .

(٣) قمره : غلبه .

(٤) الشعبي : هو عامر بن شراحيل . تقدّمت ترجمته .

(٦) ابن سيرين . وهو محمد بن سيرين الشهير بتعبير الرؤيا . تقدّمت ترجمته .

فانظر إلى بهم حاشت بمعركة ... في عسكرين بلا طبل ولا علم

٨٩ ـ وقيل هي للمأمون .

قالوا إن سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يريدون القتال فإذا تنازع فريقان في كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج ، فيأخذها الغالب من غير قتال .

٩٠ ـ ولي سليمان بن عبد الملك صالح بن عبد الرّحمٰن[١] بعد الحجاج ، وأمره بتتبع آثار الحجاج . فقال له بعض أبناء ملوك الفرس : انظر شطرنجاً من ياقوت أحمر كان لبعض آبائي ، قام عليه أصغر قطعة منها بثلاثة آلاف ألف ، فإن وجدتها في الخزانة فاعلم أن الحجاج لم يخن . فوجدوها في جونة عليها خاتمه ، فحكي أن تلك الشطرنج حملها الأموي الذي لحق بالأندلس ، فهي فخرهم .

٩١ ـ أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنت الاعب الحسين[٢] وهو صبي بالمداحي[٣] ، فإذا أصابت مدحاتي مدحاته قلت احملني ، فيقول : ويحك ! أتركب ظهراً حمله رسول الله ﷺ ؟ فأتركه . وإذا أصابت مدحاته مدحاتي قلت : لا أحملك كما لا تحملني ، فيقول : أما ترضى أن تحمل بدناً حمله رسول الله ﷺ ؟ فأحمله .

---

(١) صالح بن عبد الرّحمن : هو صالح بن عبد الرّحمٰن التميمي ، أول من حوّل كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية في العراق . اتصل بالحجاج قبل أن يلي العراق ، ووضع إصطلاحات للكتاب والحساب استغنوا بها عن المصطلحات الفارسية . وفد على سليمان بن عبد الملك في الشام فولّاه خراج العراق . له أخبار مع عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك . قتله عمر بن هبيرة نحو سنة ١٠٣ هـ .
راجع ترجمته في أدب الكتاب للصولي وابن عساكر ٦ : ٣٧١ .

(٢) الحسين : هو الحسين بن علي بن أبي طالب .

(٣) المداحي : هي أحجار أمثال القِرصة ، كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار ، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب . والدّحو : هو رمي اللّاعب بالحجر والطابة وغير ذلك .

٩٢ ـ المداحي والمسادي والمراصح أحجار كالقرصة يدحرجونها إلى حفيرة، إن وقعت فيها فقد قمر[١] .

٩٣ ـ لما بلغ عمر رضي الله عنه تبايع أهل الشام في الخمر أمر أن يطبخ كل عصير بالشام حتى يذهب ثلثاه ، فقال دو الكلاع[٢] :

صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي ۝ ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ۝ فخلانها يبكون حول المعاصر

٩٤ ـ عبد القوي بن عتاهية بن أبي العتاهية[٣]، وكان متهماً في دينه ، يقول ليموت بن المزرع :

يموت يا من نفسه نائمة ۝ غافلة غفلتها دائمة
لا تلح ضداً لك في نحلة ۝ فإن شطرنجكما قائمة[٤]

٩٥ ـ حنظلة بن عرادة التميمي[٥] في يزيد بن معاوية :

طرقت منيته وعند وساده ۝ كوب وزق راعف مرثوم[٦]
ومرنة تبكي على نسوانه ۝ بالصبح تقعد تارة وتقوم[٧]

٩٦ ـ مقيس بن صبابة الكناني[٨] :

---

(١) قَمَرَ : غَلَبَ .
(٢) ذو الكلاع : هو سميفع بن ناكور أبو شراحيل الحميري . ذو الكلاع الأصغر . تقدّمت ترجمته .
(٣) عبد القوي بن عتاهية بن أبي العتاهية : هو حفيد أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم . لم نقف على ترجمة لعبد القوي هذا .
(٤) النِحلة : المِلّة والمذهب .
(٥) حنظلة بن عرادة التميمي : من أهل البصرة ، ذكره الطبري في حوادث سنة ٦١ هـ وقال إنه كان يقاتل مع سلم بن زياد في أيام يزيد بن معاوية .
(٦) الزقّ الراعف : الدنّ المليء بالخمر . والأنف المرثوم: الذي كسر حتى تقطر منه الدم والكنانة هنا واضحة .
(٧) المرنة : التي تبكي فيسمع صوت بكائها .
(٨) مقيس بن صبابة الكناني : ذكره ابن هشام في السيرة فقال إنه قدم إلى المدينة مسلماً=

رأيت الخمر طيبة وفيها خصال كلها دنس ذميم
فلا والله أشربها حياتي طوال الدهر ما طلع النجوم
سأتركها وأترك ما سواها من اللذّات ما أرسى يسوم[1]

٩٧ ـ علي بن خالد العقيلي الكاتب[2] أهدى لعلي بن الجهم نبيذاً من زبيب وكتب إليه :

سللت بحكم النار روح زبيبةٍ تخيرتها صفراء ممحوضة العجم[3]
فلما بدت زوجتها ريح نحلة أرق وأقوى في الصفاء من الوهم
وزففتها منك إليك زجاجة وقد أنزلاها منهما منزل الأم
فانتجهما سيفاً من السكر قاطعاً وجرّده ثم اضرب به عنق الهم

٩٨ ـ أبو عدنان الأعور[4] :

ود النبيذيين رد خلابة والوصل منهم ليس بالتماسك
لا يرفضونك في رخاء معيشة وإذا ابتليت فأنت أول هالك

٩٩ ـ عامر بن الظرب العدواني أول من حرم الخمر في الجاهلية :

إن أشرب الخمر أشربها للذتها وإن أدعها فإني ماقت قالي[5]

= يطلب ديّة أخيه من النبي ﷺ الذي قُتل خطأ فأمر له الرسول ﷺ بدية أخيه هشام ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتداً . فأمر الرسول ﷺ بقتله يوم فتح مكة ! فقتله نميلة بن عبد الله .
راجع ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٧ وفيه الأبيات التي ذكرها الزمخشري ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

(١) يسوم : جبل لهذيل وبه يضرب المثل : الله أعلم من حطّها من رأس يسوم .
(٢) علي بن خالد العقيلي الكاتب : ذكره المرزباني في معجم الشعراء ٢٨٨ وذكر له هذه الأبيات .
(٣) ممحوضة : خالصة . والعجم : نوى الزبيب .
(٤) أبو عدنان الأعور : لم نقف له على ترجمة .
(٥) القالي : الكاره الماقت .

سـآلة للفتى مـا ليس في يـده ذهّـابـة بعقـول القـوم والمـال
أقسمت بـاللّه أسقيهـا وأشـربهـا حتى يفـرق تـرب القبـر أوصـالي

١٠٠ ـ الأعرج الطائي (١) :

تـركت الشعـر واستبـدلت منـه إذا داعي صـلاة الصبح قـامـا
كتـاب اللّه لـيس لـه شـريـك وودعـت المـدامـة والـنـدامى

١٠١ ـ زراع بن عروة الحنفي (٢) :

قـد قـال زراع فكن عنـد قـولـه ترفق بأهل الجهل إن كنت سـاقيا
يبين لنـا ذو العقـل من سفهـائنـا إذا مـا تعاطينـا الكؤوس تعـاطيـا
وجدت أقل الناس عقلاً إذا انتشى أقلهمُ عقـلاً إذا كـان صـاحيـا
تزيد حسى الكـأس اللئيم ملامـة وتتـرك أخـلاق الكـريم كمـا هيـا

١٠٢ ـ بلغ عمر رضي الله عنه أن عامله بدست ميسان (٣) قال :

إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بـالأكبـر المتثـلم
لعـل أميـر المؤمنين يسـوؤه تنـادمنا بـالجوسق المتهـدم (٤)

فقـال : إي هـا الله ! إنـه ليسـوؤني ذلـك ، والله لا عملت لي عمـلاً ، وعزله .

١٠٣ ـ علي رضي الله عنه : إياكم وتحكيم الشهوات .

١٠٤ ـ سمع الوليد بن يزيد بخبر شراعة بن الزندبود (٥) وظرفـه وصلاحـه

---

(١) الأعرج الطائي : هو عديّ بن عمرو بن سويد بن زبان بن عمـرو بن سلسلة بن غنم بن معن الطائي . كان شاعراً مخضرماً أدرك الإسلام وأسلم . =
راجع ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ٢٥١ والإصابة ٣ : ١٧٢ .
(٢) زراع بن عروة الحنفي : لم نقف له على ترجمة .
(٣) ميسـان : كورة واسعـة بين البصرة وواسط فتحت في أيام عمـر بن الخـطاب . راجـع معجم البلدان ففيه التفاصيل .
(٤) الجوسق : القصر جمع جواسق وجواسيق .
(٥) شراعة بن الزندبود : لم نقف له على ترجمة .

لمنادمة مثله ، فاستحضره ، فقال له : يا شراعة ، إني والله ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنة رسوله ، فقال : لو سألتني عنها لوجدتني فيها حماراً . قال : ولكن لأسألك عن الفتوة ، قال : فأنا دهقانها الخبير ، وطبيبها الرفيق . فقال له : ما تقول في الشراب ؟ فقال : عن أيه تسألني ؟ قال : عن الماء ، قال : هو قوام البدن ويشاركني فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال : ما نظرت إليه إلاَّ استحييت من أُمي لطول إرضاعها لي . قال : فالخمر ؟ قال : إنه صديق روحي . قال الوليد : وأنت أيضاً صديقي . ثم سأله عن أصلح مكان للشرب ، فقال : عجبت لمن لا تحرقه الشمس ولا يغرقه المطر لا يشرب مصحراً ، فوالله ما شرب الناس على وجه أحسن من وجه الماء ، وصفو الهواء ، وخضرة الكلأ ، وسعة الفضاء ، وقمر الشتاء .

١٠٥ ـ قيل لرجل : ما تقول في نبيذ السعن[١] ؟ قال : نبيذ الرعن[٢] . قال : ففي نبيذ الجر[٣] ؟ قال : اشرب حتى تجر . قال : فنبيذ الدن ؟ قال : اشرب حتى تجن . قال فالداذي[٤] ؟ قال : أحلى من العسل الماذي[٥] . قال : فنبيذ العسل والزبيب ؟ فستر وجهه وقال : العظمة لله ! قال : فالخمر ؟ قال : لا تشربوها . قال : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن لا تؤدوا شكرها فتنتزع منكم .

---

(١) السعن : قربة أو إداوة يقطع أسفلها ويُشدّ عنقها وتعلّق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم يُنبذ فيها ثم يبرّد فيها ، وهو شبيه بدلو السقائين . وقيل غير ذلك . راجع لسان العرب مادة سعن .

(٢) الرَّعَنُ : ألم الدماغ والاسترخاء والغشى .

(٣) الجرّ : جمع جرّة وهي إناء كبير من خزف كالفخار .

(٤) الداذي : نوع من النبت يسمى حشيشة القلب ، حبّه على شكل حبّ الشعير له رائحة .

(٥) الماذي : العسل الأبيض .

١٠٦ ـ أهديت إلى الوليد[١] جفنة بلّور ، فملأها خمراً ، وطلع القمر وهو يشرب ، فقال : أين القمر الليلة ؟ فذكر له بعض الأبراج ، فقال بعض ندمائه : هو الجفنة . فضحك وقال : ما عدوت ما في نفسي ، وطرب وقال : لاصطبحن الهفتجة[٢] ، يريد الأسبوع ، فقال له حاجبه : إن قريشاً ووفود العرب بالباب ، والخلافة ترق عن هذه الحالة . فقال : اسقوه ، فأبى ، فوضع القمع في فيه ، وسقوه حتى خر ما يعقل .

١٠٧ ـ [شاعر] :

إذا اختلس الخطى واهتز ليناً	رأيت لرقصه سحراً مبينا
يمس الأرض من قدميه وهمٌ	كرجع الطرف يخفى أن يبينا
ترى الحركات منه بلا سكون	فتحسبها لخفتها سكونا
كسير الشمس ليس بمستقر	وليس بممكن أن يستبينا

١٠٨ ـ للنبيذ حدان عقل لا هم فيه ، وهم لا عقل فيه ، فعليك بالأول ودع الثاني .

١٠٩ ـ قال الجماز[٣] : رأيت شيخاً في علّية[٤] ، معه صبي يقول له كل ساعة : هات فروتي ، فاطّلعنا فإذا قنينة كلما طلب فروة سقي قدحاً .

١١٠ ـ عكرمة[٥] : ختن ابن عباس بنيه ، فأرسلني فدعوت اللعابين ، فلعبوا ، فأعطاهم أربعة دراهم .

١١١ ـ سئل سعيد بن المسيب عن اللعب بالنرد ، فقال : إذا لم يكن قمار فلا بأس به .

---

(١) الوليد : هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . تقدّمت ترجمته .

(٢) الهفتجة : الأسبوع (فارسي معرّب) .

(٣) الجماز : هو محمد بن عمرو بن حماد مولى بني تميم ، من أصحاب النوادر . تقدّمت ترجمته .

(٤) العليّة : الطبقة العليا من بيت مؤلف من طبقتين .

(٥) عكرمة : هو عكرمة البربري مولى ابن عباس . تقدّمت ترجمته .

١١٢ ـ إبراهيم بن محمد[١] : رأيت أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر[٢] على ظهر المسجد .

١١٣ ـ أبو الفضل الميكالي[٣] :

عيرتني ترك المدام وقالت هل جفاها من الرجال لبيب
هي تحت الظلام نور وفي الأكبـاد برد وفي الخدود لهيب
قلت يا هذه عدلت عن النصـح وما للرشاد فيك نصيب
إنها للستور هتك وبالألبـاب فتك وفي المعاد ذنوب

١١٤ ـ كان عروة بن الزبير يقول لولده : يا بنيَّ العبوا فإن المروءة لا تكون إلَّا مع اللعب .

١١٥ ـ في كل رأس طربة ونزوة .

١١٦ ـ أبو سليمان الداراني[٤] : خرجت شهوة الشطرنج من قلبي بعد أربع وعشرين سنة .

١١٧ ـ أعرابي :

غضبت عليّ لأن شربت بصوف فلئن بقيت لاشربن بخروف
ولأشربن من بعد ذاك بناقةٍ ولأشربن بتالدي وطريفي[٥]

---

(١) إبراهيم بن محمد : هو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي . تقدمت ترجمته .

(٢) أربعة عشر : لعبة مادتها الورق مشهورة عندنا في لبنان «بلعبة ال ١٤» .

(٣) أبو الفضل الميكالي : هو عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي . من أهل خراسان ، أمير من الكتاب الشعراء .
راجع ترجمته في ثمار القلوب ٣ : ٣٦ ويتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٥٤ وفوات الوفيات ٢ : ٢٥ .

(٤) أبو سليمان الداراني : هو عبد الرّحمن بن أحمد الداراني . تقدّمت ترجمته .

(٥) التالد والطريف : المال القديم والجديد . والعرب تقول : ما له طارف ولا تالد ، ولا=

١١٨ - بريدة[١] : عن النبي ﷺ : من لعب بـالنردشيـر[٢] كأنمـا غمس يده في لحم الخنزير ودمه .

١١٩ - ودخلت في زمن الحداثة على شيخ يلعب بالنـرد مع آخـر يعرف بأزدشير ، فقلت : الأزدشير والنردشير بئس المولى وبئس العشير .

١٢٠ - عـائشة رضي الله عنهـا : كان رسـول الله ﷺ يدخـل وأنـا ألعب بـالبنات ، وعنـدي صواحبـاتي ، فـإذا رأين رسـول الله ﷺ سعين ، فيقـول : كما أنتن ، ولا يعيب عليَّ .

١٢١ - خرج غلمان من أهـل البحرين يلعبـون بالصـوالجة[٣] ، وأسقف البحـرين قاعـد ، فصكت الكرة صـدره فأخـذهـا ، فجعلوا يـطلبـون إليـه في ردهـا ، فأبى ، فقـال غلام منهم : أسـألك بحق محمـد لمـا رددتهـا علينـا ، فشتم رسول الله ، فاقبلوا عليه بصوالجهم وما زالوا يخبطونه حتى مات .

فرفع ذلك إلى عمر رضي الله عنـه ، فوالله مـا فرح بفتـح ولا غنيمة من غنـائم المسلمين كفـرحـه بقتـل أُولئـك الغلمـان الأسقف ، وقـال : الآن عـز الإسلام ، إن غلمة صغاراً سمعوا شتم نبيهم فغضبـوا له وانتصـروا . ثم أهدر دم الأسقف .

١٢٢ - قال الربيـع بن زياد الحـارثي لعلي رضي الله عنه : أعـدني على أخي عـاصم . قال : مـا بالـه ؟ قال : لبس العبـاءة يريـد النسك . قـال عليًّ به ، فأتـوا به مؤتـزراً بعباءة مـرتديـاً بأُخـرى ، شعث الرأس واللحيـة . فعبس في وجهـه وقـال : ويحـك ! أمـا استحيت من أهلك ؟ أمـا رحمت ولـدك ؟ أترى أن الله أباح لك الطيبات وهو يكره أن تنال منها شيئاً ؟ بل أنت أهون على

= طريق ولا تليد . فـالطارف والـطريف : ما استحـدثت من المال واستـطرفته ، والتـلاد والتليد ما ورثته عن الآباء والأجداد قديماً .

(١) بريدة : هو بريدة بن الحصيب . تقدّمت ترجمته .

(٢) النردشير : هو النرد (طاولة الزهر) فارسي معرَّب .

(٣) الصوالجة : العصا المعقوف (فارسي معرّب) .

الله ، أما سمعت الله يقول في كتابه : ﴿والأرض وضعها للأنام[1] ـ إلى قوله ـ يخرج منها اللؤلؤ والمرجان﴾[2] ؟ أفترى الله أباح هذا لعباده إلاّ ليبتذلوه ويحمدوا الله عليه فيثيبهم ، وإنّ ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالمقال .

قال عاصم : فما بالك في خشونة مأكلك وخشونة ملبسك ! فإنما تزينت بزينتك . قال : ويحك ! إن اللّه فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس .

١٢٣ ـ زاد عبد الله بن عمر عبد الله بن جعفر وبين يديه بَرْبَط[3] ، فقال : إن أخبرتني ما هذا يا أبا عبد الرّحمٰن فلك أي جارية من جواريَّ شئت . فأخذ ابن عمر البربط فقبّله ونظر إليه وقال : ميزان حراني[4] ، وأنا أبو عبد الرّحمٰن . فضحك ابن جعفر ووهب له جارية .

١٢٤ ـ بعضهم : رأيت أبا قتادة[5] في عرس يقول للجارية ارعفي الدف[6] .

١٢٥ ـ عن أسلم مولى عمر : قدم علينا معاوية وهو من أبض الناس ، فجعل عمر يضع إصبعه على متنيه ثم يرفعهما عن مثل الشراك حمرة ، وهو يقول : بخٍ بخٍ ، نحن إذن خير الناس إن جمعت لنا الدنيا والآخرة ، فقال معاوية : أنا بأرض الريف والحمامات . فقال عمر : ما بك إلاّ إلطافك

---

(١) سورة الرّحمٰن ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الرّحمٰن ، الآية : ٢٠ .

(٣) البربط : هو العود والكلمة فارسية وهي بَرْبَتْ أي صدر البطّ لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه . راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢١٠ .

(٤) ميزان حراني : نسبة إلى حران على طريق الموصل والشام والروم بينها وبين الرها يوم فتحها عياض بن غنم في أيام عمر بن الخطاب . ولعلّ الميزان الحرّاني كان يشبه البربط .

(٥) أبو قتادة : هو أبو قتادة الأنصاري . تقدّمت ترجمته .

(٦) ارعفي : تقدمي .

نفسك بطيب الطعام ، وتصبيحك حتى تضرب الشمس متنيك وذوو الحاجات من وراء الباب .

١٢٦ ـ كان المأمون يحب لعب الشطرنج حباً شديداً ، ويقول : هو فكري يشحذ الذهن . وكان يقول : لا أسمعن أحداً يقول: تعالى حتى نلعب ، ولكن يقول : حتى نتزاول[1] ونتقاتل .

ولم يك حاذقاً بهما ، فكان يقول : أنا أدبر الدنيا فاتسع لذلك ، وأضيق عن تدبير شبرين في شبرين ! .

---

(١) نتزاول : نتعالج ونتبارى .

الـبـــاب السـابع والسبعون

الأمراض ، والعلل ، والعاهات
والطب، والدواء، والعيادة، ونحو ذلك

١ ـ عبد الله بن أنيس[1] عنه عليه الصلاة والسلام : أيكم أن يصح فلا يسقم ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله ، قال : أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ؟ ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات ، والذي بعثني بالحق ، إن الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فيبلغهما بشيء من عمله ، فيبتليه الله ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله .

٢ ـ وقال ﷺ : ما من مسلم يمرض مرضاً إلاَّ حطّ الله به خطاياه ، كما تحط الشجرة ورقها .

٣ ـ كان يُقال : ما تزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة المصفاة .

٤ ـ كان النبي ﷺ إذا رأى على جسده البثيرة ابتهل في الدعاء وقال : إن الله إذا أراد أن يعظم صغيراً عظمه .

٥ ـ جـريـر :

---

(١) عبد الله بن أنيس : هو عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري . شهد العقبة وما بعدها ، بعثه النبي ﷺ إلى خلد بن شيخ العنبري فقتله . مات بالشام سنة ٥٤ هـ .
راجع ترجمته في الإصابة ٤ : ٣٧ .

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فديةً لفديتهُ بالمصطفى من طارفي وتلادي[1]

قالهما في الوليد بن عبد الملك . وروي أنهما لكثير[2] في عبد الملك .

٦ ـ آخر :

يعدن مريضاً هنّ هيجنَ داءهُ ألا إنما بعض العوائد دائيا

٧ ـ مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ أخوانه، فقيل : يستحيون مما لك عليهم من الديون ، فقال : أخزى الله مالاً يمنع الأخوان من العيادة ، فأمر فنودي : من كان لقيس بن سعد عليه مال فهو في حل . فكسرت درجته لكثرة من عاده ذلك اليوم .

٨ ـ كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى في مرضه : أطال الله يا أخي مدتك ، والله ما منعني عن إتيانك إلّا التطير من عيادتك ، فاعذر أخاك ، فوالله ما قلاك[3] ، ولا سلاك ، ولا استبدل بك سواك ، والسلام .

٩ ـ أطال قوم عيادة بكر بن عبد الله المزني ، فقال : المريض يعاد ، والصحيح يزار .

١٠ ـ علي بن الجهم :

لا ييئسنّك من تفرج كربةٍ خطب رماك به الزمان الأنكد
واصبرْ فإنَّ الصبر يعقب راحةً في اليوم يأتي أو يجيء به الغد
كم من عليل قد تخطّاه الردى فنجا ومات طبيبه والعود

١١ ـ النبي ﷺ : ثلاثة في ظل العرش ، عائد المرضى ، ومشيع

---

(١) طارفي وتلادي : مالي القديم والحديث .
(٢) كثيّر : هو كثيّر عزّة . تقدّمت ترجمته .
(٣) قلاك : بغضك ومقتك .

الموتى ، ومعزي الثكلى .

١٢ ـ محمد البيدق الشيباني[١] :

قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علته بي غير أن له أجر العليل وأني غير مأجور[٢]

١٣ ـ دخل عبد الوارث بن سعيد[٣] على رجل يعوده ، فقال : كيف أنت ؟ قال : ما نمت منذ أربعين ليلة . قال : يا هذا ، أحصيت أيام البلاء فهلا أحصيت أيام الرضا .

١٤ ـ قيل لإسماعيل بن صبيح[٤] وهو مريض : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تحيرت عليّ الأطباء .

١٥ ـ دخل الجاحظ على علي بن عبيدة الريحاني صاحب المنصور عائداً ، فقال له : ما تشتهي ؟ قال : أعين الرقباء ، وأكباد الحساد ، وألسن الوشاة .

١٦ ـ قيل للنظام[٥] في مرضه : ما تشتهي ؟ قال : أن اشتهي .

---

(١) محمد البيدق الشيباني : هو محمد البيدق الراوية ، لُقب بالبيدق لأنه كان قصيراً . كان ينشد هارون الرشيد أشعار المحدثين .
(٢) البيتان لمسلم بن الوليد الأنصاري . راجع الأغاني ٩ : ٤٨ .
(٣) عبد الوارث بن سعيد : من ثقات رواة الحديث ، كان يضرب المثل بفصاحته . توفي بالبصرة في المحرم سنة ١٨٠ .
راجع ترجمته في طبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب ٦ : ٤٤١ وميزان الاعتدال ٢ : ٦٧٧ .
(٤) إسماعيل بن صبيح : من كتّاب الدواوين في الدولة العباسية ، كان كاتباً ليحيى بن خالد البرمكي ، وهو الذي كتب كتاب العهد للمأمون سنة ١٨٦ هـ وكان يكتب بين يدي الرشيد بعد نكبة البرامكة . وهو الذي كتب إلى المأمون كتاب الأمين يستقدمه من خراسان حين عزم على عزله من ولاية العهد سنة ١٩٥ هـ .
(٥) النظّام : هو إبراهيم بن سيّار النظام . تقدّمت ترجمته .

١٧ ـ قيل لأحول : إنكم ترون الشيء شيئين ، وكان بين يديه ديك ، فقال : كيف لا أرى هذين الديكين أربعة .

١٨ ـ ولعبد الله الفقير إليه[(١)] :

ليس يرى ثانياً له أحد   في العدل إلاّ المصاب بالحول

١٩ ـ مرّ قوم بماء من مياه العرب ، فوصفت لهم ثلاث أخوات بالجمال متطببات ، فأحبوا أن يروهن ، فحكوا ساق أحدهم بعود حتى أدموه ، ثم قالوا : هذا سليم هل من راقٍ؟ فخرجت صغراهن كأنها الشمس الطالعة ، فقالت : ليس بسليم ، ولكن خدشه عود بالت عليه حيّة ، إذا طلعت عليه الشمس مات ، فكان كما قالت .

٢٠ ـ قال الجماز[(٢)] : لرجل إذا رمدت[(٣)] العين بِمَ تداويها ؟ قال : بالقرآن ودعاء الوالدة ، قال : دواءان مباركان ، ولكن إجعل معهما شيئاً يُقال له العزروت[(٤)] .

٢١ ـ أبو جعفر بن العباس[(٥)] من أبناء الوزراء :

وأطراف المساويك   تجلت عن مساويك[(٦)]
فما جارحة فيك   إذن أحوج من فيك

٢٢ ـ إبراهيم التيمي[(٧)] : كفى بالمرء حسرة أن يفسح الله في بصره في الدنيا ، وله جار أعمى ، فيأتي يوم القيامة أعمى وجاره بصير .

---

(١) عبد الله الفقير إليه : هو الزمخشري مؤلّف كتاب ربيع الأبرار .
(٢) الجماز : هو محمد بن عمرو بن حماد مولى بني تميم ، من أصحاب النوادر .
(٣) رمدت العين : أصابها الرمد وهو هيجانها ، وكل ما يؤلمها .
(٤) العزروت : صمغ شجرة شائكة تنبت في بلاد الفرس ، يخرج القذى من العيون ، وله في إبراء الرمد الذي يصيب العيون خاصيّة وقوّته بليغة . راجع مفردات ابن البيطار .
(٥) أبو جعفر بن العباس : لم نقف له على ترجمة .
(٦) المساويك : جمع مسواك هو العود الذي تنظف به الأسنان .
(٧) إبراهيم التيمي : هو إبراهيم بن يزيد بن شريك . تقدّمت ترجمته .

٢٣ ـ الحمد لله الذي لم يوحش منك ربعك ، ولم يخل مجلسك في قومك ، فلا أدبر عنك من الصحّة ما أقبل إليك من السقم ما أدبر عنك ، وثبت لك العافية ، ومدّ فيها عصارة عيشك ، حتى يقبضك على أرذل عمرك ، وأحسن عملك .

٢٤ ـ قال معاوية لابن عباس : يا بني هاشم ، ما لكم تصابون في أبصاركم ؟ فقال : بدلاً مما تصابون في بصائركم . وذلك أنه لم يوجد ثلاثة مكافيف على نسق غير عبد الله[١] والعباس[٢] وعبد المطلب[٣] .

٢٥ ـ الأصمعي : العميان أكثر الناس نكاحاً ، والخصيان أكثر الناس إبصاراً ، لأنهما طرفان ، ما نقص من أحدهما زاد في الآخر .

٢٦ ـ بشار بن برد ، وكان أعمى جاحظ العينين قد تغشّاهما لحم أحمر :

عميت جنيناً والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للقلب رافداً ... بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه ... بقولٍ إذا ما أحزن الشعر أسهلا

٢٧ ـ منصور الفقيه :

يا معرضاً بهواه ... لما رآني ضريرا
كم ذا رأيت بصيراً ... أعمى وأعمى بصيرا

٢٨ ـ لما قال المؤمل بن أميل المحاربي :

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

عمي ، فرأى في منامه من يقول له : هذا ما تمنيت في شعرك .

---

(١) عبد الله : هو عبد الله بن عباس . تقدّمت ترجمته .
(٢) العباس : هو العباس بن عبد المطلب . تقدّمت ترجمته .
(٣) عبد المطلب : هو عبد المطلب بن هاشم . تقدّمت ترجمته .

٢٩ ـ كان سيبويه[١] كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

إذا بل من داءٍ به ظن أنه ... يجاد به الداء الذي هو قاتله

٣٠ ـ المتنبي :

فإن أمرض فما مرض اصطباري ... وإن أحمم فما حمّ اعتزامي
وإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام

٣١ ـ وقال آخر[٢] :

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الإصباح والإمساء
فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ... ليصحني فإذا السلامة داء

قال رجل لفيلسوف : يا أبخر[٣] . فقال : لا تعجب من هذا ، فقد عفنت مساويك في صدري ، وإن أخرجتها لم تجد من ذلك شيئاً .

٣٢ ـ [شاعر] :

أنت لو جزت ببيتٍ ... رضٌ فيه المسك رضّا
وتنفست لقال النا ... س فيه قد توضّا

٣٣ ـ سارَّ أبخر أصم فقال له : قد فهمت قد فهمت . فلما ولى سئل عما قال له ، فقال : ما أدري ، ولكنه فسا في أذني .

٣٤ ـ كان عمرو بن عدس[٤] أبخر ، ويُقال لولده ، أفواه الكلاب .

٣٥ ـ عض عبد الملك على تفاحة ورمى بها إلى امرأته ، فدعت بسكين ، فقال لها : ما تصنعين به ؟ قالت : أميط عنها الأذى . فشق عليه

---

(١) سيبويه : هو عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه . تقدّمت ترجمته .
(٢) البيتان منسوبان في زهر الآداب لعمرو بن قميئة الضبعي صاحب امرىء القيس .
(٣) يا أبخر : يا منتن . والبخر : رائحة الفم المنتنة .
(٤) عمرو بن عُدُس : هو عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم من بني تميم . كان الفرزدق يفخر به وبأخوته .

وطلقها[1] .

وكانت الذبان تسقط إذا ألممَن بفيه لشدّة بخره ، ولذلك لقب بأبي الذبان .

٣٦ ـ وسارّ أبو الأسود الدؤلي سليمان بن عبد الملك ، وكان أبخر ، فخمر[2] أنفه بكمه ، فجذب كمه وقال : لا يصلح للخلافة من لا يصبر على مناجاة الشيوخ البخر .

٣٧ ـ طول انطباق الفم يورث الخلوف[3] ، وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه . ولذلك لا يعرض للمجانين الذين تسيل أفواههم ، وكذلك من سال منه اللعاب نائماً، ولذلك كان الزنج أطيب الناس أفواها ، وإن كانت لا تعرف سنوناً[4] ولا مسوكاً .

٣٨ ـ والسباع موصوفة بالبخر ، والمثل مضروب بالأسد والصقر ، والكلب من بينها طيب الفم . وليس في البهائم أطيب أفواهاً من الظباء .

٣٩ ـ علي رضي الله عنه : وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده[5] .

٤٠ ـ سمع أبو العيناء[6] المتوكل يقول : ما يمنعني من نظم أبي العيناء في جملة الندماء إلاّ أنه ضرير . فقال : إن أعفاني من المسايفة ، ورؤية الهلال ، وقراءة الخواتيم صلحت لمنادمته .

---

(١) المعروف عن عبد الملك أنه كان شديد البخر .

(٢) خمر أنفه : غطّاه بالخمار .

(٣) الخلوف : تغيّر رائحة الفم .

(٤) السنون : الدواء الذي تعالج به الأسنان .

(٥) راجع نهج البلاغة ٣ : ٦٦ وهي من رسالة إلى ابنه الحسن .

(٦) أبو العيناء : هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر . شاعر أديب توفي سنة ٢٨٣ هـ . تقدّمت ترجمته .

٤١ ـ كان الأعمش[١] يقود النخعي[٢] فيصيح بهما الصبيان عين بين اثنين[٣] ، فكان إبراهيم إذا انتهى إلى مجامعهم خلّى عنه ، فقال الأعمش : وما عليك يأثمون ونؤجر ! قال : إبراهيم : وما عليك أن يسلموا ونسلم .

٤٢ ـ أنشد ابن الأعرابي[٤] لرجل من بني قريع[٥] :

يقولون ماء طيب خان عينه	وما عين ماء خان عيناً بطيب
ولكنه أزمان أنظر طيب	بعيني قطامي نمى فوق مرقب
كأن ابن حجل مدّ فضل جناحه	على ماء إنسانيهما المتصبب[٦]
جرى فوق إنسانيهما فكأنما	جرى فوق إنسانيهما ماء طحلب

٤٣ ـ أبو علي البصير الأنباري[٧] :

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي	ويقتادني للسير إذ أنا راكب
فقد يستضيء القوم بي في وجوههم	ويخبو ضياء العين والرأي ثاقب

٤٤ ـ وقال آخر :

إذا ما غدت طلابة العلم مالها	من العلم إلاَّ ما يخلد في الكتب
غدوت بتشميرٍ وجدٍ عليهم	ومحبرتي سمعي ودفترها قلبي

٤٥ ـ النبي ﷺ : ثلاثة لا يعادون ، صاحب الدمل ، والرمد ، والضرس .

---

(١) الأعمش : هو أبو محمد سليمان بن مهران القارىء الحافظ . توفي سنة ١٤٨ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) النخعي : هو إبراهيم بن يزيد . تقدّمت ترجمته .

(٣) عين بين اثنين : أي أن لهما عيناً واحدة . لأن الأعمش يكاد لا يبصر فهو عند الصبيان لا عينين له . وكان النخعي أعور فكأن لهما (وهما إثنان) عين واحدة .

(٤) ابن الأعرابي : هو محمد بن زياد . تقدّمت ترجمته .

(٥) قريع : بطن من بني نمير .

(٦) ابن حجل : كناية عن الغراب لأنه يحجل في مشيته .

(٧) أبو علي البصير الأنباري : لم نقف له على ترجمة .

٤٦ ـ الشعبي[١] : عيادة النوكى[٢] أشد على المريض من وجعه .

٤٧ ـ عاد أعرابي أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريض ، فضاق علي والله الفضاء العريض ، وأردت إتيانك فلم يكن بي نهوض ، فلما حملتني رجلاي ، ولساء ما يحملان ، أتيتك بجزرة شيح[٣] ما مسها عرنين ، فاشممها واذكر نجداً ، فهو الشفاء بإذن الله .

٤٨ ـ شاعر :

بي السوء والمكروه لا بك كلما ... أراداك كانا بي وكان لك الأجر

٤٩ ـ اعتلّ المسور[٤] فجاء ابن عباس فقضى النهار يعوده ، فقال المسور : هلا ساعة غير هذه ! قال : إن أحب الساعات إلي أن أؤدي فيها الحق إليك أشقها عليَّ .

٥٠ ـ المؤمل بن أميل :

إذا مرضنا أتيناكم نعودكمُ ... وتذنبون فنأتيكم فنعتذرُ

٥١ ـ قال عبد الله بن مصعب :

مالي مرضت فلم يعدني عائدٌ ... منكم ويمرض كلبكم فأعودُ

فسمي عائد الكلب ، وبنوه بنو عائد الكلب .

٥٢ ـ قيل لأعرابي : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قيل : فما تشتهي ؟ قال : الجنة ، قيل : أفلا ندعو لك طبيباً ؟ قال : هو الذي أمرضني .

---

(١) الشعبي : هو عامر بن شراحيل ، وقيل : عبد الله بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري . عالم ، راوية ، فقيه ، شاعر . توفي سنة ١٠٣ هـ . تقدّمت ترجمته .
(٢) النوكى : الحمقى . والأنوك : الأحمق .
(٣) الجزرة : الحزمة . والشيح : نبات طيب الرائحة منابته القيعان وتتّخذ منه المكانس .
(٤) المسوّر : هو المسوّر بن مخرمة .

٥٣ ـ أبو هارون الأعرابي[١] :

مرضت فلم تعدني في شكاتي ولم تبعث لجـارتهـا رسـولا
ولو كنتِ المريض ولا تكوني لأكثـرت العيـادة والعـويـلا

٥٤ ـ عاد مالك بن أنس عبد السلام النكاح[٢] فقال :

عـادني مـالـك فلست أبـالي بعـد من عـادني ولم يعـدني

٥٥ ـ إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيخرجونه إلى الرد ، فإذا علموا أنه لاحظهم دعوا له دعاء يسيراً وخرجوا .

٥٦ ـ داووا كل مريض بعقاقير أرضه ، فإن الطبيعة تتطلع لهوائها ، وتنزع إلى غذائها .

٥٧ ـ نظر الحارث بن كلدة إلى حية ، فقال : إن الطبيب العالم ربما قام له علمه مقام الدواء ، وأجزأت عنه حكمته في موضع الترياق ، فقيل له : فما بالك يا أبا وائل لا تأخذها بيدك إن كان الأمر على ما تصف ؟ فحملته النخوة أن مد يده إليها ، فنهشته فرقع صريعاً ، فما برحوا حتى مات .

٥٨ ـ قيل لجالينوس[٣] حين نهكته العلة : أما تتعالج ؟ قال : إذا كان الداء من السماء بطل الدواء ، وإذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب .

٥٩ ـ هرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون ، فتلي عليه قوله تعالىٰ : ﴿**قل لن ينفعكم الفرار ـ إلى قوله ـ إلاَّ قليلاً**﴾[٤] . فقال : ذلك القليل نريد .

---

(١) أبو هارون الأعرابي : لم نقف له على ترجمة .
(٢) عبد السلام النكاح : لم نقف له على ترجمة .
(٣) جالينوس : هو الحكيم اليوناني . تقدّمت ترجمته .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ١٦ .

٦٠ ـ وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج فيمن خرج صديق لشريح[١] ، فكتب إليه : أما بعد ، فإنك والمكان الذي أنت به بعين من لا يعجزه هرب ، ولا يفوته طلب . وإن المكان الذي خلفته لا يعجل أحداً إلى حمامه ، ولا يظلمه شيء من أيامه ، وأنا وإياكم لعلى بساط واحد ، وإن النجف من ذي قدرة لقريب .

٦١ ـ دعي ابن المقفع إلى الغداء ، فقال : لست اليوم أكيلاً للكرام ، لأني مزكوم ، والزكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار .

٦٢ ـ في الحديث : قال الشيطان : ما حسدت ابن آدم إلَّا على شيئين الطُسأة والحقوة . والطسأة[٢] الزكامَ ، والحقوة[٣] الهيضة[٤] .

٦٣ ـ قيل لأعرابي : ما بال الآباط أنتن موضع في الجسد ؟ فقال : كانت فقاحاً فغورن .

٦٤ ـ عبد الرّحمٰن بن أبي عبد الرّحمٰن بن عائشة : لي إبطان ترميان جليسي بشبيه السُلاح أو بسلاح[٥] .

٦٥ ـ عبد الله بن مالك الخزاعي :

ظلت علي الأرض مظلمة إذ قيل عبد اللّه قد وعكا
يا ليت ما بك بي وإن تلفتْ نفسي وقل ذاك لكا

٦٦ ـ قيل لفيلسوف : لِمَ صار الأحدب أخبث الناس ؟ قال : لأنه قرَّب فؤاده من دماغه ، وكبده من فؤاده .

٦٧ ـ قالوا : من قدم أرضاً فأخذ من ترابها ، فجعله في مائها ، ثم

---

(١) شريح : هو شريح بن الحارث الكندي . تقدّمت ترجمته .
(٢) الطسأة : التخمة .
(٣) الحقوة : وجع البطن .
(٤) الهيضة : عدم موافقة الأكل للإنسان .
(٥) السُلاح : ما يخرج من البطن من فضلات .

شربه ، فهو في أمن من وبائها .

٦٨ ـ كان أنوشروان يمسك عما تميل شهوته إليه من الطعام ، ويقول : تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكرهه .

٦٩ ـ كتب الحسن بن سهل إلى أخٍ له : أجدني وإياك كالجسد الواحد إذا خص عضواً منه ألمْ عم سائره ، فعافاني الله بعافيتك ، وأدام لي الامتاع بك .

٧٠ ـ قال أعرابي لمريض : كيف تجدك ؟ قال : أجدني أقربكم إلى الله ، قال : اللَّهمَّ باعد عبدك منك .

٧١ ـ كشف الله ما بك من السقم ، وطهرك بالعلة من الخطايا ، ومتَّعك بأنس العافية فأعقبك دوام الصحة .

٧٢ ـ قطعت رجل عروة بن الزبير فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله : والله ما كنا نعدها للصراع ، لقد أبقى الله لك أكثرك ، أبقى لك سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك وإحدى رجليك . قال : ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به .

٧٣ ـ النبي ﷺ : العيادة قدر فواق[1] ناقة .

٧٤ ـ [شاعر] :

شكوت إليَّ اليوم من ألم الورد ... باخوانك الأدنين لا بك كلما
فإن عجزوا عنه فحملته وحدي ... بكل امرىءٍ منهم بقدر احتماله

٧٥ ـ تقول العرب : قالت الحمى أنا أُم ملدم[2] ، آكل اللحم وأمص الدم .

٧٦ ـ وجد في لوح :

---

(١) الفواق : الوقت بين الحلبتين ، والوقت بين قبضتي الحالب للضرع .
(٢) أم ملدم : كنية الحمّى .

يـا أيهـا المشعـر همـا لا تهم إنـك إن تقض لـك الحمىَّ تحم
ولـو علوت شـاهقـاً من العـلم كيف تـوقيـك وقـد جف القلم
وخـطَّ أيـام الـصـحـاح والـسـقـم

٧٧ ـ حمـوا عند فتـح خيبر ، فشكـوا إلى رسـول الله ﷺ ، فقـال : يـا أيهـا الناس ، إن الحمى رائـد الموت ، وسجن الله في الأرض ، وقـطعـة من النـار ، فإذا وجـدتم من ذلك شيئـاً فبـردوا لهـا المـاء في الشنـان ، ثم صبـوا عليكم فيما بين المغرب والعشاء ، ففعلوا ذلك فذهبت عنهم .

٧٨ ـ خـرج رجـلان من خـراسـان إلى بغـداد في متجـرهمـا ، فمـرض أحدهما ، وعزم الآخر على الـرجوع ، فقـال : ما أقـول لمن يسألني عنـك ؟ قـال : قل لهم لمـا دخل بغـداد اشتكى رأسـه وأضراسـه ، ووجد خشـونـة في صدره ، وغرزاً في طحاله ، وخفقـاناً في فؤاده ، وضـربانـاً في كبده ، وورمـاً في ركبتيـه ، ورعشـاً في سـاقيـه ، وضعفـاً عن القيـام على رجليـه . فقـال : بلغني أن الإيجـاز في كل شيء ممـا يستحب ، فأنـا أكـره أن أطـول عليهم ، ولكني أقول لهم قد مات .

٧٩ ـ قيـل بحضرة أعـرابي : لا أشد من وجـع الضرس ، فقـال : كـل داء شرّ داء .

٨٠ ـ جعفـر بن محمـد الصـادق : ثـلاث قليلهن كثيـر ، النـار والفقـر والمرض .

٨١ ـ طلق بن حبيب[١] : الهلبلجـة في البـطن كـالكـذبـانوفـة[٢] في البيت . أي المرأة التي تصلح أمر البيت وتديره .

---

(١) طلق بن حبيب : كان ممّن خرج على الحجاج مع ابن الأشعث . وهو من ثقات رجـال الحديث . توفي بواسط . عدّه البخاري بين من مات من التسعين إلى المائة .
راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ : ٣١ .

(٢) الكذبانوفة : المرأة التي تصلح أمر البيت .

٨٢ ـ خرجت قرحة في كف محمد بن واسع ، فقيل له : إنا نرحمك منها . فقال : وأنا أشكر الله إذا لم تخرج في عيني .

٨٣ـ أنس[١] : دخل رسول الله ﷺ على شاب ، وهو في الموت ، فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله وأخاف ذنوبي . قال : هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلاَّ أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف .

٨٤ ـ مرضت رابعة القيسية[٢] فقيل لها : ما تشتهين ؟ فقالت : أشتهي أن يجمع الله بيني وبين محمد بن واسع في عرصات القيامة .

٨٥ ـ عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة سمعت رجلاً يقول : ما أشد العمى على من كان بصيراً ! فقالت : يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين على الدنيا . والله لوددت أن الله وهب لي كنه محبته ولم يبق منه جارحة إلاَّ أخذها .

٨٦ ـ قيل لحسان بن أبي سنان في مرضه : كيف تجدك ؟ قال : بخير إن نجوت من النار . وقيل : فما تشتهي ؟ قال : ليلة طويلة الطرفين أحيا ما بينهما .

٨٧ ـ رفعت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة ، وزعمت أنه يبول كل ليلة في الفراش ، فقال الرجل : لا تعجل ، أصلحك الله ، حتى أقص عليك قصتي . إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر ، وفيها قصر ، وفوق القصر عُليّة[٣] ، وفوق العُليّة قبة ، وفوق القبة جمل ، وأنا على ظهر الجمل ، وأن الجمل يتطأطأ ليشرب من البحر ، فإذا رأيت ذلك بلت فرقاً[٤] . فبال القاضي وقال : يا هذه ، أنا قد أخذني البول من هول

---

(١) أنس : هو خادم الرسول . تقدّمت ترجمته .

(٢) رابعة القيسيّة : هي رابعة المتصوفة الزاهدة الشاعرة . تقدّمت ترجمتها .

(٣) العليّة : الطبقة الثانية من البيت .

(٤) فرقاً : خوفاً .

حديثه ، فكيف بمن رأى الأمر عياناً ؟ .

٨٨ ـ ربيعة الرقـي :

عينـا ربيعـة رمـداوان فـاحتسبي بنـظرة منـك تشفيـه من الـرمـد
إن تكتحـل منـك عينـاه فلا رمـد عـلى ربيـعـة يخشى آخـر الأبـد

ـ قـال :

وليس لمكفـوفٍ خـواطـر مبصرٍ وذو العين والتمييـز جم الخواطـر

٨٩ ـ قـال عمر : لأدريس بن أنيس القـرني ، وقيل هـو ابن الخليص : أخـرج بك وضـح[1] فدعـوت الله أن لا يذهبـه عنـك ؟ وقلت : اللَّهمَّ دع لي في جسـدي ما اذكـر بـه نعمـك علي . قـال : ومـا أدراك يـا أميـر المؤمنين ؟ فوالله ما اطلع على هذا بشر . قال : أخبرنا رسول الله ﷺ .

٩٠ ـ فلج الـربيع بن خيثم ، فكـان بكر بن مـاعز يقـوم بـأمـره ، فسـال لعابه فبكى بكر ، فقال الربيع : ما يبكيك ؟ فـوالله ما أحب أنـه باعني الـديلم على الله .

وقيل له : لو تداويت ! فقـال : قد عـرفت أن الدواء حق ، ولكن عـاداً وثموداً[2] وقرونـاً بين ذلك كثيـراً كانت فيهم الأوجـاع ، وكانت لهم الأطبـاء ، فما بقي المداوى ولا المداوي .

٩١ ـ الثـوري : إذا مرض العبـد ثم صح فعـاد إلى ما كـان عليه قـالت الملائكة : مسكين ! عولج فما أنجع فيه الدواء .

٩٢ ـ أعـرابي :

يـا ابن التي خمـارهـا في فيهـا أإبـلي زعـمـت لا أرويـهـا

---

(١) الوَضَحُ : البرص والشيب .
(٢) عاد وثمود : من القبائل البائدة .

يعني أن أُمه كانت بخراء[1] فهي تخمر فاها .

٩٣ - تزوج أبخر امرأة ، فلما ضاجعها عافته وتولت عنه ، وقالت :

يا حب والرحمن إن فاكا أهلكني فولني قفاكا
إذا غدوت فاتخذ سواكا من عرفط إن لم تجد أراكا[2]

٩٤ - دخل ابن السماك على الرشيد في عقب مرض ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله ذكرك فاذكره ، واطلقك فاشكره .

٩٥ - عبد الله بن شبرمة : عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء ، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار ؟ .

٩٦ - أصاب إبراهيم بن أدهم بطن فتوضأ في ليلة ستين مرة .

٩٧ - اشتكى مدني بالشام ، فعاده جيرانه ، فقالوا له : ما تشتهي ؟ قال : اشتهي أن أرى إنساناً .

٩٨ - كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : كن كالمداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء .

٩٩ - نظر معاوية في بئر عادية بالأبواء[3] فلقي[4] ، فخطب بمكة فقال : إن كنت ابتليت فقد ابتلى الصالحون قبلي ، وإن مرض عضو مني

---

(١) البخراء : ذات رائحة كريهة تنبعث من فمها . وتخمر فاها : تضع عليه الخمار وتغطّيه به .

(٢) العرفط : شجر العضاه ، وهو خبيث الريح وبذلك تخبُثُ ريح راعيته وأنفاسها حتى يُتنحّى عنها وهو من أخبث المراعي واحدته عرفطة .
والأراك : شجر تُتّخذ منه المساويك التي تنظف بها الأسنان .

(٣) الأبواء : قرية من أعمال الفُرْع من المدينة ، بينها وبين الجُحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل : الأبواء جبل على يمين آره . ويمين الطريق للصُعْد إلى مكة من المدينة .
راجع معجم البلدان ١ : ٧٩ .

(٤) لقيَ : أصابته لقوة وهي مرض يصيب الوجه فيميل معه الشّدق .

فما أحصى صحيحي ، وما عوفيت منه أكثر .

١٠٠ ـ عن موسى وداود عليهما السلام : لا مرض يضنيني ، ولا صحة تنسيني ، ولكن بين ذلك .

١٠١ ـ قباذة بن فيروز : المرض حريق الجسد ، والحزن منبت المنايا .

١٠٢ ـ قيل للربيع بن خيثم : ألا ندعو لك الطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، ثم قال :

أصبحت لا أدعو طبيباً لطبه   ولكنني أدعوك ما منزل القطر

١٠٣ ـ عاد الفرزدق مريضاً فقال له :

يا طالب الطب من داء تخونه   إن الطبيب إذا أبلاك بالداء
هو الطبيب الذي يرجى لعافيةٍ   لا من يذوق لك الترياق بالماء

١٠٤ ـ علي بن العباس النوبختي :

كيف رأيت الداء أعفاك الله شفاء به من السقم
لئن تخطت إليك نائبة   مست جميع القلوب بالألم
فالدهر لا بد محدث طبعاً   في صفحتي كل صارم خذمِ [1]

١٠٥ ـ كان الحسن يتمثل بقول عمران بن حطان :

أفي كل عامٍ مرضة ثم نقهة   وتَنعى ولا تُنعى متى وإلى متى

١٠٦ ـ دخل رسول الله ﷺ على قيس بن أبي حازم يعوده ، فقال : طهور . فقال : بل حمى تفور ، في صدر شيخ كبير ، تزيره القبور .

١٠٧ ـ قيل لعطاء في مرضه : ما تشتهي ؟ فقال : ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعاً للشهوة .

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والخَذْمُ : شدّة القطع . وخذمه يخذمه خذماً : أي قطعه .

١٠٨ ـ النعمان بن بشير : إنما المؤمنون كرجل ، إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده له أجمع ، وإذا اشتكى المؤمن اشتكى له المؤمنون .

١٠٩ ـ لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فإنه يُورث الباسور[١] . وكانت حكمة مكتوبة على أبواب الحشوش[٢] .

١١٠ ـ أبو العتاهية :

بينا الفتى مرح الخطى فرحاً بما ... يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى
إذ قيل بات بليلة ما نامها ... إذ قيل أصبح مثخناً ما يرتجى
إذ قيل أمسى شاخصاً وموجهاً ... ومعللاً إذ قيل حل به الردى

١١١ ـ أبو النجم العجلي :

والمرء كالحالم في المنام ... يقول إني مدرك مرامي
في قابل ما فاتني في العام ... والمرء يدنيه إلى الحمام
مر الليالي السود والأيام ... إن الفتى يصبح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام ... أخطأ رام وأصاب رامي

١١٢ ـ يُقال في المهزول : هو شاحب المتحسر ، ما فيه قوت يوم للقراد[٣] .

١١٣ ـ هو كأشلاء اللجام .

١١٤ ـ يُقال : هو مريض ، مهيض ، ووصب[٤] نصب[٥] .

---

(١) الباسور : علّة في المعدة يسبّبها تمدّد عروق المقعدة ويحدث فيها نزف دم والجمع بواسير .
(٢) الحشوش : بيوت الخلاء ، المراحيض جمع حشّ .
(٣) قوله : ما فيه قوت يوم للقراد : أي ضعيف الدّم ، والمعروف أن القراد ، وهو من الحشرات المضرّة ، يمتص دمّ الإنسان والحيوان .
(٤) الوصَبُ : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم . وقد يُطلق على التعب والفتور في البدن .
(٥) النصِبُ : المريض الموجوع .

١١٥ ـ يُقال لمن شرب الدواء : كم لبست نعلك ؟ كم تخطيت إلى بيت الكرامة ؟ كم جدا برقك وسح سحابك ، وكم سارت بك الناقة إلى المنزل الخالي .

١١٦ ـ لو كانت العلة مما يحتمل لتقمصت قميصها دونه ، ولو كانت الصحة مما يتحلل لخلعت سربالها عليه .

١١٧ ـ الجرب علّة إذا عرضت للمرء هربت عن فراشه عرسه ، بل نفرت عن نفسه نفسه ، وهو ربع من أرباع الخسران ، وقسم من أقسام الخذلان .

١١٨ ـ [شاعر] :

أعاذك اللّه من أشياء أربعة   الموت والعشق والإفلاس والجرب

١١٩ ـ شاعر :

وضنّوا بالعيادة وهي أجرٌ   كأن عيادتي بذل الطعام

١٢٠ ـ عليك بالحمية فإنها طابع الصحة ، فلئن تصبر على الحمية مدّة طويلة أحسن من أن تقاسي ساعة نفساً عليلة .

١٢١ ـ كفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله ، وقتيل أنامله ، فكم لقمة أكلت نفس حر ، وأكلة منعت أكلات دهر .

١٢٢ ـ الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحته .

١٢٣ ـ راعِ غداك تحكم به مناك .

١٢٤ ـ من غرس الطعام جنى ثمره السقام .

١٢٥ ـ رافد بن الغطريف الطائي :

يقولون لا تشرب نسياً فإنه   وإن كنت حرَاناً عليك وخيمُ
لئن لبن المعزى بماء مؤيسل   بغانيَ داءٌ إنني لسقيم

النسيّ المحض يصب عليه ماءً فيشرب ، وتفسيره في البيت الثاني .

١٢٦ ـ أبو حكيمة :

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملاً وزكاما
فليتهما كانا به وأزيده ... زمانة شيخ لا يريد قياما

١٢٧ ـ بعض أهل البيت كان إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم وماء السماء ، والعسل ، واستوهب من مهر أهله شيئاً . وكان يقول : قال الله تعالىٰ : ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً مباركاً**﴾[1] ، وقال : فيه شفاء للناس ، وقال عليه السلام : ماء زمزم لما شرب له ، وقال تعالىٰ : ﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً**﴾[2] .. فمن جمع بين ما بورك فيه ، وما فيه شفاء ، وبين الهنيء والمريء ، يوشك أن يلقى العافية .

١٢٨ ـ رجل من بني عجل :

وشى بي واشٍ عند ليلى سفاهةً ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقل
وخبرها أني عرجت فلم تكن ... كورهاء تجتر الملامة للبعل[3]
وما بي من عيب الفتى غير أنني ... جعلت العصا رجلاً أقيم بها رجلي

١٢٩ ـ ابن الرقاع العاملي :

لقد تباشر أعدائي بما لقيت ... رجلي وكم من كريم سيد عثرا
رجلي التي كنت أرقى في الركاب بها ... فاستقل وأرضى خطوها الشرا
محبوكة مثل أنبوب القناة لها ... عظم تكمش عنه اللحم فانحسرا
ليت الذي مسّ رجلي كان عارضه ... بحيث ينبت مني الحاجب الشعرا

١٣٠ ـ في ديوان المنثور[4] : كم من أعرج في ديوان المعالي أعرج ، وكم من صحيح قدم ليس له في الخير قدم . يصبح للأسقام كالغرض

---

(١) سورة ق ، الآية : ٩ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٤ .
(٣) الورهاء : المرأة الحمقاء . وَوَرِه يَوْرَهُ وَرَهاً : حمق فهو أوره مؤنث ورهاء .
(٤) ديوان المنثور : من كتب المؤلف . راجع المقدمة .

للسهام ، أخطأ رامٍ وأصاب رام . من الصم من يسمع السرار ، وإذا رفعت له الصوت لم يسمع . ورأينا من العمش من لا يثبت صورة الإنسان من قرب ويقرأ الخط الدقيق في حواشي الكتب .

١٣١ ـ مدح طريف بن سوادة عمرو بن هداب ، وكان أبرص ، فلما انتهى إلى قوله :

أبرص فياض اليدين أكلف ... والبرص أغدى باللهى وأعرف[١]

صاح به الناس وقالوا : قطع الله لسانك . فقال عمرو : مَهْ[٢] ، البرص من مفاخر العرب ، أما سمعتم قول ابن حبناء :

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني ... لا من عتيكٍ ولا أخوالي العوق
لا تحسبن بياضاً فيَّ منقصةً ... إن المهاميم في أقرانها بلق[٣]

أو ما سمعتم قول ابن مسهر :

أيشتمني زيد بأن كنت أبرصاً ... وكل كريمٍ لا أبا لك أبرص

أو ما سمعتم قول الآخر :

يا كأس لا تستنكري نحولي ... ووضحاً أوفى على خصيلي
فإن نعت الفرس الرحيل ... يكمل بالغرة والتحجيل[٤]

ثم قال لطريف : أما تحفظ فيه شياً ؟ فأنشد :

ليس يضر الطرف توليع البهق ... إذا جرى في حلبة الخيل سبق

١٣٢ ـ الجاحظ أنشدني أبو نواس لبعض بني نهشل :

---

(١) ألهى الرجل : أعطى اللُّهى أي أفضل العطايا وأجزلها .
(٢) مَهْ : اسم فعل بمعنى انكفف . ويُقال مَهٍ .
(٣) بلق : كان في لونه سواد وبياض فهو أبلق مؤنث بلقاء جمع بُلق .
(٤) حجل وتحجلْ الفرس : كان في قوائمه تحجيل أي بياض فهو محجّل ومحجول . وحجلت المرأة : أُلبست الأحجال أي الخلاخيل .

نــفــرت ســودة مـنــي أن رأت صلع الرأس وفي الجلد وضح[1]
قــلت يــا ســودة إنــي والــذي يفــرج الكــربــة عنــا والكلح[2]
هــو زين لي في الــوجــه كمــا زين الــطرف نحــاسين الـقــرح

وزعم أبو نواس أنهم كانوا يتبركون به ، وجذيمة الوضاح يفتخر به .

ولما شاع في بلعـاء بن قيس قيل لـه : ما هـذا يا بلعـاء ؟ فقال : سيف الله جلاه .

١٣٣ ـ وعن عمرو بن هدّاب أنـه لما كُفَّ بصره ، قال لـه ابن جامـع : يـا أبا أسيـد ، لا تجزعن من ذهـاب عينيك وإن كـانتا كـريمتيك ، فـإنـك لـو رأيت ثـوابهما في ميـزانك تمنيت أن يكـون الله قطع يـديك ورجليـك وقـطع ظهرك . فصيح به . فقال عمـرو : معناه صحيـح ونيته حسنـة ، وإن أساء في اللفظ .

١٣٤ ـ كـانت لرجـل جاريـة يتعشَّقها ، وبهـا صنان[3] ، وكـان يعجبهـا منها ، فإذا تعالت بالمرتك غـاظته ، فكـان ينهاهـا . فإذا سـألته حـاجة ففـرط قالت : لأمرتكن الله . فلا يجد بداً من قضائها .

١٣٥ ـ الجـاحظ : آباط[4] الـزنج منتنـة العرق ، وسـائـر ذلـك الجسم سليم . والتيس إبط كله ، ونتنـه في الشتاء كنتنـه في الصيف . وأنـا لنـدخـل السكة فيها تيس فنجد نتنه ، فلا نكاد نقطعها إلاَّ مخمري[5] الأنوف .

١٣٦ ـ ومن النـاس من يستطيب رائحـة التيس لفساد مـزاجـه ، فيتعهـد

---

(١) الوضح : البرص .
(٢) كلح الوجه : عبس وتكشر .
(٣) الصُنان : ذَفَر الإبط والنتن عموماً .
(٤) آباط : جمع إبط وهو باطن الكتف يذكر ويؤنث .
(٥) مخمرو الأنوف : واضعون عليها الخمر والمناديل نمنع بواسطتهـا الرائحـة الكريهـة من الدخول إلى أنوفنا .

الجلوس على باب التياس ، ومنهم من يشتهي ريح الكرباس[1] ، فيحرقه ثم يضع منخريه عليه حتى يقضي وطره[2] .

١٣٧ ـ ثلاث يهلكن : الجماع على البطنة ، وأكل القديد اليابس ، وشربَ الماء البارد على الريق .

١٣٨ ـ ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت .

١٣٩ ـ وقال النظام : ثلاثة تخلق العقل : طول النظر في المرآة ، والاستغراب في الضحك ودوام النظر في البحر .

١٤٠ ـ الجاحظ : قال لي من أثق به : ما أخذت شيئاً من البلاذر ونازعت أحداً إلَّا ظهرت عليه . وهو جيد للعصب . ويقولون : إن الخس للعصب خاصة .

١٤١ ـ كان أعين الطبيب يصرع ، واتفق أن كان له بغل يصرع ، فربما صرعا جميعاً . والصرع قلما يذهب . وقد عرض للأصمعي فداواه ابن بختيشوع فذهب .

١٤٢ ـ من الناس من لا يسكر البتة ، منهم محمد بن الجهم وأبو عبد الله العمي .

١٤٣ ـ أنشد الجاحظ لابن عباس :

إن يأخذ اللّه من عينيَّ نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

١٤٤ ـ الخريمي :

---

(١) الكرباس : راووق الخمر ، وهو أيضاً القطن أو الثوب المنسوج منه . راجع لسان العرب مادة كربس .

(٢) الوطر : الحاجة .

أصغي إلى فائدي فيخبرني إذا التقينا عمن يحييني
أريد أن أعدل السلام وأن أفصل بين الشريف والدون
أسمع ما لا أرى فأكره أن أخطىء فالسمع غير مأمون
للّه عيني التي فجعت بها لو أن دهراً بها يواتيني
لو كنت خيرت ما أخذت بها تعمير نوح بملك قارون

١٤٥ ـ علي بن هارون بن علي في ابن أبي الحواري ، وقد عرضت له سقطة :

كيف نال العثار من لم يزل منه مقيلاً في كل خطب جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدمٍ لم يخط إلاّ إلى مقام كريم

١٤٦ ـ عبد الواحد بن قيس عنه عليه الصلاة والسلام : داء الأنبياء الفالج واللقوة[١] .

١٤٧ ـ قال الجاحظ : ومن المفاليج إدريس عليه السلام . وأكثر ما يعتري المتوسطين في الأسنان ، لأن الشاب كثير الحرارة ، والشيخ كثير اليبس .

١٤٨ ـ وممن فلج من الكبراء أبان بن عثمان . وكانوا يقولون : رماه الله بفالج أبان ، ولقوة معاوية، وبخر عبد الملك ، وبرص أنس بن مالك ، وجذام[٢] ابن أبي قلابة ، وعمى حسان[٣] ، وصمم ابن سيرين[٤] .

ومنهم أحمد بن أبي دواد قاضي قضاة المعتصم والواثق ، وكان من الشرف والكرم بمنزلة . ولأبي هفان في رجل ضرب غلاماً له :

أتضرب مثله بالسوط عشراً ضربت بفالجِ ابن أبي دواد

---

(١) اللقوة : مرض يصيب الوجه فيعوجّ الشدق .
(٢) الجذام : داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء .
(٣) حسان : هو حسان بن ثابت الأنصاري . تقدّمت ترجمته .
(٤) ابن سيرين : هو محمد بن سيرين المشهور بتعبير الرؤيا . تقدّمت ترجمته .

١٤٩ ـ وقال علي بن الجهم :

أأرقد الليل مسروراً عدمت إذن   عيشي وأحمد يرعى ليله وصبا
اللّه يعلم أني قد نذرت له   صيام شهر إذا ما أحمد ركبا

ثم لما طال به قال :

لا زال فالجك الذي بك دائماً   وفجعت قبل الموت بالأولاد

١٥٠ ـ عزهم بن قيس بن بلغدويه لما فقئت عين مالك بن مسمع :

تقاضوك عيناً مرةً فقضيتها   وفي عينك الأُخرى عليك خصوم
أجهلاً إذا ما الأمن غشّاك ثوبه   وحلماً إذا ما كدحتك كلوم

١٥١ ـ كتب بعضهم إلى محمد بن عبد الملك الزيات : نعمتني بوطء المطهمات حتى أصابني النقرس[١] ، واتخمتني بأكل الطيبات حتى ضربني الفالج ، ولولاك لكنت أبعد من النقرس من فتح ، وأسلم من الفالج من مكان . وأين شرف أدوائي من جرب الحسن بن وهب ، ودود أحمد بن أبي خالد ؟ وأين أدواء الملوك والأنبياء من أدواء السفلة والأغبياء ؟ فمن كان داؤه أفضل من صحة غيره ، وعيبه أحمد من براءة ضده ، فما ظنك بغير ذلك من أمره ؟ والسلام .

١٥٢ ـ شجة[٢] عبد الحميد مثل في مستهجن يزيد صاحبه حسناً ، وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، كان من أجمل أهل زمانه ، فأصابته شجة فزادته زينة وجمالاً ، حتى أن النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد .

١٥٣ ـ أبو محلم الحراني في عبد الله بن طاهر ؛

---

(١) النِقرس : داء معروف يأخذ في الرجل . وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر . والنقرس أيضاً : الهلاك .
(٢) الشجة : هي أثر الجرح .

فإن تك حمى الربع شفك وردها ... فعقباك فيها أن يطول لك العمر
وقيناك لو يعطي الهوى فيك والمنى ... لكانت بنا الشكوى وكان لك الأجر

١٥٤ ـ كان يُقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أُمية . وكان عمر رضي الله عنه يقول : إن من ولدي رجلاً بوجهه أثر يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

لما نفحه[1] الحمار برجله فأثر في جبهته قال أصبغ : الله أكبر ! هذا أشج بني أُميّة ، يملك ويملأ الأرض عدلاً . ولما قال عمر بن عبد العزيز في يزيد بن المهلب : أي عربي هو لولا عذرة في رأسه ، بلغ ذلك يزيد فقال : من يعذرني من لطيم الشيطان ؟ .

١٥٥ ـ الفضل بن إسماعيل العباسي :

أشكو إلى اللّه ما أصبت به ... من ألم في مفاصل القدم
كأنني لم أطأ بها كبداً ... من حاسد سرّ قلبه ألمي
ما من صحيح إلاّ ستنقله الـ ... أيام من صحة إلى سقم

١٥٦ ـ في الحديث : احتجم رسول الله ﷺ في أُم مغيث . وهي وسط الرأس .

١٥٧ ـ [شاعر] :

ففي شؤوني حريق من تنزلةٍ ... وفي الخياشيم ضيق محصد المدر

١٥٨ ـ ابن الحجاج :

أيها النزلة بيني ... واصعدي فوق لهاتي[2]
ودعي حلقي بحقي ... فهو دهليز حياتي

---

(١) نفحه الحمار : رمحه ورفسه .
(٢) اللّهاة : اللحمة المشرفة في أقصى سقف الحلق .

١٥٩ ـ يُقال للحمى داء الأسد لأنه قلَّ ما يخلو منها . قال أبو تمام :

فإن يك قد نالتك أطراف وعكةٍ		فلا عجب أن يرعك الأسد الورد

١٦٠ ـ وقال البحتري :

وما الكلب محموماً وإن طال عمره		ألا إنما الحمى على الأسد الورد

١٦١ ـ منيع بن لوبك الأسدي الأقطع :

هل أنت على باقي جناح كسرته		وريش الذنابي مستقل فطائر
وكيف يطير الصقر أودى جناحه		كسيراً وغالت دابريه المقادر
لقد كنت مما أحدث الدهر آمناً		ألا ليتني ضُمّت علي المقابر

١٦٢ ـ الحسن : رحم الله أقواماً لم يدروا ما هيليلج ولا بليلج .

١٦٣ ـ قال أعرابي كثر عياله وقل ماله : سأنتجع[1] خيبر ، عسى أن يخفف عني ثقل هؤلاء . فلما شارفها قال :

قلت لحمى خيبر استعدي		هاك عيالي فاجهدي وجدي
وباكري بصالب وورد		أعانك اللّه على ذا الجند

فلما دخلها حم ، وحم حمامه ، وعاش أيتامه .

١٦٤ ـ القابلة بالأهواز[2] ربما قبلت الصبي فتجده محموماً ، ولا ترى بها وجبة حمراء لصبي .

١٦٥ ـ دماميل الجزيرة داء فاحش لا يكاد يخرج دمل بالجزيرة فعاش صاحبه .

---

(١) أنتجعُ خيبر : أذهب إليه . وخيبر اسم بلد في السعودية شمالي المدينة . والنجعة : طلب الكلأ في مواضعه .

(٢) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم يجمعهن الأهواز . راجع لسان العرب مادة هوز .

١٦٦ ـ قال الحجاج لطبيبه : أخبرنا بجوامع الطب ، فقال : لا تطأن من النساء إلاَّ شابة ، ولا تأكلن من اللحمان إلاَّ لحم فتي ، وإذا تغذيت فاستلق ، وإذا تعشيت فامش ولو على الشوك ، ولا يدخلن بطنك طعام حتى تسمرىء ما فيه ، ولا تأو إلى فراشك حتى تأتي الخلاء فتنتفض ، وكل الفاكهة في إقبالها وذرها في إدبارها .

١٦٧ ـ إذا ألم الألم فالمعالجة ترك المعالجة .

١٦٨ ـ فتيان العراق يسمون الجرب حب الطرف ، وفيه لبعضهم :

طلبت من المشتري ظرف حب ... فعوضني زحل حب طرف

فيا ليتني كنت صفر اليدين ... من كل حب ومن كل طرف

١٦٩ ـ دخل العمري على الفضل بن الربيع عائداً ، فسلم ثم قال : أبا العباس ، قد والله أمرضني ما أرى بك ، وإنك لبعرض خير من أجر عظيم ، فأتقبل ذلك بشكر وحسن صبر .

ونظر إلى مجلسه وهو في فسحة فقال : أخبرني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ : خير المجالس ما سافر فيه النظر ، واستروح فيه البدن . ثم قام فقال : عمرك الله العافية ، ولا كان بك السوء .

١٧٠ ـ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

جس الطبيب يدي يوماً فقلت له ... إن المجسة في قلبي فخلّ يدي

ليس اصفراري لحمى خالطت جسدي ... لكن لطارق هم حل في كبدي

١٧١ ـ قال رجل للقاسم بن محمد وقد ذهب بصره : لقد سلبت أحسن وجهك. فقال : صدقت ، غير أني منعت النظر إلى مايلهي ، وعرضت الفكرة فيما يجدي .

١٧٢ ـ [شاعر] :

حق العيادة يوم بعد يومين ... وخلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبـرمن عليـلاً في مسـاءلـةٍ   يكفيـك من ذاك تسـآل بحـرفين

١٧٣ ـ كانت بيحيى بن خالـد البرمكي علة في جـوفه عجـز عنها أطبّـاء العراق ، فأشخص منويل أسقف فـارس . وقد تقـدم قبل أن يـدخل عليـه إلى خواصه بأخذ مـائهم في قوارير ، فأتـوا بها ، وفيهم مـدني مضحك قـد وهب له جارية فكان في كثرة الباه[1] الدعاوى العريضة ، فـأعطاه الـوزير مجسته ، فقال تناولت الحـرف ، فجحد ، فحلف منـويل حتى أقـر . ونظر في القـوارير فرد كلّ واحدة إلى صاحبها ، فتعجب من لطف علمه .

١٧٤ ـ وقال للمدني : أنت عنين[2] ، فلحّ ، فقال : هو كـافر بـالمسيح إن كـان خرج من صلبـك شيء إلاَّ البول . فـاعترف وطلب العـلاج ، فقال : هذا ما لا حيلة فيـه ، ثم قال : إن كـان ، وما أظنـه يكون ، فعليـك بالكبـاب والأجر مع نبيذ الصرفان .

١٧٥ ـ [شاعـر] :

لـو أن سلمى أبصـرت تخـددي   ودقـةً في عـظم سـاقي ويـدي
وبـعـد أهـلي وجـفـاء عُـوّدي   عضت من الـوجد بـأطراف اليـد

١٧٦ ـ كان جرير في بلاد قيس مريضاً فعادوه وتفقدوه ، فقال :

نفسي الفـداء لقـوم زينـوا جسبي   وإن مـرضت فهم أهلي وعـوّادي
لـو خفت ليثـاً أبـا شبلين ذا لبـدٍ   ما أسلموني لليث الغـابة العـادي
إن تجـر طيـر بـأمـر فيـه عـافيـة   أو بـالـرحيـل فقـد أحسنتمُ رادي

١٧٧ ـ أبـو الأطروشي صـاحب طبرستـان ، كلمـه رجـل فقـال : ارفـع صوتك فإن بأذني بعض ما بروحك .

---

(١) الباه : الشهوة إلى المضاجعة والنكاح .
(٢) العنّين : الذي لا يأتي النساء ولا يريدهنّ . سمّي عنيناً لأنـه يَعِنُّ ذَكَرُهُ لقُبُـل المرأة من عن يمينه وشماله فلا يقصده .

١٧٨ ـ نهى رسول الله ﷺ عن الحجامة في نقرة القفا فإنها تورث النسيان . وأمر أن يستنجى بالماء البارد فإنه صحة من الباسور[١] .

١٧٩ ـ خطب المأمون بخراسان ، فسعل الناس ، فنادى بهم : ألا من كان به سعال فليتداو بشرخل الخمر ، ففعلوا ، فانقطع عنهم السعال .

١٨٠ ـ عروة بن الزبير : قلت لعائشة : إني نظرت في أمرك فعجبت من أشياء ، ولم أعجب من أشياء ، رأيتك من أفقه الناس ، فقلت : وما يمنعها وهي زوج رسول الله ﷺ وبنت أبي بكر ؟ ورأيتك من أعلم الناس بالشعر وأيام العرب ، فقلت : وما يمنعها وهي بنت أبي بكر وعلامة قريش ؟ ولكني رأيتك من أعلم الناس بالطب . فأخذت بيدي ، وقالت : يا عروة ، إن رسول الله ﷺ كان كثير الأسقام والأوجاع ، فكانت العرب والعجم تنعت له ، فكنا نعالجه .

١٨١ ـ حكيم : إياك أن تحك بثرة وأن زعزعتك ، واحفظ أسنانك من القار بعد الحار ، والحار بعد القار ، وأن تطيل النظر في عين رمدة[٢] وفي بئر عادية ، واحذر السجود على خصفة حديدة حتى تمسحها بيدك ، فرب شظية حقيرة فقأت عيناً خطيرة .

١٨٢ ـ كانت الأدوية تنبت في محراب سليمان عليه السلام ، فيقول كل نبت : يا رسول الله ، أنا دواء لداء كذا .

١٨٣ ـ جالينوس : البطنة تقتل الرجال ، ومنها يكون الفالج ، والبطن الذريع ، والأقعاد ، وصنف من الجذام يُقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر ولا ينطق ، وترك الطعام يغير الطبائع ، ويهيج شدة الصداع ، والكمد في العينين ، والضربان في الأذنين ، والقولنج[٣] . فعليك بالطريقة

---

(١) الباسور : علّة في المقعدة يسببها تمدّد عروقها ويحدث فيها نزف دمّ والجمع بواسير .
(٢) الرمد : مرض يصيب العين فيسبب لها الألم .
(٣) القولنج : مرض معوي يصعب معه خروج الغائط والريح .

الوسطى . واتق الليل وطعامه وشرابه بجهدك .

١٨٤ ـ رسطاليس : إن سم الحية حياة لها وتلف لغيرها ، والسم ما دام في الحية فهو سخين ، فإذا خرج إلى غيرها برد حتى يقتل بشدة برده .

١٨٥ ـ جالينوس : الغم المفرط يميت القلب ، ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه . والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى تغلب الحرارة الغريزية فيهلك .

١٨٦ ـ قال أسقف فارس لمحموم : هذا عمل الداذي ، قال : ما ذقته منذ فارقت بغداد ، قال : ألم تر امرأة حملت ببغداد ووضعت بفارس ؟ .

١٨٧ ـ وضع على مائدة المأمون يوم عيد أكثر من ثلاثمائة لون ، فكان يذكر منفعة كل لون ومضرته وما يختص به . فقال يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ، إن خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته ، أو في النجوم فأنت هرمس في حسابه ، أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب في علمه ، أو في السخاء فأنت حاتم في كرمه ، أو في صدق الحديث فأنت أبو ذر في لهجته ، أو في الوفاء فأنت السموأل بن عاديا[1] في وفائه ، فسر بكلامه وقال : يا أبا محمد ، إن الإنسان إنما فضل غيره بعقله ، ولولا ذاك لم يكن لحم أطيب من لحم ، ولا دم أفضل من دم .

---

(١) السموأل بن عاديا : هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي ، شاعر جاهلي حكيم . من سكان خيبر (في شمالي المدينة) كان يتنقل بينها وبين حصن له سمّاه «الأبلق» . أشهر شعره لاميته التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميلُ

وهي من أجود الشعر . وفي علماء الأدب من ينسبها لعبد الملك بن عبد الرّحيم الحارثي . وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرىء القيس الشاعر . توفي نحو سنة ٦٥ قبل الهجرة .

راجع ترجمته في معاهد التنصيص ١ : ٣٨٨ وشرح الشواهد ١٨٠ وياقوت في معجم البلدان ١ : ٨٦ وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٢٦٩ .

١٨٨ ـ طبيب الهند : منفعة الحقنة للإنسان كمنفعة الماء للشجرة إذا سقي أصلها .

١٨٩ ـ ومرض أبو دجانة فنعت الطبيب له الحقنة فأبى ، فأنشأ أعرابي عنده يقول :

لقد سرني والله وقاك شرها ... نفارك منها إذ أتاك يقودها
كفى سوءة ألا تزال مجبياً ... على شنة وفراء في أستك عودها

١٩٠ ـ سفيان بن عيينة : اجتمع أطباء فارس وابن كلدة على أن الداء إدخال الطعام على الطعام . وقالوا : إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر . والشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج .

١٩١ ـ حكيم : أربعة تهدم البدن : الجماع على الامتلاء ، والاستحمام على الشبع ، وأكل القديد ، ونكاح العجوز .

١٩٢ ـ قال الرشيد حين كان بطوس[1] لرجل : خذ هذه الدرة واعرض هذه القارورة على أسقف فارس ، وبختيشوع من غير أن يتشاعرا ، وازعم أنها قارورة أخ لك . فقال الأسقف : ما أشبه هذا الماء بماء الرشيد ! فانتظر ولا ترحل فإن أخاك ميت غداة غد . وقال : يختيشوع مثله .

١٩٣ ـ وعرض رجل على أيوب الطبيب قارورته ، فقال : ما هي بقارورتك ، لأنه ماء ميت وأنت حي تكلمني . فما فرغ من كلامه أن خرّ الرجل ميتاً .

١٩٤ ـ صدع ملك فأمره الطبيب بأن يضع قدميه في الماء الحار ،

---

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . فُتحت في أيام عثمان بن عفان ، وبها قبر علي بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد . وطوس أربع مدن : منها اثنتان كبيرتان واثنتان صغيرتان ، وبها آثار أبنية إسلامية جليلة وبها دار حميد بن قحطبة .
راجع معجم البلدان ٤ : ٤٩ .

فقال خصي عنده : وأين القدم من الرأس ؟ فقال : أين وجهك من بيضتيك نزعتا فذهبت لحيتك ؟ .

١٩٥ ـ شكا رجل إلى الطبيب وجع البطن ، وقال : أكلت سمكاً ولحم بقر وبيضاً وماستاً ، فقال : انظر فإن مت من هذا وإلاَّ فارم نفسك من حالق .

١٩٦ ـ اشترى أعرابي غلاماً ، فقيل : يبول في الفراش . فقال : إن وجد فراشاً فليبل عليه راشداً .

١٩٧ ـ قال أعور لأبي الأسود الدؤلي : ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء ؟ قال : أما الشيء فالبصير كما أنا ، وأما لا شيء فالأعمى ، وأما نصف الشيء فأنت يا أعور .

١٩٨ ـ شم أعرابي إبطيه فقطب وجهه وقال : أخرجني الله من بينكما[١] .

١٩٩ ـ صالح بن عبد القدوس :

عزاؤك أيها العين السكوب ... وصبرك إنها نوب تنوب[٢]
وكنت كريمتي وسراج وجهي ... وكانت لي بك الدنيا تطيب
فإن أك قد ثكلتك في حياتي ... وفارقني بك الإلف الحبيب
فكل قرينة لا بد يوماً ... ستشعب إلفها عنها شعوب[٣]
على الدنيا السلام فما لشيخ ... ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو بعد حياً ... ويخلف ظنه الأمل الكذوب
يمنيني الطبيب شفاء عيني ... وما غير الإله لها طبيب
إذا ما مات بعضك فابك بعضاً ... فإن البعض من بعض قريب

---

(١) يريد القول إن في إبطيه رائحة منتنة . والإبط هو باطن الكتف .
(٢) العين السكوب : الكثيرة البكاء . والنوب : المصائب . وتنوب : تصيب .
(٣) شعوب : اسم للمنيّة .

٢٠٠ ـ ذكر أعرابي رجلاً توانى في درك ثأره ، فقال : كيف يدرك ثأره وفي صدره من البلغم حشو مرفقة ؟ والبلغماني يكون سميناً بطيناً .

٢٠١ ـ جعفر بن سليمان الهاشمي كان لنا ظبي فذبحناه وسلخناه ، فإذا جسده قد شرق بالدم ، فقال لنا داود الطبيب : هكذا جسد المتخم ولكن لا يراه .

٢٠٢ ـ افتصد[١] المأمون فسرح والتحم ، وعنده بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل ، فطلب الحيلة ، فاعتزلوا ليتناظروا . فقال المأمون لأسود قائم على رأسه : مص موضع الفصد ، ففعل ، فخرج الدم . فقالوا : لو نشر بقراط[٢] وجالينوس ما زادا على هذا .

٢٠٣ ـ صدع[٣] المأمون بطرسوس فلم ينفعه علاج ، فوجه إليه قيصر قلنسوة وكتب : بلغني صداعك فضعها على رأسك يسكن . فخاف أن تكون مسمومة ، فوضعها على رأس حاملها فلم تضره ، ثم وضعت على رأس مصدّع فسكن ، فوضعها على رأسه فسكن فتعجب ، ففتقت فإذا فيها رق فيه : بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ، كم من نعمة في عرق ساكن ، حم عسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، من كلام الرّحمٰن خمدت النيران ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وجال نفع الدواء فيك كما يجول ماء الربيع في الغصن

٢٠٤ ـ أُسامة بن زيد رفعه : إن الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع في أرض فلا تخرجوا فراراً منه .

٢٠٥ ـ الهزيمي :

---

(١) افتصد : قطع شريانه واستخرج الدم الفاسد .
(٢) بقراط : الطبيب اليوناني المشهور وهو أبو الطبّ .
(٣) صدع : أصابه الصدع وهو ألم أو وجع يصيب الرأس .

قد كنت أنظر قبل اليوم في كتبٍ فيها الحكايات والأشعار والخطب
ودفتر الطب فيها لا ألم به إذ لم يكن فيه لي من صحتي أرب
فجاءت السبع والخمسون تحوجني إلى العلاج فمالي غيرها كتب

٢٠٦ ـ ابن عباس رفعه: تداووا فإن الله لم يخلق داء إلاّ خلق له شفاءً ألاّ السام.

٢٠٧ ـ وروي لكل داء دواء إلاّ الهرم.

٢٠٨ ـ أنشد الموصلي:

أعزز علي بأن أزورك عائداً أو أن أرى بفنائك العوادا

٢٠٩ ـ علي عليه السلام رفعه: من أتى أخاه المسلم يعوده مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة.

٢١٠ ـ أنس رفعه: من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار.

٢١١ ـ مرض أحمد بن أبي دؤاد: فعاده المعتصم وقال: نذرت أن عافاك الله أن أتصدق بعشرة آلاف دينار. فقال: يا أمير المؤمنين، فاجعلها لأهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار عنتاً. فقال: نويت أن أتصدق بها على من هٰهنا، وأطلق لأهل الحرمين مثلها. فقال: متع الله الإسلام بك، فإنك كما قال النمري لأبيك الرشيد:

إن المكارم والمعروف أودية أحلك اللّه منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين اللّه معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع

فقيل للمعتصم: عدته ولا تعود جلة أهلك! قال: وكيف؟ وما وقعت عيني عليه قط إلاّ ساق إليّ أجراً، وأوجب لي شكراً، وما سألني حاجة لنفسه قط.

٢١٢ ـ دخل أبو الغمر على الداعي وهو يحتجم، فقال بديهاً:

إذا كتبت يد الحجام سطراً أتاك به الأمان من السقام

فجسمك داء جسمك باحتجامٍ كحسمك داء ملكك بالحسام

فاستجاده وأمر له بعشرة آلاف درهم .

٢١٣ ـ علي رفعه : ادهنوا بالبنفسج فإنه بارد في الصيف حار في الشتاء .

ـ وروي عنه : عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ، ويذهب البلغم ، ويشد العصب ، ويذهب بالأعياء ، ويحسن الخلق ، ويطيب النفس ، ويذهب بالهم .

ـ وروي عنه : إن يكن في شيء شفاء ففي شرطة حجام ، أو شربة من عسل .

٢١٤ ـ أبو نواس في أحمد بن روح بن أبي بحر الشاعر ، وكان يهاجيه :

لا رعى اللّه ابن روح وسخ اسمي بلعابه
أسقم أسمي ريح فيه فأظن اسمي لما به

٢١٥ ـ خالد بن عامر الملقب بالقفار :

وهنّ ببخص الداء بدن نواعم كالغزلان مرضى قلوبها[1]
بهن من الداء الذي أنا عارف ولا يعرف الأدواء إلَّا طبيبها

٢١٦ ـ خالد بن زيد الجهضمي :

كفى حزناً أني أجالس معشراً يخوضون في بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عي ولا من جهالةٍ ولكنه ما فيّ للصوت مسلك
فإن سد مني السمع فاللّه قادر على فتحه واللّه بالعبد أملك

---

(١) بخص الرجل بخصاً : كان فوق عينيه أو تحتها لحم ناتىء كهيئة النفخة فهو أبخص وهي بخصاء جمع بُخص .

٢١٧ ـ ربيعة الرقي[١] :

عينا ربيعة رمداوان فاحتسبي بكحلةٍ منك تشفيه من الرمد
إن تكتحل منك عيناه فلا رمد على ربيعة يخشى آخر الأبد

٢١٨ ـ طعن في عين قتادة بن النعمان يوم أحد فندرت في وجنته ، فردّها رسول الله ﷺ ، فكانت أحد عينيه نظراً وأحسنها ، فقال الخرنق الأوسي :

ومنا الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيّما رد
فعادت كما كانت لأحسن حالها فيا طيب ما عين ويا طيب ما يد

٢١٩ ـ أبو الحسن الناجم .

قالوا اشتكت نرجستا وجهه قلت لهم أحسن ما كانا
حمرة ورد الخد شابتهما والصبغ قد ينفض أحيانا

يريد أحسن ما كان وجهه إذا رمد .

٢٢٠ ـ وُلد الأحنف ملتصق الأليتين حتى شق ما بينهما .

٢٢١ ـ شراعة بن الزندبود :

قالوا شراعة عُنّين فقلت لهم اللّه يعلم أني غير عِنّين[٢]
فإن ظننتم بي الظن الذي زعموا فقربوني من بيت ابن رامين[٣]

---

(١) ربيعة الرّقيّ : هو ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار الأسدي ، أبو ثابت ـ أو أبو شبانة ـ الرقي ، شاعر غزل متقدم . كان ضريراً . يلقب بالغاوي . عاصر المهدي العباسي ومدحه بعدة قصائد . وكان الرشيد يأنس به وله معه ملح كثيرة . مولده ومنشأه في الرقة (على الفرات ، من بلاد الجزيرة) وإليها نسبته . قال صاحب الأغاني : هو من المكثرين المجيدين وإنما أُخمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء . توفي سنة ١٩٨ هـ .
راجع ترجمته في خزانة البغدادي ٣ : ٥٥ ونكت الهميان ١٥١ والأغاني .

(٢) العنّين : الذي لا يأتي النساء ولا يريدهنّ .

(٣) ابن رامين : كان يهتم بأمر الجواري في بيته . ذكره صاحب الأغاني .

٢٢٢ ـ أبو الفيض القضافي في المعتضد :

أرقت دماً لو تسكب المزن مثله لأصبح وجه الأرض أخضر زاهيا[١]
دماً طيباً لو يطلق الدين شربه لكان من الأسقام للناس شافيا

٢٢٣ ـ اعتل عثمان بن عمرو القيني فلم يعده العتبي ، فكتب إليه :

بأبي أنت إن ذا الفضل محفـ ـوظ أقل القليل من هفواته
أترى عتبة ابن أبي سفـ ـيان وصى بنيه عند وفاته
أن يبروا الصحيح ممن أحبوا ويعقوا العليل عند شكاته
يا ابن من بالعتاب سمي أعتب وأسألن بالعليل إن لم تاته[٢]

فحلف العتبي ليأتينه شهراً كل يوم .

٢٢٤ ـ العباس بن الأحنف :

قالت مرضت فعدتها فتبرَّمت فهي الصحيحة والمريض العايد
والله لو أن القلوب كقلبها ما رق للولد الضعيف الوالد

٢٢٥ ـ قال سفيان لصاحب له : ما نمت البارحة من ضربان ضرسي . فقال : وأنت يا عبد الله تشكو ؟ قال : يا أحمق ، لم أشك ، وإنما أنت أخي أخبرتك . قال أبو سليمان : إذا أخبر فقد شكا .

٢٢٦ ـ أبو صفوان : إن الله خلق جنة ، وأعد فيها نعيماً ، وندبنا إليه بترك الشهوات ، فلم نطعه . ثم أصبنا الشهوات فأورثتنا الأدواء ، فجئنا إلى بعض خلقه ممن تشتمهم غدوة وعشياً ، فقلنا : داوونا . فقالوا : نداويكم على أن تتركوا الشهوات ، فأطعناهم .

٢٢٧ ـ مالك بن دينار : عجبت ممن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار .

---

(١) المزن : السحاب المشبع بالمطر .
(٢) تاته : بحذف الهمزة للتخفيف والتسهيل ، تزور .

٢٢٨ ـ عاد سفيان فضيلاً فقال : يـا أبا محمـد ، وأي نعمة في المـرض لولا العواد ؟ قال : وأي شيء يكره في العواد ؟ قال : الشكية .

٢٢٩ ـ علي عليه السلام لبعض أصحابه جعـل الله ما كـان من شكواك حطاً لسيئاتك فإن المـرض لا أجر فيـه ، ولكن يحط السيئات ويحتهـا حت[١] الأوراق ، وإنما الأجر في القول باللسان ، والعمل بالأيدي والأقدام .

٢٣٠ ـ كتب مبارك أخو سفيان الثوري إليـه يشكو ذهـاب بصره . فكتب سفيان : أما بعد ، فقد فهمت كتـابك فيـه شكايـة ربك ، فـاذكر المـوت يهنْ عليك ذهاب بصرك ، والسلام .

٢٣١ ـ استأذن الربيع بن خثيم على ابن مسعود ، فخـرجت إليه جـارية حسناء ، فغمض عينيه ، فقالت : على الباب رجل أعمى يقول أنـا الربيـع بن خثيم ، فقال : ليس بأعمى ، وإنما غض بصره عما نهاه الله عنه .

٢٣٢ ـ كـان رجل يتعـاطى الصراع فـلا يصـرع أحـداً ، فتـرك الصـراع وتعاطى الطب ، فمـر به في بعض الأيـام حكيم فقال لـه : الآن تصرع خلقـاً كثيراً .

٢٣٣ ـ كان منيع بن كوثل يقطع بنواحي الحجاز ، فقطع ، فقال :

هل أنت على باقي جناح كسرتـه ... وريش الـذنـابي مستقـل فـطائـر

وكيف يطير الصقـر أودى جناحـه ... كسيـراً وغـالت دابـريـه المقـادر

لقد كنت ممّا أحـدث الدهـر آمناً ... ألا ليتني ضمت عليّ المقـابـر

٢٣٤ ـ كـان أيمن بن خـريم بـه بـرص في يـده ، وكـان يصفـره بـالزعفـران ، فإذا أكـل رجلاً لم ينشب[٢] أن يصفـر الطعـام . وكـان مـداحـاً لعبد العزيز بن مروان ، فامتدحه نُصيب[٣] بما أعجبـه ، فقال لأيمن : هو والله

(١) حتّ الشجر : أسقط ورقه وقشره . وتحاتّ الورق : تناثر .

(٢) ينشب : يلبث .

(٣) نصيب : هـو نُصيب بن رباح ، أبـو محجن ، مولى عبـد العـزيـز بن مـروان شـاعـر ، =

أشعر منك ، فقال أيمن : لا والله ، ولكنك طرف ملول . فقال : أنا ملول وأنا أواكلك مذ كذا وكذا ؟ .

٢٣٥ ـ دخل عمر بن عبد العزيز إلى اسطبل أبيه ، فضربه فرس على وجهه ، فأتى به أبوه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد .

٢٣٦ ـ كان المغيرة بن عبد الرّحمن بن الحارث بن هشام يطعم الطعام ، وكان أعور ؛ فجعل أعرابي يديم النظر إليه حابساً نفسه عن طعامه ، فقال له المغيرة في ذلك ، قال : إنه ليعجبني طعامك وتريبني عينك . قال : وما يريبك من عيني ؟ قال : أراك أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال . وكانت عينه أصيبت في قتال الروم ، فقال : الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله .

٢٣٧ ـ كان أبو أحمد بن جحش من المكافيف ، وقد أخذ خطام ناقة رسول الله ﷺ بعد فتح مكة ، وهو يسعى بين الصفا والمروة ، وهو يرتجز :

يا حبذا مكة من وادي أرض بها أهلي وعوادي
أرض بها ترسخ أوتادي أرض بها أمشي بلا هادي

٢٣٨ ـ علي بن الجهم في مرض المتوكل :

لإمام الهدى البقاء الطويل ومنا لا به الصنى والنحول
كادت الأرض أن تميد لشكوا ك وكادت لها الجبال تزول
أنا أشكر إليك قسوة قلبي كيف لم ينصدع وأنت عليل

٢٣٩ ـ دخل علي عليه السلام على صعصعة بن صوحان عائداً ،

= فحل ، مقدّم في النسيب والمدائح . اشتراه عبد العزيز بن مروان واعتقه . كان يتغزل بأم بكر زينب بنت صفوان . تنسك في أواخر عمره ، وتوفي سنة ١٠٨ هـ .
راجع ترجمته في إرشاد الأريب ٧ : ٢١٢ وشرح ديوان أبي تمام ١ : ٢٥٨ والنجوم الزاهرة ١ : ٢٦٢ .

فقال علي لصعصعة : والله ما علمتك إلاَّ خفيف المؤونة ، حسن المعونة ، فقال صعصعة : وأنت يا أمير المؤمنين ، إن الله في عينك لعظيم ، وإنك بالمؤمنينِ لرحيمَ ، وأنك بكتاب الله لعليم .

فلما قام ليخرج ، قال : يا صعصعة ، لا تجعل عيادتي فخراً على قومك ، فإن الله لا يحب كل مختالٍ فخور .

وروي : لا تتخذها أبهة على قومك ، إن عادك أهل بيت نبيك .

٢٤٠ ـ ابن عباس : مرضت مرضاً شديداً ، فحماني أهلي كل شيء حتى الماء ، فعطشت ليلة أشد العطش ، فحبوت إلى أداوة[1] معلقة ، فشربت كما أردت ، فما زلت أعرف الصحة منها في جسمي ونفسي . فلا تحرموا مرضاكم شيئاً .

٢٤١ ـ سُلَّ الزبير العبسي حتى لم يبق منه إلاَّ الجلد والعظم ، فأخرج ذراعه فنظر إليها ، فقال : الحمد لله الذي لم يبق للأرض من جسدي نباتاً .

٢٤٢ ـ مرض بكر بن عبد الله المزني فرأى الناس يدخلون ويخرجون ، فغمه ذلك ، فلمّا كثر عليه قال : المريض يعاد ، والصحيح يزار .

٢٤٣ ـ أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليرعفن جبار من جبابرة بني أُمية على منبري هذا . فرؤي عمرو بن سعيد بن العاص يرعف على منبر رسول الله ﷺ ، حتى سال رعافه على درج المنبر .

٢٤٤ ـ أحمد بن يحيى ثعلب[2] ناله صمم شديد حتى كان يكتب له

---

(١) الأداوة : قربة من جلد يوضع فيها الماء .

(٢) ثعلب : هو أحمد بن يحيىٰ بن زيد بن سيار الشيباني إمام الكوفيين في النحو واللغة . توفي سنة ٢٩١ هـ . تقدّمت ترجمته .

الشيء في آخر أيامه .

٢٤٥ ـ قال السفاح لطبيبهِ في علّة موته وأراد جسّه :

أنــظر إلى ضعـف الحــرا	ك وذلــةٍ بـيــد السكــون
يــنـبـيــك أن بـيــانــه	هــذا مقــدمــة المنــون

البـــاب الثامن والسبعون

المال ، والكسب ، والتجارة ، والنفاق ، والغلاء، والرخص والغبن ، والمكاس ، وذكر الغنى والفقر وما اتصل بذلك

١ ـ ابن عباس : قال رسول الله ﷺ والتفت إلى أُحد : ما يَسرني أنه لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله ، لا أموت يوم أموت وعندي منه ديناران إلَّا أن أرصدهما لدين إن كان .

قال : فمات رسول الله ﷺ وما ترك ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ولا أمة ، وترك درعه التي كان يقاتل فيها رهناً بثلث قفيز[1] من شعير .

٢ ـ أنس رفعه : يقول الله عزّ وجلَّ : ابن آدم أقبل إليّ املأ قلبك غنى ، وانزع الفقر من بين عينيك ، واكف عليك ضيعتك ، فلا تصبح إلَّا غنياً، ولا تمسي إلَّا غنياً . وأن توليت عني نزعت الغنى من قلبك ، وأنسيت عليك ضيعتك ، فلا تصبح إلَّا فقيراً ، ولا تمسي إلَّا فقيراً .

٣ ـ عبد الله بن معقل : أتى رجل رسول الله فقال : والله إني لأحبك في الله . قال : إن كنت صادقاً فيسر للفقر تجفافاً ، فالفقر إلى من يحبني

---

(١) القفيز : أربعة مكاكيك ، وكل مكوك خمسة عشر رطلاً وكل رطل مائة وثمانية وعشرون درهماً . راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٦ . وقيل : القفيز : عُشر الجريب وهو ثلاثمائة وستون ذراعاً مكسرة ، وفي بعض البلدان خلاف ذلك على حسب ما اتفقوا عليه .

أسرع من السيل إلى منتهاه .

٤ ـ أبو ذر رفعه : صاحب الدرهمين أشد حساباً يوم القيامة من صاحب الدرهم .

٥ ـ أوحى الله إلى موسى عليه السلام : إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته . وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين .

٦ ـ لقمان : كان إذا مرّ بالأغنياء قال : يا أهل النعيم ، لا تنسوا النعيم الأكبر . وإذا مر بالفقراء قال : إياكم أن تغبنوا مرتين .

٧ ـ أبو سعيد المخزومي :

وإني لصبار على ما ينوبني ... وحسبك أن اللّه أثنى على الصبر
ولست بنظار إلى جانب الغنى ... إذا كانت العلياء في جانب الفقر

٨ ـ دخل الحسن على عبد الله بن الأهتم يعوده ، فرآه يصوب بصره ويصعده نحو صندوق له ، فقال : يا أبا سعيد ، ما قولك في مائة ألف في هذا الصندوق لم توصل منها رحم ولم تؤد زكاة ؟ قال الحسن : ثكلتك أُمك ، فلِمَ أعددتها ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومفاخرة العشيرة .

فلما مات ضرب الحسن بإحدى يديه على الأُخرى ، ثم قال لوارثه : لا تخدعن كما خدع أبوك . أما إنك أتاك هذا المال حلالاً فإياك أن يكون عليك وبالاً ، أتاك ممن كان له جموعاً منوعاً ، يخوض فيه لجج البحار ، ومفاوز[1] القفار ، من باطل جمعه فأوعاه ، ومن حق منعه فأوكاه . إن أعظم الحسرات يوم القيامة أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيا لها من توبة لا تنال وعثرة لا تُقال ! .

---

(١) المفاوز : الصحاري الواسعة .

٩ ـ حكيم : من لم يصبر على خيانة الوكلاء ، وإضاعة الكفاة فليس بتام الدهقنة .

١٠ ـ قيل لعبد الله بن جعفر : إنك لتبذل الكثير إذا سئلت ، ويضايق في القليل إذا توجرت . فقال : إني أبذل مالي ، وأضن بعرضي وبعقلي .

١١ ـ النبي ﷺ : من باع داراً أو عقاراً فلم يردد ثمنه في مثله فذلك مال قَمَن[١] أن لا يبارك الله فيه .

١٢ ـ حكيم : إذا تزين المرء بالذهب والفضة فقد دل على نقصه في نفسه عنها ، والفاضل من زين الذهب والفضة بحسن السياسة والتدبير فيها .

١٣ ـ الحسن : من وسع الله عليه في ذات يده فلم يخف أن يكون ذلك مكراً به من الله فقد أمن مخوفاً . ومن ضيق الله عليه في ذات يده فلم يرج أن يكون ذلك نظراً من الله تعالىٰ فقد ضيع مأمولاً .

١٤ ـ العتابي :

إني امرؤ هدم الأقتار مأثرتي ... واجتاح ما بنت الأيام من خطر[٢]
أيام عمرو بن كلثوم يسوده ... حيا ربيعة والأحياء من مضر
أرومة عطلتني من مكارمها ... كالقوس عطلها الرامي من الوتر[٣]

١٥ ـ النبي ﷺ : لا يعجبنك امرؤ كسب مالاً حراماً ، فإنه إن أنفق لم يتقبل منه ، وإن أمسك لم يبارك فيه ، وإن مات وتركه كان زاده إلى النار .

١٦ ـ رسطاليس : محبة المال وتد الشر كله ، لأن الشر كله متعلق بها .

---

(١) قَمَنٌ : حريّ وجدير وخليق .
(٢) الأقتار : الشيب .
(٣) الأرومة : الأصل .

١٧ ـ نظر أعرابي إلى دينار فقال : ما أصغر قمتك وأكبر همتك ! .

١٨ ـ القنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس بحر .

١٩ ـ ابن السماك[١] : الفطام عن الحطام شديد .

٢٠ ـ أعرابي : من ولد في الفقر أبطره الغنى ، ومن ولد في الغنى لم تزده النعمة إلّا تواضعاً .

٢١ ـ يحيى بن معاذ الرازي : الاقتصاد في المعيشة ضيعة لم تتكلف ثمنها .

٢٢ ـ النبي ﷺ : ما عال من اقتصد .

٢٣ ـ العرب : ينبغي للمشتري أن يستري ، أي أن يختار .

٢٤ ـ السري : نهيتك من مسألة أقوام أرزاقهم من ألسن الموازين ، وأفواه المكاييل .

٢٥ ـ معاوية : ما رأيت سَرَفاً[٢] إلّا وإلى جانبه حق مضاع .

٢٦ ـ من ختم البضاعة أمن الإضاعة .

٢٧ ـ مدح رجل رجلاً عند خالد بن عبد الله فقال : دخلت عليه فرأيته أسرى الناس داراً وفراشاً وآلة وخدماً . فقال خالد : لقد ذممته ، هذه والله حال من لم تدع فيه شهوته للمعروف فضلاً ولا للكلام موضعاً .

٢٨ ـ ونحوه : من عظمت مؤونته على نفسه قل فضله على غيره .

٢٩ ـ الدراهم والدنانير خواتيم الله في الأرض ، فمن ذهب بخاتم الله قضيت حاجته .

---

(١) ابن السماك : هو محمد بن صبيح . كان زاهداً راوية للحديث . توفي سنة ١٨٣ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) السرف : الخطأ ، تجاوز الحدّ والاعتدال .

٣٠ ـ أبو الدرداء[1] رضي الله عنه :

يريد المرء أن يعطى مناهُ ويأبى اللّه إلاّ ما أرادا
يقول المرء فائدتي ورزقي وتقوى اللّه أكبر ما استفادا

٣١ ـ أُشتري لابن عمر متاع فرضيه ودفع الثمن إلى من اشتراه له ، فجاء وقد استوضع دينارين ، فقال ابن عمر : قد رضينا المتاع ، فبأي شيء تأخذ الدينارين ؟ ردهما على الرجل .

٣٢ ـ النبي ﷺ : الاقتصاد نصف العيش ، وحسن الخلق نصف الدين .

٣٣ ـ باع مزيد خماراً ، فأقبلوا يقلبونه ، فقال : والله لو قلبتم عين الشمس هذا التقليب لأخرجتم فيها صداً .

٣٤ ـ علي رضي الله عنه : ماكسى عن درهميك فإن المغبون لا محمود ولا مأجور .

٣٥ ـ النبي ﷺ : أشقى الأشقياء من جمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة .

٣٦ ـ قيل لابن عيينة[2] : من أفقر الناس ؟ قال : ليس أحد دون أحد ، قال الله تعالىٰ : يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله .

٣٧ ـ رأى بزرجمهر فقيراً جاهلاً ، فقال : بئس ما أجتمع على هذا ! فقر ينغص دنياه ، وجهل يفسد آخرته .

٣٨ ـ في الحديث المرفوع : مثل الفقر للمؤمن كمثل فرس مربوط

---

(١) أبو الدرداء : هو عويمر بن مالك صاحب الرسول ﷺ توفي سنة ٣٢ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) ابن عيينة : هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي . توفي سنة ١٩٨ هـ . تقدّمت ترجمته .

بحكمته إلى أخيه ، كلما رأى شيئاً مما يهوى ردته حكمته .

٣٩ ـ قال رجال لفيلسوف : ما أشد فقرك ! فقال : لو علمت ما الفقر لشغلك الغم لنفسك عن الغم لي .

٤٠ ـ أعرابي : المال لا يصلح إلاَّ بالوالي يلي المال ربه وإن كان أحمق .

٤١ ـ قالوا : الغبن في شيئين ، في الغلاء والرداءة ، فإذا استجدت فقد أحرزت أفضلهما .

٤٢ ـ شاعر :

خلق المال واليسار لقوم وأراني خلقت للإملاق
أنا فيما أرى بقية قومٍ خلقوا بعدَ قسمة الأرزاق

٤٣ ـ قرىء على درهم في أحد جانبيه :

قرنت بالنجح وبي كلما يراد من ممتنع يوجد

وفي الجانب الآخر :

وكل من كنت له آلفاً فالجن والأنس له أعبد

٤٤ ـ الجاحظ : إنما هو شيء ألقاه الشيطان في قلوب العامة ، وأجراه على ألسنتهم حتى قالوا : المغبون لا محمود ولا مأجور ، فحملوا الجهلة على النظر في قيمة حبة ، والإطلاع في لسان الميزان ، وأخذ المعايين بالأيدي . وبالحري أن يكون المغبون محموداً ومأجوراً . . وقالت الحكماء : السؤدد التغافل . وأدبنا رسول الله حيث قال : رحم الله رجلاً سهل البيع سهل الشرى . وقال معاوية : إني لأجر ذيلي على الخدائع . وعن الحسن البصري : لا يكون المؤمن مماكساً[1] .

---

(١) المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في أسواق الجاهلية ، أو ما يأخذه أعوان =

٤٥ ـ قال المنصور لرجل : ما مالك؟ قال : ما يكف وجهي ويعجز عن بر الصديق .

٤٦ ـ من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : دينه وعرضه .

٤٧ ـ إذا استغنى اللئيم بلي به ثلاثة : صديقه القديم يجفوه ، وامرأته يطلقها ، وخادمه يستبدل به .

٤٨ ـ الحسن : ما أعز أحد الدراهم إلاَّ أذله الله .

ـ وعنه رحمه الله : كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف .

٤٩ ـ وذكر بعضهم أبا الشعثاء فقال : كان مسلماً عند الدرهم .

٥٠ ـ عبد الله الفقير إليه :

وإذا رأيت صعوبة في مطلب   فاحمل صعوبته على الدينار
يرده كالظهر الذلول فإنه   حجر يلين قسوة الأحجار

٥١ ـ حبس عمرو بن الليث أبا سعيد الكاتب وعلي بن النضر ، فتبلح أبو سعيد في أداء ما طولب به ، فحلف المطالب ليقلعن أضراسه أن لم يؤده ، فلما احتاله من حيث وضع عمد ابن النضر فسرقه ، فدعي بالطست[1] والكلبتين[2] فقلعت أضراسه . فنمي الخبر إلى عمرو فاغتم له وأطلقه . فلما كان بعد مدة أتاه علي بالكيس ، فقال : ما حملك على ما فعلت ؟ دخلت في دمي وفجعتني بأضراسي . قال : اسكت ، فإنه إذا لم يكن لك أضراس وكانت لك دراهم اتخذت الهرايس والأخبصة[3] ، وإذا لم

= الدولة عن أشياء معيّنة عند بيعها أو إدخالها المدن . وماكسه : استحطّه الثمن واستنقصه إياه ، والماكس والمكّاس : من يأخذ المكس .

(١) الطست : وعاء من نحاس يوضع فيه الماء وغيره .

(٢) الكلبتان : آلة تُتّخذ لقلع الأضراس النخرة . ويُقال لها أيضاً الكلاّبة .

(٣) الهرايس والأخبصة : نوعان من الأطعمة .

يكن لـك مال وأنت سـالم الأضـراس مت جـوعـاً . فضحـك وتسلى ، وقعـد يتنعم .

٥٢ ـ يّونس بن عبيـد صـاحب الحسن : كسبت في هـذه السـوق ستين ألف درهم ، ما منها درهم ألاَّ وأنا أخاف أن أُسأل عنه .

٥٣ ـ أنس رفعــه : يقـول الله لمـلائكته : أدنــوا أحبــائي ، فتقــول الملائكة : سبحانك من أحباؤك ؟ قال : أدنوا مني فقراء المسلمين .

٥٤ ـ الثـوري[1] : المال في هـذا الزمـان عز للمؤمن . وقـال : المـال سـلاح المؤمن في هذا الـزمان . وكـان بين يديـه دنانيـر يقلبهـا ، فقيـل لـه : أتحبهـا ؟ فقال : دعنـا منك ، فلولا هـذه لتمندلت بـأعراضنـا القوم تمنـدلاً . وقـال : لئن أخلف عشـرة آلاف يحـاسبني الله عليهـا أحب إلي من أن احتـاج إلى الناس .

٥٥ ـ النبي ﷺ : إنما يخشى المؤمن الفقر مخافة الآفات على دينه .

٥٦ ـ تـرك ابن المبارك دنـانير وقـال : اللَّهمَّ إنك تعلم أني لم أجمعهـا إلَّا لأصون بها حسبي وديني .

٥٧ ـ وقيـل لآخر : لِمَ تحب هـذه الـدراهم وهي تـدنيـك من الـدنيـا ؟ قال : هي وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها .

٥٨ ـ عبد الله الفقير إليه :

لا تـلمنـي إذا وقيــت الأواقـي فــالأواقـي لمــاء وجـهـي واقـي

٥٩ ـ ابن عيينة : من كـان لـه مـال فليصلحــه ، فـانكم في زمــان من احتاج فيه إلى الناس كان أول ما يبذل دينه .

٦٠ ـ عـون : صحبت الأغنيـاء ، فلم يكن أحـد أكثـر غمـاً مني ، لأني

---

(١) الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق توفي سنة ١٦١ هـ . تقدّمت ترجمته .

كنت أرى ثيـابـاً خيـراً من ثيـابي ، ودابـة خيـراً من دابتي . ثم صحبت المساكين فاسترحت .

٦١ ـ فضيل : بخس الميزان سـواد الوجـه يوم القيـامة ، وإنمـا أهلكت القـرون الأُولىٰ لأنهم أكلوا الـربـا ، وعـطلّوا الحـدود ، ونقصـوا الكيـل والميزان .

٦٢ ـ قـال رجل لإبـراهيم بن أدهـم : أقبل مني هـذه الجبة ، قـال : إن كنت غنيـاً قبلتها منـك ، قال : أنـا غني ، قال : كم مـالك ؟ قـال : ألفان ، قـال : أيسـرك أن يكـون أربعـة آلاف ؟ قـال : نعم ، قـال : أنت فقيـر ، لا أقبلها منك .

٦٣ ـ الحسن في قوله تعالىٰ : **﴿يعلمون ظـاهراً من الحيـاة الدنيـا وهم عن الآخـرة غـافلون﴾**[1] ، ينقـر أحـدهـم الـدرهم فيعلم كم فيـه من حبـة ، ويضيع دينه ، ستعلم يا لكع[2] .

٦٤ ـ حكيم : لا تكن أسـوأ المغـرورين بجمـع المـال ، فكم رأينـا من جامع لبعل حليلته[3] .

٦٥ ـ وفي نوابغ الكلم[4] : أيهـا القلب الخوَّل ، إن حيلتـك أن تجمع المال لبعل حليلتك .

٦٦ ـ حكيم : إنمـا مـالـك لـك ، أو لجـائحـة[5] تحـدث فيـه ، أو للوارث ، فلا تكن أخسهم حظاً .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٧ .
(٢) يا لكع : يا لئيم . واللّكع : اللؤم .
(٣) حليلة الرجل : زوجته .
(٤) نوابغ الكلم : من كتب المؤلف . راجع مقدّمتنا في أول الكتاب .
(٥) الجائحة : البليّة أو التهلكة والداهية العظيمة . وسنة جائحة : جدبة .

٦٧ - وفي نوابغ الكلم : المال للحارث ، أو للحادث ، أو للوارث ، فلا تكن أخس ثالث .

٦٨ - أعرابي من بني أسد :

يقولون ثمر ما استطعت وإنما ... لوارثة ما ثمَّر المال كاسبه
فكله وأطعمه وخاله وارثاً ... شحيحاً ودهراً تعتريه نوائبه

٦٩ - عبد الرّحمٰن بن شبل : سمعت النبي ﷺ يقول : التجار هم الفجار . فقيل : أليس أحل الله البيع ؟ قال : بلى ، ولكنهم يحدثون فيكذبون ، ويحلفون فيحنثون[1] .

٧٠ - مر علي عليه السلام في سوق الكوفة ومعه الدرة[2] ، وهو يقول : يا معشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الحق فتحرموا كثيره ، ما منع مال من حق إلاّ ذهبت في باطل أضعافه .

٧١ - لقمان : يا بني ، قد أكلت الحنظل ، وذقت الصبر ، فلم أر شيئاً أمر من الفقر . فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيما لا ينتقصوك ، ولكن سل الله ، فمن الذي س سأل الله فلم يعطه ؟ أو دعاه فلم يجبه ؟ أو تضرع إليه فلم يكشف ما به ؟ .

٧٢ - أعرابي : كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مالاً .

٧٣ - إن الكريم من كرمت عند الحاجة طعمته ، وظهرت عند الجدة نعمته .

٧٤ - يُقال للدرهم الأخرس النجيع وخاتم رب العالمين .

---

(١) حنث بالوعد : لم يفِ به .
(٢) الدِرّة : السوط .

٧٥ ـ أعرابي هلكت إبل له فقال : إن موتاً تخطاني إلى ما لي لعظيم النعمة علي .

٧٦ ـ يُقال لمقاسي الفقر : فلان يلاطم حمأة الجفر ، أكثر غدارانه قد نضب . أخذ الأفلاس بكظمه .

٧٧ ـ أوصى رجل فقال اكتبوا : خلف فلان ما يسوؤه وينوؤه ، مالاً يأكله وارثه ، ويبقى عليه وزره وإثمه .

٧٨ ـ وفي نوابغ الكلم : ترك مالاً يُبقي عليه وارثه ، وتبقى عليه كوارثه .

٧٩ ـ لكل نافقة كساد .

٨٠ ـ القاسم بين القوم أوشلهم[1] حظاً ، أي أقلهم .

٨١ ـ لا مال لمن لا مادة له .

٨٢ ـ كسب المال للولد حسرة الأبد .

٨٣ ـ عيسى عليه السلام : المال فيه داء كبير . قيل يا روح الله : ما داؤه ؟ قال : أن يمنع صاحبه حق الله ، قيل : فإن أدى حق الله ؟ قال : لن ينجو من الكبر والخيلاء ، قيل : فإن نجا ؟ قال : يشغله إصلاحه عن ذكر الله .

٨٤ ـ حكيم : لا يعد الغرم غرماً إذا ساق غنماً ، ولا يعد غنياً من لم يكن غناه مشتركاً .

٨٥ ـ أبو الفضل الميكالي :

وقد تُهلك الإنسان كثرة ماله   كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

٨٦ ـ قال أعرابي لرجل : كيف فلان فيكم ؟ قال : غني حظي ،

---

(١) يُقال وشل الماء : تقطر قليلاً قليلاً .

قال : هذا من أهل الجنة .

٨٧ ـ الجاحظ : التجار أصحاب ترتيح وتدنيق ، نظرهم في الطفيف مقرون بصناعتهم ، ولذلك كان جود قريش ، العالي على الأجواد ، من قوم لا كسب لهم إلاّ من التجارة عجباً من العجب . وسبب إيثارهم التجارة أنهم من بين العرب دانوا بالتحمس والتشدد في الدين ، لأنهم أهل حرم الله وحضنة بيته ، فتركوا الغزو ، وكراهة السبي ، واستحلال النهب ، فاقتصروا على التجارة ، واتخذوها مكسبة ، فضربوا في البلاد ، وفتح الله عليهم الرزق بايلافهم الرحلتين .

٨٨ ـ [شاعر] :

وما القطا الكدر إلى الغدر أهدى من الفقر إلى الحر[١]

٨٩ ـ من دعاء السلف : اللّهمَّ إني أعوذ بك من ذل الفقر ، ومن بطر الغنى . القنية ينبوع الأحزان .

٩٠ ـ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

٩١ ـ خير الأعمال ما قضى الغرض ، وخير الأموال ما وقى العرض .

٩٢ ـ ما بقاء المال بين حوائج الإنسان وجوائح الزمان ؟ .

٩٣ ـ كانت بربيعة بن عمرو طرقة أي جنون ، ولذلك لقب بحوثرة ، وهو أبو الحواثر من عبد القيس ، فغرس فسيلاً[٢] فكان يسقيه بالنهار ، فإذا كان الليل أقتلعه وأدخله بيته ، فقيل له ، فقال : أخزى الله مالاً لا تطبق عليه بابك .

---

(١) القطا : نوع من الطير يعيش في الصحراء وهو على أنواع .

(٢) الفسيلة : النخلة الصغيرة تُقطع من الأمّ فتغرس . وكل عود يقطع من شجرته فيغرس جمع فسيل وفسائل .

٩٤ ـ ومن الحواثر عامل عمرو بن هند الذي كتب إليه في قتـل طرفـة ، وكان قد وداه[١] بعد ذلك ، فقال المتلمس[٢] لمعبد أخي طرفة :

لن ترحض السوءات عن أحسابكم   نعم الحـواثـر إذ تسـاق لمعبـد

٩٥ ـ قال معاوية للأحنف : مالك؟ قال : لا أخبـرك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك من القرشي بين شرتين ، إن كنت غنيـاً حسدك ، وإن كنت فقيـراً حقرك .

٩٦ ـ يده في الكسب صناع ، ولكنها في الإنفاق خرقاء .

٩٧ ـ الغنى أنس الأوطان .

٩٨ ـ إذا أيسرت فكل رحل رحلك ، وإذا أعسرت فما أهلك أهلك .

٩٩ ـ الغربة مع الجدة أوطأ من لين الوطن مع الفقر .

١٠٠ ـ حكيم : حسن التـدبير مـع الكفاف أكفى من المـال الكثيـر مـع الاسراف .

١٠١ ـ العطـوي :

قـاتـلهـا الـلّه لـقـد   سامتكها إحدى العضل

---

(١) ودى القاتل القتيل : أعطى وليّه ديته . والديّة : مـا يُعطى من المـال بدل نفس القتيـل جمع ديات .

(٢) المتلمّس : هو جرير بن عبد العـزّى ـ أو عبد المسيـح ـ من بني ضبيعة ، من ربيعـة ، شاعر جاهلي ، من أهل البحرين . وهو خال طرفة بن العبد . كان ينادم عمـرو بن هند (ملك العراق) ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام ولحق بآل جفنة (ملوكهـا) ومات ببصرى (من أعمال حوران في سوريـة) . وفي الأمثال : أشـأم من صحيفة المتلمّس . وهي كتـاب حمله من عمرو بن هنـد إلى عامله بـالبحـرين وفيـه الأمـر بقتله . ففضّـه وقُرىء له ما فيه فقذفه في نهر الحيرة ونجا . توفي نحو سنة ٥٠ قبل الهجرة .

راجـع ترجمتـه في خزانـة البغدادي ٣ : ٧٣ وثمـار القلوب ١٧١ والشعـر والشعـراء ٥٢ .

تـقـول هـلا رحـلة　　تـنفلنـا خيـر نـفـل
مـا الفقـر عـار إنمـا الـ　　ـعـار المـراء والبخـل

١٠٢ ـ ملك الهياطلة : ما أقبح القنوع عند الحاجة ، والتيه عند الاستقراء.

١٠٣ ـ عمرو بن الليث : الطير بالطير يُصاد، والمال بالمال يكتسب .

١٠٤ ـ مكتوب على باب مدينة الرقة : ويل لمن جمع المال من غير حقه ، وويلان لمن ورثه من لا يحمده ، وقدم على من لا يعذره .

١٠٥ ـ أيوب السختياني : قال لي أبو قَلابة : يا أيوب الزم سوقك فإن الغني من العافية .

١٠٦ ـ قال خالد بن صفوان[١] : يا بني ، خلتان[٢] إن أنت حفظتهما لم تبالِ ما ضيعت بعد : دينك لمعادك ، ودنياك لمعاشك .

١٠٧ ـ [شاعر] :

ذريني للغنى أسعى فإني　　رأيت الناس شرّهُمُ الفقير
وأهونهم وأحقرهم عليهم　　وإن أمسى له حسب وخير
يباعده الندي وتزدريه　　حليلته وينهره الصغير
وقد يلقى الغني له جلالاً　　يكاد فؤاد صاحبه يطير

---

(١) خالد بن صفوان : هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري ، من فصحاء العرب المشهورين. كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وله معهما أخبار . وُلد ونشأ بالبصرة وكان أيسر أهلها مالاً ولم يتزوّج . له كلمات سائرة . عاش إلى أن أدرك خلافة السفّاح العباسي وحظي عنده . توفي نحو سنة ١٣٣ هـ .
راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٢٤٣ وأمالي المرتضى ٤ : ١٧٢ والأعلام للزركلي ٢ : ٢٩٧ .
(٢) خلتان : مثنى خلّة وهي الخصلة والعادة .

قليل ذنبه والذنب جمٌّ   ولكن الغنى رب غفور

١٠٨ ـ نزل جبرائيل على لقمان وخيَّره بين النبوة وبين الحكمة ، فاختار الحكمة ، فمسح جبرائيل جناحه على صدره ، فنطق بها ، فلما ودعه قال : أوصيك بوصية فاحفظها ، يا لقمان ، لئن تدخل يدك إلى مرفقك في فم التنين خير لك من أن تسأل فقيراً قد استغنى .

١٠٩ ـ قال الحجاج لابن القرية[١] : أي المال أنفع ؟ قال الذي قدمته في وجهه إلى الله في صحة البدن .

١١٠ ـ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تنفق فإن مالك عريض ؟ قال : الدهر أعرض منه .

ودفع إلى سائل درهماً فاستقله ، فقال : أما علمت أن الدرهم عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ؟ أما ترى كيف ارتفع الدرهم حتى بلغ ما بلغ .

١١١ ـ قرىء عند المنصور قوله تعالىٰ : ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾[٢] . فقال : حد الله النفقة فنهى عن الإسراف والتقتير ، وأمر بالقصد والتقدير .

١١٢ ـ علي عليه السلام : إن المال والبنين حرث الدنيا ، والعمل الصالح حرث الآخرة ، وقد يجمعهما الله لأقوام .

١١٣ ـ الحسن : رحم الله عبداً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً .

---

(١) ابن القِرِّيَّة : هو أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي . خطيب بليغ يضرب به المثل . يُقال : أبلغ من ابن القرية . والقريّة أُمّه . كان أعرابياً أمياً يتردد إلى عين التمر (غربي الكوفة) . توفي سنة ٨٤ هـ .
راجع ترجمته في ابن الأثير حوادث سنة ٨٤ ووفيات الأعيان ١ : ٨٢ وابن عساكر ٣ : ٢١٦ وتاريخ الإسلام ٣ : ٢٣٤ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧ .

ـ وعنه رحمه الله : إن المؤمن قد أخذ عن الله أدباً حسناً ، فإذا وسع عليه وسع على عياله ، وإذا قتر عليه قتر عليهم . فقال داود بن أبي هند : نفقات ننفقها نجد منها بداً من الطعام واللباس والطيب . قال : أيها الرجل ، أوسع على أهلك مما وسع الله عليك .

١١٤ ـ مالك بن خريم الهمداني جدّ مسروق بن الأجدع :

أنبئت والأيام ذات تجارب	وتبدي لك الأيام ما لست تعلم
أن ثراء المال ينفع ربه	ويثني عليه الحمد وهو مذمم
وإن قليل المال للمرء مفسد	يحز كما حز القطيع المحزم
يرى درجات المجد لا يستطيعها	ويقعد وسط القوم لا يتكلم

١١٥ ـ علي عليه السلام في ذكر آخر الزمان : ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حله .

ـ وعنه : الفقر الموت الأكبر .

ـ وعنه : يا ابن آدم ، ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك .

ـ وعنه : من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه .

ـ وعنه : إذا أملقتم[١] فتاجروا الله بالصدقة .

ـ وعنه : أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجار . يعني يبتغون المال ولا يريدون الدين .

١١٦ ـ عمر رضي الله عنه : ما يأتيني الموت على حال أحب إليَّ من أن يأتيني وأنا بين دفتي رحلي أبغي على عيالي .

١١٧ ـ قيل لميمون بن مهران : إن هٰهنا أقواماً يقولون : نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا . فقال : هؤلاء حمقى ! إن كان لهم يقين مثل يقين

---

(١) أملق : أنفق ماله حتى افتقر .

إبراهيم خليل الرّحمٰن فليفعلوا .

١١٨ ـ سفيان : يعجبني الرجل يموت ولا يترك كفناً .

١١٩ ـ اشترى سلمان وسقاً من طعام وهو ستون صاعاً ، فقيل له ، فقال : النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت .

١٢٠ ـ لما افتتحت بلخ[1] في أيام عمر وجدت على بابها صخرة مكتوب فيها : إنما يبين الغني من الفقير عند الانصراف من بين يدي الله بعد العرض .

١٢١ ـ نبيه بن الحجاج :

قصر الناس بي ولو كنت ذا ما	لٍ كثيرٍ لأجلب الناس حولي
ولقالوا أنت الكريم علينا	ولحطوا إلى هواي وميلي
ولكلت المعروف كيلاً هنيّاً	يعجز الناس أن يكيلوا بكيلي

١٢٢ ـ علي عليه السلام قال لابن الحنفية : يا بني إني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل داعية للمقت.

ـ وعنه : إن الله فرض في أموال الأغنياء ، أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلاّ بما متّع غني ، والله سائلهم عن ذلك .

ـ وعنه : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى .

ـ وعنه : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ! وأحسن منه نية الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله .

ـ وعنه : من مات تعباً من كسب الحلال مات والله عنه راضٍ .

ـ عامر : أحب الناس إلى الله الفقراء ، وكان أحب خلقه إليه الأنبياء فابتلاهم بالفقر .

---

(١) بَلْخُ : مدينة مشهورة بخراسان . تقدم تحديدها . راجع معجم البلدان ١ : ٤٧٩ .

١٢٣ ـ قعود المرء عن الكسب إلحاف بالمسألة .

١٢٤ ـ إبراهيم بن أدهم : اكتسب فإنك إن لم تفعل احتجت فداهنت الناس للطمع ، فخالفت حينئذ الحق وأهله .

١٢٥ ـ قيل لعروة بن الورد[1] عروة الصعاليك[2] ، لأنه كان إذا شكا إليه فتى من فتيان قومه الفقر أعطاه فرساً ورمحاً ، وقال : إن لم تستغن بهما فلا أغناك الله يا فتى .

١٢٦ ـ [شاعر] :

لا تنظرن إلى ذوي الـ ـمال المؤثل والرياش
فتظل موصول النها ر بحسرةٍ قلق الفراش
وأنظر إلى من كانِ دو نك أو نظيرك فِي المعاش

---

(١) عروة بن الورد : من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها . كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إيّاهم وقيامه بأمرهم إذا اخفقوا في غزواتهم . قال عبد الملك بن مروان : من قال إن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد . له ديوان شعر . توفي نحو سنة ٣٠ قبل الهجرة .
راجع ترجمته في جمهرة أشعار العرب ١١٤ والشعر والشعراء ٢٦٠ والتبريزي ٤ : ١٢١ .

(٢) الصعاليك من الشعراء : مصطلح كان يطلق في الجاهلية على من كان ديدنهم شن الغارات وقطع الطرق وهم ثلاثة أصناف :
١ ـ الشذّاذ الذين حرمتهم قبائلهم الانتساب إليها لكثرة جرائرهم مثل حاجز الأزدي ، وقيس بن الحدادية ، وأبي الطمحان القيني .
٢ ـ أبناء الحبشيات الذين حرمهم آباؤهم الانتساب إليهم بسبب عار ولادتهم وسواد لونهم مثل السليك بن السلكة وتأبّط شرّا ، والشنفرى ويسمّون «أغربة العرب» .
٣ ـ محترفو الصعلكة مثل عروة بن الورد العبسي . وقد يكون محترفو الصعالكة قبيلة برّمتها مثل هُذَيْل وفَهْم . وتتضمّن أشعارهم جميعاً صيحات الجوع والفقر والثورة على الأغنياء والبخلاء ويمتازون بالشجاعة والصبر وسرعة العدو .

١٢٧ ـ الفضل بن عبد الرّحمٰن المطلبي :

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غدٍ لكل غدٍ رزق من اللّه واجب

١٢٨ ـ أنس : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ، سعر لنا . فقال : إن الله الخالق القابض الرازق المسعر ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني بمظلمة ظلمت بها من أهل ولا مال . دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض .

١٢٩ ـ المرار بن سعيد الفقعسي :

إذا افتقر المرار لم ير فقره وإن أيسر المرار أيسر صاحبه

١٣٠ ـ أبو مسلم الحلق البصري :

عجبت لحملي المفتا ح إمسائي وإصباحي
وما ساوى الذي في منـ ـزلي قيمة مفتاحي

١٣١ ـ محمد بن البعيث بن الحليس الربعي :

كم قد قضيت أُموراً كان أهملها غيري وقد أخذ الأفلاس كالظكم
سأكسب الحمد في عسرٍ وفي يسرٍ إن الجواد الذي يسخو على العدم

١٣٢ ـ هارون بن جعفر الطالبي :

بوعدت همتي وقورب مالي ففعالي مقصر عن مالي
لو أعان السماح مني وقر لزكت لي مروءتي وفعالي
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناعٍ وهو من بين ما اكتسوا سربالي
ولقد تعلم الحوادث أني ذو اصطبار على صروف الليالي (١)

١٣٣ ـ يزيد بن محمد بن يزيد المهلبي في مرثيه المتوكل :

قد كنت أسرف في مالي ويخلفه فعلمتني الليالي كيف أقتصد

---

(١) صروف الليالي : مصائبها وأحداثها ونكباتها وتقلّبها .

١٣٤ ـ اليوسفي الكاتب :

تكسبت بعـد الفقـر مـا لم تمنـه ولا دونـه فيمـا مضى أنت تـأمـل
ونفســك تلك النفس أيـام فقـرهـا وأنت بها ما عشت في النـاس تسفل

١٣٥ ـ النمر بن تولب :

خـاطر بنفسـك قد تصيب غنيمـةً إن الجلوس مـع العيـال قبيـح
فـالمـال فيـه نجلةٌ ومهـابـةٌ والفقـر فيـه مـذلـة ونصـوح

١٣٦ ـ [شاعـر] :

فلم أر بعـد الـدين خيـراً من الغنى ولم أرَ بعـد الكفـر شـراً من الفقـر
ولـم أرَ زين الـمـال إلَّا امتهـانـه وتنفيـذه في أوجـه الحمـد والأجـر

١٣٧ ـ أنس بن إناس :

ويـاهَ تميمـاً بـالغنى أن للغنـى لسـانـاً بـه المرء الهيـوبـة ينـطق

١٣٨ ـ أعرابي من باهلة :

وإن الغنى في أهله بـورك الغنى بـغيـر لـسـان نـاطـق بـلسـان

١٣٩ ـ كان لعمر بن عبد العزيز سفينة تحمل فيها الـطعام من مصـر إلى المـدينة ، وهـو واليهما فحـدثه محمـد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ : أيمـا عامل تجر في رعيته هلكت رعيته . فأمـر بما في السفينـة فتصدق بـه ، وفكها وتصدق بخشبها على المساكين .

١٤٠ ـ عمـر بن عبد العـزيز : إذا اشتـرى أحـدكم الشيء فليستجـده ، فإنه إنما يغبن عقله لا درهمه .

١٤١ ـ كان أبو بكر رضي الله عنه إذا خرج في تجارة أخذ بضائع لضعفة قريش فيبيعها لهم ويشتري . ولا يرزأهم[1] شيئاً .

---

(١) رزأ الرجل ماله : نقصه . وارتزأ الشيء : انتقص .

١٤٢ ـ وقف علي عليه السلام على تمّار[1]، فإذا هو بخادم تبكي عنده ، فقال لها : ما يبكيك؟ قالت: باعني هذا تمراً بدرهم ، فرده عليَّ مولاي ، فأبى أن يأخذه مني . قال : أعطها درهمها وخذ تمرك فإنها خادم ليس لها أمر . فدفعه التمار ، فعرف أنه أمير المؤمنين ، فصب التمر وأعطاها الدرهم ، وقال : ارضَ عني يا أمير المؤمنين ، قال : أنا راضٍ إن وفيت المسلمين حقوقهم .

١٤٣ ـ أول من وضع لسان الميزان عبد الله بن عامر ، وكان الناس يزنون بالشاهين .

١٤٤ ـ كان علي عليه السلام يمر في السوق على الباعة ، فيقول لهم : أحسنوا ، أرخصوا بيعكم على المسلمين فإنه أعظم للبركة .

١٤٥ ـ كان غلام من أهل مكة لازماً للمسجد ، فافتقده ابن عمر رضي الله عنه ، فمشى إلى بيته ، فقالت أُمه : هو على طعيم له يبيعه ، فلقيه فقال له : مالك وللطعام ؟ فهلا إبلاً ! فهلا بقراً ! فهلا عنزاً ! إن صاحب الطعام يحب المحل ، وصاحب الماشية يحب الغيث .

١٤٦ ـ وقف رجل على تاجر يحلف ، فقال : يا عبد الله ، اتق الله ولا تلقح سلعتك بالأيمان ، فإنه لا يأتيك إلَّا ما كتب لك .

١٤٧ ـ كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ويجالسهم ويتحدث إليهم ، فكان رسول الله ﷺ يكنيه أبا المساكين .

١٤٨ ـ من استغنى بالله افتقر إليه الناس .

١٤٩ ـ [شاعر] :

رضينا قسمة الرّحمٰن فينا   لنا أدب وللثقفي مال

---

(١) التمّار : بائع التمر .



الباب التاسع والسبعون

المدح ، والثناء ، وطيب الذكر ، والحث على اكتسابه ، وما مدح به من المساعي الكريمة والخصال الحميدة

١ ـ النبي ﷺ : إذا رأيتم المداحين فاحثوا[1] في وجوههم التراب ، قال العتبي : هو المدح بالباطل والكذب ، أما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به . وقد مدح أبو طالب والعباس رسول الله ﷺ ، وحسان وكعب وغيرهم ، ولم يبلغنا أنه حث في وجه مادح تراباً . ومدح هو ﷺ المهاجرين والأنصار . ومدح هو ﷺ نفسه فقال : أنا سيد ولد آدم . وقال يوسف عليه السلام : إني حفيظ عليم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا أثنيت على الرجل بما فيه في وجهه لم تزكه .

وفي حثو التراب معنيان : أحدهما التغليظ في الرد عليه ، وثانيهما أن يُقال له : بفيك التراب .

٢ ـ وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مدح قال : اللَّهمَّ أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللَّهمَّ أجعلني خيراً مما يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون .

٣ ـ أبو بكرة عن أبيه : مدح رجل رجلاً عند رسول الله ﷺ ، فقال : ويحك قطعت عنق صاحبك . ثم قال : إن كان أحدكم مادحاً صاحبه

---

(١) حثا التراب : صبّه .

فليقل : أحسب فلاناً ولا أزكي على الله أحداً .

٤ ـ أُثني على رجل عند رسول الله ﷺ فقال : قطعتم ظهره ، لو سمعها ما أفلح بعدها .

٥ ـ أبو خلف خادم رسول الله ﷺ : إذا مدح الفاسق اهتز العرش ، وغضب الرب .

٦ ـ مطرف : ما مدحني أحد إلّا تصاغرت في نفسي .

٧ ـ سارية بن زنيم الديلي ، وهو الذي ولاه عمر فارس وقال : يا سارية الجبل :

فما حملت من ناقةٍ فوق رحلها   أبرّ وأوفى ذمة من محمد(١)

وهو أصدق بيت قالته العرب .

٨ ـ من أحسن ما مدح به رسول الله ﷺ قول عبد الله بن رواحة(٢) :

لو لم تكن فيه آيات مبينةٌ   كانت بديهته تنبيك بالخبر

٩ ـ فضيل(٣) : إذا كان قول الناس أنت رجل صدق أحب إليك من قولهم أنت رجل سوء فأنت والله رجل سوء .

ـ وعنه : من ذا الذي يتكلم فلا يحب أن يجود الناس كلامه .

---

(١) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها للركوب ، شبيه بالسرج للحمار .

(٢) عبد الله بن رواحة : صحابي ، يُعدّ من الأمراء والشعراء الراجزين .

كان يكتب في الجاهلية . وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار . وكان أحد النقباء الاثني عشر . شهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية . استخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته وصحبه في عمرة القضاء . استشهد في وقعة مؤته (بأنى البلقاء من أرض الشام) وذلك سنة ٨ هـ .

راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٢ والإصابة الترجمة ٤٦٦٧ وحلية الأولياء ١ : ١١٨ .

(٣) فضيل : هو الفضيل بن عياض بن مسعود . توفي سنة ١٨٧ . تقدّمت ترجمته .

١٠ ـ ابن عائشة[1] : قلت لأبي : إن الناس يكثرون في عمر بن عبد العزيز . فقال : يا بني ، إن الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات .

١١ ـ مطرف : كنت جالساً عند مذعور ، فمر رجل فقال : من سره أن ينظر إلى رجلين من أهل الجنة فلينظر إلى هذين . فعرفت الكراهة في وجهه ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : اللَّهمَّ إنك تعلمنا ولا يعلمنا .

١٢ ـ قال ابن عباس لعمر رضي الله عنه حين طُعن : أبشر أمير المؤمنين بالجنة . قد أسلمت حين كفر الناس ، وقاتلت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، ومات نبي الله وهو عنك راضٍ ، ولا يختلف في خلافتك رجلان ، ثم قتلت شهيداً . فقال عمر : إن من تغرونه لمغرور ، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع .

١٣ ـ علي بن هارون بن يحيى المنجم يمدح علياً رضي الله عنه :

وهل خصلة من سؤدد لم يكن بها ... أبو حسن من بينهم ناهضاً قدما
فما فاتهم منها به سلموا له ... وما شاركوه كان أوفرهم قسما

١٤ ـ الحسن : تراهم يهدرون عنده هدير الفحالة ، أنت والله ، أنت والله ، وتراه مقنعاً ساكناً ، يحسب الحميق أنه كما يُقال له .

١٥ ـ علي عليه السلام في الأنصار : هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو[2] ، مع غنائهم بأيديهم السباط ، وألسنتهم السلاط .

١٦ ـ مدح هشام بن عبد الملك فقال : يا هذا إنه قد نهي عن مدح الرجل في وجهه ، فقال له : ما مدحتك ، وإنما أذكرتك نعم الله عليك

---

(١) ابن عائشة : هو عبد الرحمٰن عبيد الله بن محمد التيمي ، أديب عالم بالحديث والسيرة ، من أهل البصرة . توفي سنة ٢٢٨ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) الفلو : الجحش والمهر فُطِما أو بلغا السنة جمع أفلاء مؤنث فلوة .

لتجدد له شكراً . فقال هشام : هذا أحسن من المدح ، ووصله وأكرمه .

١٧ ـ كتب رجل إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان : رأيتني فيما أتعاطى من مديحك كالمخبر عن النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، وأيقنت أني حيث أنتهي من القول منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فانصرفت من الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الأخبار عنك إلى علم الله بك .

١٨ ـ قال قتيبة لنهار بن توسعة : لست تقول كما كنت تقول في آل المهلب . قال : إنهم كانوا والله أهدافاً للشعر . قال : هذا والله أمدح مما قلت فيهم .

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
فلا من بغاة الخير في عينه قذىً ... ولا من زئير الحرب في أُذنه وقر[1]

١٩ ـ أعرابي : ما يذم بلد تأويه ، ولا يشكى زمان أنت فيه .

٢٠ ـ آخر : كان والله إذا ضيع الأُمور مضيعها ، وانصرف عن الحسنى ضجيعها ، يهين نفساً كريمة على قومها ، غير مبقية لغدها ما في يومها ، وكان أماراً بالخير ، نهاء عن المنكر .

٢١ ـ قيل : إن فلاناً يحسن القول فيك . قال : سأكافئه ، قيل : بماذا ؟ قال : بأن أحقق قوله .

٢٢ ـ كان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العتكي ، فلما قدم على عبد الملك وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم ، لم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه .

٢٣ ـ بعض إياد :

وأي فتى صبَر على الأين والضما ... إذا اعتصروا واللوح ماء فظاظها

(١) الوقر : الثقل في السمع .

إذا ضرجوها ساعة بدمائها   وحلّ عن الكوماء عقد شظاظها[1]
فإنك ضحاك إلى كل صاحبٍ   وأنطق من قس غداة عكاظها[2]

٢٤ ـ أعرابي : كان فلان قوالاً للحق ، قواماً بالقسط .

٢٥ ـ قال رجل لآخر : أنت بستان الدنيا . فقال : وأنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان .

٢٦ ـ وقال رجل لأبي عمر الزاهد صاحب كتاب الياقوتة في اللغة : أنت والله عين الدنيا . فقال : وأنت بؤبؤ تلك العين .

٢٧ ـ قال أعرابي ليحيى بن خالد : لولا ما أمسكت من رمق المكارم لقامت عليه المآتم .

٢٨ ـ آخر : فلان حتف الأقران يوم النزال ، وربيع الضيفان عشية النزول .

٢٩ ـ آخر : فلان بحره مفعم ، وخصمه مفحم .

٣٠ ـ آخر : هو نبعة[3] أرومته ، وأبلق[4] كتيبته ، ومدرةُ[5] عشيرته . ونابهم الذي عنه يفترون ، وبابهم الذي إليه يضطرون .

٣١ ـ آخر : ذاك والله مضغة من ذاقها لفظها ، وأنه مع ذلك عذب في أفواه الأصدقاء .

٣٢ ـ آخر : ذاك والله مضغة من ذاقها لفظها ، وأنه مع ذلك عذب في أفواه كان ماضياً .

---

(١) الكوماء : الناقة العظيمة السنام .
(٢) قسّ : هو قسّ بن ساعدة الأيادي . كان يخطب في سوق عكاظ .
(٣) الأرومة : الأصل . يُقال هو من نبعة كريمة ، أي من أصل كريم .
والنبع هو شجر تؤخذ من عيدانه الأقواس .
(٤) أبلق كتيبته : رئيسها . والأبلق في الأصل ما كان في لونه سواد وبياض .
(٥) مدره العشيرة : سيّدها الذي يذود عنها .

٣٣ ـ القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قوم إذا نزل الحريب بدارهم ردوه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهمُ ليوم كريهةٍ سدوا شعاع الشمس بالخرصان
لا ينقرون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان

٣٤ ـ أنو شروان : من أثنى عليك بما لم توله فغير بعيد أن يعضهك(١) بما لم تجنه .

٣٥ ـ وهب(٢) : من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

٣٦ ـ ما مدح أحد إلّا نزا به الشيطان إلّا أن المؤمن يراجع .

٣٧ ـ أيوب السختياني : لو لم نلق الله إلّا بذنب ما يقوله الناس فينا ، ويثنون علينا فنرضى به ، للقيناه بهلكة إلّا أن يغفر الله .

٣٨ ـ النبي ﷺ : قال لي جبرائيل صلوات الله عليه : يا محمد ، من أولاك يداً فكافه ، فإن لم تقدر فأثن عليه .

٣٩ ـ وكان يقول لعائشة : أبياتك ، أبياتك ، فتنشد :

ارفع ضعيفك لا تحزنك ضعفته يوماً فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

٤٠ ـ يُقال : هذه المدحة فأين المنحة ؟ .

٤١ ـ [شاعر] :

إذا ما المدح سار بلا نوالٍ من الممدوح كان هو الهجاء

---

(١) عضه : كذب . والعِضة : الكذب . والعضيهة : البهتان والكلام القبيح .
(٢) وهب : هو وهب بن منبه . توفي سنة ١١٤ هـ . تقدّمت ترجمته .

٤٢ ـ قيل : توضحت جباه التواريخ بغرره ، وافتتحت صفحات الدواوين بسيره .

٤٣ ـ إنما تمدح عبدك ، وتنشر بردك ، وتقرظ مُلكك ، وتفتق مسكك . تقوله لكبير يثني عليك .

٤٤ ـ أوتي فلان خصال الرهان ، وأصل البرهان ، الأثنية مخيمة بفنائه مطنبة[1] ، والألسنة مسهبة في أطرائه مطنبة ، له عنت نواصي المحامد ، وأذعنت عواصي المكارم .

٤٥ ـ يزيد بن المهلب : الحياة أحب شيء إلى الإنسان ، والثناء الحسن أحب إلي من الحياة ، ولو أني أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن يكون لي أذن أسمع بها ما يُقال غداً إذا مت كريماً.

٤٦ ـ ابن عباس في علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كان والله يشبه القمر الباهر ، والأسد الخادر[2] ، والفرات الزاخر ، والربيع الباكر . فأشبه من القمر ضوءه وبهاءه ، ومن الأسد شجاعته ومضاءه ، ومن الفرات جوده وسخاءه ، ومن الربيع خصبه وحياءه .

٤٧ ـ قيل لناسك : كيف أصبحت ؟ قال : بنعمة من الله ، وثناء من الناس لم يبلغه عملي .

٤٨ ـ كعب بن زهير في رسول ار ﷺ .

تحمله ناقته الأدماء محتجراً   بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم[3]
وفي عطافيه أو أثناء ريطته   ما يعلم الله من دين ومن كرم

٤٩ ـ قطن بن حارثة العليمي فيه عليه السلام :

---

(١) مطنبة : مرفوعة ومشدودة بالطّنب وهي الحبال .
(٢) خدر الأسد : لزم مكانه . والخِدر : أجمة الأسد وتكون مظلمة .
(٣) الأدماء : السمراء . والأُدمة : السّمرة .

رأيتــك يـا خيــر البـريــة كلهــا	تبث نضـاراً في الأرومة من كعب
أغــر كـأن البــدر يشبــه وجهــه	إذا ما بدا للناس في حلل العصب[1]
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها	ورشت اليتامى في السغابة والجدب[2]

٥٠ ـ زياد بن أبيه : من مدح رجلاً بما ليس فيه ، فقد بالغ في هجائه .

٥١ ـ المأمون : الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق ، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد .

٥٢ ـ سئل حكيم عن أحسن شيء في العالم ، فقال : حسن الذكر .

٥٣ ـ كان أبو عبيد الله الوزير يقول : ما رأيت أجمع من خالد ، له جمال أهل الشام ، وشجاعة أهل خراسان ، وأدب أهل العراق ، وكتابة أهل السواد[3] .

٥٤ ـ حكى الجاحظ عن إبراهيم ، قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها ـ كان لا يجف لبده ، ولا يستريح قلمه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس ، وإدخال السرور والمرافق على الضعفاء ، وكان عفيف الطعمة مفوهاً ـ : خبرني عما هون عليك النصب ، وقواك على التعب ، فقال : والله لقد سمعت غناء الأطيار بالأسحار على الأشجار ، وسمعت خفق الأوتار ، وتجاوب العود والمزمار ، فما طربت من صوت حسن كطربي من ثناء حسن على رجل قد أحسن . فقلت له : لله أبوك ! لقد حشيت كرماً .

٥٥ ـ أوس بن لام في حاتم :

---

(١) الأغر : الأبيض الوجه الكريم . والعَصب : ضرب من البرود .

(٢) السغابة : الجوع . وسغب : جاع فهو ساغب جمع سغاب . والجدب : القحط .

(٣) السواد : رستاق العراق وضياعها التي فتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب . وحدّ السواد من حديثة الموصل إلى عبادان طولاً ومن العذيب إلى حلوان عرضاً .

فإن تنحكي ماوية الخير حاتماً فما مثله فينا ولا في الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أعظم همه فكاك أسير أو معونة غارم

٥٦ ـ ابن حمدون :

آل المهلب معشر أنجاد ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
شاد المهلب ما بنى آباؤه وأتى بنوه ما بناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبتة وبنى له الأباء والأجداد

٥٧ ـ مدح خالد بن صفوان إبراهيم بن الأهتم فقال : كان يقري العين جمالاً والأذن بياناً .

٥٨ ـ أعرابي في مدح قومه : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم ، فالخير بهم زائد ، والجود لهم شاهد ، يعطون أموالهم بطيب أنفس إذا طلبت إليهم ، ويباشرون المكروه باشراق أوجه إذا بغي عليهم .

٥٩ ـ قيل للجمل المصري : هلا مدحت سليمان بن وهب وهو وال ! ومدحته وهو معزول . فقال : عزله أكرم من ولاية غيره ، وإنما أمدح كرمه لا عمله ، وكرمه معه عمل أم عزل .

٦٠ ـ الرشيد : جعفر بحر لا ينزح ، وجبل لا يزحزح .

٦١ ـ الجاحظ : بقتك فيل ، وحصاتك جمل .

٦٢ ـ كتب رسطاليس إلى الإسكندر: أما التعجب من مناقبك فقد نسخه تواترها فصارت كالشيء القديم الذي قد نسي ، لا كالحديث الذي ينعجب منه .

٦٣ ـ كتب إبراهيم بن المهدي إلى أحمد بن يوسف : لعن الله زماناً أخرك عمن لا يساوي كله بعضك .

٦٤ ـ قالت امرأة عمران بن حطان[1] : أما زعمت أنك لا تكذب في

---

(١) عمران بن حطان : هو رأس القعدة ، من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم . كان قبل=

شعر قط ؟ فقال : أوَ فعلت ؟ قالت : أنت القائل :

فهناك مجزأة بن ثو ... ر كان أشجع من أُسامة

أيكون رجل أشجع من أسد ؟ قال : أنا رأيت مجزأة فتح مدينة ، والأسد لا يفتح مدينة .

٦٥ ـ سلم الخاسر[1] في الفضل بن يحيى البرمكي :

سأرسل بيتاً قد وسمت جبينه ... يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندى والبأس في كل منزلٍ ... أقام به الفضل بن يحيى بن خالد

٦٦ ـ كان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة[2] ، فلما سجن ونقب له السجن ، فسار هو وابنه تحت الأرض ، قال :

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ... ولم يبق إلاَّ بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعد ما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا

= ذلك من رجال العلم والحديث من أهل البصرة . أدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم وروى أصحاب الحديث عنه . ثم لحق بالشراة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك بن مروان فرحل إلى عُمان فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه فلجأ إلى قوم من الأزد فمات عندهم أباضياً سنة ٨٤ هـ .
راجع ترجمته في الإصابة الترجمة ٦٨٧٧ والكامل للمبرد ٢ : ١٢١ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٦ .

(١) سلم الخاسر : هو سلم بن عمرو بن حماد ، شاعر ، خليع ، ماجن ، من أهل البصرة ، من الموالي . سكن بغداد . له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين ، وله أخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية . شعره رقيق رصين . قيل : سمّي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً .
راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٩٨ وتاريخ بغداد ٩ : ١٣٦ .

(٢) عمر بن هبيرة : أمير من الدهاة الشجعان . كان رجل أهل الشام . له أخبار مع الحجاج وعبد الملك بن مروان . ولّاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة . وولّاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان . توفي نحو سنة ١١٠ هـ . راجع الأعلام ٥ : ٦٨ .

فقال ابن هبيرة : ما أريت أشرف من الفرزدق ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

اتفقت الألسن على تقريظه إجماعاً يدخل فيه صديقه بالامتيار وعدوه بالاضطرار .

٦٧ ـ الأصبغ بن عبد العزيز في عبد العزيز بن المطلب المخزومي :

إذا قيل من للعدل والحق والنهى   أشارت إلى عبد العزيز الأصابع
أشارت إلى حرّ المحاتد لم يكن   ليدفعه عن حوزة المجد دافع[1]

٦٨ ـ سوار بن أبي زهدم :

بني تيم بن مرة إن فيكم   مكارم لسنَ في أحدٍ سواكم
سبيلكمُ إلى المعروف نهجٌ   ولم تحلل إلى جهل حباكم

٦٩ ـ داود بن روح المهلبي في الرشيد :

له همان ما قسما هواه   جهاد الروم والبيت الحرام
ينام الناس أمناً في ذراه   ويكلؤهم بعين لا تنام

٧٠ ـ السري بن عبد الرّحمٰن المدني في يزيد بن حاتم بن قبيصة :

يا واحد العرب الذي دانت له   قحطان قاطبة وساد نزارا
إني لأرجو إن رأيتك سالماً   أن لا أعالج بعدك الأسفارا

٧١ ـ عبد الله بن خارجة الشيباني في عبد الملك بن مروان :

رأيتك أمسي خير بني معدٍ   وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غداً تزيد الخير فضلاً   كذاك يزيد سادة عبد شمس

٧٢ ـ عبد الله بن حمزة بن فروة :

أنت المهذب من قريش والذي   لفروعه فوق الفروع بسوق

---

(١) المحاتد : جمع محتد وهو الأصل .

ولكـل بـاب نـدى بكفـك مفتـح ... ولكــل معـروف عليــك طــريق
وإذا المنـاسب حصلتك تعـطفت ... من كـل ذي كـرم عليـك عـروق

٧٣ ـ كعب بن مالك الأنصاري :

يــا هـاشمــاً إن الإلــه حبــاكمُ ... مـا ليس يبلغـه اللسـان المفصـل
قــوم لأصـلهمُ الـسيــادة كـلهــا ... قـدمـاً وفـرعهمُ النبي المـرسـل

٧٤ ـ عمرو بن هند النهدي :

ألم تــر أولاد الـزبيــر تحـالفــوا ... على المجد ما صامت قريش وصلّت
قــريش غيــاث في السنين وأنتمُ ... غياث قريش حيث سارت وحلّتِ

٧٥ ـ الحطيئة العبسي :

فــأثنـوا علينــا لا أبــاً لأبيكمُ ... بـإحساننـا إن الثناء هـو الخلد

٧٦ ـ الحسين بن دعبل الخزاعي :

ملك الأُمـور بجوده وحسـامـه ... شـرفـاً يقـود عـدوّه بـزمـامــه
فـأطاع أمـر الجود في أمـوالـه ... وأطـاع أمـر اللّه في أحكـامـه
أمن البـلاد وأهلهـا في سلمـه ... ومخاوف الثقلين في استلئامه(١)

٧٧ ـ معصب بن عبد الله بن مصعب الزبيري في الحسن بن سهل :

لن ينفـذ الكلم المثني عليك بـه ... مـا فيك من كـرمٍ أو ينفذ الكـرم

٧٨ ـ آخــر :

يلقى السيـوف بـوجهــه وبنحـره ... ويقيم هــامتـه مقــام المغفــر(٢)
ويقول للطرف اصطبـر لشبا القنـا ... فعقرت ركن المجد إن لم تعقر(٣)

---

(١) الثقلان : هما الإنس والجن .
(٢) الهامة : أعلى الرأس . والمغفر : زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة والجمع مغافر .
(٣) الطِرف : الكريم من الخيل . وشبا السيف : حدّه .

وإذا تـأمـل شخص ضيفٍ مقبـل   متسـربـل سـربـال ليـل أغبـر[1]
أومـا إلى الكـومـاء هـذا طـارق   نحـرتنيَ الأعـداء إن لم تنحـري

٧٩ ـ عبد الملك بن مروان في الأشدق : كان والله ذا طيّ لسره ، غرماً بماله ، فارغ القلب لفهم من حدثه ، مشغول اللب بمعرفة ما أشكل عليه .

٨٠ ـ قيل لبعض العلماء : إن الناس يكثرون في أمر عمر بن عبد العزيز ، فقال : كان يُقال : إن الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات .

٨١ ـ قال رجل لرسول الله ﷺ : إني أحب أن أحمد ، كأنه يخاف على نفسه ، فقال : وما منعك أن تحب أن تعيش حميداً أو تموت فقيداً .

---

(١) الليل الأغبر : كناية عن اشتداد المعارك فيه وتصاعد الغبار في السماء حتى يصبح بلون الغبرة .



البـــاب الثمانون

الملح ، والمداعبات ، والمضاحك ، وما جاء من النهي عن المزاح ، والترخيص فيه ، ونحو ذلك

١ ـ النبي ﷺ : المزاح استدراج من الشيطان ، واختداع من الهوى .

٢ ـ كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله. امنعوا الناس من المزاح ، فإنه يذهب بالمروءة ، ويوغر[1] الصدور .

٣ ـ علي عليه السلام : ما مزح امرؤ مزحة إلاَّ مج من عقله مجة .

ـ وعنه : إياك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك .

٤ ـ مزح رجل عند الحسن فقال : إنما هو عمرك فاقطعه بما شئت .

٥ ـ حكيم : تجنب شؤم الهزل ، ونكد المزح ، فإنما هما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلاَّ بعد عسر ، وفحلان إذا لقحا لم ينتجا غير فقر .

٦ ـ آخر : لكل شيء بذر ، وبذر العداوة المزاح .

٧ ـ الحسن : ضحك المؤمن غفلة من قلبه .

٨ ـ السري بن يحيى : ما رأيت الحسن ضاحكاً قط إلاَّ مرة ، ولا تبسم إلاَّ أتبعها بعبرة .

---

(١) الوغر : الحقد والضغينة .

٩ ـ سئل النخعي : كان أُصحاب رسول الله يضحكون ؟ قال : نعم ، والإيمان في قلوبهم أمثال الجبال الرواسي .

١٠ ـ محمد بن المنكدر[١] : قالت لي أُمي : لا تمازح الصبيان فتهون عليهم[٢] .

١١ ـ غزوان بن غزوان الرقاشي قال : لله عليَّ أن لا يراني ضاحكاً حتى أعلم أي الدارين أرد ، فما رؤي ضاحكاً حتى لحق بالله تعالىٰ .

١٢ ـ إبراهيم : رآني فضيل ضاحكاً ، فقال : يا إبراهيم ، ألا أحدثك حديثاً حسناً ؟ قلت : بلى ، رضي الله عنك ، قال : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .

١٣ ـ خرج أعرابي في الليل فإذا هو بجارية مليحة ، فراودها ، فقالت : يا هذا ، أما لك زاجر من عقل إن لم يكن لك واعظ من دين ؟ قال : والله ما ترانا إلَّا الكواكب . قالت : فأين مكوكبها[٣] ؟ فأخجله كلامها فقال : إنما كنت أمزح ، فقالت الجارية :

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجري عليك الطِفل والدنس النذلا[٤]
ويذهب ماء الوجه بعد احتقانه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

١٤ ـ يزيد بن معاوية قال على منبره : ثلاث يخلقن العقل : سرعة

---

(١) محمد بن المنكدر : هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزّى القرشي التيمي المدني ، زاهد ، من رجال الحديث ، من أهل المدينة . أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . قال ابن عيينة : ابن المنكدر من معادن الصدق . توفي سنة ١٣٠ هـ .
راجع ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ٥ : ١٥٥ وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٧٣ .
(٢) تهون عليهم : تصغر في عيونهم .
(٣) مكوكبها : أي خالقها .
(٤) الطِفل : الصغير من كل شيء ، والدنس : الوسخ والتلطّخ بالمكروه والقبح . والنذل بمعنى الدنس .

الجواب ، وطول الصمت ، والاستغراب[1] في الضحك .

١٥ ـ الأحنف : كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عرف به .

١٦ ـ كان الحجاج إذا استغرب ضحكاً والى بين الاستغفار .

١٧ ـ المغيرة : كنت كثير الضحك فلم يقطعه عني إلاَّ قتل زيد بن علي .

١٨ ـ ذكر المزاح عند خالد بن صفوان فقال : يصك أحدكم أخاه بأصلب من الجندل ، ينشقه أحدّ من الخردل ، ويفرغ عليه أحر من المرجل ، ثم يقول : إنما أمازحك .

١٩ ـ لقي يحيى عيسى عليه السلام ، فتبسم عيسى في وجه يحيى فقال : ما لي أراك لاهياً كأنك آمن ؟ فقال عيسى : مالي أراك عابساً كأنك قانط ؟ فقال : لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي ، فأوحى الله عزّ وجلّ : **أحبكما إليّ أحسنكما بي ظناً** . وروي : أحبكما إليّ الطلق البسام .

٢٠ ـ عبد الله بن سالم : كان يُقال : ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير عجب .

٢١ ـ فلان معرب في المفاوهة ، مغرب في المفاكهة .

٢٢ ـ عبد الله لبنيه : إياكم والمزاح فإنه يذهب البهاء ، وإياكم والقهقهة فإنها تذهب الهيبة .

٢٣ ـ خير المزاح لا ينال ، وشره لا يُقال .

٢٤ ـ المصنف[2] : العجب ممن هو في سواء الجحيم كيف يضحك

---

(١) استغرب في الضحك : تتابع فيه وأكثر منه .

(٢) المصنّف : هو الزمخشري نفسه صاحب هذا الكتاب .

ممن هو في بحبوحة الجنة وهو يبكي . كما روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يبكي حتى يبل الأرض .

٢٥ ـ محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة : هذه الملح إنما تعجب عقلاء الرجال .

٢٦ ـ الأصمعي : شُهرت بالأدب ونلت بالملح .

٢٧ ـ علي بن الجهم[١] : ما حثت الكؤوس بالأوتار[٢] كحثها بالملح القصار.

٢٨ ـ إن الأحاديث من السمار أجلب للهو من العقار .

٢٩ ـ ركب يزيد بن نهشل بعيراً له لا يكاد ينهض ، فلما استوى عليه قال : اللَّهمَّ إنك قلت : ﴿**سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين**﴾[٣] . وإني أشهدك أني لهذا مقرن ، فنفر البعير ، وتعلقت رجله بالغرز والبعير يجمز[٤] به حتى مات .

٣٠ ـ كان جماعة من طلاب الحديث يمشون إلى شيخ لهم ، فقال خليع منهم : امشوا رويداً فإن طالب العلم يطأ على أجنحة الملائكة ، حتى لا تكسروها . فعثر عثرة عرج منها .

---

(١) علي بن الجهم : شاعر رقيق الشعر ، أديب ، من أهل بغداد . كان معاصراً لأبي تمام وخصّ بالمتوكل العباسي . ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان فأقام مدّة ، وانتقل إلى حلب . ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو فاعترضه فرسان من بني كلب فقاتلهم وجرح ومات من جراحه . توفي سنة ٢٤٩ هـ .
راجع ترجمته في طبقات الحنابلة ١٦٤ والمرزباني ٢٨٦ وتاريخ بغداد ١١ : ٣٦٧ .

(٢) الأوتار : أراد المعازف ، العود والدفّ وغيرهما من آلات العزف .

(٣) سورة الزخارف ، الآية : ١٣ .

(٤) جمز البعير : عدا وأسرع فهو جمّاز .

٣١ ـ كان بالمغرب وراق[١] ، فكتب مصحفاً في أسبوع ، فقيل له : في كم كتبته ؟ فقال : في ستة أيام وما مسنا من لغوب[٢]، فجست يده ، وهكذا من أدركه الخذلان ، وسلب التوفيق ، فاستعمل الهزل في موضع الجد والجد كله حول كتاب الله وسنة رسول الله ـ وتخطاه أن يتدبر قوله تعالىٰ : **﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾**[٣] ، وما روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتحادثون ، ويتناشدون الأشعار ، فإذا ذكر الله وذكر الدين انقلبت حماليقهم كأنهم مجانين .

٣٢ ـ أبرم الأصمعي أصحابُه ثم استزادوه ، فقال : لا والله ، ولا زغبة من عنفقة[٤] جرذ .

٣٣ ـ ظهير بن عبد مُناف الهذلي :

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاقبل وصاة أبٍ عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جاراً ولا لرفيق[٥]

٣٤ ـ مرّ أعرابي بآخر فقال : من أين أقبلت يا ابن عم ؟ قال : من الثنية ، قال : فهل أتيتنا منها بخبر ؟ قال : سل عما بدا لك ، قال : كيف علمك يحيى ؟ قال : أحسن العلم ، قال : هل لك علم بكلبي نفاعٍ ؟ قال : حارس الحي ، قال : فبأم عثمان ؟ قال : بخٍ بخٍ[٦] ، ومن مثل أم

---

(١) الوراق : الذي يتعامل بصناعة الكتب من قراءة ونسخ وغير ذلك . والوراقة قديماً كدور النشر اليوم .
(٢) لغب لغباً : تعب وأعيا أشدّ الإعياء . واللغب واللغوب : الضعيف الأحمق .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ٦٥ .
(٤) العَنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن جمع عنافق .
(٥) بلوت الأمر : أختبرته .
(٦) بخٍ : اسم فعل للمدح وإظهار الرضى بالشيء ويكرَّر للمبالغة فيقال : بخٍ بخٍ بالكسر والتنوين .

عثمان ؟ لا تدخل الباب إلاّ متحرقة بالثياب المعصفرات ، قال : بعثمان ؟ قال : وأبيك جرو الأسد ، يلعب مع الصبيان وبيده الكسوة . قال فبجملنا السقاء ؟ قال : إن سنامه ليخرج من الغبيط ،قال : فبالدار قال : وأبيك إنها خصيبة الجناب ، عامرة الفناء ، ثم قام عنه وقعد ناحية يأكل ولا يدعوه ، فمر كلب فصاح وقال : يا ابن عم ، أين هذا الكلب من نفاع ؟ قال : يا أسفاً ، نفاع قد مات . قال : وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجمل السقاء فاغتص بعظم منه فمات ، قال : إنّا لله أوَ قد مات الجمل ؟ فما أماته ؟ قال : عثر بقبر أُم عثمان فانكسرت رجله ، قال : ويل أُمك ! أماتت أُم عثمان ؟ قال إي والله ، أماتها الأسف على عثمان ، قال : ويلك ! أمات عثمان ؟ إي وعهد الله ، سقطت عليه الدار . فرمى الأعرابي بطعامه ونثره ، وأقبل ينتف لحيته ويقول : فأين أذهب ؟ قال الآخر : إلى النار ، وأقبل إلى طعامه يلتقطه ويأكله ، ويهزأ به ويضحك منه ، ويقول : لا أرغم الله إلاَّ أنف اللئام .

٣٥ ـ كان إسحاق بن فروة مزاحاً ، فقال لأعرابي يوماً وهو يمازحه: أتشهد بما لم تره عينك ؟ قال : نعم ، أشهد أن أباك فعل بأُمك ولم أر ذلك . فأفحمه ، فجعل على نفسه أن لا يمازح أحداً أبداً .

٣٦ ـ حضر مائدة يزيد بن مزيد أعرابي ، فقال : أفرجوا لأخيكم ، فقال : لا حاجة إلى إفراجكم ، إن أطنابي طوال . يريد سواعده . فلما مدّ يده حبق[(١)] ، فقال يزيد : ما أحسب إلاَّ أن طنباً من أطنابك قد انقطع .

٣٧ ـ أفلتت من معاوية ريح[(٢)] على المنبر فقال : يا أيها الناس ، إن الله خلق أبداناً ، وجعل فيها أرواحاً فما تمالك الناس أن تخرج منهم . فقام صعصعة بن صوحان فقال : أما بعد فإنّ خروج الأرواح في المتوضئات سنة ،

---

(١) حبق : ضرط .

(٢) قوله : أفلتت من معاوية ريح : أي ضرط أو فسا .

وعلى المنابر بدعة ، واستغفر الله لي ولكم .

٣٨ ـ كان للعباس بن محمد الهاشمي إبنان ، أحدهما ضخم سمين ، والآخر قميء صغير الجثة ، فقال فيهما محمد بن علي بن عبد العزيز الغربي :

كنت عند الجسر مختبئاً — حين ولّى الليل والغلس[١]
إذ أتاني راكب عجل — قد علاه البهر والنفس[٢]
قال هل جازتك قنبلة — حولها الأجناد والحرس
قلت مرّت بي قلنسوة — فوق سرج تحته فرس
حشوها شونيزة معها — دنفح في ظهره قعس[٣]

فشكا العباس إلى المأمون ، فأمر بصلبه على خشبة عند الجسر يوماً إلى الليل ، فلما أنزل ، دعا بحمال ليحمل الخشبة ، فقيل له ، فقال : أول حملان حملني عليه أمير المؤمنين لا أضيعه ، فحملها وباعها بثلاثة دراهم ، واشترى بها تيناً وعنباً لصبيانه . فرفع خبره إلى المأمون ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم .

٣٩ ـ أتكأ جحا على جارية أبيه وهي نائمة ، فقالت : من ذا ؟ فقال : اسكتي ، أنا أبي .

٤٠ ـ وقيل لسفيان الثوري : المزاح هجنة ، فقال : بل هو سنة ، لقول رسول الله ﷺ : إني لأمزح ولا أقول إلّا حقاً .

---

(١) الغلس : عتمة آخر الليل .
(٢) البهر : صعوبة التنفّس ، وهو ما يسمّى بمرض الرّبو .
(٣) شونيزة : في اللسان : الشينيز من البِزر فارسي الأصل .
والفرس يسمونه الشُّونيز . (اللسان مادة شنز) .
وقَعِسَ : خرج صدره ودخل ظهره خلقةً (ضدّ الحَدَب) فهو قَعِس جمع قعسان مؤنث قعساء جمع قُعس .

٤١ ـ قال عليه السلام لامرأة من الأنصار : الحقي زوجك ففي عينيه بياض . فسعت المرأة إلى زوجها مرعوبة ، فلما وافته قال لها : ما دهاك ؟ قالت : إن النبي ﷺ قال: إن في عينيك بياضاً . قال : إن في عيني بياضاً لا لسوء .

أتت عجوز أنصارية رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أدع لي بالمغفرة ، فقال لها : أما علمت أن الجنة لا تدخلها العجز ، فصرخت ، فتبسم رسول الله وقال : أما قرأت : ﴿**إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً**﴾[1] .

٤٣ ـ أنس : أتى رجل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أحملني ، فقال عليه السلام : إنا حاملوك على ولد ناقة . قال : وما اصنع بولد ناقة ؟ قال : وهل تلد الإبل إلاّ النوق ؟ .

٤٤ ـ ذكر نعيمان وهو بدوي ، وكان أولع الناس بالمزاح ، عند رسول الله وأنه يكثر المزاح والضحك ، فقال : يدخل الجنة وهو يضحك .

٤٥ ـ وخرج هو وسويبط بن عبد العزي مع أبي بكر في تجارة قبل وفاة رسول الله بعامين، وكان سويبط على الزاد، فاستطعمه نعيمان، فقال: حتى يجيء أبو بكر ، فمر ركب من نجران فباعه منهم على أنه عبد بعشر قلائص[2] ، وقال : إنه ذو لسان ولغة ، ولعله يقول : أنا حر ، فقالوا : لا عليك ، فوضعوا عمامته في عنقه وذهبوا به ، فأخبر بذلك أبو بكر ، فرد القلائص وخلصه ، وضحك رسول الله ﷺ وأصحابه سنة .

٤٦ ـ ورأى نعيمان مع أعرابي عكة[3] عسل فاشتراها منه ، وجاء بها

---

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٣٧ .

(٢) قلائص : جمع قلوص وهي الناقة الشابة .

(٣) العُكّة : أصغر من القربة . زقيق صغير جمع عُكك وعِكاك .

وفي الحديث : أن رجلاً كان يُهدي للنبي ﷺ العُكّة من السمن والعسل ، قال=

بيت عـائشة في يـومها ، وقـال : خذوهـا . فتوهم رسـول الله ﷺ أنه أهـداها لـه ، ومر نعيمـان وترك الأعـرابي على البـاب . فلمـا طـال قعـوده قـال : يـا هؤلاء ، ردوهـا علي إن لم يحضر ثمنهـا . فعلم رسول الله بـالقصة فـوزن لـه الثمن . وقـال لنعيمـان : مـا حملك على مـا فعلت ؟ قـالت رأيت رسـول الله ﷺ يحب العسـل ، ورأيت الأعرابي معـه العكة . فضحـك عليه السـلام ولم يظهر له نكيراً .

٤٧ ـ فـلان مغنـاطيس الصخب ، لـو نـاطقـه قيس بن عـاصم[١] لعـاد دغة ، ولو خاطبه أكثم[٢] لصار هبنقة[٣] .

٤٨ ـ هجتْ ابن أبي عتيق[٤] امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخـزومية بقولها :

ذهب الإلٰـه بمـا تـعيش بـه وقمـرت ليـلك أيمـا قـمـر
أنفقت مـالـك غيـر محتشم في خـدر زانيـة وفي خمـر

فكتب البيتين في رقعـة وأراهـا ابن عمـر . فـاسترجـع[٥] لمـا رآهـا ،

= ابن الأثير في النهايـة : هي وعاء من جلود مستـدير يختصّ بهمـا . راجع اللسـان مادة عكك .

(١) قيس بن عاصم : توفي نحو سنة ٢٠ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) أكثم : هو أكثم بن صيفي . تقدّمت ترجمته .

(٣) هبنقة : هو يزيد بن ثروان . راجع عقلاء المجانين (بتحقيقنا ص ٢٢٨) طبعة دار الفكر اللبناني .

(٤) ابن أبي عتيق : هو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرّحمٰن بن أبي بكر الصديق . حجازي من أهل المدينة قضى الشطر الأكبر من حياته في عصـر بني أمية وغلبت كنيـة أبيه على اسمه فعُرف لدى القدماء والمحدّثين باسم : ابن أبي عتيق . كـان من نبلاء قريش وكان مشهوراً له بالفضل والنسك والصلاح والعفـاف والشرف كمـا كان مشهـوراً بالظرف والدعابة وحلاوة الفكاهة والميل إلى اللهو والمزاح والغزل .

(٥) استرجع : قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

فقال : والله لو رأيت قائلها لأفعلن به . فأخذ ابن عمر أفكل وأربدّ[1] لونه ، وقال : مالك غضب الله عليك ! .

فلما كان بعد أيام لقيه ، فأعرض عنه ، فقال : بالقبر ومن فيه ألا سمعت كلامي ، فتحوب ووقف معرضاً عنه ، فقال : علم أبا عبد الرّحمٰن أني فعلت بقائل ذلك الشعر . فصعق عبد الله ولبط به . فدنا من أذنه وقال : إنها امرأتي . فقام ابن عمر وقبل ما بين عينيه .

٤٩ ـ قال ابن عمر لجاريته : خلقني خالق الخير ، وخلقك خالق الشر . فبكت ، فقال : لا عليك ، فإن خالق الخير هو خالق الشر .

٥٠ ـ ما سمعت للمهتدي مزحة سوى قوله لسليمان بن وهب ، وفي رجله خف واسع يصوت ، فقال : يا سليمان ؟ خفك هذا ضراط ، وهو تعريض بضرطة وهب التي طار خبرها في الآفاق وعلى ألسن الشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين ضرطة خير من ضغطة .

٥١ ـ النبي ﷺ : إن الرجل ليتكلم بكلمة يضحك بها جليسه يهوى بها أبعد من الثريا .

٥٢ ـ قال الحجاج لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي[2] : أخبرني عن قولك :

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات[3]

---

(١) أربدّ لونه : تغيّر واصبح بلون الربدة وهي الغُبرة .

(٢) محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي . توفي نحو سنة ٩٠ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٣) رواية الأغاني (٦ : ٢٠٥ بتحقيقنا) : ولما رأت ركب النميري «راعها» . . . والرواية فيه : أن عبد الملك قال له أنشدني ما قلت في زينب (وهي زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج وكان يتشبّب بها) فأنشده . فلما انتهى إلى قوله : فلما رأت ركب النميري . . . قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميري ؟ قال : أربعة أحمرة لي كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر . فضحك حتى استغرق ضحكاً ثم قال : لقد عظّمت أمرك وأمر ركبك .
=

في كم كنت ؟ قال : كنت والله على حمار هزيل ، ومعي دقيق على حمار مثله .

٥٣ ـ سمع عبادة من جوف ابن حمدون قرقرة ، فقال : ولدت في ساباط . يعني : إنك كثير الرياح .

٥٤ ـ رؤي أعرابي على شاطىء نهر في حزيران يغوص غوصة ثم يخرج فيعقد عقدة ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : جنابات الشتاء أقضيها في الصيف[1] .

قيل لأعرابي كان يسرف في الجماع : إنا نخاف عليك العمى ، فقال : قد وهبت بصري لذكري .

٥٥ ـ استطرقت أعرابية فحلاً لحجرها[2] ، فلما أدلى[3] رأت شيئاً عظيماً ، فقالت لقينها : نحّ الحجر ، فوالله ما حمله من الرجال حر قط ، ولا من الخيل جواد قط .

٥٦ ـ الحسن : ابن آدم تضحك ! ولعل كفنك خرج من عند القصار .

٥٧ ـ رأى زبيد اليامي قراءً يضحكون ، فقال : ما رأيت قراءً أغلظ رقاباً ولا ألين ثياباً ولا آكل لمخ العيش منكم .

٥٨ ـ حبق كاتب لعمر بن عبد العزيز بين يديه ، فرمى بقلمه وقام خجلاً ، فقال له عمر : لا عليك ، خذ قلمك ، واضمم إليك جناحك ، وليفرخ روعك ، فما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي .

= راجع قصة النميري مع زينب والحجاج في المصدر المذكور ، والبيت من قصيدة للنميري في زينب مطلعها :

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوة عَطِراتِ

(١) أراد أنه يصلّي قضاء عمّا فاته عندما كان نجساً .

(٢) الحجر : الأنثى من الخيل . واستطرقت الفحل : أتت به كي ينزو على الحجر .

(٣) أدلى الفرس وغيره : أخرج جردانه ليضرب ، يكون ذلك أثناء النزو .

٥٩ ـ محمد بن سلامة بن أبي زرعة الدمشقي :

لا يؤنسنك أن تراني ضاحكاً كم ضحكة فيها عبوس كامن

٦٠ ـ نافع : كان أبو هريرة على المدينة خليفة لمروان ، فربما ركب حماراً قد شد عليه برذعة[١] وفي رأسه خلية، فيلقي الرجل في الطريق ، فيقول : الطريق قد جاء الأمير ! وربما دعاني إلى عشائه ، فيقول : دع العراق للأمير . فانظر فإذا هو ثريد[٢] بزيت .

٦١ ـ كان ابن سيرين ينشد :

نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

٦٢ ـ ويضحك حتى يسيل لعابه .

٦٣ ـ كاتب : ونحن نحمد الله إليك ، فإن عقدة الإسلام في قلوبنا صحيحة ، وأواخيه ثابتة ، ولقد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم ، وأن يلبسوا يقيننا بشكهم ، فعصم الله منهم ، وحال توفيقه دونهم . ولنا بعد مذهب في الدعابة جميل ، لا يشوبه أذى ولا قذى ، يخرج به من الأنس إلى العبوس ، وإلى الاسترسال من القطوب ، ويلحقنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء والتصنع .

٦٤ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : امنعوا الناس من المزاح ، فإنه حمقة تورث الضغينة ، وتذهب بالمروءة.

٦٥ ـ أبو رفاعة : أخبرتني زبراء خادم علي عليه السلام ، قالت : وضأت علياً ، فلما أراد القيام وضع يده على منكبي ، فقال : انظري لا تضرطي يا زبراء .

٦٦ ـ الحسن : ضحك الزمن إنما هو غفلة منه .

---

(١) البرذعة : كساء يُلقى على ظهر الدابة .

(٢) الثريد : الخبز المغمَّس بالمرق .

٦٧ ـ ناصح الملك أكثر عدواً من الخائن ، لأن صديق الملك يعاديه لمنزلته ، وعدو الملك يعاديه لنصحه .

٦٨ ـ لا تعدن شتم الملك شتماً ، ولا أغلاظه إغلاظاً ، فإن ريح العزة تبسط اللسان بالغلظة في غير بأس ولا سخطة .

٦٩ ـ كان العهد لابن عم المنصور عيسى بن موسى ، فأراد أن يكون لابنه المهدي ، فمناه حتى سلم الأمر إلى المهدي ، وولاه لذلك الكوفة . فقدم إليه مخنث فقال : ما أحسبك تعرفني حين تفعل في عملي ! قال : بلى والله أيها الأمير ، أنت الذي كنت غداً فصرت بعد غد ، فخجل ، وأمر فسحب من بين يديه .



الباب الحادي والثمانون
الموت وما يتصل به من ذكر القبر والنعش والتعزية ، والمرثية ، والنعي ، وغير ذلك

١ ـ ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه ، وعجلوا إنجاز وصيته ، وأعمقوا له في قبره ، وجنبوه جار السوء . قيل : يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة ؟ قال : هل ينفع في الدنيا ؟ قالوا : نعم ، قال : فكذلك في الآخرة .

٢ ـ قال ابن المبارك : أحب إلي أن يكفن في ثيابه التي كان يصلّي فيها .

٣ ـ في وصيته عليه السلام لأبي ذر : زر القبور تذكر بها الآخرة ، ولا تزرها بالليل ، واغسل الموتى يتحرك قلبك ، فإن الجسد الخاوي عظة بليغة ، وصلِّ على الجنائز لعلّ ذلك يحزنك ، فإن الحزين في ظل الله .

٤ ـ أبو الدرداء[١] : ما من مؤمن إلاَّ والموت خير له ، وما من كافر إلاَّ والموت خير له . فمن لم يصدقني فإن الله تعالىٰ يقول : **﴿وما عند الله خير للأبرار﴾**[٢] . **﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً**

---

(١) أبو الدرداء : هو عويمر بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي سنة ٣٢ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) سورة آل عمران من الآية : ١٩٨ .

لأنفسهم﴾[1] .

٥ ـ كان عمر رضي الله عنه : إذا سوى على القبر سوى عليه فقال : اللَّهمَّ ، أسلمه إليك الأهل والولد والمال والعشيرة ، وذنبه عظيم فاغفر له .

٦ ـ محمد بن سعد المدني : مرّ رسول الله ﷺ بمقبرة ، فنادى : يا أهل القبور ، ألا أخبركم بما حدث بعدكم ، تزوج نساؤكم ، وبيعت مساكنكم ، وأُقتسمت أموالكم ، فهل أنتم مخبرون بما عاينتم ؟ ثم قال : ألا إنهم لو أذن لهم في الجواب لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى .

٧ ـ كتب على قبر عبد الله بن جعفر :

مقيم إلى أن يبعث اللّه خلقه   لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلىً في كل يوم وليلة   وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

٨ ـ كانت تعزية رسول الله ﷺ آجركم الله ورحمكم .

٩ ـ خرج علي عليه السلام في ليلة يوم الجمل ، ومعه شعلة من نار ، يتصفح وجوه القتلى ، فعثر على طلحة ، فقال : أعزز عليَّ أبا محمد أن أراك معفراً تحت نجوم السماء في بطون الأودية ! شفيت نفسي ، وقتلت معشري ، إلى الله أشكو عجري وبجري .

١٠ ـ نظر الحسن إلى رجل يجود بنفسه ، فقال : إنَّ امرأً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله ، وأنّ امرأً أوله لجدير أن يخاف آخره .

١١ ـ نظر فيلسوف إلى ميت ينقل ، فقال : حبيب ينقله أحباؤه إلى حبس الأبد .

١٢ ـ عزى رجل رجلاً فقال : جعل الله مصيبتك تاريخ ما تخشى ومفتاح ما تحب .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٨ .

١٣ ـ معاوية لعمرو بن عتبة : رحم الله أباك ، والله لقد لصقت المصيبة بي ، وإن كانت قد أخطأتني لقد أصابتني .

١٤ ـ عمران بن حطان :

يا حمز كيف يذوق الخفض معترف بالموت والموت فيما بعده جلل

١٥ ـ عبد الله الفقير إليه[١] :

حطمتني الخمسون والخمس حطما خطمتني إلى المنية خطما[٢]
قد ظماني خوف المنيّة لكنْ خوف ما يعقب المنية أظما[٣]

١٦ ـ عبدة بن الطبيب وكان حبشياً من لصوص الرباب ، ولما أسَنّ[٤] جمع بنيه وأنشدهم قصيدته التي منها :

وقد علمت بأن قصري حفرة غبراء يحملني إليها مرجع
فبكى بناتي شجوهن وزوجتي والأقربون إليَّ ثم تصدّعوا[٥]

١٧ ـ أبنّت الخنساء[٦] أخاها ، فقالت: لقد كان كريم الجدين ،

---

(١) عبد الله الفقير إليه : هو الزمخشري نفسه مؤلف الكتاب .
(٢) خطمتني إلى المنيّة : جرّتني إليها رغم أنفي . وخطم الرجل : ضرب أنفه . وخطمه بالخطام : جعله على أنفه وقهره . والخطام : حبل يُجعل في عنق البعير ويُثنى في خطمه ليُقاد .
(٣) ما يعقب المنية : الحساب .
(٤) أسنّ : شاخ وكبر .
(٥) تصدّعوا : تفرّقوا .
(٦) الخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السّلمية ، من مضر . أشهر شواعر العرب واشعرهن على الإطلاق من أهل نجد . عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي وأدركت الإسلام فأسلمت . ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها . أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية . كان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (سنة ١٦ هـ) فجعلت تحرّضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً فقالت : =

واضح الخدين ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

١٨ ـ جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك ، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك .

١٩ ـ عزّى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب ، فقال : يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف .

٢٠ ـ مصيبة استطارت لبي واستطالت على قلبي .

٢١ ـ دخل عمرو بنُ العاص على معاوية في مرضه ، فقال : أعائداً[1] جئت أم شامتاً ؟ فقال عمرو : لِمَ تقول هذا ؟ فوالله ما كلفتني رهقاً ، ولا أصعدتني زلفاً ، ولا جرّعتني علقاً ، فلم استثقل حياتك ؟ ولم استبطىء وفاتك فقال معاوية :

فهل من خالدٍ إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عارُ

٢٢ ـ دخل ابن الجصاص على أبي إسحاق الزجاج بعد وفاة أُمه ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله يا أبا إسحاق قد والله سرني ، فدهش الناس ، فقال : بلغني أنه هو الذي ، فلما صح أنها هي التي سرني ، فضحكوا .

٢٣ ـ اعتلت امرأة ابن مضاء الرازي ، فقالت : ويلك ، كيف تعمل إن مت ؟ فقال : ويلي ، كيف أعمل إن لم تموتي ؟ .

٢٤ ـ أبو مروان : كل مصيبة لم يذهب فرح ثوابها حزنها فهي المصيبة العظمى .

٢٥ ـ عزى محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز بإبنه

= الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم . ماتت سنة ٢٤ هـ .
راجع ترجمتها في شرح الشواهد ٨٩ والشعر والشعراء ١٢٣ والدرّ المنثور ١٠٩ .

(١) أعائداً : أي أزائراً لي في مرضي .

عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين لـو أن امرأً تـركت تعزيتـه لعلمه وتيقـظه لكنته ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

٢٦ ـ وبئت[1] خيبر فخرج إليها أعرابي بعياله وقال :

قلت لحمى خيبـر استعـدي هاك عيالي فـاجهدي وجـدي
وبـاكـري بـصـالـب وورد أعـانـك الله على ذا الجنـد

فحـم ومات ، وبقي عياله .

٢٧ ـ عـزى رجل الـرشيـد ، فقـال : آجـرك الله على البـاقي ، ومتعـك بالفاني . فقال : ويحك ما تقول ؟ وظن أنـه غلط ، فتلا : **﴿ما عندكم ينفـد وما عند الله باق﴾**[2] .

٢٨ ـ أبـو ذؤيب :

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت نبيشـة والـطراق يكـذب قيلهـا
ولـو أن استـودعتـه الشمس لارتقت إليـه المنـايـا عينهـا أو دليلهـا

٢٩ ـ قيـل لأعـرابي : إنـك تموت ، قـال : وإلى أين يُذهب بي ؟ قالوا : إلى الله ، قال ما أكره أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلاَّ منه .

٣٠ ـ قيـل للكميت : لِمَ لم تـرث أخـاك ؟ فقـال : إن مـرثيتـه لا تـرد مرزيته .

٣١ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمـرو بن عبيد يعـزيه عن أبيـه : أما بعـد فإنّـا أُناس من أهـل الآخرة أسكنـا في الدنيـا ، أموات آبـاء أموات أبنـاء أموات فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت .

٣٢ ـ صـالح المـرّي : التهنئة بـآجل الثـواب أولى من التعزيـة بعـاجـل المصاب .

---

(١) وبئت : فسدت .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٦ .

٣٣ ـ قال عليه الصلاة والسلام : ما تعدّون الرقوب[١] فيكم ؟ قالوا : الذي لا يبقى له ولد . قال : بل الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً .

٣٤ ـ عزى أبو العيناء[٢] رجلاً فقال : كان العزاء لك لا بك ، والفناء لنا لا لك .

٣٥ ـ قيل لرجل : ما ورثت أختك من زوجها ؟ قال : أربعة أشهر وعشراً .

٣٦ ـ استنشد عمر رضي الله عنه متمماً[٣] مرثية أخيه ، فأنشده عينيته ، فقال : لو كنت أحسن مثل ما تقول لبكيت أخي ، فقال : لو صرع أخي مصرع أخيك لما بكيته ، فقال : ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به .

---

(١) الرقوب من الإبل والنساء : التي لا يبقى لها ولد . وقيل : هي التي مات ولدها . قال الشاعر :

فلم يَرَ خلقٌ قبلنا مثل أُمّنا ولا كأبينا عاش وهو رقوب .

وقال ابن الأثير : الرقوب في اللغة : الرجل والمرأة إذ لم يعش لهما ولد لأنه يرقب موته ويرصده خوفاً عليه فنقله النبي ﷺ إلى الذي لم يُقدّم من الولد شيئاً أي يموت قبله تعريفاً ، لأن الأجر والثواب لمن قدّم شيئاً من الولد وأن الاعتداد به أعظم والنفع به أكثر وأن فقدهم وإن كان في الدنيا عظيماً فإن فقد الأجر والثواب على الصبر ، والتسليم للقضاء في الآخرة أعظم ، وأن المسلم وَلَده في الحقيقة من قدّمه واحتسبه ومن لم يرزق ذلك فهو كالذي لا ولد له ، ولم يقله ﷺ إبطالاً لتفسيره اللغوي إنما هو كقوله : إنما المحروب من حُرِبَ دينه ، ليس على أن من أُخذ ماله غيرُ محروب .

(٢) أبو العيناء : هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر . شاعر ، أديب . توفي سنة ٢٨٣ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٣) متمّم : هو متمّم بن نويرة أشتهر بمرثيته لأخيه مالك ومطلعها :

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزعٌ ممّا أصاب فأوجعا

وفيها يقول :

وكنّا كندمانيْ جذيمةَ حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلما تفرّقنا ، كأني ومالكاً لطول اجتماعٍ ، لم نَبِتْ ليلةً معا

راجع الأغاني (بشرحنا ١٥ : ٢٨٧ ، وراجع الحاشية) .

٣٧ ـ عبد الرّحمٰن الأعين القرشي يرثي امرأته :

لعمرك أني يوم زيل بنعشها ونفسي معي لم ألقها لصبور

٣٨ ـ أعشى همدان :

فما تزود مما كان يملكه إلَّا حنوطاً غداة البين في خرق[1]
وغير نفحة أعواد تشب له وقل ذلك من زاد لمنطلق

٣٩ ـ عزّى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن ابن له فقال : أيسرك وهو بلية وفتنة ويحزنك وهو صلاة ورحمة ؟ .

٤٠ ـ وقال آخر : كان لك من زينة الحياة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

٤١ ـ في الحديث المرفوع : من يرد الله به خيراً يصب منه .

٤٢ ـ عزى شبيب بن شيبة يهودياً : أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحداً من أهل ملتك .

٤٣ ـ الأصمعي : هلك ابن لأعرابية ، فتبعت جنازته وهي تقول : رحمك الله يا هيثم ، ما كان مالك لبطنك ، ولا أمرك لعرسك ، وأنت لكما قال :

رحيب ذراع بالتي لا تشينه وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرعا

فقلنا : يا أُم الهيثم فهل لك منه عوض ! قالت : نعم ، ثواب الله ، ونعم العوض الآخرة من الدنيا .

٤٤ ـ المنصور : اللَّهمَّ إن كنت تعلم أني قد ارتكبت الأُمور العظام جرأة مني عليك ، فإنك تعلم أني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك شهادة

---

(١) الحنوط : كل طيّب يمنع الفساد تُحشى به جثّة الميت بعد تجويفه فتحفظه من البلى طويلاً .

أن لا إله إلاَّ الله منّاً منك ، لا مَنّاً عليك .

٤٥ ـ سأل الشعبي[1] رجلاً عن سبب موت أخ له ، فقال : عضت فأرة إصبعه فمات ، فقال : أشهد أنه لا يرد على الموتى شهيد أنذل من أخيك .

٤٦ ـ كان أبو بكر رضي الله عنه يتمثل كثيراً :

تنفك تسمع ما حيي ... ـت بهالك حتى تكونه
والمرء قد يرجو الرجا ... ء مغيباً والموت دونه

٤٧ ـ قيل للحسن : فلان في النزع ، قال : وما معنى النزع ؟ قالوا : التقرب إلى لموت . قال : هو في ذلك منذ خلق .

وقيل له في عام وقعت فيه الميلة : أما ترى يا أبا سعيد ؟ ما أحسن ما فعل ربنا ! أقلع عاص ، وأعطى ممسك ، ولم يغلط بأحد .

٤٨ ـ نعي الحسن إلى أبي حازم فقال : يرحمك الله أبا سعيد . كنت كالعافية لا يعرف قدرها إلاَّ بعد فراقها .

٤٩ ـ عمر بن عبد العزيز : ألا ترون أنكم من الدنيا في أسلاب الهالكين ، وسيسلبها بعدكم الباقون ، حتى يرث ذلك خير الوارثين .

٥٠ ـ بكى الخولاني عند موته ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لطول السفر وقلّة الزاد ، وقد سلكت عقبة فما أدري إلى أين يُهبط بي ، وإلى أي المكانين أسقط .

٥١ ـ مات ابن لمسلم بن يسار ، فقال : شغلني يا بني الحزن لك عن الحزن عليك .

٥٢ ـ مات عبد الله بن مطرف فخرج مطرف في ثياب حسنة وقد

---

(١) الشعبي : هو عامر بن شراحيل. عالم راوية ، فقيه ، شاعر توفي سنة ١٠٣ هـ . تقدّمت ترجمته .

أدهن ، فأنكروا عليه ، فقال : أفأستكين لها ؟ وقد وعدني عليها ربي ثلاثاً ، إحداها أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

٥٣ ـ الحسن : دفنا صالحاً لنا فمددنا على القبر ثوباً ، فجاء صلة بن أشيم العدوي فرفع الثوب ونادى : يا فلان .

إن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وَإلا فإني لا أخالك ناجيا

٥٤ ـ أبو عبيدة الخواص قال عند قبر : حتى متى تشيع غادياً أو رائحاً إلى ربه ؟ تجعله في لحد وتحثى عليه التراب ، أمَ والله لتكوننّه عن قريب .

٥٥ ـ ابن المعتزض ؛ الموت باب الآخرة .

٥٦ ـ كان الربيع بن خثيم يخرج إلى القبور بالليل ، فيقول : يا أهل القبور كنتم وكنا .

٥٧ ـ مالك بن مغول : بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت ، لما يرى من كرامة الله .

٥٨ ـ فضيل[١] : ما الموت فيما بعده إلَّا كركضة عنز .

٥٩ ـ قيل لإبراهيم : كيف وجدت الموت ؟ قال : كأن النفس تنزع بالسلا[٢] ، قبل : قد رفقنا بك يا إبراهيم .

٦٠ ـ دخل ملك الموت على داود عليه السلام ، قال : من أنت ؟ قال : من لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقبل الرشى . قال : فإذن أنت ملك الموت ، ولم استعد بعد ، قال : يا داود ، أين فلان جارك ؟ أين فلان قرينك ؟ قال : مات . قال : أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد ؟ .

---

(١) فضيل : هو الفضيل بن عياض بن مسعود . توفي سنة ١٨٧ . تقدّمت ترجمته .
(٢) السلا : جلدة يكون ضمنها الولد في بطن أُمّه فإذا انقطع في البطن هلكت الأُم والولد جمع أسلاء .

٦١ ـ كتب أحمد بن يوسف الكاتب إلى عمرو بن سعيد بن مسلم يرثي ببغاء ماتت له :

عجباً للمنون كيف أتتها ... وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً ... فقدنا هذه ورؤية ذاكا

٦٢ ـ لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي رضي الله عنه ، سجد معاوية وسجد من حوله شكراً . فدخل عليه ابن عباس فقال له : يا ابن عباس أمات أبو محمد ؟ قال : نعم ، وبلغني سجودك ، والله يا ابن آكلة الكبود لا يسدن حسدك إياه حفرتك ، ولا يزيد إنقضاء أجله في عمرك .

٦٣ ـ عائشة رضي الله عنها : لما مات عثمان بن مظعون[1] كشف النبي ﷺ الثوب عن وجهه ، فقبل ما بين عينيه ، وبكى طويلاً . فلما رفع على السرير قال : طوباك يا عثمان ، لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها .

٦٤ ـ بينما حسان جالس وفي حجره صبي له يطعمه الزبد والعسل إذ شرق الصبي بهما ، فمات ، فقال :

اعمل وأنت صحيح مطلق مرح ... ما دمت يا مغرور في مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت ... له المنية بين الزبد والعسل

٦٥ ـ في الحديث المرفوع : مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية ، فإذا انفلت منها وقع في الهرم إلى أن يموت .

---

(١) عثمان بن مظعون : هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي أبو السائب ، صحابي ، كان من حكماء العرب في الجاهلية يحرم الخمر . أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين وأراد التبتّل والسياحة في الأرض زهداً بالحياة فمنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتّخذ بيتاً يتعبّد فيه . شهد بدراً . ولمّا مات جاءه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبّله ميتاً . وهو أول من دفن بالبقيع وذلك سنة ٢ للهجرة .
راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٨٦ والإصابة الترجمة ٥٤٥٥ وحلية الأولياء ١ : ١٠٢ .

٦٦ ـ عزى رجل سليمان بن عبد الملك فقال : إن رأيت أن تعجل ما أخرته العجزة فتريح نفسك وترضى ربك فافعل .

٦٧ ـ قيل لأعرابي : ما سبب موت أبيك ؟ قال : كونه .

٦٨ ـ دخل على المأمون في مرض موته ، فإذا هو قد فرش له جل[١] الدابة ، وبسط عليه الرماد ، وهو يتمرغ عليه ويقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه .

٦٩ ـ قال عمرو بن العاص عند احتضاره لابنه : من يأخذ هذا المال بما فيه ؟ قال : من جدع الله أنفه ، فقال : احملوه إلى بيت مال المسلمين . ثم دعا بالغل والقيد ، فلبسهما ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ، ثم استقبل القبلة فقال : اللَّهمَّ إنك أمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فارتكبنا ، هذا مقام العائذ بك فأهل العفو أنت ، وإن تعاقب فبما قدمت يداي ، سبحانك لا إله إلاَّ أنت إني كنت من الظالمين . فمات وهو مغلول مقيد . فبلغ الحسن بن علي فقال : استسلم الشيخ حين أيقن بالموت ، ولعلها تنفعه .

٧٠ ـ وقال المنصور حين احتضر : يا ربيع بعنا الآخرة بنومة :

وقال المعتصم ، وجعلوا يهونون عليه : هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود .

٧١ ـ عائشة رضي الله عنها : لا أغبط بهون الموت أحداً بعد الذي رأيت من رسول الله ﷺ .

٧٢ ـ مطرف[٢] : إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم ، فالتمسوا نعيماً لا موت فيه .

---

(١) جلّ الدابة : ما يوضع على ظهرها للركوب .

(٢) مطرف : هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الجرشي العامري . توفي سنة ٩٥ هـ . وفي سنة وفاته خلاف . تقدمت ترجمته .

٧٣ ـ أبو حازم : انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت وأنت عليه فخذه الساعة .

٧٤ ـ ندب رسطاليس الإسكندر فقال : كان أمس يعظنا بكلامه ، وهو اليوم يعظنا بسكوته .

٧٥ ـ في الحديث المرفوع : لو أن الطير والبهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً .

٧٦ ـ في مرثية أعشى باهلة للمنتشر بن وهب الباهلي ، وهي التي قال الأصمعي ليس في الدنيا مثلها :

فإن جزعنا فمثل الخطب أجزعنا ... وإن صبرنا فإنًّا معشر صبر
أما سلكت سبيلاً أنت سالكها ... فاذهب فلا يبعدنك اللّه منتشر

٧٧ ـ عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام :

يا حسرتا من مصيبة عظمت ... أبناء عوف ومالك هلكوا
خلوا فجاجاً علي فانخرقت ... لم يستطع سدهن من تركوا

٧٨ ـ في الحديث المرفوع : لا يتمنَّ أحدكم الموت إلَّا من وثق بعمله .

ـ وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا تبع الجنازة أكثر الصمات ، وروي عليه كآبة، وأكثر حديث النفس .

٧٩ ـ قيل لإبراهيم بن أدهم : ألا تتبع الجنازة ؟ قال : لا أجد صاحباً، إنما صاحبي من يأخذ بعضدي ويقول انتبه فانظر إلى رأس أخيك، كيف يبقى على السرير .

٨٠ ـ حاتم الأصم : اتباع الجنائز فضيلة ، والصلاة عليها سنة ، ومداواة القلب بها فريضة .

٨١ ـ سمع أبو الدرداء رجلاً يقول في جنازة : من هذا ؟ قال : أنت ، وإن كرهت فأنا .

٨٢ ـ سمع الحسن امرأة تبكي خلف جنازة وتقول : يا أبتاه مثل يومك لم أره ، فقال لها : بل أبوك مثل يومه لم يره .

٨٣ ـ مكحول كان إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإنَّا رائحون.

٨٤ ـ وكان مالك بن دينار يقول : سبحان الذي لا يموت .

٨٥ ـ ثوبان رفعه : من شيع جنازة فأخذ بجوانب السرير الأربعة غفر له أربعون ذنباً كلها كبيرة .

٨٦ ـ ابن شوذب : اطلعت امرأة في لحد ، فقالت لامرأة معها : ما هذا ؟ فقالت : كندوج العمل ، تعني خزانة العمل ، فكانت تعطيها الشيء وتقول : اذهبي فضعي هذا في كندوج العمل .

٨٧ ـ ابن عباس : أرحم ما يكون الرب لعبده إذا أدخل قبره ، وتفرق عنه أهله .

٨٨ ـ عمرو بن ميمون : افتتحنا مدينة بفارس ، فدللنا على مغارة فيها بيت ، فيه سرير من ذهب ، عليه رجل ، عند رأسه لوح مكتوب فيه : أنا بهرام بن بهرام[١] ملك فارس كنت أعتاهم بطشاً ، وأقساهم قلباً ، وأطولهم أملاً ، وأحرصهم على الدنيا ، فدوخت البلاد ، وقتلت الملوك ، وهزمت الجيوش ، وأذللت المقاول ، وجمعت من الدنيا ما لم يجمعه أحد قبلي ، ولم استطع أن أفتدي به من الموت إذ نزل بي .

٨٩ ـ قال أبو بلال: كل ميتة ظنون إلاَّ ميتة البلجاء[٢]. قيل: وما ميتة

---

(١) بهرام بن بهرام : ملك فارس لقبه نزاده أي النجيب . راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ١٠٤ طبعة دار المناهل .

(٢) البلجاء : من نساء الخوارج .

البلجاء ؟ قال : أخذها زياد فقطع يديها ورجليها ، فيقل لها : كيف ترين يا بلجاء ؟ قالت : قد شغلني هول المطلع عن برد حديدكم هذا . وهي من نساء الخوارج .

٩٠ ـ الأصمعي : أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر . كنا في حلقة يونس فجاء خلف فسلم وقال : قد طرقت ببكرها أم طبق . فقال يونس : وماذا يا أبا محرز ؟ فقال : فنتجوها خبراً ضخم العنق ، فقال : لم أدر بعد ، فقال : موت الإمام فلقة من الفلق . فارتفعت الضجة بالاسترجاع[1] .

٩١ ـ ابن الرومي :

يا حر صدري على ثلاثة أموا	ه أريقت في الترب والمدر
ماء شبابٍ ونعمة مزجا	بماء ذاك الحياء والخفر

٩٢ ـ عزى أبو بكر عمر رضي الله عنهما عن ولد فقال : عوضك الله منه ما عوضه منك . يعني : عوضه الله منك ما هو خير منك وهو جوار الله ، فعوضك منه ما هو خير منه وهو ثواب الله .

٩٣ ـ سكرات الموت به محدقة ، وعيون الأمل به محدقة .

٩٤ ـ لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيها .

٩٥ ـ يحيى بن خالد : التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة ، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة .

٩٦ ـ مات عكرمة[2] مولى ابن عباس وكثير عزة في وقت واحد ، وصلّى عليهما عمارة بن خزيمة بن ثابت . ودفنا في مكان واحد . فقال :

---

(١) الاسترجاع : هو القول : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

(٢) عكرمة : هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني مولى ابن عباس كان مفسّراً . توفي سنة ١٠٥ هـ . تقدّمت ترجمته .

اللَّهمَّ كما جمعت بينهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور[1] . فما بقي في المدينة أحد إلَّا استحسن كلامه .

٩٧ ـ لما احتضر إبراهيم عليه السلام قال : هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله ؟ فأوحى الله إليه : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ؟ قال : فاقبض روحي الساعة .

٩٨ ـ نصر بن سيار[2] : كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر ، إلَّا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر .

٩٩ ـ ابن المعتز : إذا كثر الناعي إليك كثر الناعي بك .

١٠٠ ـ وقال نادب الإسكندر : مالك لا تقل عضواً من أعضائك ؟ وكنت تستقل بملك العباد والبلاد .

١٠١ ـ وقال رئيس الطباخين : قد نضدت النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد المجلس .

١٠٢ ـ وقف علي عليه السلام على منبر رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ، والله إن الجزع لقبيح إلَّا عليك ، وأن الصبر لجميل إلَّا عنك ، وإن المصيبة بك لأجل ، وإِ ما بعدك وما قبلك جلل . ثم قال :

---

(١) يوم النشور : يوم القيامة .

(٢) نصر بن سيّار : هو نصر بن سيّار بن رافع بن حرّي بن ربيعة الكناني ، أمير من الدهاة الشجعان . كان شيخ مضر بخراسان ، ووالي بلخ . قويت الدعوة العباسية في أيامه فكتب إلى بني مروان بالشام يحذّرهم وينذرهم فلم يأبهوا للخطر . وهو صاحب الأبيات التي أوّلها :

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ ويوشك أن يكون له ضرام

أرسلها إلى مروان . قال الجاحظ : كان نصر من الخطباء الشعراء يُعدّ في أصحاب الولايات والحروب والتدبير والعقل وسداد الرأي . توفي سنة ١٣١ هـ .

راجع ترجمته في خزانة البغدادي ١ : ٣٢٦ وابن خلدون ٣ : ١٢٥ .

مـا غـاص دمعي عنـد نـازلـةٍ   إلا جـعـلت لـلبـكـا سـببـا
فـإذا ذكـرتـك سـامحتـك رِبـه   مني الجفـون ففاض وانسكبـا
إنـي أجـل ثـرى حللت بـه   من أن أرى بسـواه مـكتئبـا

ورويت لمعقل بن عيسى العجلي أخو أبي دلف في جارية توفيت له .

١٠٣ ـ مطر بن عكاش رفعه : إذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة ، وأنشد :

إذا ما حمام المرء كان ببلدةٍ   دعته إليها حاجةً فيطير

١٠٤ ـ عزى شبيب بن شيبة المهدي عن أُمته فقال : والله ، الله خير لها منك ، ولثواب الله خير لك منها ، وإن أحق ما صبر عليه ما لم يستطع دفعه .

١٠٥ ـ وعزى آخر عن ولده فقال : وهبه الله لك فحملت مُؤنَه وتكاليفه فهنيت به ، وقبضه فرفع عنك مُؤنَه وتكاليفه فعزيت عنه ، ولو عمل على الحق لعزيت عما هنيت به ، وهنيت بما عزيت عنه .

١٠٦ ـ نعيت إلى ابن عباس بنت له في طريق مكة ، فنزل عن دابته فصلّى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال : عورة سترها الله ، ومؤونة كفاها الله ، وأجر ساقه الله . ثم ركب ومضى .

١٠٧ ـ ماتت لبعض ملوك كندة بنت ، فوضع بدرة[1] بين يديه وقال : من أبلغ في التعزية فهي له . فدخل أعرابي فقال : عظم الله أجر الملك ، كفيت المؤونة، وسترت العورة ، ونعم الختن القبر . فقال : أبلغت وأوجزت . وأعطاه البدرة .

١٠٨ ـ توفيت أُم قاضي بلخ ، فقال له حاتم الأصم : إن كانت وفاتها

---

(١) البدرة : كيس يوضع فيه الدراهم (عشرة آلاف درهم تزيد وتنقص حسب الاتفاق والعصور) .

عظة لك فعظم الله أجرك على موت أُمك ، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك .

وقال : له : أيها القاضي ، منذ كم تحكم بين عباد الله ؟ قال : منذ ثلاثين سنة ، قال : هل رد الله عليك حكماً ؟ قال : لا ، قال : فإن الله لم يرد أحكامك في ثلاثين سنة وترد حكماً واحداً حكمه عليك .

١٠٩ ـ رأى الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا ، فطلق هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة . فلم ينشب أن جاءه نعي محمد أخيه يوم مات إبنه محمد . فقال : والله هذا تأويل رؤياي من قبل ، إنَّا لله وإنّا إليه راجعون . محمد ومحمد في يوم واحد ! ثم أنشأ يقول :

حسبي حياة اللّه من كل ميت وحسبي بقاء اللّه من كل هالك

١١٠ ـ وقال الفرزدق :

إن الرزية لا رزية مثلها فقدان مثل محمد ومحمد

١١١ ـ مر الاسكندر بمدينة ملكها سبعة وبادوا ، فسأل : هل بقي من نسلهم أحد ؟ فقالوا : بقي واحد هو في المقابر ، فدعا به وقال : لِمَ تلزم المقابر ؟ قال : أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء . فقال له : هل لك أن تتبعني حتى أبلغ بك بغيتك ؟ قال : بغيتي حياة لا موت معها ، فهل تقدر عليها ؟ قال : لا ، قال : فدعني أطلبها ممن يقدر عليها .

١١٢ ـ أبو عارم الكلابي :

أجازعة ردينة أن أتاها نعيّ أم يكون لها اصطبار
إذا ما أهل قبري ودّعوني وراحوا والأكف بها غبار
وغودر أعظمي في لحد قبرٍ تراوحه الجنائب والقطار

تهب الريح فوق محطّ قبري ويرعى حوله اللهق النوار[1]
مقيماً لا يكلمني صديق بقفر لا أزور ولا أزار
فذاك النأي لا الهجران حولاً وحولاً ثم تجتمع الديار

١١٣ ـ للإنسان عند الإشراف على الموت حركة من حدوث قوة ، نحو ما يعرض للسراج عند انطفائه من حركة سريعة ، وضياء ساطع ، وتسميها الأطباء النعشة الأخيرة .

١١٤ ـ ولعبد الله الفقير إليه[2] :

قولاً لشيخ هز من عطفه أن نعشته دولة زاهرة
لا تغترر فالمرء يرمى به في النعش بعد النعشة الآخرة

١١٥ ـ جزع الرشيد على حظية[3] ماتت له ، فقال مضحك له : ما هذا الجزع الشديد ؟ قال : أما ترى ما ابتليت به ؟ ما أحب أحداً إلاّ مات . قال : فاحببني حتى أموت ، قال : أن الحب ليس بشي يصنع ، وتسوقه الأسباب ، قال : قل أنا أحبك ، فقال : فحم ومات .

١١٦ ـ قال الحجاج حين أرجف[4] الناس بموته عند موت المحمدين : قالوا مات محمد بن الحجاج ، ومحمد بن يوسف ، والحجاج ميت . فمات الحجاج فمه ! والله ما رضي الله البقاء إلاّ لأهون خلقه عليه إبليس ، فانظره إلى يوم يبعثون . والأسوة برسول الله والتابعين من أولياء الله أحب إلي من الأسوة بإبليس .

١١٧ ـ وقف رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب على قبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال : أما أن أقدامكم قد نقلت

(١) اللَّهَقُ : الثور الأبيض .
(٢) عبد الله الفقير إليه : هو الزمخشري نفسه مؤلف هذا الكتاب .
(٣) الخطية : هي الأمة المكرّمة عند ملك أو أمير .
(٤) أرجف الناس بموته : تحدّثوا به وتناقلوا الخبر .

وأعناقكم قد حملت إلى هذا القبر ولياً من أولياء الله ، ليُسر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج الحور العين بلقائه ، وبشر به سيدات نساء الجنة من إمهاته ، ويوحش أهل الحي والدين فقده . رحمة لله عليه ، وعند الله تحتسب المصيبة .

١١٨ ـ عزى رجل عمر بن عبد العزيز فقال :

تعزَّ أمير المؤمنين فإنه لما قد ترى يغذي الصغير ويولد
هل ابنك إلاَّ من سلالة آدم لكلٍ على حوض المنية مورد

فقال : ما عزاني أحد بمثل تعزيتك .

١١٩ ـ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : أصبت بمصيبة فما وقع بقلبي شيء مما عزيت به ، حتى دخل عليّ مجوسي فقال : انظر ما كنت تعزي به الناس فعزّ به نفسك واحتسب .

١٢٠ ـ عزى حبيب بن درواس جعفر بن سليمان عن أخيه محمد فقال : انظر مصيبتك في نفسك تَنْسَكْ فقد غيرك ، واذكر قول الله تعالىٰ لنبيه : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[1] ، وخذ بقول ابن أراكة الطائي :

تفكّر فإن كان البكا ردَّ هالكاً على أحد فاجهدْ بكاء على عمرو
ولا تبك ميتاً بعد ميتٍ أجنه علي وعباس وآل أبي بكر

١٢١ ـ عزت أعرابية قوماً فقالت : جافى الله عن ميتكم الثرى ، وأعانه على طول البلى ، وآجركم ورحمه .

١٢٢ ـ أعرابي : إن المؤمن بعرض خبر تستبشر به السماء ، وترحب به الأرض ، ولن يساء إليه في بطنها وقد أحسن على ظهرها .

١٢٣ ـ الثوري : ينبغي لمن كان له عقل إذا أتى عليه عمر النبي ﷺ أن يهيأ كفنه .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٠ .

١٢٤ ـ أخبر الحسن بموت الحجاج فقال : اللَّهمَّ إنه عقيرك وأنت قتلته ، فاقطع سنته وأعماله الخبيثة . ودعا عليه .

١٢٥ ـ أم سلمة : قال لنا رسول الله ﷺ : إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون . فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : قولي اللَّهمَّ اغفر لي وله ، وأعقبني منه عقباً حسناً . فقلت ذلك ، فأعقبني الله منه من هو خير منه رسول الله .

١٢٦ ـ عقبة بن عامر : لأن أطأ على جمرة حتى تبرد ، أو على حد سيف حتى تنقطع قدمي أحب إليَّ من أن أمشي على قبر رجل مسلم ، وما أُبالي في القبور قضيت حاجتي أو في السوق بين ظهراني الناس .

١٢٧ ـ في الحديث المرفوع : كسر عظم المؤمن بعد مماته ككسره في حياته .

١٢٨ ـ زيد بن أسلم : لقد كانت تمضي في الزمن الأول أربعمائة سنة وما يسمع بجنازة .

١٢٩ ـ مات ابن للرضا فقال أبو العيناء : يا ابن رسول الله، أنت تجل عن عظتنا ، وقدرك تقصر عنه صفتنا ، وفي علمك بكتاب الله ما كفاك ، وفي رسول الله ما عزاك ، وفي ثواب الله ما أسلاك .

١٣٠ ـ خليد في المنذر بن الجارود :

أقول لما حملوا نعشه ... ما يعلم النعش ولا الحاملون
ما حملوا من حسب ثاقب ... ونائل جزل وجد ولين

١٣١ ـ الربيع بن ضبيع الفزاري :

سيدركني ما أدرك المرء تبعاً ... ويغتالني ما أغتال أنسر لقمان
وأفنى ويبقى منطقي بعد أزمنٍ ... وكل امرىء إلَّا أحاديثه فان

١٣٢ ـ المكعبر الضبي :

وتنفر من عمرو ببيداء ناقتي ... وما كان ساري الليل ينفر من عمرو

لقد حبَّبت عندي الحياة حياته وحبَّب سكني القبر سكناه في القبر

١٣٣ ـ عبد الله بن عباس في موت الحسن بن علي :

أصبح اليوم ابن هندٍ آمناً ظاهر النخوة إذ مات الحسن
ارتع اليوم ابن هند قامصاً إنما يقمص بالعير السمن[١]

١٣٤ ـ علي عليه السلام : فاتقى عبد ربه ، نصح نفسه ، قدم توبته ، غلب شهوته فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به ، يزيّن له المعصية ليركبها ، ويمنيه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها .

١٣٥ ـ وعنه رضي الله عنه : لقَد قبض رسول الله ﷺ وأن رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت كفه في كفي فأمررتها على وجهي ، ولقد وليت غسله والملائكة أعواني ؛ ملأ يهبط وملأ يعرج ، وما فارقت سعي هنيمة منهم ، يصلون عليه ، حتى واريناه في ضريحه .

ـ وعنه : كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها ، فكانوا فيها كمن ليس فيها ، يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم ، وهم أشد إعظاماً لموت قلوب أحيائهم .

ـ وعنه : من ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره .

١٣٦ ـ قال هرم بن حيان لأويس القرني : أوصني . قال : توسد الموت إذا نمت ، واجعله نصب عينيك إذا قمت .

١٣٧ ـ قال عبد الله بن مرزوق لسلامة : يا سلامة لي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : تحملني وتطرحني على المزبلة لأموت عليها ، فلعله يرى مكاني فيرحمني .

١٣٨ ـ ميمون بن مهران : شهدت جنازة ابن عباس بالطائف ، فلما

---

(١) قمص : رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه من الفرح .

وضع ليصلّى عليه جاء طائر أبيض حتى وقع على أكفانه ، ثم دخل فيها ، فالتمس فلم يوجد . فلما سوّي عليه سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه : **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**[1] .

١٣٩ ـ حاطب بن قيس بن هبشة يرثي عمرو بن حمحمة الدوسي :

سلام على القبر الذي ضمَّ أعظماً — تحوم المعالي حوله وتسلم

سلام عليه كلما ذر شارق — وما امتد قطع من دجى الليل مظلم[2]

فيا قبر عمرو جاد أرضاً تعطّفت — عليك ملث دائم القطر مرزم[3]

١٤٠ ـ وقال عتيك بن قيس المدني يرثيه :

برغم العلى والمجد والجود والندى — طواك الردى يا خير حاف وناعل

لقد غال صرف الدهر منك مرزأً — نهوضاً بأعباء الأمور الأثاقل

يضم العفاة الطارقين فناؤه — كما ضم أم الرأس شعب القبائل[4]

ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة — كما كسف الاصباح طرق الغياطل[5]

ويستهزم الجيش العرمرم باسمه — وإن كان جراراً كثير الصواهل

ويمضي إذا ما النقع مدَّ رواقه — على الروع وارفضّت صليل العوامل[6]

١٤١ ـ العيزار بن الأخنس السنبسي ، وسنبس من طيء :

---

(١) سورة الفجر ، الآية : ٢٨ .

(٢) ذرّ شارق : طلع جانب الشمس . أول طلوع الشمس .

(٣) المَلْثُ : أول سواد المغرب فإذا أشتدّ فهو المَلَسُ .
ومَلثُ الظلام : اختلاط الضوء بالظلمة .
والمرزم : المهمهم لشدة البرق والرعد والعواصف .

(٤) العفاة : طالبو المعروف . والطارقون : الزائرون ليلاً .

(٥) الغياطل : جمع غيطلة وهي ذوات اللبن من الظباء والبقر .
والغيطلة أيضاً : ازدحام الناس ، والأكل والشرب والفرح بالأمن .

(٦) النقع : الغبار . والروع : الخوف . والعوامل : جمع عاملة وهي صدر الرمح .

إلى اللّه أشكو أن كل قبيلةٍ ... من الناس قد أفنى الحِمام خيارها
جزى اللّه زيداً كلما ذر شارق ... وأسكن من جنات عدنٍ قرارها

١٤٢ ـ أبو الهيذام العقيلي :

وما زال حكم البيض والسود نافذاً ... بأمر الردى في أنفس البيض والسود
فللثكل ترخي حملها كل حاملٍ ... وللموت يغذو والد كل مولود

١٤٣ ـ القاسم بن طوق بن مالك التغلبي يشمت بموت الفضل بن مروان :

أبا العباس صبراً واعترافاً ... بما يلقى من الظلم الظلوم
رزقت سلامة فبطرت فيها ... وكنت تخالها أبداً تدوم
لقد ولت بدولتك الليالي ... وأنت ملعن فيها ذميم
وزالت لم يعش فيها كريم ... ولا استغنى بثروتها عديم
فبعداً لا إنقضاء له وسحقاً ... فغير مصابك الحدث العظيم

١٤٤ ـ محمد بن مناذر في مرثية عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي ، وهي إحدى المراثي المبرزات ، وهي نحو من ثلاثمائة بيت :

ما درى نعشه ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود

١٤٥ ـ محمد بن هارون بن مخلد :

كأني بإخواني على حافتي قبري ... يهيلونه فوقي وأدمعهم تجري
فيا أيها المذري عليَّ دموعه ... ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا اللّه عني يوم أترك ثاوياً ... أزار فلا أدري وأجفا فلا أدري

١٤٦ ـ طلَب يعقوب بن الربيع أخو الفضل بن الربيع جارية اسمها ملك سبع سنين ، باذلاً فيها ماله وجاهه حتى ملكها ، فماتت بعد ستة أشهر ، فأنفذ شعره في مراثيها ، فمن ذلك قوله :

بليت ملك في التراب فأبـ ... ـلاني بلاها وذكر ملك جديد

ينقص الوجد كلما قدم العهـ ـد ووجدي في كل يوم يزيد

١٤٧ ـ الفرزدق في امرأة له ماتت حاملاً .

وجَفن سلاح قد رزيت فلم أنحْ عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظةٍ لو أن المنايا أرجأته لياليا

١٤٨ ـ أخت طرفة ترثيه :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه على خير حالٍ لا وليداً ولا قحما

١٤٩ ـ أبو الزبرقان الكاتب يرثي أبا تمام :

خبر أتى من أعظم الأنباء لما ألم مقلقلاً أحشائي
قالوا حبيبٌ قد ثوى فأجبتهم ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

١٥٠ ـ لما احتضر معاوية رفع يديه وقال :

هو الموت لا منجى من الموت والذي أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال : اللّهمَّ فأقل العثرة ، واعفُ عن الزلة ، وعد بعفوك على من لا يرجو غيرك ، ولا يثق إلاّ بك ، يا واسع المغفرة والرحمة ، تعفو بقدرة ، وما وراءك مذهب لذي خطيئة موبقة ، يا أرحم الراحمين .

فبلغ سعيد بن المسيب فقال : لقد وفق عند الموت ، فإن ينج أبو عبد الرّحمٰن من النار غداً فهو الرجل الكامل . وما أخوفني عليه ! .

١٥١ ـ [شاعر] :

سروران مالهما ثالث حياة البنين وموت البنات

١٥٢ ـ ماتت لرجل بنت فقال : عزوني لتعاهدوا السنة ، وهنوني أن تقدم بعض إلى الجنة .

١٥٣ ـ حفر ثابت البناني قبره ، فكان يختلف إليه ، يقرأ فيه ويصلّي حتى مات .

١٥٤ ـ قال عبد الملك عند موته : يا وليد ، لا أعرفنك إذا أنا متّ تجلس وتعصر عينك ، وتخن كما تخن الأُمة الوكعاء[1] ، لكن ائتزر وشمر وألبس جلد النمر ، وضعني في حفرتي ، وخلني وشأني ، وعليك وشأنك . وادعُ الناس إلى بيعتك ، فمن قال بوجهه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم بعث إلى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية ، فقال لهما : هل بكما من ندامة على بيعة الوليد ؟ قالا : ما نعرف أحق بالخلافة منه . قال : أولى لكما ! والله لو قلتما غير ذلك لأخذت الذي فيه أعينكما ، ثم رفع ثني فراشه فإذا سيف مجرد ، ونفسه تتردد في حنجرته ، وهو يقول : الحمد لله الذي لا يبالي أصغيراً أخذ من خلقه أم كبيراً ، حتى فاضت نفسه .

١٥٥ ـ ودخل الوليد ومعه بناته يبكين عليه ، فتمثل :

ومستخبر عنّا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواجم[2]

وكان الطبيب قد حماه الماء ، فقال : اسقوني شربة وإن كانت فيها نفسي ، فسقوه فمات .

١٥٦ ـ ابن عمر رفعه : ما حق امرىء مسلم له مال يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلاَّ ووصيته مكتوبة عنده ، وكانت وصية ابن عمر لا تفارق جيبه .

١٥٧ ـ وعن ابن عمر : توشك المنايا تسبق الوصايا .

١٥٨ ـ جابر رفعه • الذي يوصي عند الموت كالذي يقسم ماله عند الشبع .

---

(١) الأمة الوكعاء : الحمقاء .

(٢) العيون السواجم : الغزيرة الدمع .

١٥٩ ـ ابن عباس رضي الله عنه : الضرار في الوصية من الكبائر .

١٦٠ ـ معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه : من حضرته الوفاة فأوصى ، وكانت وصيته على كتاب الله ، كانت كفارة لما ترك من زكاته في حياته .

١٦١ ـ الفضل بن عباس : جاء رسول الله ﷺ موعكاً قد عصب رأسه ، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال : نادِ في الناس ، فاجتمعوا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه قد دنا مني خفوق من بين أظهركم ، من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدمني[١] ، ومن كنت شتمت له عرضاً فليسقدمني ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يقل أحد أني أخشى الشحناء من رسول الله ، ألا أن الشحناء ليست من طبيعتي ولا شأني . ألا وان أحبكم إليّ من أخذ حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيت الله وأنا طيبة نفسي ، وقد أرى أن هذا غير مغن عنيّ حتى أقوم فيكم مراراً .

وذكر أنه رجع فقال مثله ، وأن رجلاً ذكر أن له عليه ثلاثة دراهم فقضاها . وأن عكاشة بن محصن قال : رفعت قضيبك الممشوق لتضرب العضباء[٢] ، وأنا بقربك ، فأصابني ، فأتى به فقال : يا هكاشة فاقتص مني قبل القصاص يوم القيامة ، فكرر قوله فضوح الدنيا أهون من فضوح يوم القيامة ، فقال : ضربتني وأنا عريان ، فألقى جبة من صوف كانت عليه ، فخر عليه يقبله ويمرغ عليه وجهه ويقول : أعوذ بهذا البطن من النار . فقال : يا عكاشة أعاذك الله من النار . ثم قال : عفوت عنك يا رسول الله ،

---

(١) استقاد : أنقاد له وخضع .

(٢) العضباء : ناقة الرسول ﷺ . كانت من نعم بني قُشير ابتاعها أبو بكر الصديق فأخذها رسول الله ﷺ وهي التي هاجر عليها وكانت حين قدم رسول الله ﷺ رباعيةً فلم تزل عنده حتى نفقت وكان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء كل هذا كان يُقال لها .

راجع أخبار العضباء في «تركة النبي ﷺ » صفحة ١٠٠ تأليف حماد بن إسحاق ابن إسماعيل بتحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري .

فقال عفا الله عنك كما عفوت عن نبيه .

١٦٢ ـ اجتمع الحسن والفرزدق في جنازة النوار بنت أعين بن ضبيعة امرأته ، فقال الفرزدق : يقولون فيها خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : لست أنا بخير الناس ، ولا أنت بشر الناس ، ثم قال له : يا أبا فراس ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلاَّ الله منذ سبعين سنة ، قال الحسن : هذا العمود فأين الطنب[1] ؟ فقال الفرزدق :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى الموت مغلول القلادة أزرقا

فبكى الحسن حتى بل كمه .

١٦٣ ـ عثمان رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، قلنا : وثلاثة . قال : وثلاثة ، قلنا : واثنان ، قال : واثنان . ولم نسأله عن واحد .

١٦٤ ـ ثوبان : خرج رسول الله ﷺ في جنازة ، فرأى ناساً ركوباً ، فقال : ألا تستحيون ؟ إن ملائكة الله يمشون على أقدامهم وأنتم على ظهور الدواب .

١٦٥ ـ أنس : شكا رجل إلى رسول الله قسوة قلبه ، فقال : اطلع على القبور ، واعتبر بالنشور[2] .

١٦٦ ـ عثمان رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما رأيت منظراً إلاَّ والقبر أفظع منه . وكان عثمان إذا وقف على قبر بكى ما لا يبكى عند ذكر الجنة والنار . فقيل له ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) الطنب : الحبل الذي يشد به السرادق .
(٢) النشور : يوم القيامة .

القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينجُ فما بعده شر منه .

١٦٧ ـ مرّ عبد الله بن عمر بمقبرة فصلّى ركعتين ، وقال : ذكرت أهل القبور ، وأنهم حيل بينهم وبين هذا ، فأردت أن أتقرب بهما إلى الله تعالىٰ .

١٦٨ ـ البراء[١] رفعه : في قوله تعالىٰ : ﴿**لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش**﴾[٢] ، يكسى الكافر في قبره لوحين من نار .

١٦٩ ـ معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي قال : أخبرني من شئت من رجال قومي أن جبرائيل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ في جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ فقام رسول الله يجر ثوبه مبادراً إلى سعد بن معاذ ، فوجده قد قبض .

١٧٠ ـ قال جابر : ولما وضع سعد في قبره سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبروا معه . فقالوا : يا رسول الله لِمَ سبّحت ؟ قال : هذا العبد الصالح لقد تضايق عليه قبره حتى فرجه الله عليه .

وروي أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك ، فقال : كان يقصر في بعض الطهور من البول .

١٧١ ـ وعن عائشة رفعته : إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ .

١٧٢ ـ وروى أنس : لو أن بني آدم علموا كيف عذاب القبر ما نفعهم العيش في الدنيا ، فنعوذ بالله من عذاب القبر .

---

(١) البراء : لعلّه البراء بن عازب الصحابي الذي غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة غزوة . توفي سنة ٧١ هـ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٤١ .

١٧٣ ـ الإنسان ينسى حمامه ويريد أن يفجر أمامه .

١٧٤ ـ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمهما الله .

ومتعب النفس مـرتـاح إلى بـلدٍ والمـوت يـطلبــه في ذلـك البلد

١٧٥ ـ الموت قانص لا يشوى .

قيـل للحجاج ، وقـد أشرف على المـوت ، وهـو على الإسـراف : مـا تجـزع من المـوت ؟ قـال : إن كنت مسيئاً فليست سـاعـة جـزع ، وإن كنت محسناً فليست ساعة فرح .

١٧٦ ـ من يزف كريمته إلى القبر فقد بلغ أمنيته من الصهر .

١٧٧ ـ استسلم لأمر الله فيما ذهب ، واشكره على ما وهب .

١٧٨ ـ الحسن : مـا من يوم ألا تصفـح ملك الموت وجـوه النـاس فيـه خمس مـرّات ، فمن رآه على لهو ولعب ، أو معصيـة ، أو رآه ضاحكـاً حـرك رأسه وقال : مسكين هذا العبد ، مـا أغفله عما يـراد به ! ثم قـال : اعمل مـا شئت فإن لي فيك غمزة أقطع بها وتينك[١] .

١٧٩ ـ معاوية : أتتنـا عجوز دهـرية نسـألها فقـالت : حدّثني أشيـاخ لنا أن الميت إذا وضع في قبره اعتـورته[٢] أربـع نيران ، فتجيء الصـلاة فتطفىء واحـدة منهـا ، ويجيء الصـوم فيـطفىء واحـدة ، وتجيء الصـدقـة فتـطفىء واحدة ، ويجيء الصبر على موت إبنه فيـطفىء واحدة ، ويقـول : لو أدركتهن لأطفأت كلهن ، ولكن أنا لك وأمامك .

١٨٠ ـ قعـد أبو حـازم المدني على شفيـر قبر ، فقـال لصـاحبـه : مـاذا ترى ؟ فقال : أرى حفيرة يابسـة وجنادل[٣] صمـاً . فقال : أمـا والله لتمهدنـه

(١) الـوتين : عرق في القلب إذا انقـطع مات صـاحبه ومنـه حديث غسـل النبي ﷺ : والفضل يقول أرِحْني أرِحْني قطعت وتيني أرى شيئاً ينزل عليَّ .

(٢) اعتورته : أتت عليه متابعة . تداولته .

(٣) الجنادل : جمع جندل الحجر الصلب .

لنفسك أو لتكونن معيشتك فيه ضنكاً .

١٨١ ـ حاتم الأصم : ما من صباح إلاَّ ويقول الشيطان لي : ما تأكل ؟ وما تلبس ؟ وأين تسكن ؟ فأقول له : آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر .

١٨٢ ـ الصاحب في تعزية عن بنت : لئن كانت الأيام قد فجعتك من المتوفاة بمن يوحش الخدور ، فقد تجافت لك من ذكورة الولد عمن يؤنس الصدور .

١٨٣ ـ معاذ بن جناب اليربوعي ، وعاش مائة وأربعين سنة :

للموت ما يغذى وللموت قصرنا ... ولا بد من موت وإن نفس العمر
فمن كان مغروراً بطول حياته ... فإني كفيل أن سيصرعه الدهر
وليس بباقٍ إن سألت ابن مالكٍ ... على الدهر إلاَّ من له الدهر والأمر

١٨٤ ـ قال مسلم بن عبد الملك : ما وعظني إلاَّ عمران بن حطان في قوله :

أفي كل عامٍ مرضةٌ ثم نقهةٌ ... وتنعي ولا تنعى فكم ذا إلى متى

فقال له معاوية الصوفي : أما أنا فقد سمعته أمات الموت وما أماته شاعر قبله ، حيث يقول :

لا يعجز الموت شيء دون خالقه ... والموت فانٍ إذا ما جاءه الأجل
وكل شيءٍ أمام الموت متضع ... للموت والموت فيما بعده جلل

١٨٥ ـ الأمير نصر بن أحمد عند وفاة أخيه أبي الأشعث :

يعزي المعزي ثم يمضي لشأنه ... ويبقى المعزّى في أحر من الجمر
ويسلو المعزي عن قليل كغيره ... ويبقى المعزى عنه في وحشة القبر

١٨٦ ـ كان بعض الصالحين إذا مات له حميم يقول : كدت والله أكون السواد المختوم .

١٨٧ ـ قيل لحسان[1] : مالك لم ترثِ رسول الله ﷺ ؟ فقال : لأني لم أر شيئاً إلاَّ رأيته يقصر عنه .

١٨٨ ـ كان عبد الملك يكرم كثيراً على ما يعلم من رأيه ، وكان علوي الرأي ، فلما مات دخل كثير على ولده وهم يقتسمون ميراثه ، فلم يلتفتوا إليه ، فخرج وهو يقول :

أضحت رثاث ابن مروان مقسمة ... في الأقربين بلا حمدٍ ولا ثمن
ورَّثتهم فتعزوا عنك إذ ورثوا ... وما ورثتك غير الهم والحزن

١٨٩ ـ قال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة : يا رجاء إذا وضعتني في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي ، فإن رأيت خيراً فاحمد الله ، وإن رأيت غير ذلك فاعلم أن قد هلك عمر . فلما دفناه كشفت عن وجهه ، فرأيت نوراً ساطعاً فحمدت الله ، وعلمت أنه قد صار إلى خير .

١٩٠ ـ ماتت بنت لعمر بن عبد العزيز فأتاه الناس ، فقال لحاجبه : قل لهم إنَّا لا نعزى على البنات والأخوات فارجعوا .

١٩١ ـ رجاء بن حيوة : دخلت على عمر حين احتضر ، فقال : يا رجاء إني أرى وجوهاً كِراماً ليست بوجوه إنس ولا جان ، وهو يقلب طرفه يميناً ويصعده ويحدره[2] ، ثم رفع يديه فقال : اللَّهمَّ ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فإن عفوت فقد مننت ، وإن عذبت فما ظلمت، إلَّا أني أشهد أن لا إله إلَّا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك المصطفى ، ورسولك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأُمة ، فعليه السلام والرحمة . ثم قضى رحمه الله .

١٩٢ ـ كان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا وقف على قبر قال : ألا أراك ضيقاً ؟ ألا أراك مظلماً ؟ لئن سلمت لأتأهبن لك أهبتك .

---

(١) حسّان : هو حسّان بن ثابت . تقدّمت ترجمته .

(٢) يحدره : خلاف يصعده .

١٩٢ ـ عن كثير بن زيد : كبر حكيم بن حزام حتى ذهب بصره ، ثم اشتكى فاشتدّ وجعه ، فقلت : لأحضرنه ولأنظرن ما يتكلم به ، فإذا هو يهمهم ويقول : لا إله إلاَّ أنت ، أحبك وأخشاك ، حتى مات .

١٩٤ ـ أسماء بنت عُميس[١] : أنا لعند علي بن أبي طالب بعد ما ضربه ابن ملجم ، إذ شهق شهقة ثم أغمي عليه ، ثم أفاق فقال : مرحباً ، مرحباً ، الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الجنة ، فقيل له : ما ترى ؟ قال : هذا رسول الله ، وأخي جعفر ، وعمي حمزة ، وأبواب السماء مفتحة ، والملائكة ينزلون يسلمون عليّ ويبشرون ، وهذه فاطمة قد طاف بها وصائفها من الحور ، وهذه منازلي في الجنة . لمثل هذا فليعمل العاملون .

١٩٥ ـ ووقف على قبره رجل من ولد حاجب بن زرارة[٢] فقال : لقد كانت حياتك مفتاح خير ومغلاق شر ، ووفاتك مفتاح شر ومغلاق خير . ولو أن الناس قبلوك بقولك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم آثروا الدنيا فانتقض الأمر كما ينتقض الحبل عن مزايره .

١٩٦ ـ جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى

---

(١) أسماء بنت عُميس : صحابية ، كان لها شأن . أسلمت قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم بمكة وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله ومحمداً وعوفاً ، ثم قتل عنها جعفر شهيداً في وقعة مؤتة سنة ٨ هـ فتزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً بن أبي بكر ، وتوفي عنها أبو بكر فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً . وماتت بعد علي . وصفها أبو نعيم بمهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . توفيت نحو ٤٠ هـ .

راجع ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨ : ٢٠٥ والدر المنثور ٣٥ وصفة الصفوة ٢ : ٣٣ .

(٢) حاجب بن زرارة : من سادات العرب في الجاهلية . كان رئيس تميم في عدة مواطن وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مالٍ عظيم ووفى به . أدرك الإسلام وأسلم . توفي نحو سنة ٣ هـ . راجع الأعلام ٢ : ١٥٣ .

سمته ، ومكث شهرين وأنه ليرفع من تحته كذا طستاً من دم . وكان يقول : سيقت السمّ مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة ، لقد لفظت كبدي فجعلت أقلبها بعود كان في يدي . وقد رثته جعدة بأبيات منها :

يا جعد بكيه ولا تسأمي   بكاء حق ليس بالباطل
إنك لن ترخي على مثله   ستّرك من حاف ولا ناعل

وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاماً ، فكان الصبيان يقولون له : يا ابن مسممة الأزواج .

ولما كتب مروان بشكاته إلى معاوية بشكاته ، كتب إليه : أن أقل المطي إلي بخبر الحسن ، ولما مات وبلغه موته سمع تكبير من الخضراء ، فكبر أهل الشام لذلك التكبير . وقالت فاختة بنت قرط لمعاوية : أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ، ما الذي كبّرت له ؟ قال : مات الحسن ، قالت : أعلى موت ابن فاطمةتكبرّ ؟ قال : والله ما كبّرت شماتة لموته ، ولكن استراح قلبي وصفت لي الخلافة .

وكان ابن عباس بالشام ، فدخل عليه وقال له يا ابن عباس هل تدري ما حدث في أهل بيتك ؟ قال : لا أدري ما حدث إلاّ أني أراك مستبشراً ومن يطيف بك وقد بلغني تكبيرك وسجودك . قال : مات الحسن . قال : إنا لله ، رحم الله أبا محمد ، ثلاثاً . ثم قال : والله يا معاوية أنه لا يسد جسده حفرتك ، ولا يزيد يومه في عمرك ، ولئن كنا أُصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، فسكن الله تلك العبرة ، وجبر تلك المصيبة ، وكان الله الخلف علينا من بعده .

وقال لأخيه الحسين : إذا أنا متُّ فادفني مع رسول الله إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ، وإن منعوك فادفني في بقيع الغرقد[1] ، فلبس الحسين ومواليه

---

(١) بقيع الفرقد : هو مقبرة أهل المدينة ، وهي داخل المدينة . وأصل البقيع في اللغة : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتّى وبه سمّي بقيع الفرقد .
راجع معجم البلدان ١ : ٤٧٣ .

السلاح ، وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله ﷺ ، فخرج مروان في موالي بني أميّة فمنعوه من دفنه مع رسول الله ﷺ .

١٩٧ ـ كان لعلي بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه ، فعزاه ووعظه ، فقال : يا ابن رسول الله إن ابني كان من المسرفين على نفسه ، فقال : لا تجزع إن من وراء إبنك ثلاث خلال[١]، أما أولهن فشهادة ألا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، والثانية شفاعة جدي عليه الصلاة والسلام ، والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شيء . فأين يخرج ابنك من واحدة من هذه الخلال ؟ .

١٩٨ ـ قال آدم عليه السلام حين احتضر لابنه شيث : يا بني ، أوصيك أن تطلي جسدي بدهن ومرٍّ ولبان مما هبط به عليَّ من الجنة ، فإنه إذا طلي به الميت لم ينفصل شيء من أعضائه حتى يبعثه الله . وأوصيك أن يكون معك دهن ومرّ ولبان حيث ما ذهبت ، فإن الشيطان لا يقربك ، وأوصيك أن تجعل جسدي في تابوت ، وتجعلني في مغارة في أوسط الأرض .

ومات يوم الجمعة ، وصلّى عليه في الساعة التي خرج فيها من الجنة ، في ست ليالٍ خلون من نيسان ، وعمره تسع مائة وستون سنة . وناحوا عليه مائة وأربعين يوماً .

١٩٩ ـ وعن ابن عباس قبره بمسجد الخيف[٢] بمنى ، قال عطاء بلغني أن قبره تحت المنارة التي وسط مسجد الخيف .

٢٠٠ ـ وهب بن منبه : إن الكافر إذا وضع في لحده هبط به إلى سجين .

٢٠١ ـ وعن طاووس أنه قال لولده : يا بني ، إذا وضعتني في لحدي

---

(١) خلال : جمع خلّة وهي الخصلة والعادة .

(٢) الخيف : هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمّي مسجد الخيف من منى وهو خيف بني كنانة .

فارفع لبنة وانظر فإن رأيتني فاحمد الله ، وإن لم ترني فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٢٠٢ ـ دفن طلحة رضي الله عنه على شاطىء المكلا بالبصرة ، فرآه مولى له في المنام ، فقال : أدركوني فقد غرقني الماء . فابتاعوا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف وحوّلوه إليها .

٢٠٣ ـ مات أبو عيسى أخو المأمون ، وقد عزم على أن يعقد له بعده ، فعزاه محمد بن عباد ، فقال : يا محمد حال القدر دون الوطر ، وألوت المنية بالأمنية . فقال : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة ما أخطأتك شوى[1] ، فجعل الله الحزن لك لا عليك .

٢٠٤ ـ عن ابن شهاب : أن رجلاً أهدى إلى أبي بكر صفحة من خريز ، وعنده الحارث بن كلدة ، فأكلا منها ، فقال الحارث : فيها سم سنة ، فوالذي نفسي بيده لا يمر بي وبك أكثر من حول . فماتا في يوم واحد على رأس السنة .

٢٠٥ ـ كان أبو هريرة إذا سئل عمن مات قال : أنت فإن كرهت فأنا .

---

(١) الشوى : في «اللسان» أن السهم إذا أخطأ فقد شوى ، يُقال : رمى فأشوى إذا لم يُصِبْ المقتل . قال أبو بكر : الشوى جلدة الرأس . والشوى : إخطاء المقتل .



البـــاب الثاني والثمانون

الملك والسلطان ، والإمارة والبيعة ، والخلافة وذكر الولاة وما يتصل بهم من الحجاب ، وغير ذلك

١ ـ قال الحسن للحجاج : سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ : وقروا السلاطين وبجلوهم ، فإنهم عز الله وظله في الأرض إذا كانوا عدلاً . قال الحجاج : لم يكن فيه إذا كانوا عدولاً ، قلت : بلى .

٢ ـ قال عمر للنبي ﷺ : أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب ، وخضعت له الأجساد ما هو؟ قال : ظل الله في الأرض ، فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر ، وإذا أساء فعليه الأصر[1] وعليكم الصبر .

ـ وعنه عليه الصلاة والسلام : أيما راع استرعى رعيته فلم يحطها بالأمانة والنصيحة من ورائها فقد ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء .

٣ ـ مالك بن دينار : وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى : أنا ملك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة . لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، ولكن توبوا إلى الله أعطفهم عليكم .

---

(١) الأصر : العطف والمعروف .

٤ ـ مطرف[١] : لا تنظروا إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم[٢] وسوء منقلبهم .

٥ ـ أبو عمران الجويني : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار ، وبكل من يخاف الناس شره وشدة بأسه ، فيوثقون في الحديد ، ثم أمر بهم إلى النار فأوصدها عليهم ، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً ، ولا والله لا ينظرون إلى أديم السماء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفونهم على غمض أبداً .

٦ ـ الأعمش[٣] : قال لي أبو وائل شقيق بن سلمة : يا أبا سليمان ، ليس لنا من أمرائنا واحدة من ثنتين : لا تقوى في الإسلام ، ولا حلم من أحلام الجاهلية .

٧ ـ أبو عبيد الله الأشعري وزير المهدي :

للّه دهر أضعنا فيه أنفسنا	بالجهل لو أنه بعد النهي عادا
أفسدت ديني بإصلاحي خلافتهم	وكان إصلاحها للدين إفسادا
ما قرّبوا أحداً إلَّا ونيتهم	أن يعقبوه من التقريب إبعادا

٨ ـ قيل لعبد الملك : أقتلت عمرو بن سعيد الأشدق ؟ فقال : قتلته وهو أعز عليّ من دم ناظري ، ولكن لا يجتمع فحلان في شول[٤] .

٩ ـ سمع زياد رجلاً يسب الزمان فقال : لو كان يدري ما الزمان لضربت عنقه ، إنما الزمان هو السلطان .

---

(١) مطرف : هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الجرشي العامري توفي سنة ٩٥ هـ . وفي سنة وفاته خلاف . تقدّمت ترجمته .

(٢) سرعة ظعنهم : سرعة ارتحالهم وزوالهم أي موتهم .

(٣) الأعمش : هو أبو محمد سليمان بن مهران ، قارىء ، حافظ ، توفي سنة ١٤٨ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٤) الشول : الناقة التي ترفع ذنبها للفحل للّقاح .

١٠ ـ قال جحظة لإسماعيل بن بلبل حين استوزر : الولايات عواري ، واصطناع الحر نهزة ، فاغتنم الواجدان قبل الفقدان .

١١ ـ عزل عمار بن ياسر عن الكوفة فقال : وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام .

١٢ ـ الإسكندر: السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه ، لأنا إذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه .

١٣ ـ الغاضري : أعطانا الملوك الآخرة طائعين ، وأعطيناهم الدنيا كارهين .

١٤ ـ كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : أعني بأصحابك . فأجابه : من كان من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه ، ومن كان يريد الآخرة فلا حاجة له فيك ، ولكن عليك بذوي الأحساب ، فإنهم إن لم يتقوا استحيوا ، وإن استحيوا تكرموا .

١٥ ـ فيلسوف : إن الملك الأعظم أن يملك الإنسان شهوته .

١٦ ـ إبراهيم بن العباس : أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلاً ثم وقعوا ، فأقربهم إلى التلف أبعدهم في المرقى .

١٧ ـ بزرجمهر : الملوك تعاقب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان .

١٨ ـ جعفر بن محمد : كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الأخوان .

١٩ ـ غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على أصبهان في آخر أيام بني أُميّة ، واجتمع عليه الناس ، فكتب بند رجل كان معه إلى عمران بن هند بذلك ، فأجابه عمران :

أتاني كتاب منك يا بند سرني ... تخبرني فيه باحدى العجائب
تخبرني أن العجوز تزوجت ... على كبرٍ منها كريم الضرائب
فهناكم اللّه الكريم نكاحها ... وراش بها كل ابن عمٍ وصاحب

كنى عن الخلافة بالعجوز .

٢٠ ـ وقال كسرى لشيرين : ما أحسن هذا الملك لو دام ! فقالت : لو دام ما انتقل إلينا .

٢١ ـ مات بعض ملوك يونان ، فطلبوا ملكاً ، فأشير بواحد ، فقال فيلسوف : لا يصلح للملك لأنه كثير الخصومات ، فلا يخلو من أن يكون ظالماً ، والظالم لا يصلح للملك لظلمه ، أو مظلوماً والمظلوم أحرى أن لا يصلح لضعفه ، فقيل له : فأنت أحق بالملك . فملكوه .

٢٢ ـ قيل لرجل : قد ولي أخوك فهلا أتيته . فقال : ما سرني له فأهنّيه ، ولا ساءته فأعزيه ، فلم آتيه؟ .

٢٣ ـ عبيد الله بن زياد : نعم الشيء الامارة لولا قعقعة البريد وتشرف المنبر . الخليع البصري الباهلي :

ألا إنما المأمون للّه محنة ... مميزة بين الضلالة والرشد
رأى اللّه عبد اللّه خير عباده ... فملّكه واللّه أبصر بالعبد

٢٤ ـ مرّ طارق الشرطي بابن شبرمة في موكبه ، فقال :

أراها وإن كانت تحب كأنها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

اللَّهمَّ لي ديني ولهم دينهم . فاستقضى بعد ذلك ، فعاتبه ابنه وذكره ما قال : فقال : يا بني ، إن أباك أكل من حلوائهم فحط في أهوائهم .

٢٥ ـ سمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال : ويحك إنك غفل لم تمسك التجارب ، وفي النصح لدغ العقارب ، وكأنني بالضاحك إليك باكياً عليك .

• ٢٦ ـ مكتوب على باب نوبهار[1] ببلخ قال بيوراسف : أبواب الملوك

(١) نوبهار : بناء للبرامكة ببلخ ، كان دينهم عبادة الأوثان فوُصفت لهم مكة وحال الكعبة بها فاتّخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزيّنوه=

تحتاج إلى ثلاثة : عقل ، وصبر ، ومال - نوبهار قرية من قرى بلخ - وتحته : كذب عدو الله ، من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان .

٢٧ - سعيد بن حميد : عمل السلطان كالحمام ، من فيه يريد الخروج منه ، ومن هو خارج منه يريد الدخول فيه .

٢٨ - خالد بن صفوان : من صحب السلطان بالأمانة والنصيحة كان أكثر عدواً ممن صحبه بالغش والخيانة ، لأن عدو السلطان وصديقه يتناصران عليه بالعداوة ، والعدو يعاديه لنصحه ، والصديق ينافسه في منزلته .

٢٩ - رأى المأمون رؤوس المحارض مفدمة بالقطن ، فقال للخادم : أحسنت ، إنما يباهي بالذهب والفضة من قلَّ عنده ، وأما نحن فحقنا المباهاة بالأفعال الجميلة ، والشيم الكريمة ، وذاك بالملوك أبهى وأجمل .

٣٠ - أعرابي : حكم جليس الملوك أن يكون حافظاً للسمر ، صابراً على السهر .

٣١ - حكيم : ينبغي للوالي أن يتفقد أمر خاصته كل يوم وأمر عامته كل شهر ، وأمر سلطانه كل ساعة .

٣٢ - علي عليه السلام : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لإزالة الجبال أيسر من إزالة ملك مؤجل .

٣٣ - قال سفيان الثوري للمهدي بمكة : حدث قدامة بن عبد الله بن عمار الكلابي قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة يوم النحر[1] ،

= بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة وكانت الفرس تعظِّمه وتحج إليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبّته الأعلام وكان حول البيت ٣٦٠ مقصورة يسكنها خدّامه وقوّامه وسدنته . وكانوا يسمون السادن الأكبر برمك لتشبيههم البيت بمكة فكان كل من ولي منهم السدانة برمكاً . وكانت ملوك الهند والصين وكابل وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين .

(١) يوم النحر : هو اليوم العاشر من ذي الحجة لنحرهم فيه .

لاضرب ولا طرد ولا إليك إليك . وقد رأيت الناس يضربون بين يديك .

٣٤ ـ أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة جالسة ، كأن وجهها فلقة قمر ، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ، ومعها صبي يلعب . فمر رجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه . فقالت هند : إن لم يسودن إلّا قومه فأماته الله .

٣٥ ـ سأل كسرى الموبذان[1] : ما شيء واحد يعز به السلطان ؟ قال : الطاعة ، قال : ما سبب الطاعة ؟ قال : التودد إلى الخاصة ، والعدل في العامة .

٣٦ ـ كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولي النفاطات فأظهر تجبراً :

لعمري لقد أحدثت فيها كأنما	توليت للفضل بن مروان منبرا
وما كنت أخشى لو وُليت مكانه	علي أبا العباس أن تتغيرا
بحفظ عيون النفط أظهرت نخوة	فكيف به لو كان مسكاً وعنبرا
دع الكبر واستبق التواضع إنه	قبيح بوالي النفط أن يتكبرا

٣٧ ـ من أخلاق الملوك حب التفرد ، ويعتقدون أن البهاء والأبهة فيه ، حتى أن أمكنهم أن يتفردوا بالماء والهواء لم يشاركوا فيهما .

٣٨ ـ وعن أردشير بن بابك : كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان ، وإذا ركب في لبسة لم ير على أحد مثلها ، وإذا تختم بخاتم كان حراماً على أهل الملة أن يتختموا بمثله .

٣٩ ـ وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص بمكة إذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته ما دامت على رأسه .

---

(١) الموبذان : الموبذ هو قاضي المجوس وموبذان موبذ هو قاضي القضاة . راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ١١٤ .

٤٠ ـ وكان الحجاج إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترىء أحد من خلق الله أن يدخل عليه في مثلها .

٤١ ـ وعبد الملك : إذا لبس الخف الأصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه .

٤٢ ـ وعن أبي حسان الزيادي : أتاني من قال لي : يقول لك ذو الرياستين[١] : لا تعتم غداً على قلنسوة إن أتيت الدار ، فبت واجماً ، فلما أصبحنا فيها خرج الحاجب فقال : إن أمير المؤمنين يعتم اليوم على قلنسوة فانزعوا عمائمكم .

٤٣ ـ من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فحص المرضعة عن منام رضيعها .

٤٤ ـ وكان أردشير متى شاء قال لأرفعهم وأوضعهم : كان عندك في الليل كيت وكيت ، حتى كان يُقال يأتيه ملك من السماء ، وما ذاك إلاَّ لتفحصه وتيقظه .

٤٥ ـ وعن عمر رضي الله عنه أن علمه كان بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد . وقد اقتفى معاوية أثره .

٤٦ ـ وتعرف رجل إلى زياد ، فقال : أتتعرف إلي وأنا أعرف بك منك بأبيك وأُمك ؟ وأعرف هذا البُرد الذي عليك . فرعب الرجل حتى أرعد[٢] .

٤٧ ـ وعن بعض العباسيين : كلمت المأمون في امرأة خطبتها ، وسألته النظر إليها ، فقال : يا أبا فلان ، من قصتها وحالها وفعلها ، فوالله إن زال يصفها ويصف أحوالها حتى بهت .

---

(١) ذو الرياستين : هو الفضل بن سهل . تقدّمت ترجمته .
(٢) أرعد : ارتجف من الخوف .

ورفع إليه رجل رقعة يسأله إجراء الرزق ، فقال له : كم عيالك ؟ فزاد في العدد فلم يوقع ، ثم كتب إليه في السنة الثانية فصدق ، فوقع له .

٤٨ ـ قال ذو الكلاع الحميري لعمر : لقد أذنبت ذنباً ما أرى الله يغفر لي لقد أشرفت على الناس مرة بعد أن طال احتجابي عنهم ، فسجد لي مائة ألف .

٤٩ ـ لما بشر هشام بالخلافة سجد ، وسجد أصحابه إلاّ الأبرش الكلبي . فقال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : وكيف أسجد وغداً تحلّق في السماء وتتركني ؟ قال : فإني أحلّقك معي . قال : الآن وجب السجود .

٥٠ ـ الحمدوني في الحسن بن أيوب والي البصرة :

شر الأخلاّء من ولّى قفاه إذا كان المولي وأبدى البشر معزولا
من لم يسمن جواداً كان يركبه في الخصب قام به في الجدب مهزولا

٥١ ـ قيل لسلطاني : مثل السلطان مثل البرمة السوداء ، كل من مرّ بها سوّدته . فقال : إن كان ظاهر أسود فإن في باطنها لحماً سميناً وطعاماً لذيذاً .

٥٢ ـ كتب عمر رضي الله عنه إلى عقبة بن غزوان : أما بعد ، فإنك أصبحت أميراً تقول فتطاع ، وتأمر فيتبع أمرك ، فيا لها من نعمة ! إن لم ترفعك فوق قدرك ، أو تطغك على من دونك . احترس من النعمة أشد من احتراسك من الخطيئة ، وهي والله أخوفها عندي عليك أن يُقال لك : ومن مثلك ؟ فتترفع ، فتسقط سقطة لا شوى لها . والسلام .

٥٣ ـ خرج المتوكل إلى بعض متنزهاته ، فوقف على جبل كله حصىً قد غسله المطر ، فاستحسنه ، فنزل ودعا بطعامه ، فأكل وشرب ، ثم قام لصلاة الظهر فصلّى ، ثم قعد فسبح ، ثم قال في دعائه : اللَّهمَّ إنك خلقتني ولم أكُ شيئاً بقدرتك ، ثم صيّرتني فوق هذا الخلق بعزتك ، وأنت قادر أن تزيل هذا كله ، ، فارزقهم مني العدل والنصفة ، وألقِ في قلبي

لهم الرأفة والرحمة ، ثم بكى وأخذ كفاً من ذلك الحصى فجعله على رأسه ، وجعل يقلّب وجهه وخده على الأرض . ثم قام فركب .

٥٤ ـ ابن عباس : عنه عليه الصلاة والسلام : سيكون أقوام من أُمتي يقرأون القرآن ، ويتفقهون في الدين ، يأتيهم الشيطان فيقول لهم : لو أتيتم السلطان فأصبتم من دنياهم ، واعتزلتموهم بدينكم ، ولا يكون ذلك ، كما لا تجنى من القتاد إلاّ الشوك كذلك لا تجنى من قربهم إلاّ الخطايا .

٥٥ ـ الثوري : إن دعوك لتقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تأتهم . وعنه : إن مررت بدورهم فلا تنظر إليها ، فإنما بنوها لينظر إليها ، ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا**﴾ الآية[1] .

٥٦ ـ أبو حازم قال للزهري[2] : إن الناس كانوا يفرون من السلطان وهو يطلبهم ، وأنتم تأتون أبواب السلطان وهو يفر منكم .

٥٧ ـ قال سعيد بن المسيب : مال السلطان من الخمس . ولم يقبله الثوري ، وقال : إني لأعلم أنه حلال ، ولكن أكره أن يقع لهم في قلبي مودة .

٥٨ ـ كتب عبد الملك إلى ابن المسيب : إلى أخي الخالص دون الناس ، إن الناس قد دعوا إلى بيعة ابن أخيك الوليد ، فإن رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس لما أرجو فيه من الاستقامة وإصلاح ذات البيت فافعل ، فإن رسول الله ﷺ قال : من مات وليس في عنقه لإمام المسلمين بيعة فميتته ميتة جاهلية .

فلما قرأ سعيد الكتاب قال : كذب والله الذي لا إله إلاّ هو ، ما هو بأخي الخالص دون الناس ، إنه لعدوي من دون الناس ، هو الذي بعث

---

(١) سورة طه ، الآية : ١٣١ وتمامها : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم .

(٢) الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، أبو بكر ، تابعي من أهل المدينة توفي سنة ١٢٤ . تقدّمت ترجمته .

إلى بيت الله الحجاج ، فنصب عليه المجانيق[1] وأحرقه بالنار ، ولم تحل مكة لأحد من الخلق إلاّ لمحمد ، أحلت له ثلاث ساعات من نهار . فدعاني أن أبايع لابنه ، يريد أن يجعلها هرقلية .

٥٩ ـ مرّ بريد لبني مروان في سوق المدينة ، فقال له سعيد : كيف تركتهم ؟ قال : بخير . قال : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب . فاشرأب الرسول حتى سكن . فقال له المطلب بن السايب : يغفر الله لك ، تشيط بدمك بكليمة تلقيها ؟ قال : اسكت يا أحمق ، والله لا يسلمني الله ما أخذت بحقوقه .

٦٠ ـ كان ابن سيرين يثبت المهدي ، وكان الحسن لا يعرفه ، وقال يوماً : إن يكن لهذه الأمة مهدي فهو هذا ، يعني عمر بن عبد العزيز .

٦١ ـ أرسل عمر بن عبد العزيز محمد بن سعيد رسولاً إلى الروم ليفدي أسارى المسلمين بأسارى المشركين ، فقال : دخلت على ملك الروم فإذا هو نازل عن سريره جالس على الأرض ، فقلت : ما شأن الملك؟ قال : أو ما تدري ما حدث ؟ مات الرجل الصالح . يعني عمر بن عبد العزيز . ثم قال : لست أعجب ممن أغلق بابه وترهب ، ولكني أعجب ممن أمكنته الدنيا وقدر عليها ثم زهد فيها . إني لأحسب لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى لأحياهم عمر .

٦٢ ـ استحضر سليمان بن عبد الملك طاووساً ، فسكت طويلاً ثم قال : هل تعلمون أول ما خلق ؟ قالوا : لا ض، قال : القلم ، ثم قال : فهل تعلمون آخر من يموت ؟ قالوا : لا ، قال : ملك الموت ، قال : هل تعلمون أبغض خلق الله ؟ قالوا : لا ، قال : إن أبغض خلق الله إليه عبد أعطاه سلطاناً فعمل بمعصيته . فأخذ سليمان يحك رأسه حتى كاد يجرحه .

٦٣ ـ قال موسى صلوات الله عليه : يا رب ، أنت في السماء ونحن

---

(١) المجانيق : نوع من السلاح كانت تُقذف به الحجارة .

في الأرض ، فما علامة رضاك من سخطك ؟ قال : إذا استعملت عليكم خياركم .

النامي[1] :

سأصبر إن جفوت فكم صبرنا لمثلك من أمير أو وزير
رجوناهم فلما أخلفونا تمادى فيهمُ غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهي غنم وباتوا في المحابس والقبور
ولما لم تنل منهم سروراً رأينا فيهمُ كل السرور

٦٤ ـ مالك بن دينار : إذا غضب الله على قوم سلط عليهم صبيانهم .

٦٥ ـ محمد بن واسع : والله لسف التراب ولقم القصب خير من الدنو من أبواب السلطان .

٦٦ ـ نهى الثوري عن القرب من المنبر ، فقيل : أليس يُقال ادنُ واستمع : قال : ذاك لأبي بكر وعمر والخلفاء ، فأما هؤلاء فتباعد عنهم ، ولا تسمع كلامهم ولا ترَ وجوههم .

ـ وعنه : لا تجالسوا الملوك ، فإنكم إن باهيتموهم أفقروكم، وإن تفضلوا عليكم حقّروكم .

ـ وقيل له : لو دخلت عليهم وتحفظت . قال : أفتأمنونني أن أسبح في البحر فلا تبتل ثيابي .

٦٧ ـ كتب يعقوب بن داود وزير المهدي إلى عابد يستقدمه ، فاستشار محمد بن النصر وقال : لعل الله أن يقضي ديني . فقال محمد : لأن تلقى

---

(١) النامي : هو أحمد بن محمد الدارمي المصّيصي ، أبو العباس المعروف بالنامي ، شاعر رقيق الشعر ، من أهل المصيصة (على ساحل البحر المتوسط ، قريبة من طرسوس) نسبته إلى دارم بن مالك ، وهو بطن كبير من تميم ، اتصل بسيف الدولة ابن حمدان فكان عنده كالمتنبي في المنزلة والرتبة . كان واسع الاطلاع في اللغة والأدب ، وكانت له مع المتنبي معارضات اقتضاها اجتماعهما في حلب وقربهما من سيف الدولة . مات في حلب سنة ٣٩٩ هـ .

راجع ترجمته في يتيمة الدهر ١ : ١٦٤ وابن خلكان ١ : ٣٨ .

الله وعليك دين ولك دين خير من أن تلقاه وقد قضيت دَينك وذهب دِينك .

٦٨ ـ ابن السماك[١] : الذباب على العذرة[٢] أحسن من القارىء على أبواب الملوك .

٦٩ ـ فضيل : لو كانت لي دعوة مستجابة لما جعلتها إلاَّ في إمام ، لأنه إذا صلح الإمام أمن العباد والبلاد . فقبل ابن المبارك رأسه وقال : يا معلم الخير ، من يحسن هذا غيرك ؟ .

ـ وعنه : رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل الله ويخالطهم .

٧٠ ـ سفيان بن عيينة : ما من عملي شيء أرجى عندي من بغض هؤلاء .

٧١ ـ هوبر التغلبي :

الملك إن لم يقم بالحق سائسه ... عما قليل لأهل الملك ضرار
لا بارك اللّه في دنيا إذا انصرمت ... لذاتها كان عقبى أهلها النار

٧٢ ـ محمود بن مروان بن أبي الجنوب :

أعاد لنا المعتز أيام جعفر ... وأحيا لنا بالعدل والجود جعفرا
إمام له في كل قلبٍ محبةٌ ... كوالده قولاً وفعلاً ومنظرا

٧٣ ـ قال ابن السماك للرشيد : إن الله تعالىٰ قد وهب لك الدنيا بأسرها ، فاشترِ نفسك ببعضها ، ولم يجعل فوق قدرك قدراً ، فلا تجعل فوق شكرك شكراً .

---

(١) ابن السماك : هو محمد بن صبيح . كان زاهداً راوية للحديث . توفي سنة ١٨٣ . تقدّمت ترجمته .

(٢) العذرة : الغائط .

٧٤ ـ علي عليه السلام : إن شر الناس إمام جائر ضلّ وضلَّ به ، فأمات سنة مأخوذة ، وأحيى بدعة متروكة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالإمام الجائر ، وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم ، فيدور فيها كما تدور الرحى ، ثم يرتبط في قعرها .

٧٥ ـ ابن المبارك : دخل أسقف نجران على مصعب بن الزبير ، فرماه بشيء فشجه ، فقال له الأسقف : إجعل لي أماناً حتى أخبرك بما في الإنجيل ، قال : لك ذلك . قال : فيه ما للأمير والغضب ومن عنده يطلب الحلم ؟ وما للأمير والجور ومن عنده يطلب العدل ؟ وما للأمير والبخل ومن عنده يطلب البذل .

٧٦ ـ يحيى بن يحيى لأن ألقى الله بكُل ذنب أحب إلي من أن آخذ منهم ، يعني السلاطين .

٧٧ ـ من صحب السلطان قبل أن يتأدب فقد غرر بنفسه .

٧٨ ـ قال سلمة الأحمر للرشيد : يا أمير المؤمنين ، لو كنت في فلاة فعطشت بكم تشتري شربة ماء ؟ قال : بنصف ملكي . قال : فإن شربتها فأبت أن تخرج ؟ قال : بالنصف الآخر . قال : فلعن الله ملكاً يباع بشربة وبولة .

٧٩ ـ ابن المبارك :

أنا ما استطعت هداك اللّه عن باب الأمير
لا تزرها واجتنبها إنها شر مزور

٨٠ ـ أبو هريرة رفعه : ويل للأمراء ، ويل للأمناء ، ليتمنيين أقوام لو أن ذوائبهم كانت معلقة في الثريا ، يتذبذبون بين السماء والأرض ، وأنهم لم يلوا عملاً .

٨١ ـ ابن عباس رفعه : إن من أشراط الساعة إماتة الصلوات ، واتباع الشهوات ، واتباع الهوى ، ويكون أمراء خونة ، ووزراء فسقة . فوثب

سلمان فقال : بأبي وأمي ، إن هذا لكـائن ؟ قال : نعم ، عنـدما يـذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في المـاء ، ولا يستطيـع أن يغير . قـال . أو يكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمـان ، إن أذل الناس يـومئذ المؤمن ، يمشي بين أظهرهم بالمخافة ، إن تكلم أكلوه ، وإن سكت مات بغيظه .

٨٢ ـ عمـر رضي الله عنه : عنـه عليه الصـلاة والسـلام : ويـل لـديـان الأرض من ديـان السمـاء ، إلَّا من أمـر بـالعـدل وقضى بـالحق ، ولم يقض على هوى ولا قرابة ، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه .

٨٣ ـ ربيعـة الجرشي : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : اللَّهمَّ إني أعـوذ بك من رجل عظيم سلطانه ، قليل وفاؤه لدينه هضّام ، وعن آخرته نوام .

٨٤ ـ أبـو هريـرة : أخنع الأسمـاء عند الله أن يُقـال لـه ملك الأمـلاك . أي أذلها . ويروى أنخع أي أقتل .

٨٥ ـ قال عمر رضي الله عنه لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أحوجهم الدهر إلي . فقال عمر : هكذا المخاتلة عن الشرف .

٨٦ ـ نزل عيسى عليه السـلام دمشق فوجـد ملكها يـطعم الناس الـطعام في صحـاف الذهب والفضـة ، فذهب هـو وأصحابـه إلى بردى ، فـأخـرجـوا كسـراً معهم فـأكلوا ، وشـربـوا من المـاء . ثم قـال عيسى : لا تـدخلوا على الملوك ، ولا تأكلوا من طعامهم ، ولا تعجبـوا بما أُوتـوا ، واعجبوا ممـا يفعل بهم يوم القيامة .

٨٧ ـ لـزمت بعض أمراء بلخ كفـارة يمين ، فسأل فقيهـاً ، فقال : كفـر بـالصيام . فبكى . لأن في أمـره بالصيـام أن جميع مـا يملكه حـرام ولا شيء له .

٨٨ ـ لقمان : لا تقارب السلطان إذا غضب ، ولا البحر إذا مدّ .

٨٩ ـ لقمــان : ثـلاث فـرق يجب على النـاس مـداراتهم : الملك المسلط ، والمرأة ، والمريض .

٩٠ ـ أبو ذر : قلت يا نبي الله ، كم كتاباً أنزل الله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيت خمسين صحيفة ، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : فما كانت صحف إبراهيم ؟ فذكر أن فيها ﴿**قد أفلح من تزكّى**﴾[1] إلى آخر السورة . وفيها : يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لن أردها ولو كانت من كافر .

٩١ ـ علي عليه السلام : تباعد من السلطان الجائر ، ولا تأمن خدع الشيطان فتقول متى أنكرت نزعت ، فإنه هكذا هلك من كان قبلك ، فإن أبت نفسك إلاَّ حب الدنيا ، وقرب السلاطين ، وخالفتك عما فيه رشدك ، فأملك عليك لسانك ، فإنه لا بقية للموت عند الغضب ، ولا تسل عن أخبارهم ، ولا تنطق بأسرارهم ، ولا تدخل فيما بينهم .

٩٢ ـ الثوري : وإياك الأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء ، وإياك أن تخدع فيقال له : تشفع وترد مظلمة ، فإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخاً .

٩٣ ـ قال الحجاج للحسن : أنت القائل : قاتلهم الله ! قتلوا عباد الله على الدرهم والدينار ؟ قال : نعم ، قال : أما علمت سطوتي ؟ أما اعتبرت بقتلي أكفاءك ولم يتكلوا بشطر من ذلك ؟ قال : حملني على ذلك ما أخذ الله على العلماء ، وتلا قوله تعالىٰ ﴿**لتبيننّه للناس ولا تكتمونه**﴾ ، فسكن غضبه ، وأمر أن يدهنوا شعره . ثم ندم . وتوارى الحسن فلم يقدر عليه .

٩٤ ـ كاتب : أعطي قوس السيادة باريها، وأضيفت إلى كفئها

---

(١) سورة الأعلىٰ ، الآية : ١٤ .

وكافيها ، وفسخ به شرط الدنيا الفاسد في إهداء حظوظها إلى أوغادها[1] ، ونقض حكمها الجائر في العدول بها عن نجباء أولادها . رمقته عين الملك وهو جنين ، وجهرته وهو ماء مهين ، وقد كان يحيى أوتي الحكم صبيا ، وعيسى كلّم الناس في المهد .

٩٥ ـ غاية النوك[2] خدمة الملوك .

٩٦ ـ أمارة الطمع أمارة الطبع .

٩٧ ـ صحب عمرو بن عمار الطائي النعمان بن المنذر ، وكان النعمان أقشر أحمر الحماليق ، معربداً ، فعربد على عمرو فقتله . فقال أبو قردودة الطائي :

لقد نهيت ابن عمار وقلت له ... لا تقربنْ أحمر العينين والشعره
إن الملوك متى تنزل بساحتهم ... تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفة كإزار الحوض قد كفؤوا ... ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبرة

٩٨ ـ عبد الملك بن عمرو : رأيت في ديوان معاوية بعد موته كتاباً من ملك الصين الذي على مربطه ألف فيل ، وبنيت داره بلبن الذهب والفضة ، والذي تخدمه بنات ألف ملك ، والذي له نهران يسقيان الألوة[3] ، إلى معاوية .

٩٩ ـ قيل ليزيد بن المهلب : ما أحسن ما مدحت به ؟ قال : قول زياد الأعجم :

فتى زاده السلطان في الحمد رغبةً ... إذا غيَّر السلطان كل خليل

(١) الأوغاد : جمع وغد وهو اللئيم الخسيس .
(٢) النوك : الحمق . الأنوك هو الأحمق .
(٣) الألوة : الحلفة ، نبت أطرافه محددة شبيه بسعف النخل . وألوة : اسم بلدة لم يحدّدها ياقوت والألوة : العود الذي يُتبخر به .

١٠٠ ـ قال الأولون : ليس في الأرض عمل أكد لأهله من سياسة العوام .

١٠١ ـ وقد قال الهذلي[١] :

وإن سياسة الأقوام فأعلم لها صعداء مطلعها طويل

١٠٢ ـ الجاحظ : ليس شيء ألذ ولا أسر ولا أنعم من عز الأمر والنهي ، ومن الظفر بالأعداء ، ومن اعتقاد المنن في أعناق الرجال . لأن هذه الأمور هي نصيب الروح ، وحظ الذهن ، وقسمة النفس .

١٠٣ ـ أبو الفتح البستي[٢] :

يا قوم أرعوني أسماعكم حتى أؤدي واجب القرض
أشهد حقاً أن سلطانكم ليس بظل اللّه في الأرض

١٠٤ ـ الملك خلافة الله في عباده وبلاده ، وليس يستقيم أمر خلافته مع مخالفته .

١٠٥ ـ كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال : هذا كسرى العرب .

١٠٦ ـ أنوشروان : كل الناس أحقاء بالسجود ، وأحقهم بذلك من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه .

١٠٧ ـ ونحو ما أنشدنيه صديق لي من أهل الشام :

قرن الشجاعة بالخضوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

١٠٨ ـ بعض السلف : يا بني ، اتقِ السلطان ، فإنه يغضب غضب الصبي ، ويصول صيال الأسد .

---

(١) الهذلي : (أبو كبير) هو عامر بن الحليس الهذلي . من شعراء الحماسة في الجاهلية . قيل : أدرك الإسلام وأسلم . تقدّمت ترجمته .

(٢) أبو الفتح البستي : هو علي بن محمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي ، شاعر ، كاتب توفي سنة ٤٠٠ هـ . تقدّمت ترجمته .

١٠٩ ـ يُقال لأتم مدة الخلفاء ميدان الخلفاء ، وهي مدة دوران المشتري أربع وعشرون سنة . ولم يستكملها إلاَّ الرشيد والمقتدر ، وقال قال عقال بن شيبة بن عبد الملك بن هلال للرشيد : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي خصّك بطول البقاء ، وجاوز بك ميدان الخلفاء . فتغير وجهه ، فما عاش بعدها إلاَّ أقل من سنة .

وليس من آداب الملوك أن يعرض لهم بما يؤذن بالموت .

١١٠ ـ وعن نصر بن أحمد أن شاعراً جاءه ليلة السذق[١] بقصيدة في أولها عدد أسذاقه وكانت إحدى وعشرين ، فأنكر العدد واغتاظ ، ولم يسمع ما بعده ، ولم يسذق بعدها ، إذ لم يدر عليه الحول .

١١١ ـ كانت خلافة عبد الله بن المعتز يوماً وبعض يوم ، ولقب بالمنتصف بالله ، وضربت مثلاً فيما لا تطول مدته ، وحين قتل لم يجسر على مرثيته إلاَّ ابن بسام[٢] فقال :

لـلّه درك من ميت بمصيبةٍ ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت فينقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

١١٢ ـ في يتيمة ابن المقفع ، وهي رسالته المضروب بها المثل في البلاغة ، قال : قليل مضار السلطان في جنب كثير من منافعه كمثل الغيث الذي هو سقيا الله ، وبركة السماء ، وحياة الأرض ومن عليها ، وقد يتأذى به السفر ،ويتداعى به البنيان ، وتدر سيوله فيهلك الناس والدواب ، ويموج له البحر ، وتكون فيه الصواعق ، فلا يمتنعن الناس إذا نظروا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحيا ، والنبات الذي أخرج ، والرزق الذي بسط ، عن أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ، ويلغوا ذكر خواص البلاء التي دخلت على خواص . ومثل الرياح التي يرسلها الله بشرى بين يدي

---

(١) ليلة السذق : ليلة الوقود . فارسي معرّب (راجع اللسان مادة سذق) .
(٢) ابن بسام : هو البسامي علي بن محمد بن منصور أبو الحسن . تقدّمت ترجمته .

رحمته فيسوق بها الحساب ، ويجعلها لقاحاً للأشجار ، وروحاً للعباد ، يتنسمون منها ، ويتقلبون فيها ، وتجري فلكهم ، وتقدّ نيرانهم بها ، وقد نضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ، فيشكوها الشاكي ، ويتأذى بها المتأذي ، فلا يزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها ، وقدرها سبباً لقوام عباده ، وتمام نعمته .

١١٣ ـ ومثل الشتاء والصيف ، والليل والنهار ، وما فيها من قليل المضار وكثير المنافع . ولو أن الدنيا كانت سراء ، وكانت نعماؤها من غير كدر ، وميسورها من غير معسور ، لكانت الدنيا إذن هي الجنة التي لا يشوب[1] مسرّتها مكروه .

١١٤ ـ أبو العيناء[2] في بعض أصحاب السلطان : لله دره من ناقض أوتار ، ومدرك أوتار ، يلتهب كأنه شعلة نار . بات على مدرجة الخائفين ينتظر إلى أن تزل بأمره قدمه فيحكم في ماله قلمه ، له في الفينة بعد الفينة جلسة عند الخليفة كحسوة طائر ، أو خلسة سارق ، يقوم عنها وقد أفاد نعماً ، وأوقع نقماً .

١١٥ ـ بعض الأشراف :

فلا تحسب السلطان عاراً عقابه ... ولا ذلة عند الحفائظ والأصل
لقد قتل السلطان عمراً ومصعباً ... قريعي قريش واللذين هما مثلي
عماد بني العاص الرفيع عماده ... وقوم بني العوام آنية النحل

أراد قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق ومصعب بن الزبير ، وجعل بني العوام أواني النحل لكرمهم وطيبهم .

١١٦ ـ قالوا : السكر ثلاث : سكرة الشباب ، وسكرة الولاية ، وسكرة

---

(١) يشوب : يخالط .
(٢) أبو العيناء : هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر . شاعر أديب توفي سنة ٢٨٣ هـ . تقدّمت ترجمته .

الشراب ، وهي أهونها . وقد خمسها من قال :

سكــرات خمس إذا مني الـمــر ءُ بهــا صــار خلســة الشيــطان
سكْرة المـال والحــداثـة والعشــ ـق وسكــر الشــراب والـسلطان

وسمعـه بعض الـزهــاد فقـال : أين هــو من سكـرة المـوت ؟ وقـرأ : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾[1] .

١١٧ ـ الصـابي[2] : وقعت الخـلافـة في الخـلاف ، وبــرز الشر من الغلاف .

١١٨ ـ سليمان بن المهاجر البجلي حين قتل أبو سلمة الخلال :

إن الــوزيــر وزيــر آل مـحمــد أودى فمن يشنـاك كـان وزيــر[3]

١١٩ ـ الحجاج : سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها .

١٢٠ ـ شياطين السلاطين سلاطين الشياطين .

١٢١ ـ الملك من لا يُسلم الإسـلام ، ولا يفـارق الفـرقـان ، ولا يمــل الملّة[4] ، ولا يعدل عن العدل ، ولا يجور على الجار .

١٢٢ ـ إذا ساد اللئام باد[5] الكرام .

١٢٣ ـ أجهل الناس من كان على السلطان مدلاً .

١٢٤ ـ هذه أحوال لم تدر بمثلها أحـوال، وأقوال لم يقـل مثلها أقـوال.

---

(١) سـورة ق من الآية : ١٩ وتمـامها : وجـاءت سكرة المـوت بالحق ذلـك مـا كنت منه تحيد .

(٢) الصابي : هو إبراهيـم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحزاني الصابي . خدم المطيع العباسي ومعزّ الدولة الديلمي وابنه عزّ الدولـة بختيار . تـوفي سنة ٣٨٤ هـ . تقـدّمت ترجمته .

(٣) يشناك : يبغضك .

(٤) الملة : المذهب والدين .

(٥) باد : هنا بمعنى قلَّ .

١٢٥ ـ قال رجل لأسد بن عبد الله : أصلح الله الأمير ، إن لي عندك يداً . قال : وما هي ؟ قال : دخلت المقصورة وليس لك مجلس فيها فقمت لك عن مجلسي ، فقال : إن هذه ليد ، فما حاجتك ؟ قال : تستعملني على أبيورد[١] . قال : وما تصنع بولايتها ؟ قال : أُصيب منها مائة ألف . قال : عليها رجل له منا ناحية ، وقد أمرنا لك بمائة ألف درهم ، قال : لم تقض ذمامي . قال : كيف ؟ قال : منعتني تسليم الإمرة . قال : قد سوّغناك مائة الألف واستعملناك على أبيورد .

١٢٦ ـ أبو ميمون الأنباري الكاتب :

يا وزراء الملك لا تفرحوا — أيامكم أقصر أيام
وزارة مختصر عمرها — أطولها يقصر عن عام

١٢٧ ـ إبراهيم بن أبي عبلة : دخلت على هشام ، فقال : يا غلام ، أكتب له على مصر . فقلت : أو يعفيني أمير المؤمنين ؟ فغضب حتى اصفر وجهه ، وقال : إذا استعنا بخياركم ذكروا نحو هذا ، فتركته حتى سكن غضبه ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالىٰ يقول : ﴿**إنّا عرضنا الأمانة**﴾ ، والله ما أكرههن إذ أبين ، ولا عاب عليهن إذ كرهن ، فتبسم ثم قال : أبيت يا ابن أبي عبلة إلاّ ما أبيت .

١٢٨ ـ قال ابن إسحاق : أبو جاد ، وهوّز ، وحطيّ ، وكلمون ، وسعفص ، وقرشيات ، بنو المحض بن جندل ، كانوا ملوكاً ، ملك أبو جاد بمكة ، وهوّز وحطي بوج[٢] ، والباقون بمدين ، وإنما أصاب مدين العذاب في ملك كلمون .

---

(١) أبيورد : مدينة بخراسان بين سرخس ونسا . فُتحت على يد عبد الله بن عامر بن كريز سنة ٣١ . وقيل فُتحت قبل ذلك على يد الأحنف بن قيس التميمي .

(٢) وَجّ : اسم للطائف وفي الطائف كانت آخر غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل : سمّيت وجّاً بوجّ ابن عبد الحقّ من العمالقة . راجع التفاصيل في تحديد الطائف في معجم البلدان .

١٢٩ ـ صالح بن علي الهاشمي : جاءتني امرأة موسوسة بواسط ، فقالت لي : بأبي أنتم ، ما أكثر ظلم الناس لكم ! قلت : فِيمَ ذاك ؟ قالت : يزعمون أن الخلفاء منكم ظلمة ، ولو كانوا كذلك ما ولاهم الله خلافته ، أليس يقول : ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾[1] . فلو كان ظلمة لم ينلهم عهده .

١٣٠ ـ راشد الكاتب في علي بن هشام :

صحبتك إذ أنت لا تصحب	وإذ أنت لا غيرك الموكب
وإذ أنت تكثر ذم الزمان	ومشيك أضعاف ما تركب
وإذ أنت تفرح بالزائرين	ونفسك نفسك تسجب
فقلت كريم له همة	ينال فأدرك ما أطلب
فنلت فأقصيتني عامداً	كأني ذو عُرّةٍ أجرب[2]
ففي الناس إذ ضاق بي ما لديـ	ـك ولم ترع لي حرمة مذهب

١٣١ ـ كسرى : موت ألف سيد أهون من ارتفاع سفلة .

١٣٢ ـ قيل لرجل أصابته حاجة : لو خالطت هؤلاء فأصبت من دنياهم ، فقال : دعوني عنكم ، فإني قد أصبت من فقر الدنيا ما لا أحب أن أجمع إليه من فقر الآخرة .

١٣٣ ـ ابن شبرمة[3] : قلت لأبي مسلم حين أمر بمحاربة عبد الله بن علي : أيها الأمير ، إنك تريد عظيماً من الأمور ، فقال : يا ابن شبرمة ، إنك بحديث تفلق معانيه ، وشعر توضح قوافيه ، اعلم منك بالحرب . إن هذه دولة قد اطردت أعلامها ، وخفقت ألويتها ، واتسعت أفئيتها ، فليس لمناوئها ، والطامع فيها ، يد تنيله شيئاً من قوة الوثوب عليها . فإذا تولت

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٢٤ .
(٢) العُرّة : الجَرَبُ . والعَرَّة : الخلّة القبيحة .
(٣) ابن شبرمة : هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسّان الضبي . توفي سنة ١٤٤ هـ . تقدّمت ترجمته .

مدتها قدح الوزع بذنبها فيها .

١٣٤ ـ قال رجل لأبي الدوانيق وهو المنصور : أين ما كنت تحدث به في أيام بني أُميةأن الخلافة إذا لم تقابل بانصاف المظلومين من الظالمين ، وأن لم تعارض بالعدل في الرعية ، وقسم الفيء بالسوية ، كان عاقبة أمرها بواراً[١] ، وحاق بولاتها سوء العذاب ؟ فتنفس ثم قال : قد كان ما تقول ، ولكنا استعجلنا ما في الفانية[٢] على ما في الباقية[٣] ، وكان قد انقضت هذه الدار ، فقال له : فانظر على أي حال تنقضي ، فقال : لعاعة تقول : تباً تباً لعالم أصاره علمه غرضاً لسهام الخطايا ، وهو عالم بسرعة مواقع المنايا ، اللَّهمَّ إن تقض للمؤمنين صفحاً فاجعلني منهم ، وأن تهب الظالمين فرجاً فلا تحرمني ما يتطول به المولى على أخس عبيده .

١٣٥ ـ جودرز بن سابور : لا تثق بمودة الملوك ، فإنهم يوحشونك من أنفسهم آنس ما كنت بهم .

١٣٦ ـ خسرو بن فيروز : شر السلاطين من خافه البريء .

١٣٧ ـ أردشير قال لابنه : يا بني ، الملك والدين أخوان لا غناء لأحدهما عن الآخر . فالدين أسّ ، والملك حارس ، وما لم يكن له أس فمهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع .

١٣٨ ـ هرمز بن نرسي : شكا له أهل اصطخر[٤] احتباس القطر ، فوقَّع : إذا بخلت السماء بقطرها جادت يد الملك بدرها .

١٣٩ ـ بهرام بن نرسي : أبلغ الأشياء في تشييد الملك تدبيره بالعدل ، وحفظه بالعفو .

---

(١) البوار : الهلاك .

(٢) الفانية : كناية عن الدنيا .

(٣) الباقية : كناية عن الدار الآخرة .

(٤) اصطخر : بلدة بفارس ومن أعيان حصونها ومدنها وكورها .

١٤٠ ـ هرمز بن سابور : نحن كالنار من قاربها كثر عليه ضررها ، ومن باعدها لم ينتفع بها .

١٤١ ـ يزدجرد : نحن معاشر الملوك لا نشبه الآدميين إلاَّ بالصور والخلق ، فأما الأخلاق والهمم فبيننا وبينهم فيها التفاوت البعيد .

١٤٢ ـ بهرام جور : لا شيء أضر بالملوك من استخبار من لا يصدق إذا خبّر ، واستكفاء من لا ينصح إذا دبّر .

١٤٣ ـ أنوشروان : ما عدل من جارت قضاته ، ولا صلح من فسدت كفاءته .

١٤٤ ـ لا يستغني أعلم الملوك عن الوزير ، ولا أحد السيوف عن الصقال[١] ، ولا أكرم الدواب عن السوط ، ولا أعقل النساء عن الزوج .

١٤٥ ـ جلس الإسكندر يوماً فما رفع إليه أحد حاجة ، فقال : ما أعدّ اليوم من أيام ملكي .

١٤٦ ـ ملك الخزر[٢] : من طباع الملوك إنكارهم القبيح من غيرهم ، واحتمالهم إياه من أنفسهم .

١٤٧ ـ حسان بن تبع الحميري : لا تثقن بالملك فإنه ملول ، ولا بالمرأة فإنها خؤون ، ولا بالدابة فإنها شرود .

١٤٨ ـ عهد أبي بكر الصديق عند موته : هذا ما عهد أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر ، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برَّ وعدل فذلك علمي به ، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ،

---

(١) الصقال : شحّاذ السيوف . وصقل السيف : جلاه وملّسه وكشف صدأه فهو صاقل .
(٢) خزر : نظر بمؤخرة عينه وتداهى . والخزر : ضيق العين ، وطائفة من الناس خزر العيون ، ومنه بحر الخزر وهو بحر قزوين .

ولكل امرىء ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

١٤٩ ـ عمر رضي الله عنه : أشقى الولاة من شقيت به رعيته .

١٥٠ ـ عثمان رضي الله عنه : ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .

١٥١ ـ معاوية : ما أخاف على ملكي إلاَّ ثلاثة : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، قيل : فلِمَ لا تقتلهم ؟ فقال : فعلى من أتأمر ؟ .

١٥٢ ـ زياد بن أبيه : طوبى لمن له دويرة تؤويه ، وتجارة تكفيه ، وجارية ترضيه ، ولا نعرفه نحن فنؤذيه .

١٥٣ ـ عبد الملك : أنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ، ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر . نسأل الله أن يعين كلاًّ على كل .

١٥٤ ـ الحجاج : جور السلطان خير من ضعفه ، لأن ذلك يخص ، وهذا يعم .

١٥٥ ـ أبو العباس السفاح : ما أقبح بنا أن تكون الدنيا بأيدينا وأولياؤنا خالون من أيادينا ! .

١٥٦ ـ قرأ الرشيد قوله تعالىٰ : ﴿**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**﴾[1] ، فقال : لعنه الله ، ادعى الربوبية بملك مصر ، والله لأولينها أخس خدمي ، فولاّها الخصيب[2] . وكان على وضوئه .

١٥٧ ـ أخذ في مبايعة المهتدي بالله قبل أن يخلع المعتز نفسه ، فقال المهتدي : لا يجتمع أسدان في غابة ، ولا فحلان في عانة .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٥١ .

(٢) الخصيب : حاكم مصر .

١٥٨ ـ ابن المعتز : من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة .

ـ وعنه : إذا زادك الملك تأنيساً وإكراماً فزده تهيباً واحتشاماً .

ـ وعنه : من صحب السلطان فليصبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره .

ـ وعنه : لا تلبس السلطان في أيام الفتنة فإن البحر لا يسلم راكبه في حال سكونه ، فكيف إذا عصفت رياحه ، والتطمت أمواجه ؟ .

١٥٩ ـ محمد بن زيد الداعي : ما أشبه دولة السامانية في طول ثيابها مع قلّة كفاءتها إلّا بالسماء المرفوعة بغير عمد .

١٦٠ ـ أبو علي الصنعاني : إياك والملوك ، فإن من والاهم أخذوا ماله ، ومن عاداهم أخذوا رأسه .

١٦١ ـ سيف الدولة الحمداني : السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق فيها .

١٦٢ ـ المطيع لله : باسمنا يدفع عن سواد الأُمة وبياض الدعوة .

١٦٣ ـ عضد الدولة : الدنيا أضيق من أن تسع ملكين .

١٦٤ ـ محمود بن سبكتكين : شكر له أخوه كثرة نفقاته وصدقاته على أهل غزنة[1] عام القحط[2] ، فقال : يا أخي ، لو كانوا قوماً أجانب لكانت البشرية توجب مواساتهم ، فكيف وهم إخواننا في الدين ، وأصحابنا في الملك ، وجيراننا في البلد ؟ فأي عذر لنا مع سعة المال في تمييزهم عن العيال ؟

(١) غزنة : مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحدّ بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة . ينسب إليها ما لا يُعدُّ من العلماء كانت منزل بني محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا .

(٢) عام القحط : عام الجدب .

١٦٥ ـ وعاتب والي خوجان(١) على القتل فقال : إن جرح المال يوسى بتعويض وإخلاف ، وليس لإتلاف النفوس تلاف .

١٦٦ ـ قيل لبزرجمهر: كيف اضطربت أُمور آل ساسان ؟ فقال : استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال ، فآل أمرهم إلى شر مآل .

١٦٧ ـ السلطان لا يتوخى بكرامته الأفضل ولكن الأدنى ، كالكرم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه .

١٦٨ ـ ظفر بن الليث : سمعت أبا داود وقد ولي بلخ ثمانين سنة يقول : والله ، ما حللت حبوتي(٢) لحرام قط ، ولا ارتشيت درهماً في الحكم ، ولو علمت أن صلاح رعيتي في يميني لبذلتها .

١٦٩ ـ هرمز بن نرسي لمّا دنت وفاته وامرأته حامل بسابور(٣) عقد التاج على بطنها . وقام الوزراء بتدبير المملكة حتى ولد . وأغار العرب على نواحي فارس في صباه ، فلما أدرك انتخب من أهل النجدة وأوقع بالعرب فنهكهم بالقتل . ثم خلع أكتاف سبعين ألفاً فسمي ذا الأكتاف . وأمرهم حينئذ بأرخاء الشعور ، ولبس المصبغات والأزر ، وأن يسكنوا بيوت الشعر ، وأن لا يركبوا الخيل إلّا اعراء .

١٧٠ ـ كتب الإسكندر إلى أرسطاليس يعلمه بما افتتح من البلاد ، ويعجبه من قبة ذهب وجدها في بلاد الهند . فأجاب : إني رأيتك تتعجب من قبة عملها الآدميون ، وتدع التعجب من هذه القبة المرفوعة فوقك ، وما

---

(١) خُوجان : بلدة في نواحي نيسابور . وخوّجان : من قرى مرو .

(٢) الحبوة : ما يشتمل به من ثوب أو عمامة .

(٣) سابور : ولقبه هُويَه سُنْبا . وهُويَه اسم الكتف بالفارسية وسُنبا أي ثقّاب وهو الذي تسميه العرب ذا الأكتاف . إنما لقّب بذلك لأنه كان يثقّب أكتاف العرب ويدخل فيها الحلق وقيل بل كان يخلع أكتافهم . وقد اضطهد المسيحيين وحارب البيزنطيين ويُقال له شابور وهو ابن هرمز الملقب كوهبذ أي صاحب الجبل . راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي .

زينت به من الكواكب وأنوار الليل والنهار . وأما البلدان فليكن ملكك بالتودد إلى أهلها ، لا كقهر الراعي غنمه بالعصا ، فإنك في طاعة لمودة أحمد بدءاً وعاقبة من طاعة القهر والإستطالة .

١٧١ ـ فحدث به المأمون فقال: لقد حثَّ على التودد فأحسن، وقد أدبنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاليس بقوله : ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك .

١٧٢ ـ العتابي في الرشيد :

إمام له كف يضم بنانها ... عصا الدين ممنوعاً من البري عودها
وعين محيط بالبرية طرفها ... سواء عليها قربها وبعيدها

١٧٣ ـ محمد بن مكرم الكاتب في أحمد بن إسرائيل وزير المعتز :

إن زماناً أنت مستوزر ... فيه زمان عسر أنكد
يذمك الناس جميعاً فما ... يلقاك منهم واحد يحمد
طرف الذي استكفاك في ملكه ... أمر الرعايا عائر أرمد(1)

١٧٤ ـ لما بويع لأبي العباس السفاح اعترضه المحيس بن أرطأة الأعرجي فقال :

أهلاً وسهلاً بخيار الناس ... بهاشم أهل الندى والباس
تدولوها يا بني العباس ... تداول الأكفّ للأمراس

فقال : نعم إن شاء الله، وأمر له بمائتي دينار .

١٧٥ ـ يوسف الجوهري في المتوكل :

إن الخلافة لم تزل مشتاقة ... يسمو إليك سريرها والمنبر
حتى أتاك بها الذي أعطاكها ... ليعزّها بك إنه بك أخبر

---

(1) الطرف : العين . والعائر : المتردّد . والأرمد : المصاب بالرمد وهو مرض يوجع العيون .

ولئن أتتك وتلك أفضل رتبةٍ   للطالبين لأنت منها أكبر

۱۷٦ - ابن عباس : دخلت على علي بذي قار[1] وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ، فقال : والله هي أحب إلي من إمرتكم ، إلا أن أقيم حداً من حدود الله ، أو أدفع باطلاً .

۱۷۷ - وقال للأشتر حين ولاه مصر : وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر منه على نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، ويفيء إليك ما غرب عنك من عقلك .

وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشنأهم[2] عندك أطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك .

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرها في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلاَّ بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلاَّ قليلاً .

- وعنه : ولقد لقيه دهاقين[3] الأنبار[4] فترجلوا له واشتدوا بين يديه ، فقال : ما هذا الذي صنعتموه ؟ قالوا : خلق منا نعظم به أُمراءنا ، فقال : والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم ، وإنكم لتشقون به على أَنفسكم ،

---

(۱) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . ويوم ذي قار : أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم . وحنو ذي قار : على ليلة من ذي قار وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .
(۲) أشنأهم : أبغضهم .
(۳) دهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الأقليم ، والدهقان أيضاً التاجر .
(٤) الأنبار : مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جوزجان . فتحت الأنبار في أيام أبي بكر الصديق سنة ۱۲ للهجرة على يد خالد بن الوليد .

وتَشقَوْن به في آخرتكم . وما أخسر المشقة وراءها العذاب ! وما أربح للراحة معها الأمان من النار .

ـ وعنه : صاحب السلطان كراكب الأسد يغبط بموقعه ، وهو أعلم بموضعه .

١٧٨ ـ عابد : ينظر أهل البصائر إلى الملوك بالتصغير والرحمة ، وأهل الغفلة بالتعظيم والغبطة .

١٧٩ ـ وقف ملك من ملوك بني إسرائيل على مريض ، فقال : مالك ؟ قال : أرحمك ، قال : يا رب مرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوط بنعمة هي داؤه .

١٨٠ ـ تزوج ملك من بني إسرائيل بنت ملك ، فقالت له : إن أولى الناس بمعرفة النعم من غذي بالنعم ، وما أحسن من طلب نعيم الآخرة بترك نعيم الدنيا ! فهل لك أن تدع ما نحن فيه ونتعبد ؟ فلبسا المسوح[١] وتعبدا .

١٨١ ـ إسحاق بن إبراهيم :

باب الأمير عراء ما به أحدٌ ... إلا امرؤ واضع كفاً على ذقن

١٨٢ ـ أبو العرجاء حمال موسى بن عيسى : لما نزلنا بستان بني عامر بعثني محمد بن سليمان إلى الحسين بن علي صاحب فخ[٢] لأتجسس له ،

---

(١) المسوح : ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشّفاً وقهراً للجسد .

(٢) فَخّ : واد بمكة . ويوم فخّ كان أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن أبي طالب خرج يدعو إلى نفسه في ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج إلى مكة فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وغيره فالتقوا يوم التروية سنة ١٦٩ فبذلوا الأمان له ، فقال : الأمان أريد . فيقال إن مباركاً التركي رشقه بسهم فمات وحمل رأسه إلى الهادي وقتلوا جماعة من عسكره وأهل بيته فبقي قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع ، ولهذا يُقال لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشدّ وأفجع من فخّ . وفي هذا الموقع =

فمضيت فما رأيت إلاَّ مصلّياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف أو معداً لسلاح ، فرجعت وقلت : ما أظن القوم إلاَّ منصورين ، وأخبرته بخبرهم . فصفق بيده وبكى حتى ظننت أنه سينصرف ، ثم قال : هم والله أكرم خلق الله ، وأحق بما في أيدينا منا ، ولكن الملك عقيم ، ولو أن صاحب القبر ، يعني رسول الله ﷺ ، نازعنا الملك لضربنا خيشومه[1] بالسيف ، وسار إليهم وفعل ما فعل .

١٨٣ ـ ولما احتضر محمد بن سليمان كانوا يلقنونه الشهادة ، وهو يقول : ألا ليت أُمي لم تلدني ، ولم أكن شهدت حسيناً يوم فخ ولا الحسن .

١٨٤ ـ إبراهيم بن عبد الله بن رجاء الجلاني في المتوكل :

إذا ما امرؤ طالت إلى المجد كفه ... فكفك منها في ذرى المجد أطول
وحسبك أن الله فوقك وحده ... وأنك فوق الناس بالحق تعدل

١٨٥ ـ وقف على الحسن أعمى فقال : تصدقوا على من لا قائد له يقوده ، ولا بصر يهديه . فأشار إلى عبيد الله بن زياد وقال : ذاك والله صاحب هذه الدار ما كان له من حشمه قائد يقوده إلى خير ، وما كان له من قبل نفسه بصر يبصر به .

١٨٦ ـ علي عليه السلام : حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله لكل على كل ، فجعلها نظاماً لإلفتهم ، وعزاً لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلاَّ بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلاَّ باستقامة الرعية ، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى إليها حقها عز الحق

= دُفن عبد الله بن عمر ونفر من الصحابة الكرام .

وفخ أيضاً ماء أقطعه النبي ﷺ عُظَيْم بن الحارث المحاربي ، حكى ذلك الحازمي .

(١) الخيشوم : أقصى الأنف : جمع خياشيم .

بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على أذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطُمع في بقاء الدولة ، ويئست مطامع الأعداء .

وإذا غلبت الرعية واليها وأجحف الوالي برعيته اختلفت هناك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثر الادغال في الدين ، وتركت محاج السنن ، فلا يستوحش لعظيم حق عطل ، ولا لعظيم باطل فعل ، فهنالك تذل الأبرار ، وتعز الأشرار .

١٨٧ ـ أُسر مروان بن الحكم يوم الجمل ، فكلم فيه الحسن والحسين فخلاه علي ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ، فقال : ألم يبايعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته ، إنها كف يهودية ، ولو بايعني بيده لغدر بسيفه ، أما إنّ له أمرة كلعقة الكلب أنفه ، وهو أبو الأكبش الأربعة ، وستلقى الأُمة منه ومن ولده يوماً أحمر .

١٨٨ ـ نوف البكالي : خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة ، وهو قائم على حجارة نصبت له ، وعليه مدرعة[١] من صوف ، وحمائل سيفه ليف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكأن جبينه ثفنة[٢] بعير ، ثم قال : أين أخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين[٣] ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الجنة ؟ ثم ضرب بيده إلى لحيته فأطال البكاء ، ثم قال : أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه ، وتدبروا الفرض فأقاموه ، أحيوا السنة ، وأماتوا البدعة .

ثم نادى بأعلى صوته الجهاد عباد الله ، ألا وأني معسكر في يومي

---

(١) المدرعة : هي جبّة مشقوقة المقدم .

(٢) الثفنة ، من البعير والناقة : الركبة وما مسَّ الأرض من كركرته وصعداناته وأُصول أفخاذه . وفي الصحاح : هو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ .

(٣) ذو الشهادتين : هو خزيمة بن ثابت الأنصاري . توفي سنة ٣٧ هـ . تقدّمت ترجمته .

هـذا ، فمن أراد الرواح إلى الله فليخـرج . فعقـد للحسين في عشـرة آلاف ، ولقيس بن سعـد في عشرة آلاف ، ولأبي أيـوب الأنصـاري في عشـرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد أُخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين .

فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعـون ابن ملجم ، فتراجعت العسـاكر فكنّا كالأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان .

١٨٩ ـ أتى جـرير بن عبـد الله البجلي معاويـة لأخـذ البيعـة لعلي رضي الله عنـه ، فدافعـه فقال لـه : إن المنـافق لا يصلّي حتى لا يجـد من الصـلاة بـداً ، ولا أحسبك تبـايع حتى لا تجـد من البيعة بـداً . فقال معـاويـة : إنهـا ليست بخـدعة الصبي عن اللبن ، إنـه أمر لـه ما بعـده فـأبلعني ريقي . فلمـا كان من الغد رفع عقيرته[١] بسمع من جرير :

تـطاول ليلي واعتـرتني وسـاوس ... لآتٍ أتى بـالتـرهـات البسـابس
أتـاني جـريـر والحـوادث جمـة ... بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
أكـايـده والسيف بيـني وبـينـه ... ولست لأثـواب الـدنيء بـلابس
إن الشـام أعـطت طـاعـة يمنيـة ... تواضعها أشيـاخها في المجـالس
فـإن يفعلوا أصـدم عليـاً بجبهـةٍ ... تغثّ عليـه كـل رطبٍ ويـابس
وإني لأرجـو خيـر مـا نـال نـائـل ... ومـا أنا عن ملك العـراق بيـائس

١٩٠ ـ المستعين حين خلع :

كـل ملك مصيـره للذهـاب ... غيـر ملك المهيمن الـوهـاب
كـل ما قـد ترى يـزول ويفنى ... وتُجـازى العباد يـوم الحساب

١٩١ ـ أبو زبيد الطائي :

إذا نلت الأمـارة فـاسم منهـا ... إلى العيوق بالسبب الـوثيق[٢]

(١) العقيرة : الصوت .
(٢) العيوق: نجم يتلو الثريا ولا يتقدّمها .

ولا تك عندها حلواً فتحسى ولا مراً فتنشب في الحلوق
وكل إمارة إلاّ قليلاً مغيرة الصديق على الصديق

١٩٢ ـ أبو حفص العدوي :

في صاعد وأخيه وابنه عظةٌ لمن تسمى وزيراً بعدهم أبدا
فقل لذي نخوةٍ من بعد نخوتهم وظالم ظلمهم لا تأمن القردا

١٩٣ ـ لما اشتدت شوكة العراق على عبد الملك خطب فقال : إن نيران العراق قد علا لهيبها ، وكثر حطبها ، فجمرها ذاكٍ ، وزنادها وارٍ ، فهل من رجل ذي سلاح عنيد ، وقلب شديد ، يندب لها ؟ فقال الحجاج : أنا يا أمير المؤمنين ، فجبهه مرّات . ثم أعاد الكلام فلم يقم غيره ، فقال : كيف تصنع إن وليتك ؟ قال : أخوض الغمرات ، واقتحم الهلكات ، فمن نازعني حاربته ، ومن هرب طلبته ، ومن لحقت قتلته . أخلط عجلة بأناة ، وشدة بلين ، وتبسماً بازدراء . وعلى أمير المؤمنين أن يجرب ، فإن كنت المطلى قطاعاً ، وللأرواح نزاعاً ، وللأموال جماعاً ، وإلاّ استبدل بي . فقال عبد الملك من تأدب وجد بغيته ، اكتبوا كتابه .

وروي أنه قال : عليَّ بابن القرناء ، فلما رآه قال : هذا غلام ثقيف الموصوف في كتاب دانيال . ليكشف عن صدره ، فإذا هو بشابة سوداء في وسطها نكت[1] حمر .

فقال : هذا ورب موسى ، ليقتلن بعدد كل نكتة في شامته كذا وكذا ، وهي النكتة التي يعطاها السفاكون .

وذكر أنه في الكتاب شاب أنزع بطين في اسمه حاء وجيمان .

١٩٤ ـ أعرابي : حاجب المرء عامله على عرضه .

١٩٥ ـ آخر : حاجب المرء بعضه ، وكاتبه كله .

---

(١) النكتة : النقطة ، والشامة في الجسم وما شابها ذلك .

١٩٦ ـ وكان عمرو بن سعيد بن سلم في حرس المأمون ليلة ، فبرز المأمون يتفقد الحرس ، فقال له : من أنت ؟ قال : عمرو عمرك الله وابن سعيد أسعدك الله ، ابن سلم سلمك الله . فقال : أنت تكلؤنا الليلة ، قال الله يكلؤك[١] يا أمير المؤمنين ، وهو خير حافظٍ وهو أرحم الراحمين فقال المأمون :

إن أخا هيجاك من يسعى معك ومن يضرّ نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك شتّت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا له أربعة آلاف دينار . قال عمرو : فوددت الأبيات طالت .

١٩٧ ـ قال زياد لابنه : عليك بالحجاب ، فإنما تجرأت الرعاة على السباع بكثرة نظرها إليها .

١٩٨ ـ سعيد بن المسيب : نعم الرجل عبد العزيز لولا حجابه ، إن داود ابتلى الخطيئة لحجابه .

١٩٩ ـ قال بواب المأمون يوماً للوقوف على الباب : كم تقفون ؟ اختاروا واحدة من ثلاث : إما أن تقفوا ناحية من الباب ، وإما أن تجلسوا في المسجد ، ثم سكت . قالوا : فالخصلة الثالثة ؟ فلم يحسنُ أن يثلث فقال جئتمونا بكلام الزنادقة . فأنهيت إلى المأمون فضحك . وأمر له بألف درهم وقال : لولا أنها نادرة جهل لاستحق أكثر .

٢٠٠ ـ استأذن رجل على أمير ، فقال : قولوا له إن الكرى[٢] قد خطب إلى نفسي ، وإنما هي هجعة[٣] ثم أهب . فخرج الحاجب فقال : قد قال كلاماً لا أفهمه ، إلَّا أنه لا يريد أن يأذن لك .

---

(١) كلأ الله فلاناً : حرسه وحفظه .

(٢) الكرى : النوم .

(٣) الهجعة : النوم الخفيف .

٢٠١ ـ علي عليه السلام : إنما أمهل فرعون مع دعواه لسهولة إذنه وبذل طعامه .

٢٠٢ ـ قدم عبد العزيز بن زرارة الكلابي على معاوية ، فطال مقامه ببابه فصاح : من يستأذن لي اليوم فأستأذن له غداً ؟ فبغت معاوية فأذن له وأكرمه .

٢٠٣ ـ ولى يزيد بن المهلب إبنه مخلداً جرجان[١] ، وقال له : استظرف الكاتب ، واستعقل الحاجب .

٢٠٤ ـ أبو الشعيب الكوفي في بشر بن مروان :

بعيد مراد العين مارد طرفه   حذار النواشي باب دار ولا ستر[٢]
ولو شاء بشر كان من دون بابه   طماطم سود أو صقالبة حمر[٣]
ولكن بشراً أيسر الباب للتي   يكون لها في غبها الحمد والشكر

٢٠٥ ـ قال عمرو بن مرة الجهمي لمعاوية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من أمير ولا والٍ يغلق بابه من دون ذوي الحاجة والخلة[٤] والمسألة إلّا أغلق الله أسباب السماوات دون حاجته وخلته ومسألته .

٢٠٦ ـ قيل لأبي سفيان : إن عثمان حجبك ، فقال : لأعدمت من قومي من إذا شاء حجبني .

٢٠٧ ـ من وجد باباً مغلقاً وجد إلى جنبه باباً مفتوحاً .

٢٠٨ ـ استأذن النابغة على النعمان[٥] . فقال الحاجب : الملك على

---

(١) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان .
(٢) الغواشي : الطرّاق .
(٣) الطمطم : الذي في لسانه عجمة . جمع طماطم . والصقالبة : جيل حمر الألوان صهب الشعور تتاخم بلادهم بلاد الخزر وبعض بلاد الروم .
(٤) الخلّة : الفقر .
(٥) النعمان : هو النعمان بن المنذر . تقدّمت ترجمته .

شــرابــه ، فقــال : هــو وقت الملق[1] تقبله الأفئــدة وهي جــذلى للرحيق والسمــاع ، فـإن تبلج[2] فلق المجــد عن غـر مــواهبـه[3] فـأنت قسيم ما أخذت .

٢٠٩ ـ ابن المبــارك :

أرى أنـاساً بـأدنى الـدين قـد قنعـوا ... ولا أراهم رضـوا في العيش بالـدون
فاستغن بالدين على دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بـدنياهم عن الـدين

٢١٠ ـ قام رجل بين يـدي بعض الملوك ، فقال لـه : لِمَ قمت ؟ قال : لأجلس فولّاه .

٢١١ ـ في بعض ولاة بني مروان :

إذا ما قطعتم ليلكم بمـدامكم ... وأفـنيـتـمُ أيــامكـم بـمـنــام
فمن ذا الذي يغشاكم في ملمةٍ ... ومن الــذي يــأتيكم لســلام
رضيتم من الدنيا بـأيسر بلغـةٍ ... بلثم غـلام أو بشرب مـدام[4]
ولم تعلمـوا أن اللسان مـوكل ... بمــدح كــرام أو بــذم لئــام

٢١٢ ـ قـال أبو جعفـر لسلم بن قتيبة في قتـل أبي مسلم ، فتلا : ﴿**لـو كـان فيهما آلهـة إلاّ الله لفسـدتـا**﴾[5] . فقـال : حسبـك يـا أبـا قتيبـة ، هـذا الرأي .

٢١٣ ـ قـال أبـو جعفـر لشبيب بن شبـة : عــظني ، فقـال : إن الله لم يـرض لك أن يكـون فوقـك أحد من خلقـه ، فـلا تـرض لـه من نفسـك بـأن يكون له عبد هو أشكر منك .

---

(١) الملق : الودّ ، واللطف الشديد .
(٢) تبلّج : أشرق .
(٣) غرّ المواهب : المواهب الزاهية . والأغر : الأبيض من كل شيء .
(٤) البلغة : الغاية . والمدام : اسم للخمرة .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٠ .

٢١٤ ـ لا يحمل النير ردفاً ، ولا يصلح ملك بين نفسين .

٢١٥ ـ [شاعـر] :

سبحان من جعل ابن حزم يُحجب　　　جعـل ابن حـزم حـاجبين لبـابـه

٢١٦ ـ قـال زيـاد لعمر رضي الله عنـه : أعن خيـانـة عـزلتني أم عن تقصير ؟ قال : لا عن واحـد منهما ، ولكن أكـره أن أحمل فضـل عقلك على الرعية .

ـ وعنه رضي الله عنه : العمل كبير فانظر كيف تخرج منه .

٢١٧ ـ أشـرف عبد الملك على أصحـابـه وهم يـذكـرون سيـرة عمـر ، فغاظه ذلك فقال :

إيهاً عن ذكر عمر فإنه أزرى بالولاة .

٢١٨ ـ الملك في أرباب السيوف لا في ربات الشنوف[1] .

٢١٩ ـ البـديع : نهت الحكمـاء عن خدمـة الملوك ، وقالـوا أن الملوك إذا خـدمتهم ملوك ، يستعـظمـون في الثـواب رد الجـواب ، ويستقلون في العقاب ضرب الـرقاب ، يعثـرون على عثرة فيبنـون لها منـاراً ويستوقـدون بها نـاراً ، فكن من الملوك مكـانـك من الشمس ، إنهـا لتؤذيـك والسمـاء لهـا مـدار ، والأرض لها دار . فكيف لـو أسفت قليـلاً ودنت يسيـراً ؟ العـاقـل من طلب سـربـاً لـواذاً منهم وهـربـاً ، أو ابتغى في الأرض نفقـاً ، فـراراً منهم وفرقاً[2] .

٢٢٠ ـ نحيم : شر السلاطين من أمنه الجريء وخافه البريء .

٢٢١ ـ كان الوليـد بن عبد الملك صـاحب بناء واتخـاذ للضياع ، فكـان الـرجـل في زمـانـه يلقى الآخـر فـلا يسـألـه إلاّ عن بنـائـه وضيعتـه . وكـان

---

(١) ربات الشنوف : كناية عن النساء . والشُنف: ثياب توضع على أكتاف الإبل .
(٢) فرَّ فرقاً : أي خوفاً .

سليمان(1) صاحب أكل ونكاح ، فلا يتساءلون إلاّ عن التزوج والتسري وصفة الطعام . وكان عمر بن عبد العزيز ديناً ، فيلقى الرجل الآخر فيقول : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى يتم ما جعلت على نفسك من الصوم ؟ .

٢٢٢ ـ كتب أبو حازم المدني إلى عمر بن عبد العزيز : اتق الله ولا تكن للظالمين ولياً ، وإياك أن تلقى رسول الله ﷺ وأنت له بتبليغ الرسالة مصدق ، وهو عليك بسوء خلافته في أمته شهيد .

٢٢٣ ـ كان عمر بن عثمان بن معمر يسترسل مع جلسائه ولا يتكبر عليهم ، فقال له بعض من يتنصح : إن الوالي ينبغي له أن يمسك نفسه ويتكبر على أهل عمله . فقال : إنكم إذا وليتم ولاية وضعتموها هٰهنا ، وأشار إلى رأسه ، ونحن إذ ولينا وضعناها هٰهنا ، وأشار تحت قدميه .

٢٢٤ ـ سعيد بن العاص : يا بني إن الولايات محن الرجال تبدي محاسنهم ومساويهم ، فإن وليت فاستطعت أن تكون ذكراً حسناً فافعل .

٢٢٥ ـ عمرو بن العاص : يا بني إمام عادل خير من مطر وابل(2) ، وأسد خطوم خير من سلطان غشوم ، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم .

٢٢٦ ـ استأذن سعيد بن مالك على معاوية فحجب فهتف بالبكاء ، فسعى إليه الناس وفيهم كعب فقال : ما يبكيك ؟ قال : وما لي لا أبكي وقد ذهب الأعلام من أصحاب رسول الله ﷺ ومعاوية يتلعب بهذه الأُمة . فقال كعب : لا تبكِ فإن في الجنة قصراً من ذهب يُقال له عدن ، أهله الصديقون والشهداء ، وأنا أرجو أن تكون من أهله .

٢٢٧ ـ عمر رضي الله عنه : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما استعجلت أحداً من الطلقاء .

---

(1) سليمان : هو سليمان بن عبد الملك .

(2) المطر الوابل : الغزير .

٢٢٨ ـ أراد عمر أن يعزل المغيرة بن شعبة عن العراق بجبير بن مطعم وأن يكتم ذلك . وأمره بالجهاز ، فأحس بذلك المغيرة ، فأمر جليساً له أن يدس امرأته ، وكانت تسمى لقاطّة الحصى ، لتدور في المنازل حتى دخلت منزل جبير بن مطعم ، فوجدت امرأته تصلح أمره ، فقالت : إلى أين يخرج زوجك؟ قالت: إلى العمرة. قالتِ: كتمك، ولو كانت لك عنده منزلة لأعلمك. فجلست متغضبة، فدخل عليها جبير وهي كذلك، فلم تزل به حتى أخبرها، وأخبرت لقاطة الحصى، ودخل المغيرة على عمر فقال: بارك الله لأمير المؤمنين في رأيه وتوليته جبيراً . فقال : كأني بك يا مغيرة فعلت كذا ، فقص عليه الأمر كأنما شاهده ، وقال : أنشدك الله هل كان كذلك ؟ قال : اللَّهمَّ نعم . ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس من يدلني على المخلط المزيل نسيج وحده ؟ فقام المغيرة فقال : ما يعرف ذلك في أمتك أحد غيرك . فولاه ، ولم يزل والي العراق حتى طعن عمر .

٢٢٩ ـ علي عليه السلام : لا يصلح لكم يا أهل العراق إلاَّ من أخزاكم وأخزاه الله .

ودعا عليهم سعد بن أبي وقاص فقال : اللَّهمَّ لا ترضهم بأمير ، ولا ترض أميراً بهم .

٢٣٠ ـ أبو هريرة : ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب . اللَّهمَّ لا تدركني إمارة الصبيان .

٢٣١ ـ لما أراد طاهر أن ينفذ رأس الأمين إلى المأمون قال لمحمد بن الحسين بن مصعب : صر إلى أمير المؤمنين بهذا الرأس والبردة ، وقل له : وجهت إليك الدنيا والآخرة .

٢٣٢ ـ الحسين بن الضحاك في المأمون :

رأى اللّه عبد اللّه خير عباده ... فملكه واللّه أعلم بالعبد
ألا إنما المأمون للناس عصمة ... مميزة بين الضلالة والرشد

الباب الثالث والثمانون

المنطق ، وذكر الخطب ، والشعر ، والفصاحة والبلاغة ، والعيّ ، والإفحام ، والإيجاز وما اتصل بذلك

١ ـ النبي ﷺ : أنا أفصح العرب غير أني من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر .

ولما ردته حليمة السعدية إلى مكة نظر إليه عبد المطلب وقد نما نمو الهلال ، وهو يتكلم بفصاحة ، فامتلأ سروراً وقال : جمال قريش ، وفصاحة سعد ، وحلاوة يثرب .

٢ ـ وكان شبيب بن شيبة من أفصح الناس وهو من بني سعد ، وفيه يقول أبو نخلة :

إذا غدت سعد على شبيبها   على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها   عجبت من كثرتها وطيبها

٣ ـ وعنه ﷺ : سيكون بعدي أمراء يعظون الحكمة على منابرهم قلوبهم أنتن من الجيف .

٤ ـ سمع النبي ﷺ من عمه العباس ، فقال له : بارك الله لك يا عم في جمالك . أي في فصاحتك .

ـ وعنه عليه الصلاة والسلام الجمال في اللسان .

ـ وقال ﷺ لحسان[1] : قل فوالله لقولك أشدّ عليهم من وقع السهام في غلس الظلام[2] .

٥ ـ أقبح الكلام إكثار تنبسط حواشيه ، وتنقبض معانيه ، لا يرى معه أمد ، ولا ينتفع به أحد .

٦ ـ يونس بن حبيب : ليس لعييّ مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حكّ بنافوخه عنان السماء .

٧ ـ العجلة قيد الكلام .

٨ ـ مطرف[3] : إن للكلام الطيب حول العرش دوياً كدوي النحل .

٩ ـ أطال خطيب بين يدي الإسكندر فزبره[4] ، وقال : ليس تحسن الخطبة بقدر طاقة الخاطب ، ولكن على حسب طاقة السامع .

١٠ ـ أعرابي : نحن أمراء الكلام : فينا وشجت أعراقه ، ولنا تعطفت أغصانه ، وعلينا تهدلت ثماره ، فنجني منه ما أحلولى وعذب ، ونترك منه ما أملولح وخبث .

١١ ـ قال المهدي للربيع : أخبرني عن أرق بيت قالته العرب ، قال : بيت أمريءِ القيس وما ذرفت عيناك[5] . فقال : هذا بيت قد داسته العامة ، ولكن :

ومما شجاني أنها يوم أعرضت ... تولت وماء العين في الجفن حائر

فلما أفاهت من بعيد بنظرةٍ ... إليّ التفاتاً أسلمته المحاجر

---

(١) حسّان : هو حسّان بن ثابت الشاعر المشهور . تقدّمت ترجمته .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) مطرف : هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الجرشي العامري . توفي سنة ٩٥ هـ . وفي سنة وفاته خلاف .

(٤) زبره عن الأمر زبراً : نهاه وانتهره . وفي الحديث : إذا رددتَ على السائل ثلاثاً فلا عليك أن تزبره أي تنهره وتُغلظ له في القول والردّ . والزَّبر : الزجر والمنع .

(٥) البيت هو :

وما ذرفت عيناك إذاً لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتّلِ

١٢ ـ قيل في عمرو بن الأهتم المنقري وهو المكحل ، وكان من الخطباء الشعراء : كأن شعره في مجالس الملوك حلل منشرة .

١٣ ـ العتابي في أبي نؤاس : لو أدرك الخبيث الجاهلية لما فضل عليه أحد .

أبو نؤاس للمحدثين كامرىء القيس للأوائل ، وهو فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني .

١٤ ـ دعبل[١] جمعت بين أبي نؤاس ومسلم[٢] فأنشده : أجارة بيتينا أبوك غيور . وأنشده مسلم قصيدته التي فيها :

للّه من هاشمٍ في أرضه جبلٌ ... وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

فقلت لأبي نؤاس : كيف رأيته ؟ قال : هو أشعر الناس بعدي ، وسألت مسلماً فقال : أنا أشعر الناس بعده .

١٥ ـ جرير : أدركت الأخطل وله ناب واحد ، ولو أدركته وله نابان لأكلني .

١٦ ـ سئل علي عليه السلام عن اللسان ، فقال : هو معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل .

١٧ ـ قال المعتصم لأحمد بن داود : إني لأسألك عما أعرف لأسمع حسن ما تصف .

١٨ ـ قلما ينصف اللسان في وصف إساءة أو إحسان .

١٩ ـ زياد ابن أبيه : الشعر أدنى مروءة السري ، وأسرى مروءة الدني .

---

(١) دعبل : هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي . توفي سنة ٢٤٦ هـ . .

(٢) مسلم : هو مسلم بن الوليد الأنصاري المعروف بصريع الغواني . شاعر غزل وهو أول من أكثر من البديع وتبعه الشعراء فيه . توفي سنة ٢٠٨ هـ .

٢٠ ـ قال معاوية لعبد الرّحمن بن الحكم : بلغني أنك لهجت بقول الشعر ، قال : هو ذاك ، قال : فإياك والمدح ، فإنه طعمة الوقاح من الرجال ، وإياك والهجاء ، فإنك تحنق به كريماً ، وتستثير به لئيماً ، وإياك والتشبيب بالنساء ، فإنك تفضح الشريفة ، وتغر العفيفة . ولكن أفخر بمفاخر قومك ، وقل من الأشعار ما تزين به نفسك ، وتؤدب به غيرك .

٢١ ـ قيل لأبي علي الأموي : دعبل أشعر أم الطائي ؟ فقال : أما إني والله خائف أن أصفع دعبلاً بنعل الطائي فأضع من قدر صاحبها .

٢٢ ـ سهل بن هارون : اللسان والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في أحد .

٢٣ ـ سمع خالد بن صفوان مكثاراً يتكلم ، فقال : يا هذا ، ليست البلاغة بخفة اللسان ، وكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة .

٢٤ ـ ابن المعتز :

ليس له ناقد فيعرفه ... وآفة التبر ضعف منتقده[1]

٢٥ ـ عبيد بن سفيان العكلي :

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله ... إذا الخطباء الصيد عضل قيلها[2]

٢٦ ـ علي عليه السلام : اللسان سبع إن خلا عقر .

٢٧ ـ سمع الرشيد أولاده يتعاطون الغريب في محاورتهم ، فقال : لا تحملوا ألسنكم على الوحشي من الكلام ، ولا تعودوها الغريب المستشنع ، ولا السفساف[3] المتصنع ، واعتمدوا سهولة الكلام ما ارتفع عن طبقات

---

(١) التبر : الذهب .

(٢) الصيد : جمع الأصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبراً .

(٣) السفساف : الساقط .

العامة ، وانخفض عن درجة المتشدقين ، وتمثل ببيت الخطفي جد جرير :

إذا نلت إنسي المقالة فليكن ... به ظهر وحشي الكلام محرّما

٢٨ ـ عرضت على المتوكل جارية شاعرة ، فسأل أبا العيناء أن يستجيزها[١] ، قال : أحمد الله كثيراً . فقالت : حين أنشاك ضريراً ، فقال : يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها . فاشتراها .

٢٩ ـ قيل للفرزدق : ما صيرك إلى القصار بعد الطول ؟ فقال : إني رأيتها في الصدور أولج ، وفي المحافل أجول .

٣٠ ـ قال بعض الشعراء :

أزبيدة ابنة جعفر ... طوبى لزائرك المثاب[٢]

تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكف من الرغاب

فبادر العبيد ليوقعوا[٣] به ، فقالت زبيدة : كفوا عنه فإنه لم يرد إلّا خيراً ، ومن أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب ، سمع الناس يقولون : قفاك أحسن وجه غيرك ، وشمالك أندى من يمين سواك . فقدر أن هذا مثل ذاك . أعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل .

٣١ ـ قال أبو سفيان لابن الزبعري : لو أسهبت ، فقال : حسبك من الشعر غرة واضحة ، أو سمة فاضحة .

٣٢ ـ فيلسوف : كما أن الآنية تمتحن بأطنابها[٤] ، فيعرف صحيحها من منكسرها ، فكذلك الإنسان يتعرف حاله بمنطقه .

---

(١) المقصود بالإجازة : أن تتمّ ما يبدأ وتبني عليه .

(٢) زبيدة : هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية أم جعفر ، زوجة هارون الرشيد وبنت عمه ، وهي أم الأمين العباسي وإليها تنسب «عين زبيدة» في مكة . توفيت سنة ٢١٦ هـ .

(٣) يوقعوا به : يؤذوه .

(٤) الأطناب : المعدن .

٣٣ ـ قال عبد الملك لرجل : حدّثني ، قال : يا أمير المؤمنين افتتح ، فإن الحديث يفتح بعضه بعضاً .

٣٤ ـ خالد بن صفوان : لا تكن بليغاً حتى تكلم أُمتك السوداء ، في الليلة الظلماء ، في الحاجة المهمة ، بما تتكلم به في نادي قومك . وإنما اللسان عضو إذا مرنته مُرّن وإذا أهملته حار .

٣٥ ـ حكيم : إن اللسان إذا كثرت حركته رقت عذبته .

٣٦ ـ دعبل :

يسل من فكيه كالحسام　　صفيحة تلعب بالكلام

٣٧ ـ قيل لسهل بن هارون : ما البلاغة ؟ فقال : الكلام المنحدر على الغريزة على رسل[1] تحدر الدر من عقد أسلمته كف جارية إلى حجرها ، لا يحمل فيه اللسان على غير مذهب السجية فيظهر فيه فج التكلف .

٣٨ ـ أعرابي : أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد ، وساقه أحسن مساق ، حتى استرجع به القلوب النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

٣٩ ـ وقع جعفر البرمكي على ظهر رقعة قصيرة : إذاكان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عياً .

٤٠ ـ أعرابي : كان والله مطلول المحادثة ، ينبذ إليك الكلام على أدراجه ، كأن في كل ركن من أركانه قلباً يعقل .

٤١ ـ قيل لأعرابي : ما بال مراثيكم أجود ؟ فقال : لأنا نقولها وأكبادنا تحترق .

٤٢ ـ سئل بعض العلماء عن بلاغة الأمين فقال: والله لقد أتته الخلافة يوم الجمعة ، فما كان إلاَّ ساعة حتى نودي الصلاة قائمة ، فخرج

---

(١) على رسل : أي على مهل ، وبسهولة .

ورقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، وخصوصاً يا بني العباس، إن المنون مراصد ذوي الأنفاس، حتم من الله لا يدفع حلوله ، ولا ينكر نزوله ، فارتجعوا قلوبكم من الحزن على الماضي إلى السرور بالباقي تجروا أثواب الصابرين ، وتعطوا أجور الشاكرين . فتعجبوا من بلة ريقه وجودة عارضته .

٤٣ ـ ذكر الحسن بني أُمية وخطبهم فقال : أخصب ألسنة وأجدب قلوب . قال المبرد : قلت لمجنون أجز لي هذا البيت[1] :

أرى اليوم يوماً قد تكاثف يومه   وإبراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال :

وقد حجبت فيه السحائب شمسه   كما حجبت ورد الخدود المعاجر[2]

٤٤ ـ أعرابي : قد رعى الشيح[3] ، واستروح تلك الريح .

٤٥ ـ رؤبة[4] : ما رأيت أروى لأشعارنا من أبي مسلم من رجل يرتضح لكنةً أعجمية .

٤٦ ـ قال أبو زيد : وإذا قال رؤبة لرجل يرتضخ لكنة فهو من أفصح الناس .

٤٧ ـ فيلسوف : من كانت له حكمة أو أدب فلينطق به ، فإن السكوت أولى بالجاهل من الأديب .

٤٨ ـ أعرابي : كان لسانه أرق من ورقة ، وألين من سرقة .

---

(١) أجزْ لي هذا البيت : أي ابن عليه .

(٢) المعجر : ثوب تلّفه المرأة على استدارة رأسها ثم تجلبب فوقه بجلبابها والجمع معاجر ، ومنه أُخذ الاعتجار وهو ليّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

(٣) الشيح : نبت طيب الرائحة .

(٤) رؤبة : هو رؤبة بن العجاج . تقدّمت ترجمته .

٤٩ ـ قال رسول الله ﷺ لحسان : ما بقي من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه جبهته ، ثم قال : والله ما يسرني به مقول[٤] من معد ، والله لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه .

٥٠ ـ عرض عقبة بن رؤبة على أبيه شعراً فقال : كيف تراه ؟ قال : إن أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالاً فلا يلتفت إليه .

٥١ ـ قيل لابن المقفع : لِمَ لا تقول الشعر ؟ فقال : الذي يجيئني لا أرضاه ، والذي أرضاه لا يجيئني .

٥٢ ـ قال الهيثم بن صالح لابنه : يا بني ، إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب ، قال : يا أبتِ، فإن أكثرت وأكثرت ، يعني كلاماً وصواباً ، قال : يا بني ، ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك .

٥٣ ـ أنشد الجاحظ :

فإن المنبر الشرقي يشكو   على العلاّف إسحاق بن شمر
أضبيّ على خشبات ملكٍ   كمركب ثعلب ظهر الهزبر[٢]

٥٤ ـ الأحنف : الكلام أفضل من الصمت ، لأن الصمت لا يعدو فضله فاعله ، وفضل المنطق ينتفع به من سمعه .

٥٥ ـ الكلمة مربوقة ما لم تنجم من الفم ، فإذا نجمت فهي سبع مجرب أو نار تَلَهَّب .

٥٦ ـ حصر خطيب بعد قوله الحمد لله فكرره ، فقال مخنث : الذي ابتلانا بك .

---

(١) المقول : اللسان .

(٢) الهزبر : اسم للأسد .

٥٧ ـ قيل لكثيّر[1] : كيف تصنع إذا عز عليك قول الشعر ؟ قال : أطوف في الرباع المحيلة ، والرياض المعشبة ، فيسهل علي أريضه ، ويسرع إلي أحسنه .

٥٨ ـ آخر : ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخضر الخالي . وله أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح أبيه .

٥٩ ـ قيل لزيد بن علي : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال : أخزى الله المساكنة ! فما أفسدها للسان وأخلبها للحصر[2] ! فوالله لمماراة ساعة أسرع هدم العي من النار في يبيس العرفج[3] . ومن السيل في الحدور[4] .

٦٠ ـ أفحم النابغة الجعدي أربعين عاماً ، ثم أن بني جعدة غزوا وظفروا ، فاستخفه الفرح ، فرام القريض فذل له ما ساتصعب عليه . فقالوا والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا .

٦١ ـ بعض المازنيين :

ختم الإلٰه على لسان عذافر ... ختماً فليس على الكلام بقادر
وإذا أراد النطق خلت لسانه ... لحماً يحركه لصقرٍ فاقر

٦٢ ـ كان بعض ولد الزبير يسأل عما لا يحفظ من شعر عمر بن أبي ربيعة ، فإذا ذكر له شيء كتبه ويده ترتعد من الفرح .

٦٣ ـ كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : شعر تهام إذا أنجد وجد البرد ، حتى إذا سمع قوله :

---

(١) كثيّر : هو كثيّر عزّة الشاعر المشهور .
(٢) حُصر : مسك بطنه واحتبس .
(٣) العرفج : ضرب من النبات سهلي سريع الانقياد واحدته عرفجة ، طيّبة الريح لها زهرة صفراء ، لهيبها شديد الحمرة إذا اشتعلت . يُقال إن العرفج سريع الاشتعال بالنار .
(٤) الحدور: النزول .

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت　　فيضحى وأيما بالعشي فيخصر[1]

فقال : ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .

٦٤ ـ أبو نؤاس : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء[2] وليلى[3] ، فما ظنك بالرجال ؟ .

٦٥ ـ قيل للزهري[4] : ههنا قوم نساك يعيبون رواية الشعر ، قال نسكوا نسكاً أعجمياً .

٦٦ ـ وعن مسلم بن يسار سمعت ابن المسيب ينشد شعراً ، فقلت : أتنشد الشعر ؟ فقال : أو ما تنشدون ؟ قلت : لا ، قال : لقد نسكتم نسكاً أعجمية ، وقد قال رسول الله : شر النسك نسك الأعاجم .

٦٧ ـ قال رسول الله ﷺ : الشعر جزل من كلام العرب يشفى به الغيظ ، ويوصل به إلى المجلس ، وتقضى به الحاجة .

٦٨ ـ الخليل بن أحمد : الشعراء أمراء الكلام ، يصرفونه أنّى شاؤوا وجاز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تسهيل اللفظ وتعقيده ، ومد مقصوره وقصر محدوده ، والجمع بين لغاته ، وترصيف بين صلاته ، واستخراج ما كلّت الألسن عن نعته ، والأذهان عن فهمه .

---

(١) من قصيدة له في ديوانه مطلعها :

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمبكر　　غداة غدٍ أم رائح فمهجّر

ورواية الديوان : رأت رجلاً «أمّا» . .

وعارضت : قابلت (ضميره محذوف أي عارضته) ويضحى : يظهر للشمس . ويخصر : يبرد .

راجع ديوانه (بتحقيقنا) ص ١٢٠ طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الخنساء: هي تماضر بنت الشريد . تقدّمت ترجمتها .

(٣) ليلى : هي ليلى الأخيليّة . تقدّمت ترجمتها .

(٤) الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري . أبو بكر . تابعي من أهل المدينة . توفي سنة ١٢٤ هـ .

يبعدون القريب ، ويقربون البعيد ، يحتج بهم ولا يحتج عليهم .

٦٩ ـ بعض الروم : اختصار المعاني وحذف الفضول سلالة البلاغة .

٧٠ ـ [شاعر] :

أبى الشعر إلَّا أن يفيء رديئه   عليَّ ويأبى منه ما كان محكما
فياليتني إذ لم أجد حوك وشيه   ولم أكُ من فرسانه كنت مفحما

٧١ ـ مدح الفرزدق هشاماً فأجازه بأربعة لآف ، فتسخطها وتمثل ببيت زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يَفِرْهُ ومن لا يتقي الشتم يشتم

ومدحه جرير فكان مثل ذلك ، فحكي للفرزدق فقال : نعم شيطاننا واحد ، يلم به مرة وبي مرة .

٧٢ ـ سئل بعضهم عن البلاغة فقال : من عمد إلى معان كثيرة فأداها بلفظ قليل ، أو معان قليلة ففخمها بلفظ جليل .

٧٣ ـ قال سليمان بن زيد العدوي لعمرو بن عبيد : يا أبا عثمان ، قلبي متأق من الشعر . فقال له : قل في رفض الدنيا . فجعل شعره في الزهد .

٧٤ ـ قيل لعمرو بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك مواقع رشدك ، وعواقب غيك . حتى قال : كأنك تريد تخير اللفظ في حسن إفهام .

٧٥ ـ الشعبي[1] : كنت أحدث عبد الملك وهو يأكل، فيحبس اللقمة ، فأقول ؛ أجزها أصلحك الله فإن الحديث من ورائك، فيقول : والله لحديثك أحبّ إلي منها .

---

(١) الشعبي : هو عامر بن شراحيل . عالم . راوية. فقيه . توفي سنة ١٠٣ هـ .

٧٦ ـ ابن عيينة[1] : الصمت منام العلم ، والمنطق يقظته ، ولا منام إلاّ بيقظة ، ولا يقظة إلاّ بمنام .

٧٧ ـ ابن المبارك رحمه الله :

وهذا اللسان بريد الفؤاد   يدل الرجال على عقله

٧٨ ـ ليث بن نصر بن سيار : كنت أجمع بين رؤبة وابنه عقبة فيتسابان ، فيقول له عقبة : أنا أشعر منك ، فيقول له رؤبة : أسكت فانك ذَهبَان الشعر . يريد يسقط شعرك فلا يُروى ، وهو صفة على فعلان من الذهاب، كذلك فرس قطوان وصميان.

٧٩ ـ سئل يونس بن حبيب : أي الثلاثة أشعر ؟ يعني جريراً والفرزدق والأخطل . قال : اتفقت العلماء على أن أشعرهم الأخطل . قيل من هم ؟ قال : أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، وميمون الأقرن ، وعنبسة الفيل ، وعيسى بن عمر ، هؤلاء الذين طرقوا الكلام وماشوه ، فعملوا أمثلة وأبينة ، لا كمن تحكون عنهم لا بدبريين ولا نحويين .

٨٠ ـ الفضل بن الربيع : إن من الشعر بيوتاً ملس المتون ، قليلة العيون ، إن فقدتها لم تبالها ، وإن سمعتها لم تفكه لها .

٨١ ـ وصف رجل قوماً بالعي فقال : منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل إلى لسانه ، ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه ومنهم من يفسد الآذان فيحملها إلى الأذهان شراً طويلاً .

٨٢ ـ قيل لمعافي بن عمران : ما تقول في رجل يقول الشعر يلهج به ؟ قال : هو عمرك فافنِه بما شئت .

٨٣ ـ ابن الرومي :

لقد ذهب الشعر والقائلوه   وقل البصير بأبصارهم

---

(١) ابن عيينة : هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي . توفي سنة ١٩٨ هـ .

فلو أن محتسباً عادلاً على الشعراء وأشعارهم
لأفلت من يده عشرهم ودرر تسعة أعشارهم

٨٤ ـ لقمان : يا بني ، لا تقبل بحديثك على من لا يسمعه ، فإن نقل الصخور من رؤوس الجبال أيسر من محادثة من لا يسمع .

٨٥ ـ عمر رضي الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قسا قلبه ، ومن قسا قلبه قل ورعه .

٨٦ ـ زياد بن أبيه : لحديث أسمعه من عاقل أحب من سلافة[١] فثئت[٢] بماء ثغب[٣] في يوم ذي وديقة[٤] .

٨٧ ـ يجيش صدره إذا ارتجل كما جاش بجزل الحطب المرجل[٥] .

٨٨ ـ إن هذه الأبيان لا تتجاوز الأبيات .

٨٩ ـ ليس من الصيارفة الصيارفة الجهابذة ، وما كلامه إلَّا من خرافات الهرابذة . الهرابذة جمع هربذ وهو القائم على نار المجوس .

٩٠ ـ يُقال : للمسحل[٦] : ينحت عن غير عضاهه ، ويغرف من غير مياهه .

٩١ ـ الكلمة إذا ندت من الفم لم يملك مقودها[٧] .

٩٢ ـ [شاعر] :

---

(١) السلافة : ما سال وتحلّب قبل العصر ، وهو أفضل الخمر .
(٢) فثأ القدر : سكَّن غليانها .
(٣) الثغب : ذَوْبُ الجمد ، وقيل : الماء الذي يكون في مستنقعات الجبال .
(٤) الوديقة : شدّة الحرّ .
(٥) المرجل : ما يوقد فيه الحطب .
(٦) المسحل : آلة النحت .
(٧) المقود : اللسان .

القول لا تملكه إذا نما   كالسهم لا تملكه إذا رمى

٩٣ ـ لقي وجه الصواب ولقن فصل الخطاب .

٩٤ ـ من هو أقل من الصواب في مفرقي يتتبع الصواب في منطقي .

٩٥ ـ قال أعرابي لابنه : مالك ساكتاً والناس يتكلمون ؟ قال : لا أحسن ما يحسنون . قال : إن قيل لا فقل أنت نعم ، وإن قيل نعم فقل أنت لا ، وشاغبهم ولا تقعد غفلاً لا يُشعر بك .

٩٦ ـ كان ذو الرمة(١) يقول : إذا قلت كأن ولم أجد لها مخرجاً فقطع الله لساني .

٩٧ ـ أبو جعدة : ما أبرم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراً قط إلاَّ تمثل ببيت شعر معقر بن حمار البارقي :

الشعر لب المرء يعرضه   والقول مثل نوافذ النبل

منه المقصّر عن رميته   ونوافذ يذهبن بالخبل

٩٨ ـ سئل جرير عن نصيب فقال : هو أشعر أهل جلدته . فقال عمر ابن لجأ : ما يُقال لمثله أشعر أهل جلدته ، ولا أشعر أهل بلدته . يُقال : أشعر الناس وإن كان فيهم من هو أشعر منه .

٩٩ ـ لكل شيء لسان ، ولسان الزمان الشعر .

١٠٠ ـ أبو بكر رضي الله عنه : مرّ به رجل معه ثوب ، فقال : أتبيعه ؟ قال : لا رحمك الله . فقال أبو بكر : قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون ، ألا قلت : لا ورحمك الله .

١٠١ ـ ومنه ما حكي أن المأمون قال ليحيى بن أكثم : هل تغديت ؟ قال : لا وأيد الله أمير المؤمنين . فقال المأمون : ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها ! .

---

(١) ذو الرمّة : هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي . شاعر امتاز بإجادة التشبيه . عشق ميّة المنقرية واشتهر بها . توفي سنة ١١٧ هـ . بأصبهان وقيل بالبادية .

١٠٢ ـ وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ .

١٠٣ ـ يُقال للحشو الحسن ، نحو قوله وبلغتها ، حشو اللوزينج ، وللحشو القبيح حشو الأكر .

١٠٤ ـ قال جحِظة : أنشدت أبا الصقر فقال : يا أبا الحسن ، لا تزال تأتينا بالغرر الدرر إذا جاءنا غيرك بحشو الأكر .

١٠٥ ـ محمد بن الحسين بن علي : إني أكره أن يكون مقدار اللسان من الرجل فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه زائداً على مقدار عقله .

١٠٦ ـ حج مع ابن المنكدر شبان ، فكانوا إذا رأوا امرأة جميلة قالوا قد برقنا ، وهم يظنون أنه لا يفطن ، فرأوا قبة فيها امرأة فقالوا بارقة ، وكانت قبيحة ، فقال ابن المنكدر صاعقة .

١٠٧ ـ وكان أصحاب أبي علي الثقفي إذا رأوا جميلة قالوا : حجة ، فعنت لهم قبيحة ، فقال لهم داحضة .

١٠٨ ـ شر الخطباء من إذا خطب خبط .

١٠٩ ـ اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم .

١١٠ ـ أطال ربيعة الرأي[1] الكلام وعنده أعرابي ، فقال له : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : ضد ما كنت فيه منذ اليوم .

---

(١) ربيعة الرأي : هو ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء المدني أبو عثمان : إمام حافظ ، فقيه مجتهد ، كان بصيراً بالرأي فلقِّب «ربيعة الرأي» . كان من الأجواد . انفق على أخوانه أربعين ألف دينار . كان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقّه الإمام مالك . توفي بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ .

راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ١ : ١٤٨ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٥٨ والوفيات ١ : ١٨٣ .

١١١ ـ عمر رضي الله عنه : أقل أهل المروءات أقداراً من كان الشعر دليل مروءته .

١١٢ ـ وفد عمر بن أبي ربيعة على عبد الملك فرحب به وأجلسه على سريره ، فقال له : يا أبا الخطاب ، هل أطرفتنا ببعض مديحك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن آل المغيرة كانوا يمدحون ولا يَمدحون ، ولست أول من أبدع ذلك فيهم . فقال : إذا كان الشاعر من قريش فليكن مثله .

١١٣ ـ عيسى بن فرخانشاه :

سحبان يقصر عن بحور بيانه عجزاً ويغرق منه تحت عباب
وكذاك قس ناطقاً بعكاظه يعيي لديه بحجة وجواب

١١٤ ـ استوفد الفضل بن سهل مسلم بن الوليد[1] من البصرة إلى مرو فأمره بمعارضة دالية طرفة[2] ، فكان يغدو ويروح يكتب بين كل سطرين سطراً ، فلما فرغ قال المأمون : تَمَنَّ . قال : قرية القر بجرجان . فاشتريت له ، فهي اليوم لعقبه .

١١٥ ـ كان شبيب بن شيبة المنقري أحد الخطباء المصاقع ، فأمره المهدي بقتل رجل من أسارى الروم فأبى ، فقال أبو الهول الحميري :

فزعت من الرومي وهو مقيد فكيف إذا لاقيته وهو مطلق
فنح شبيباً عن قراع كتيبة وأدن شبيباً من كلام يلفق

---

(١) مسلم بن الوليد : هو المعروف بصريع الغواني . شاعر ، توفي سنة ٢٠٨ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) دالية طرفة هي معلقته المشهورة ومطلعها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وطرفة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، وُلد في بادية البحرين وتنقّل في بقاع نجد واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله من ندمائه ، ثم أرسله بكتاب إلى عامله على البحرين يأمره فيه بقتله ، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها . فقتله وكان ابن عشرين عاماً . كان ذلك نحو سنة ٦٠ قبل الهجرة .

فلم يخطب بعد هذا البيت خطبة إلاَّ وفيها اضطراب .

١١٦ ـ كتب إبراهيم بن المهدي : إيّاك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة ، فإن ذلك العناء الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظه السفل .

١١٧ ـ قال شبيب بن شيبة : ما رأيت أبين بياناً ، ولا أرق لساناً ، ولا أربط جأشاً ، ولا أبل ريقاً ، ولا أغمض عروقاً ، ولا أومض بروقاً ، في تناثر كلامه ، إذا وقف للخطبة على مقامه ، من صالح ابن أمير المؤمنين أبي جعفر .

١١٨ ـ قال من سمع ذلك : ما رأيت بعد ذلك صالحاً إلاَّ أربدت عيني عنه وعن كنه[1] النظر إليه هيبة وجلالاً .

١١٩ ـ قالت جارية ابن السماك له : ما أحسن كلامك لولا أنك تكثر تكراره ، وتكرار ترداده! قال : أردده يفهمه من لم يفهمه . قالت : فإلى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه .

١٢٠ ـ بعث إلى الوليد عمه عبد الله بقطيفة ، وكتب إليه : بعثت إليك بقطيفة حمراء حمراء حمراء . فكتب إليه : وصلت القطيفة وأنت يا عم أحمق أحمق أحمق .

١٢١ ـ عمر رضي الله عنه : تعلموا محاسن الشعر فإنه يدل على مكارم الأخلاق .

١٢٢ ـ مكتوب في التوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

١٢٣ ـ الشعبي : وجهني عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز ، فقدمت عليه مصر وهو واليها ، فقدمت على رجل سخي صدوق اللسان ، فقلت له يوماً : أصلح الله الأمير ، إنك تبلغ في منطقك وأنت في مجلسك . ولا

---

(١) الكنه : جوهر الشيء وأصله وقدره وحقيقته وغايته . والكنه أيضاً : الوقت .

تفعل ذلك على منبرك ، فقال : يا شعبي ، إنني لأستحي من الله أن أقول على منبري خلاف ما يعلم الله من قلبي .

١٢٤ ـ القول على حسب همة القائل يقع ، والسيف بقدر عضد الضارب يقطع .

١٢٥ ـ دارا الأكبر : خير الكلام حمد من خلق ورزق ، وأنطق ووفق .

١٢٦ ـ ابن عمرو الكندي قال لابنه امرىء القيس : يا بني إن أحسن الشعر أكذبه ، ولا يحسن الكذب بالملوك .

١٢٧ ـ لما ورد قتيبة بن مسلم خراسان قال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم فلينبذه ، ومن كان في فيه فيلفظه ، ومن كان في صدره فلينفثه . فتعجبوا من حسن تفصيله .

١٢٨ ـ تكلم قوم عند سليمان بن عبد الملك فأساؤوا ، ثم تكلم رجل فأحسن ، فقال : كان كلامه غب كلامهم مطرة لبدت عجاجه[1] .

١٢٩ ـ قال المهتدي بالله الخليفة من بني العباس : عاون على الخير تغنم ، ولا تجزه فتندم . فقيل له : هذا بيت شعر . فقال والله ما تعمدته .

١٣٠ ـ قال المعتضد لأحمد أبي الطيب : يا سرخسي ، إن في لسانك طولاً وفي عقلك قصراً .

١٣١ ـ قال معاوية لصحار بن عياش العبدي : ما هذه البلاغة فيكم ؟ قال : شيء يعتلج في صدورنا فنقذفه على ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد .

١٣٢ ـ أوفد زياد ابنه عبيد الله على معاوية ، فقال له : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفرضت الفرائض ؟ قال : نعم ، قال : أرويت الشعر ؟ قال : لا . فكتب إلى زياد : بارك الله لك في إبنك ، فقد وجدته

(١) العجاج : الغبار والدخان والواحد عجاجة .

كاملاً ، فروِّه الشعر ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : ارووا الشعر فإنه يدل على محاسن الأخلاق وينفي مساوئها ، وتعلموا الأنساب فربّ رحم مجهول قد وصلت بعرفان النسب ، وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر ولا تجاوزوا .

ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني إلاّ قول عمرو بن الأطنابة[1] :

أقول لها إذا جشأت وجاشت — مكانك تحمدي أو تستريحي

١٣٣ ـ بعضهم : ما كتبت كتاباً إلى ابن المقفع فاجتهدت في إيجازه إلاّ كتب أوجز منه . كتبت إليه نحن صالحون فكيف أنتم ؟ فكتب : نحن لكم .

١٣٤ ـ قيل للعتابي[2] : ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجته دون إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ . قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : أما تره إذا حدث قال : يا هناه ، واسمع إلي ، وأفهم ، وألست تفهم ؟ هذا كله عي وفساد .

١٣٥ ـ أنشد عبد الرحمن بن حسان أباه شعراً ، فقال : يا بني ، إن شيطاني جاءني بهذا كله البارحة فرددته عليه .

١٣٦ ـ قال معاوية لدغفل[3] النسابة : ابغني رجلاً يسامرني أعلم

---

(١) ابن الإطنابة : هو عمر بن عامر بن زيد مناة ، الكعبي الخزرجي ، شاعر جاهلي فارس . كان أشرف الخزرج . اشتهر بنسبته إلى أُمّه «الإطنابة» بنت شهاب ، من بني القين ، وفي الرواة من يعدّه من ملوك العرب في الجاهلية . كانت إقامته بالمدينة .
راجع ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ٢٠٣ والتبريزي ٤ : ٨٦ وتاج العروس مادة طنب .

(٢) العتابي : هو كلثوم بن عمرو . توفي سنة ٢٢٠ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٣) دغفل : هو دغفل بن حنظلة . نسّابة العرب . توفي سنة ٦٥ هـ . تقدّمت ترجمته .

منك . استريح منك إليه ومنه إليك . فقال يا أمير المؤمنين ، أنا أعلم مني . فضحك معاوية وقال : أظن كثرة الكلام قد أغفل عقل دغفل .

١٣٧ ـ أبو عمرو بن العلاء : لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يتكلف حوك الشعر .

١٣٨ ـ اجتمع الشعراء عند موت المهدي ، واندسَّ بينهم اسكاف ، فأنكروه فسألوه ، فقال : شاعر ، فاستنشدوه فقال : مات الخليفة أيها الثقلان[١] ، فأعجبوا بمفتتح شعره ، فقالوا : تمر في المصراع الثاني ، فقال : فكأنني أفطرت في رمضان . فاستضحكوا منه .

١٣٩ ـ ورثى عبد الله بن طاهر رجل فقال :

مات الأمير وكان بازاً قارحاً نعم المجبر للطحال الفاسد[٢]

١٤٠ ـ دخل على المأمون جماعة من بني العباس ، فاستنطقهم فوجدهم لكناً[٣] مع يسار وهيئة ، فقال : ما أبين الخلة[٤] فيهم ! لا أقول في أيديهم ولكن في ألسنتهم .

١٤١ ـ خطب المأمون فقال : اتقوا الله عباد الله ، وأنتم في مهل ، بادروا للأجل ، ولا يغرنكم الأمل ، فكأني بالموت قد نزل ، فشغلت المرء شواغله ، وتولت عنه بواطله ، وهيئت أكفانه ، وبكاه جيرانه ، وصار إلى المنزل الخالي ، بجسده البالي ، قد فارق الرفاهية ، وعاين الكراهية ، فوجهه في التراب عفير[٥] ، وهو إلى ما قدم فقير .

---

(١) الثقلان : هما الإنس والجنّ .
(٢) القارح من الطير : القوي . ومن ذي الحافر : الذي شقَّ نابه وطلع .
(٣) اللّكنة : العجمة في اللسان .
(٤) الخلّة : الحاجة والفقر .
(٥) عفير : ممرَّغ .

١٤٢ ـ ما رأيت على امرأة أحسن من شحم ، ولا على رجل أحسن من فصاحة .

١٤٣ ـ الشعبي : ما سمعت أحداً يخطب إلَّا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطىء ما خلا زياداً فإنه لا يزداد إكثاراً إلَّا إزداد إحساناً .

١٤٤ ـ ارتج[1] على خالد بن عبد الله القسري فقال : إن هذا القول يجيء أحياناً ويذهب أحياناً ، فيمتد عند مجيئه سببه ، ويعز عند غروبه طلبه ، وربما كوبر فأبى ، وعولج فقسا ، وقد يختلج من الجريء جنانه ، وقد يرتج على البليغ لسانه .

١٤٥ ـ كان أيوب يقول : ما أحد سمع كلام الحسن إلَّا ثقل عليه كلام الرجال بعده .

١٤٦ ـ أعرابي :

إني إذا استنشدت لا أحنبطي ولا أزيد كثرة القميطي

١٤٧ ـ الأحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى ، وكلام عمر حتى مضى ، وكلام عثمان حتى مضى ، وكلام علي حتى مضى ، ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة .

١٤٨ ـ قال معاوية : ما رأيت أبلغ من عائشة ، ما أغلقت باباً فأرادت فتحه إلَّا فتحته ، ولا فتحت باباً فأرادت اغلاقه إلَّا أغلقته .

١٤٩ ـ ابن عون : كنت أشبّه لهجة رؤبة[2] بلهجة الحسن .

١٥٠ ـ قال المنتجع لرجل : ما علمت ولدك ؟ قال : الفرائض .

---

(١) الارتجاج في الكلام : العيّ . يُقال : ارتجّ عليه : أي امتنع عليه الكلام والذين ارتج عليهم الكلام كثيرون . راجع بهذا الشأن كتابنا «طرائف من التراث العربي» ص ٣٣٢ طبعة دار الفكر اللبناني .

(٢) رؤبة : هو رؤبة بن العجّاج . تقدّمت ترجمته .

قال : إنما ذلك علم الموالي لا أبا لك . علّمهم الرجز فإنه يهرت أشداقهم .

١٥١ ـ لم ير قط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر . وكان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يميز عن مقولهم ، ثم نسك وكان يختم القرآن كل يوم وليلة . وبذل له بعض الملوك مالاً خطيراً على أن يتكلم في بيت شعر شكّوا فيه فأبى .

١٥٢ ـ أنشد أبو مقاتل الضرير الحسن بن زيد بن علي قصيدة أولها : الله فرد وابن زيد فردُ . فزبره[1] وقال : بغيك التراب ، هلا قلت : وابن زيد عبد ، ونزل عن سريره فسجد لله ، وعفر جبينه وكرر : الله فرد وابن زيد عبد .

١٥٣ ـ ابن برد الشامي الفقيه :

قد جاءني لك شعر لم يكن حسناً ولا صواباً ولا قصداً ولا سددا
وجدت فيه عيوباً غير واحدة ولم أزل لعيوب الشعر منتقدا
كأن ذا خبرة بالشعر جمعه ثم انتقى لك منه شرّ ما وجدا
إني نصحتك فيما قد أتيت به من الفضائح نصح الوالد الولدا
فعدّ عن ذاك وادفنه كما دفنت هر خراها ولم تعلم به أحدا

١٥٤ ـ كان بين سلمة بن عياش القرشي وبين أبي حية النميري صداقة ، فقال لأبي حية يوماً : أتدري ما يقول الناس ؟ قال : ما يقولون ؟ قال : يزعمون أني أشعر منك . فقال أبو حية : إنا لله هلك الناس .

١٥٥ ـ محمد بن عبد الله بن أسحاق بن الفضل بن عبد الرحمٰن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم : قال لي أبي : يا بني ، أنا شاعر ، وأبي شاعر ، وجدي شاعر ، وجد أبي شاعر . لا ينقطع بك الحبل .

---

(١) زبره : نهره .

١٥٦ ـ أتى أمرؤ القيس قتادة بن التوأم اليشكري وإخوته ، فقال للحارث أجِزْ : أحار ترى بريقاً هب وهناً[١] . فقال : كنار مجوس تستعر استعاراً . فقال قتادة :

أرقت له ونام أبو شريح إذا ما قلت قد هدأ استطارا

أبو شريح كنية الحارث ، فقال الحارث :

كأن هزيزه بوراء غيب عشار وُلَّهٌ لاقت عشارا[٢]

فقال أخوهما الثالث :

قلما أن علا شرجي أضاخ وهت أعجاز ريقه فحارا
فلم يترك ببطن السرّ ظبياً ولم يترك بجلهتها حمارا[٣]

فقال امرؤ القيس : إني لأعجب من بيتكم هذا كيف لا يحترق عليكم من جودة شعركم . فقيل لهم بنو النار .

١٥٧ ـ عبد الله بن المعتز : شعر آل أبي حفصة كماء أُسخن وصب في قدح ، فكان أيام مروان الأكبر على حرارته ، ثم انتهى إلى عبد الله بن السمط ، ففتر ، ثم إلى إدريس وأبي الجنوب فبرد ، ثم إلى مروان الأصغر فاشتد برده ، ثم إلى أبي متوج فثخن لبرده ، ثم إلى متوج فجمد .

١٥٨ ـ أبو أحمد يحيى بن المنجم :

رب شعر نقدته مثل ما ينقد رأس الصيارف الدينارا
لو تأنى لقالة الشعر ما أسـ ـقط منه حلوا به الأشعارا

---

(١) هبَّ وهناً : أي ليلاً .

(٢) العشراء من النوق : التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء والجمع عشار .

(٣) بطن السرّ : وادٍ بين هجر ونجد كان لهم فيه يوم . قال جرير :

استقبل الحيّ بطن السرّ أم عسفوا فالقلب فيهم رهين أينما انصرفوا

١٥٩ ـ علي عليه السلام : وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ، ولم يكن من قبل ذلك كائناً ، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً .

١٦٠ ـ وسئل علي عليه السلام عن أشعر الشعراء ، فقال : إن القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها ، فإن كان ولا بد فالملك الضليل(١)

١٦١ ـ محمد بن أبي عائشة : إذا أراد المتكلم بكلامه غير الله زل عن قلوب جلسائه كما يزل الماء عن الصفا(٢) .

١٦٢ ـ حسان بن ثابت : إنا إذا نافرتنا(٣) العرب فأردنا أن نخرج الحبرات من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم ، وكان من النبيت بن مالك بن أوس .

١٦٣ ـ الجاحظ : كان واصل بن عطاء ينزع الراء من كلامه المرتجل ، ولست أعني خطبه المحفوظة ورسائله المجلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة . وقال فيه أبو الطروق الضبي .

عليم بابدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

١٦٤ ـ زعم بشار أن المسلمين كفروا بعد رسول الله ﷺ ، فقيل له : وعلي أيضاً ؟ فأنشد : وما شر الثلاثة أم عمرو . فقال واصل عند ذلك : أما لهذا الملحد أما لهذا الأعمى المشنف المكتني بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه في

---

(١) الملك الضلّيل : هو امرؤ القيس ، الشاعر المشهور صاحب : قفا نبكِ . . . سمّي الملك الضلّيل لاضطراب أمره طول حياته . ويسمى أيضاً : ذو القروح ، لما أصابه في مرض موته . توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة .

(٢) الصفا : الحجر الأملس القاسي .

(٣) المنافرة: المفاخرة والمحاكمة. وقيل هي أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكّما بينهما رجلاً كفعل علقمة بن علاثة مع عامر بن طُفيل حين تنافرا إلى هرم ابن قحطبة الفزاري . والمنفور : المغلوب . والنافر : الغالب وقد نافره أي غلبه .

جـوف منـزلـه في يـوم حفله ، ثم كـان لا يتـولى ذلـك منـه إلا عقيلي أو سـدوسي . أبدل الملحـد من الكافـر ، والأعمى من الضريـر ، والمشنف من المرعث ، وأبا معاذ من بشار وابن برد . والغاليـة من المنصوريـة والمغيريـة ، ويبعج من يبقر ، وبعث من أرسلت . وذكر بني عقيل وبني سـدوس لأنه كـان نازلاً فيهم .

١٦٥ ـ وكان بشار قبـل أن يدين بـالرجعـة يمدح واصـلاً[1] ، فمن قولـه فيه يذكر خطبة ارتجلها ونزع منها الراء :

تكلف القـول والأقوام قـد حفلوا وعبـروا خطبـاً ناهيـك من خطب
فقـام مـرتجـلاً تغلي بـداهتـه كمرجل القين لما حفّ باللهب[2]
وجـانب الراء لم يشعـر بـه أحـد قبل التصفح والإغراف في الطلب

١٦٦ ـ قـال معاويـة يـومـاً : من أفصـح النـاس ! فقـام رجـل من جـرم فقال : قوم تبـاعدوا عن فـراتية العـراق ، وتيامنـوا عن كشكشة تميم وتيـاسروا عن كسكسـة بكر ، ليس فيهم غمغمـة قضاعـة ، ولا طمطمـانية حميـر . قال معاوية : فمن أولئك ؟ قال قومي .

١٦٧ ـ سئل حماد الـراوية عن شعـر عمر بن أبي ربيعـة ، فقال : ذلـك الفستق المقشر لا يشبع منه .

---

(١) واصل : هو واصـل بن عطاء الغـزّال ، رأس المعتزلـة ومن أئمة البلغـاء والمتكلمين . كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً فتجنَّب الـراء في خطابـه ، وضرب بـه المثل في ذلـك . كانت تأتيه الرسائل وفيها الراءات فإذا قرأهـا أبدل كلمـات الراء منهـا بغيرهـا حتى في آيات القرآن . ومن أقوال الشعراء في ذلك ، لأحدهم :

أجعلت وصلي الـراء لم تنـطق بـه وقـطعتني حتى كـأنـك واصـل .

توفي سنة ١٣١ هـ .

راجـع ترجمتـه في وفيات الأعيـان ٢ : ١٧٠ وأمـالي المـرتضى ١ : ١١٣ والأعـلام ٨ : ١٠٨ .

(٢) القين : الحدّاد .

١٦٨ ـ الأصمعي : أنشد ابن أبي ربيعة عبد الله بن عباس أو طلحة بن عبيد الله قصيدة ، فما زال شانقاً ناقته حتى كتبت له .

١٦٩ ـ قحطت[١] البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت عليه العرب ، فهابوا أن يتكلموا ، وفيهم درواس بن حبيب ، ابن ست عشرة سنة ، له ذؤابة ، وعليه شملتان ، فوقعت عليه عين هشام ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يدخل علي إلاّ دخل حتى الصبيان ! فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن للكلام نشراً وطياً وأنه لا يعرف ما في طيه إلاّ بنشره، فإن أذنت لي أن أنشره نشرته . قال : أنشر لا أبالك ! وقد أعجبه كلامه مع حداثة سنه ، فقال : إنه أصابتنا سنون[٢] ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة أنفقت العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله تعالىٰ ففرقوها في عباده ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين . فقال هشام : ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاثة عذراً . فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم .

فقال : أرددها يا أمير المؤمنين إلى جائزة العرب ، فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم . فقال : أما لك حاجة ؟ قال : ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين . فخرج وهو أنبل القوم .

١٧٠ ـ مرّ الزبير رضي الله عنه بمجلس من الصحابة وحسان ينشدهم من شعره ، وهم غير نشاط لما يسمعون ، فجلس معهم الزبير وقال : ما لي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة[٣] ؟ فلقد كان يعرض به لرسول الله فيحسن استماعه ، ويحول عليه أثوابه[٤] ، ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسان :

---

(١) قحطت البادية : أصابها القحط وهو الجدب .

(٢) أصابتنا سنون : أي أصابنا قحط وجدب .

(٣) ابن الفريعة : هو حسّان بن ثابت . والفريعة أُمّه .

(٤) رواية الديوان (بتحقيقنا ص ١٩٨) : و «يجزل» عليه ثوابه .

أقـام على عهـد النبي وهــديــه حـواريه والقـول بالفعـل يعدل[1]
وإن امــرأً كــانت صفيــة أمــه ومن أســد في بيتهـا لمــرفـل[2]
فكم كـربـة ذب الــزبيـر بسيفــه عن المصطفى والله يعطي ويجزل[3]
ثنـاؤك خيـر من فعــالٍ معـاشـرٍ وفعلك يـا بن الهاشيمـة أفضل[4]

١٧١ ـ كـان الحسين بن علي يعطي الشعـراء ، فقيل لـه ، فقال : خيـر مالك ما وقيت به عرضك .

١٧٢ ـ أبو الزناد : ما رأيت أروى للشعر من عروة .

فقلت له : ما أرواك يا أبا عبد الله ! .

فقال : ما روايتي مع رواية عائشة ؟ مـا كان ينـزل بها شيء إلاَّ أنشـدت شعراً .

١٧٣ ـ تناشدوا عند عمر رضي الله عنه قول طرفة :

ولــو ثــلاث هن من لــذة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عوّدي[5]
فمنهن سبقي العـاذلات بشـربـةٍ كميت متى تعـل بـالمـاء تـزبـد
وكـرّي إذا نادى المضـاف مجنبـاً كسيـد الغضـا نبهتـه المتورد[6]
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنـة تحت الخبـاء المعمَّـد[7]

فقـال عمر : وأنـا والله لولا ثـلاث : أن أسير في سبيـل الله ، أو أضـع جبهتي في التـراب لله ، أو أجالس قـوماً يتلقـطون أطايب الحـديث كما يتلقط

---

(١) الحواري : الخليل وهو هنا الزبير بن العوام بن خويلد ويكنى أبا عبد الله .
(٢) رفّل الرجل : عظّمه .
(٣) الكربة : الهمّ . وذبّ : دفع .
(٤) راجع شعره كاملاً في ديوانه ص ١٩٩ .
(٥) أحفل : أهتمّ . والعوَّد : زائرو المريض .
(٦) سيد الغضا : أسد الغابة .
(٧) الدجن : اليوم الذي يكثر فيـه المطر والغيـوم . والبهكنة : المـرأة السمينة . الخبــاء المعمّد : المرفوع على عمد .

أطايب الثمر ، لأحببت أن أكون قد لحقت بربي .

١٧٤ ـ امتدح أبو أسماء علياً عليه السلام بصفين فقال :

وجـدنـا عليـاً إذ بلونـا فعـالـه صبوراً على اللأواء صلب المكاسر[١]
هـو الليث إن جرّبتـه ونـدبتـه مشى حاسراً للموت أو غير حاسر[٢]
يجـود بنفس للمنـايـا كـريمـة علي إذا مـا جـاد كـل مغـاور
يصـول عليّ حين يشتجـر القنـا ويضرب رأس المستغيث المساور[٣]

فقال له عليه السلام : رحمك الله أبا أسماء ، وأسمعك خيراً وأراكه ، فإنك من قوم نجباء ، أهل حسبة ووفاء . ووهب له مملوكاً .

ومدحه كعب بن زهير بشعر يقول فيه :

صهـر النبيّ وخيـر النـاس كلهم فكـل من رامـه بـالفخـر مفخـور

فأجازه بجائزة سنية ، وكساه ، ووهب له فرساً .

١٧٥ ـ وكـان رسـول الله ﷺ يتمثـل ويقـول : كفى الإسـلام والشيب للمرء ناهياً . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إنما قال الشاعر :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً ، فجعل لا يطيقـه ، فقال أبـو بكر : أشهـد أنك رسول الله . وتلا : ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾[٤] .

١٧٦ ـ الفرزدق : ما رأيت أحداً أشعر من ابن حـطان[٥] . فقال لـه ابن

---

(١) بلونا : احتبرنا . واللأواء : المصـائب والمصاعب . وصلب المكـاسر : أي لا يكسـر ولا يلين .
(٢) ندبته : طلبته واستعنت به .
(٣) الأسـوار : الثابت على ظهـر الفرس والـرامي بالسهـام وهو عنـد الفـرس : القـائـد . والمسور والمسورة : المتكأ من جلد والجمع مساور .
(٤) سورة يس من الآية : ٦٩ .
(٥) ابن حطان : هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي . رأس القعدة ، من الصفريـة ، وخـطيبهم وشـاعـرهم . لحق بـالشـراة فـطلبـه الحجـاج فهـرب إلى الشـام فـطلبـه =

شبرمة[1] : كيف ذاك ؟ قال : لو أراد أن يقول مثل ما نقول لقال ، وإنا لا نحسن ما قاله .

١٧٧ ـ عن ابن شبرمة : ليتني كويت بكل بيت قلته كية تبلغ العظم ، مع ما أني لم أقذف محصنة ، ولم أنف رجلاً من أبيه .

١٧٨ ـ في الحديث : لما فتحت مكة رن إبليس رنة ، فاجتمعت إليه ذريته فقال : أيأسوا من أن تردوا أُمة محمد إلى الشرك بعد يومهم هذا ، ولكن أفتنوهم في دينهم ، وافشوا فيهم النوح والشعر .

١٧٩ ـ بشّار بن برد يصف نفسه :

زور ملوك عليه أبهة	يعرف من شعره ومن خطبه
للّه ما راح في جوانحه	من لؤلؤ لا ينام عن طلبه
يخرج من فيه في الندى كما	يخرج ضوء السراج من لهبه
ترنو إليه الحداث غادية	ولا تمل الحديث عن عجبه
تلعابة تعكف الملوك به	تأخذ من جده ومن لعبه[2]
يزدحم الناس كل شارقة	ببابه مشرعين في أدبه

١٨٠ ـ لما ظهر السفاح وصعد المنبر بالكوفة : وعمه داود دونه بمرقاة ، أراد الكلام فلم يؤاته ، فقال لداود تكلم ، فقال : الحمد لله أحمده واستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

= عبد الملك بن مروان فرحل إلى عُمان فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه ، فلجأ إلى قوم من الأزد فمات عندهم إباضياً سنة ٨٤ هـ .
راجع ترجمته في الإصابة الترجمة ٦٨٧٧ والكامل للمبرّد ٢ : ١٢١ .

(١) ابن شبرمة : هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسّان الضبّي . توفي سنة ١٤٤ هـ .

(٢) التلعابة: الذي يجيد اللَّعب والمنادمة .

عباد الله ، شكراً شكراً ، إنا والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ، ولا لنبتني قصراً ، ولا لنسير سيرة الجبابرة الذين ساموكم الخسف ، ومنعوكم النصف . أظن عدو الله مروان أن لن يقدر عليه ؟ أرخى له في زمانه حتى عثر في فضل خطامه . فالآن عاد الأمر إلى نصابه ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وأخذ القوس باريها ، وثار السهم إلى النزعة ، ورجع الحق إلى مستقره ، إلى أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة .

١٨١ ـ خرج الربيع من عند المنصور ومعه رقعة فيها بيت شعر :

وهاجرة نصبتُ لها جبيني … يقطع حرها ظهر العظاية[١]

وقال أجيزوه ، فما أجازه إلاّ بشّار فقال :

وقفت بها القلوص ففاض دمعي … على خدي وأقصر واعظايه

١٨٢ ـ أول شعر قاله الرشيد أنه حج في أول خلافته ، فدخل داراً بفيد[٢] ، فرأى في صدرها :

ألا يا أمير المؤمنين ألا ترى … فديتك هجران الحبيب كبيرا

فكتب تحته :

بلى أيها المشعرات وما مشى … بمكة مرفوع الأظلّ حسيرا

١٨٣ ـ إسحاق الموصلي : أنشد الرشيد قولي فيه :

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى … ورأي أمير المؤمنين جميل

فقال : لا كيف ، الله درّ أبياتٍ تأتينا بها ، ما أحكم أُصولها أو أحسن فصولها ! وأقل فضولها ! فقلت هذا الكلام ، والله أحسن من شعري .

---

(١) الهاجرة : اليوم الشديد الحرّ .
والعظاية : دويبة ملساء أصغر من الحرذون تمشي مشياً سريعاً ثم تقف وتعرف عند العامة بالسقاية والشموسة وهي أنواع كثيرة .
(٢) فيد : بلدة في نصف طريق مكة من الكوفة .

١٨٤ ـ عن محمد بن عباد : قال المأمون : من أحسن المراثي عندي مرثية زياد الأعجم(١) فخذها علي . فأنشدها كلها وترك هذا البيت :

هل ليالي فوقهن بزاته يغشى الأسنة فوق نهد قارح(٢)

فقال المأمون : هاه هاه ، ما أنشدت هذا البيت ، وإنه لمن خيرها ، يهدد المنايا فيقول : هلاّ أتيت في تلك الساعة . فعجبت من حسن علمه بالشعر .

واستنشد لأبي نواس فأنشد :

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هندٍ واشرب على الورد من حمراء كالورد

فقال ، هذا هو الشعر ، لا قوله : ألا هبي بسلحكِ(٣) فالطخينا .

وكان مشغوفاً بشعره ، ويتأسف على فقده ، ويقول : ذهب ظرف الزمان بموته ، وانحطت مرتبه الشعر بذهابه .

١٨٥ ـ تكلم المأمون فأحسن ، فأقبل سهل بن هارون على الناس فقال : ما لكم تسمعون فلا تعون ؟ وتشاهدون فلا تفهمون ؟ وتفهمون فلا تتعجبون ؟ وتتعجبون فلا تصنعون ؟ .

---

(١) زياد الأعجم : هو زياد بن سليمان ـ أو سُليم ـ الأعجم . من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت في لسانه عجمة فلقّب بالأعجم . عاصر المهلّب بن أبي صفرة وله فيه مدائح ومراث . كان هجّاءً . كان الفرزدق يتحاشى أن يهجو بني عبد القيس خوفاً منه . امتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وتوفي نحو سنة ١٠٠ هـ .

راجع ترجمته في إرشاد الأريب ٤ : ٢٢١ والأغاني (بشرحنا ص ٣٧٠) .

(٢) من قصيدة له في الأغاني مطلعها :

قُلْ للقوافل والغزيّ اذا غزوا والباكرين وللمجدّ الرائح

(٣) أخذه من قول عمرو بن كلثوم في مطلع معلقته :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تُبقي خمور الاندرينا

والسّلح : هو الغائط والبراز .

والله أن أمير المؤمنين ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان وقالوا في الدهر الطويل . على أن عربكم كعجمهم ، وعجمكم كعبيدهم ، ولكن قدر الدواء مجهول عند من لم يبتلِ بالداء .

وكان المأمون قد تغيّر له[1] ، فرجع فشكره .

(١) تغيّر له : جفاه .

الـبــــاب الرابـع والثمانون

النساء ، ونكاحهن ، وطلاقهن ، وخطبهن ومعاشرتهن والاعراس بهن ، وما يحمد ويذم منهن وما اتصل بذلك

١ ـ سعيد بن عامر بن حاتم : عن النبي ﷺ : لو أن امرأة من نساء الجنة أشرفت إلى الأرض لملأت الأرض بريح المسك ، ولأهبت ضوء الشمس والقمر . وكان سعيد بن عامر يقول لأمرأته : والله إني لأختارك عليهن ، ودفع يده في صدرها .

٢ ـ عبد الله رفعه : يسطع نورٌ في الجنة ، فإذا هي حوراء ضحكت في وجه زوجها .

٣ ـ وعنه صلوات الله عليه وسلامه : أخوف ما أخافه عليكم فتنة النساء . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : إذا لبسن ريط الشام ، وحُلل العراق ، وعصب[1] اليمن ، وملن كما تميل أسنمة البخت[2] ، فإذا فعلن

---

(١) العَصْبُ : ضرب من برود اليمن ؛ سمّي عصباً لأن غزله يُعصب أي يُدرج ثم يُصبغ ثم يُحاك وليس من برود الرَّقم ولا يُجمع وإنما يُقال : بُرْدُ عَصْبٍ ، وبرودُ عَصْبٍ لأنه مضاف إلى الفعل . وربما اكتفوا بأن يقولوا : عليه العَصْبُ لأن البرد عُرف بذلك الاسم . وفي الحديث : المعتدّة لا تلبس المصبّغة ، إلّا ثوب عصب . وقيل : العصب هي برود مخطّطة .

(٢) البخت والبختية : هي الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج (فارسي معرّب)، والبعض يقول إن البخت عربي وينشد لابن قيس الرقيات :

لبن البختِ في قصاعِ الخلنج

ذلك كلفن المعسر ما ليس عنده .

٤ ـ وعنه صلوات الله عليه وسلامه : استعيذوا بالله من شرار النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر .

٥ ـ أبو بكر رضي الله عنه بلغه أن الفرس ملّكت عليها بنت أبرويز فقال : ذل من أسند أمره إلى امرأة .

٦ ـ مرّ عمر رضي الله عنه بباب دار فسمع جلبة وزحاماً ، فقال : ما جمع هؤلاء ؟ قالوا : زوج فلان ، فقال : أين مناخلكم ؟ .

٧ ـ حكيم : الملك هو المملوك إلَّا أن ثمنه عليه .

٨ ـ آخر : أعص النساء هواك واصنع ما شئت .

٩ ـ تزوجت فاطمة المهلبية عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، فقال ابن أبي عيينة[1] :

فإنك قد زوجت من غير خبرة فتى من بني العباس ليس بعاقل

فإن قلت من رهط النبي فإنه وإن كان حر الأصل عبد الشمائل

فقد ظفرت كفاه منك بطائل وما ظفرت كفاك منه بطائل

١٠ ـ قيل لفيلسوف : أي السباع أحسن ؟ قال : المرأة .

١١ ـ خطب قريش إلى الكميت[2] وأخذ يفتخر عليه ، فقال : يا

---

(١) ابن أبي عيينة : هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة . شاعر . تقدّمت ترجمته .

(٢) الكميت : لعلّه الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهلّ ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة . اشتهر في العصر الأموي وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها . كان ثقة في علمه منحازاً إلى بني هاشم كثير المدح لهم ، وهو من أصحاب الملحمات . كان خطيب بني أسد ، وفقيه الشيعة ، وكان فارساً شجاعاً سخياً رامياً لم يكن في قومه أرمى منه . قال الميداني : الكميت ثلاثة : الكميت بن ثعلبة ، ثم الكميت بن معروف ، ثم الكميت بن زيد . (المتوفّى سنة ١٢٦ هـ .)=

هـذا ، إن أجبنـاك لم نبلغ السمـاء ، وإن رددنـاك لم نبلغ المـاء ، وقـد رددناك .

١٢ ـ أعرابي : هو أملح من المداري[١] في شعور العذارى .

١٣ ـ شاور رجل آخر في تزويج امرأة ، فقال : إن كنت تريدها خالصة لك من دون المؤمنين فلا تطمع .

١٤ ـ العرب : شر النساء الحميراء المحياض ، والسويداء الممراض .

١٥ ـ عوتب الكسائي[٢] في ترك التزوج فقال : مكابدة العفة عنهن أيسر من الاحتيال لمصلحتهن .

١٦ ـ قيل لأعرابي يجمع بين ضرائر : كيف تقدر عليهن ؟ قال : كان لنا شباب يظأرهن علينا ، ومال يصورهن إلينا ، ثم قد بقي لنا خلق حسن فنحن نتعايش .

١٧ ـ عمر رضي الله عنه : البكر كالبرة تطحنها وتعجبها وتخبزها ، والثيب[٣] عجالة الراكب تمر وأقط[٤] .

١٨ ـ قيل لجارية : أبكر أنت ؟ قالت : قد كنت فعافى الله .

١٩ ـ جاء سلمان رضي الله عنه يخطب قرشية ومعه أبو الدرداء، فدخل

= وكلّهم من بني أسد .
راجع ترجمته في شرح شواهد المغني ١٣ وجمهرة أشعار العرب ١٨٧ والأعلام ٥ : ٢٣٣ .

(١) المداري : جمع المدرى وهي ما تصلح بها الماشطة شعر النساء (كالمشط) .

(٢) الكسائي : هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ، أبو الحسن : إمام في اللغة والنحو ، ومؤدب الرشيد وابنه الأمين . توفي سنة ١٨٩ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٣) الثيّب : المرأة المتزوجة ، خلاف البكر .

(٤) الإقط : شيء يتّخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل والقطعة منه إقطة قال ابن الأعرابي : هو من ألبان الإبل خاصة . يُقال : أقَطَ الرجلَ يأقِطُه أي أطعمه الإقط .

وذكر سابقة سلمان وفضله ، فقالوا : لا نزوجه ، ولكن إن أردت أنت زوجناك ، فتزوجها ثم خرج ، فقال : يا أخي قد صنعت شيئاً وأنا استحي منك ، وأخبره ، فقال سلمان : أنا أحق أن أستحي منك ، أخطب امرأة كتبها الله لك .

٢٠ ـ خطب بنت دقيانوس غني وفقير ، فاختار الفقير ، فسأله الإسكندر فقال : كان الغني جاهلاً فكان يخاف عليه الفقر ، وكان الفقير عاقلاً فكان يرجى له الغنى .

٢١ ـ خطب رجل جارية فرد عنها ، وقيل : أما سمعت ما قيل فيها :

يظل خطابها ميلاً عمائمهم   كأن أنضاءهم أنضاء حجاج
لها أب سيد ضخم وأخوتها   مثل الأهلة يستثنيهم الهاجي[1]

٢٢ ـ قال بعض الخلفاء : الإماء ألذ مجامعة ، وأغلب شهوة ، وأحسن في التبذل ، وآنق في التذلل . فقال جليس له : لتردد دماء الحياء في وجه الحرة أحسن من تبذل الأمة .

٢٣ ـ قالت امرأة الجماز[2] له : أي شيء يطيب في هذا اليوم يا سيدي ؟ قال : الطلاق يا سيدتي .

٢٤ ـ كانت عند بعض الملوك ثلاث نسوة ، فقال للفارسية : أي وقت هذا؟ قالت: سحر قال: وما يدريك؟ قالت: وجدت ريح الرياحين. وقالت العربية : وجدت برد خلخالي ، وقالت النبطية[3] : كزني ما في بطني .

٢٥ ـ أيمن بن خريم :

---

(١) الأهلّة : جمع هلال وهو القمر .

(٢) الجماز : هو محمد بن عمرو بن حماد مولى بني تميم ، من أصحاب النوادر . ذكره صاحب الأغاني .

(٣) النبط : جيل من الناس كانوا ينزلون القطائع بين العراقين أو سواد العراق وهم الأنباط وكان لهم في قديم الزمان دولة ومدينة .

يميت الخلاط عتاب النساء ويحيي اجتناب الخلاط العتابا

٢٦ ـ قيل لشيخ كانت امرأته تشارّه[١] : أما أحد يصلح بينكما ؟ قال : لا ، مات الذي كان يصلح بيننا .

٢٧ ـ النبي ﷺ : أعروا النساء يلزمن الحجال[٢] .

٢٨ ـ خطب مغمور مغمورة ، فقيل لوليها : تعمم لكم فزوجتموه ؟ قال : إنا قد تبرقعنا قبل أن يتعمم لنا .

٢٩ ـ الأصمعي : تكلم أعرابي فطمح به لسانه فقال : لا تنكحن واحدة فتحيض إذا حاضت وتمرض إذا مرضت ، ولا تنكحن اثنتين فتكون بين شرتين ، ولا تنكحن ثلاثاً فتكون بين أثاف[٣] ، ولا تنكحن أربعاً فيفلسنك ويهرمنك ويبخلنك ويحقرنك .

قيل له : حرمت ما أحل لله ؟ قال : سبحان الله كوزان وقرصان وعبادة الرّحمٰن .

٣٠ ـ قال مصعب لسكينة[٤] : أنت مثل البغلة لا تلدين . قالت لا والله ، ولكن أبى كرمي أن يقبل لؤمك .

٣١ ـ بعضهم : رأيت بطريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها ، فقعدت أنظر إليها متعجباً من جمالها، فجاء شيخ قصير فأخذ بأذنها فسارّها ومضى ، فقلت من هذا ؟ قالت : زوجي ، قلت : كيف ترضى مثلك بمثله ؟ فقالت :

---

(١) تشارّه : تغضبه .

(٢) الحجال : جمع حجلة وهي ستر يضرب للعروس في جوف البيت . وربات الحجال : كناية عن النساء .

(٣) الأثاف : جمع أثفية : أحد ثلاثة حجارة توضع عليها القدر .

(٤) سكينة : هي سكينة بنت الحسين ومصعب زوجها وهو مصعب بن الزبير . توفيت السيدة سكينة سنة ١١٧ هـ . تقدّمت ترجمتها .

أيا عجباً للخود يجري وشاحها تزف إلى شيخ من القوم تنبال
دعاني إليه أنه ذو قرابة فويل الغواني من بني العم والخال

٣٢ ـ قيل لأعرابي : ما خلّفت لأهلك ؟ قال : الحافظين ، قيل : وما هما ؟ قال : أعرّيهن فلا يبرحن ، وأجيعهن فلا يمرحن .

٣٣ ـ قيل لرجل : مات عدوك ، فقال : وددت أنكم قلتم تزوج .

٣٤ ـ قيل لمالك بن دينار : لو تزوجت . قال : لو استطعت لطلقت نفسي .

٣٥ ـ قال طاووس لإبراهيم بن ميسرة : لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنك من التزوج إلاّ عجز أو فجور .

٣٦ ـ دخل ابن أبي علقمة على بلال بن أبي بردة وحمزة بن بيض[١] ينشد :

ومن لا يرد مدحي فإن مدائحي توافق عند الأكرمين تؤامي
نوافق عند المشتري الحمد بالندى نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال : يا ابن أخي : وما بلغ من نفاق بنات الحارث ؟ فقال : كان يزوجهن ويسوقهنّ ومهورهن إلى بعولتهن . فقال : والله لو فعل هذا إبليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون .

٣٧ ـ تزوج أعرابي فقيل له : كيف وجدتها ؟ فقال : رصوفاً رشوفاً

---

(١) حمزة بن بيض : هو حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي ، من بني بكر بن وائل ، شاعر مجيد ، سائر القول ، كثير المجون ، من أهل الكوفة . كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى بلال بن أبي بردة ، وحصلت له أموال كثيرة . وأخباره مع عبد الملك بن مروان وغيره كلّها طرف . توفي سنة ١١٦ هـ .
راجع ترجمته في فوات الوفيات ١ : ١٤٧ وإرشاد الأريب ٤ : ١٤٦ والتاج ٥ : ١٤ .

أنوفاً . أراد ضيقة الفرج طيبة المقبل والأنف .

٣٨ـ ووصف أعرابي امرأة فقال : ما ثديها بناهد ، ولا شعرها بوارد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد .

٣٩ ـ جنى شيخ من غسان على بعض ملوكهم ، فهرب إلى بلاد تميم ، فحالف زرارة بن عُدُس[1] ، فخطب إليه ابنته على بعض بنيه وقال : قد علمت أن بنيّ أشرف قومهم ، وهم معبد ولقيط وحاجب وعلقمة فاختر لهذه الحِجر[2] أكرم فحل . فكره الشيخ قوله ودافعه . فلما مات زرارة قال لأهله : إن حكيمهم قد هلك ، وهؤلاء شباب ولست آمن أن يحملوني على ما أكره من انكاحهم . فاحتمل في جوف الليل . فلما بلغ المأمن أنشأ يقول :

رغبت بها عن حاجب وابن أُمه ... لقيط وعن تلك الرجال الركائك
ولو كنت في غسان أبرزت وجهها ... وأنكحتها من بعض تلك الصعالك

٤٠ ـ قال ابن لهيقة : قلت لزيد بن حبيب : إذا دخل رجل المسجد بأي رجليه يبدأ ؟ قال : أما سمعت ما يقول للعروس ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين ؟ .

٤١ ـ لما وجه إلى عبد الملك رأس ابن الأشعث ، بعث به مع خادم له إلى امرأة من كندة كانت ناكحاً في قريش ، فلما رأته قالت : مرحباً بزائر لا يتكلم ، وملك بن ملوك طلب ما يستحقه ، فأبى عليه القدر . فأراد

---

(١) زرارة بن عُدُس : هو زرارة بن عدس بن زيد ، جدّ جاهلي ، بنوه بطن من بني دارم ، من تميم ، من عدنان . كان حكماً من قضاة تميم . وقاد تميماً وغيرها يوم شويحط . من بنيه : حاجب بن زرارة والمنذر بن ساوي صاحب هجر .
راجع ترجمته في نهاية الأرب ٢٢٤ والمحبر ٢٤٧ وفيه : أُمه ليلى بنت زنباع بن أُحيمر وهي إحدى المنجبات من النساء

(٢) الحجر : الأُنثى الكريمة (وتكون من الخيل عادة) .

الخادم أن يرد الرأس ، فقالت : كلا والله ، ثم أمرت به فغسل ورجل وطيب ، ثم قالت : شأنك الآن . فرجع الخادم إلى عبد الملك فأخبره . فلما دخل عليه زوجها قال له : إن قدرت أن تصيب منها سخلة[1] فأفعل .

٤٢ ـ نظر عامر بن حصين إلى رجل شجاع فأعجبه ، وتزوج أخته طمعاً في أن ينزع ولدها إليه . فابتكرت بجارية فقال : الحمد لله ، ثم ثنت بأُخرى فقال : الحمد لله ، ثم ثلثت فقال : الحمد لله ، ثم ربعت فقال : لا حول ولا قوة إلاَّ بالله .

٤٣ ـ مرت بعمر رضي الله عنه عجوز تبيع اللبن ، فقال : لا تشوبي[2] لبنكِ بالماء ولا تغشي المسلمين . قالت : نعم يا أمير المؤمنين . ثم مرّ فقال : يا عجوز ، ألم أعهد إليك ؟ قالت : والله ما فعلت . فقالت بنت لها من خبائها : أغشاً وكذباً جمعت على نفسك ؟ فقال عمر لولده : أيكم يتزوجها لعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ؟ فقال عاصم بن عمر : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين . فولدت له أُم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز[3] .

٤٤ ـ أبو شمر الغساني :

لا تأمنن على النساء أخا أخ	ما في الرجال على النساء أمين
حرّ الرجال وان تعفّف جهده	لا بدّ أن بنظرة سيخون

٤٥ ـ أبو الشعثاء : كانت لي امرأتان ، فكنت أعدل بينهما حتى في القبل .

٤٦ ـ زفت معاذة إلى صلة بن أشيم فبات ليلة الزفاف يتهجد[4] ،

(١) السّخل : المولود المحبب إلى أبويه ، وهو في الأصل ولد الغنم .
(٢) لا تشوبي لبنك : أي لا تخلطيه بالماء .
(٣) هذه الحكاية مرويّة بتوسّع في كتابنا : طرائف من التراث العربي ص ٢٢٦ طبعة دار الكتاب اللبناني .
(٤) يتهجّد : يصلّي في الليل ويتعبّد .

فقيل له ، فقال : دخلت بيتاً فذكرت النار ، يعني الحمام ، ثم دخلت بيتاً فذكرت الجنة ، يعني بيت العروس ، فما زال فكري فيهما حتى أصبحت .

٤٧ ـ النخعي : إن من اقتراب الساعة طاعة النساء .

٤٨ ـ قال الوليد بن يزيد لابن ميادة[1] : من خلفت عند أهلك ؟ قال رقيبين لا يخالفانني طرفة عين : الجوع والعري .

٤٩ ـ الأحنف : ولأفعى حالك في يدي أحب إليّ من أيّم[2] رددت عنها كفؤاً .

٥٠ ـ لقمان : لا تشهد العرسات فإنها ترغبك في الدنيا وتنسيك الآخرة ، وأشهد الجنائز فإنها تزهدك في الدنيا وترغبك في الآخرة .

٥١ ـ علي عليه السلام : إياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أَفَن[3] ، وعزمهن إلى وهن . واكفف أبصارهن بالحجاب ، فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب . وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن . وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل . ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فيما لغيرها . وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئة إلى الريب .

٥٢ ـ من أطاع عِرسه[4] فقد أضاع نفسه .

٥٣ ـ في البكر : أشهى المطي ما لم يركب ، وأحب اللآلىء ما لم يثقب .

---

(١) ابن ميّادة : هو الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني . وميّادة أُمّه . توفي سنة ١٤٩ هـ . تقدّمت ترجمته .

(٢) الأيّم : المرأة التي فقدت زوجها .

(٣) أفِن أفناً : ضعف رأيه فهو أفين ومأفون .

(٤) العِرس (بالكسر) : زوجة الرجل .

٥٤ ـ في الثيب[1] : تزوج امرأة كفى فيها الصحة .

٥٥ ـ فلان في بيته نمرة ، إذا كانت امرأته سيئة الخُلق .

٥٦ ـ النبي ﷺ : أوثق سلاح إبليس النساء .

٥٧ ـ علي عليه السلام : لا تطيعوا النساء على حال ، وتأمنوهن على مال ، فانهن إن تركن وما يردن أوردن المهالك ، وعصين المالك ، وأزلن الممالك ، ينسين الخير ، ويحفظن الشر ، يتهافتن في البهتان ، ويتمادين في الطغيان .

٥٨ ـ عمر رضي الله عنه : أكثروا لهن من قول لا ، فإن نعم تغريهن على المسألة .

٥٩ ـ هي ممسكة للفضلين . أي تصون الفرج والمال .

٦٠ ـ عبد السلام بن أبي سليمان في النكاح :

تزوجت ألفاً ثم طلقت مثله فلم أترك مالا ولم أترك وفرا
فأنت أقلنيها فإن عدت بعدها فألفيت لي عذراً فلا تقبل العذرا

٦١ ـ طلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال : اسمعي وليسمع كل من حضر : إني والله اعتمدتك رغبة ، وعاشرتك بمحبة ، ولم توجد منك زلة ، ولم تدخلني عنك ملّة ، ولكن القضاء كان غالباً .

فقالت المرأة : جزيت خيراً من صاحب ومصحوبة ، فما استرثت خيرك ، ولا شكوت ضيرك ، ولا تمنيت غيرك ، ولم أزد إليك إلَّا شرها ، ولم أجد لك في الرجال شبهاً ، وليس لقضاء الله مدفع ، ولا من حكمه علينا ممنع .

٦٢ ـ شكا رجل امرأته ، فقيل له : هلّا طلقتها . فقال : هي حسناء فلا تفرك ، وأُم عيال فلا تترَك .

---

(١) الثيّب : المرأة المتزوجة ، خلاف البكر .

٦٣ ـ كأنها أُم خارجة يُقال لها خطب فتقول نكح[١] .

٦٤ ـ وما هي إلاَّ نظرة فتذبل رجلاها وتسقط للجنب .

٦٥ ـ بخرّ فلان امرأته بمثلته ، وأولاها الهقعة[٢] ، وتلقاها الأثافي[٣] : إذا طلقها ثلاثاً .

٦٦ ـ شكت امرأة إلى عمر بن الخطاب قلّة غشيان زوجها فقالت : إني أجنب عنه في الشهر مرة . فقال عمر : إن في ذلك شقاء للعاشق ، وحملاً للتائق .

٦٧ ـ خطب الحسن رابعة ، فقالت بشرط أن أدع أنا تسعاً وأنت واحدة . قال : وما هي ؟ قالت يزعمون أن الشهوة تسع منها للنساء وواحدة منها للرجال ، فأبى ، فنقمت عليه . فسمعت بعد ذلك موعظته فقالت :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

٦٨ ـ الأبكار أشد حباً وأقل خباً[٤] .

٦٩ ـ خالد بن صفوان المنقري :

عليك إذا ما كنت لا بد ناكحاً ... ذوات الثنايا الغر والأعين النجل[٥]

---

(١) أُم خارجة : هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن ثعلبة . ونكاح أُم خارجة يضرب به المثل في السرعة .
راجع حكاية أُم خارجة مع السيد الحميري حيث تزوّجا بالمتعة في كتابنا : طرائف الأصفهاني في كتاب الأغاني ص ٢١٠ طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الهقعة : ثلاثة كواكب نيّرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء. وقيل : هي رأس الجوزاء كأنها أثافي وهي منزل من منازل القمر وبها شبّت الدائرة التي تكون بجنب بعض الدواب . وفي حديث ابن عباس : طلّق ألفاً يكفيك منها هقعة الجوزاء أي يكفيك من التطليق ثلاث تطليقات .

(٣) الأثافي : هي أحجار ثلاثة ترتكز عليها القدر .

(٤) الخبُّ : الخداع .

(٥) الثنايا الغرّ : الأسنان البيضاء . والأعين النجل : الواسعة الحسناء .

وكل هضيم الكشح خفاقة الحشا　　قطوف الخطا بلهاء وافرة العقل[1]

٧٠ ـ المرأة تشرب النبيذ فيسكر من لبنها الرضيع ، وتشرب دواء المشي فتعتريه الخلفة فلذلك اختار الحكماء لأولادهم الظئر[2] البريئة من الأدواء وغيرها .

٧١ ـ كانت كندة أغلى الناس مهوراً ، ربما مهرت الواحدة ألف بعير ، ولا يمهر بأقل من مائة بعير . فصارت مهور كندة مثلاً في الغلاء .

٧٢ ـ وقال النبي ﷺ : اللَّهمَّ أهذب ملك غسان ، وضع مهور كندة . وقال : أعظم النساء بركة أحسنهن وجوهاً وأرخصهم مهراً .

٧٣ ـ لما زوج الوليد بن عبد الملك ابنه عبد العزيز أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وأمها بنت عبد الرّحمٰن بن الحارث بن هشام . وكان يُقال لها الواصلة ، لأنها وصلت الشرف بالجمال ، أمهرها أربعين ألف دينار ، وأمر عدي بن الرقاع فقال :

قمر السماء وشمسها اجتمعا　　بالسعد ما غابا وما طلعا[3]
ما وارت الأستار مثلهما　　فيمن رأى منهم ومن سمعا
دام السرور له بهما ولها　　وتهنّيا طول الحياة معا

فقال الوليد : لئن أقللت فقد أحسنت ، وأجزل له الجائزة .

٧٤ ـ وكانت بنو مخزوم تُسمى ريحانة قريش ، وكان هشام بن المغيرة المخزومي أعز نفساً على قريش وكنانة . وكانوا يؤرخون بثلاثة أشياء ، يقولون : كان ذلك زمن بناء الكعبة ، وعام الفيل[4] ، وعام موت هشام .

---

(١) هضيم الكشح : ضامرة البطن . وقطوف الخطا : تسير على مهل .
(٢) الظئر : المرضعة .
(٣) القمر والشمس : كناية عن عبد العزيز بن الوليد وأُم حكيم بنت يحيى بن الحكم .
(٤) عام الفيل : حارب أبرهة الأشرم الحبشي حاكم اليمن الفرس مستخدماً الفيلة في =

فكانت الجارية تولد لآل الحارث بن هشام فيتباشرون بها .

٧٥ ـ خرج السيد الحميري فتلقته فرجة بنت الفجاء الخارجية راكبة فرساً ، وكانت برزة[١] فصيحة جميلة ، فتحاوروا أحسن حوار ، إلى أن خطب إليها نفسها فقالت : أعلى ظهر الطريق ؟ فقال : ألم يكن نكاح أم خارجة أسرع ؟ فاستضحكت وقالت : نصبح وننظر ممن . فقال :

إن تسأليني بقومي تسألي رجلاً ... في ذروة العز من أحياء ذي يمن
إني امرؤ حميري حين تنسبني ... جدي رعين وأخوالي ذوو يزن[٢]

فعرفته وقالت : يمان وتميمية ، ورافضي وحرورية ، كيف يجتمعان ؟ فقال : على أن لا نذكر سلفاً ومذهباً . فتزوجته سراً . فأقاما في عيشة راضية[٣] .

٧٦ ـ يُقال في الاستخبار عن ولادة المرأة : أأحلبت ناقتك أم أجلبت ؟ أي أولدت أُنثى تحلب أم ذكراً يجلب للبيع ؟ .

٧٧ ـ قيل لرجل : ما عندك في النكاح ؟ قال : ما يقطع حجتها ولا يبلغ حاجتها .

٧٨ ـ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل هم بطلاق امرأته وزعم أنه لا يحبها : أوَكلُّ بيتٍ بُني على الحب ؟ فأين الرعاية والذمم ؟ .

= القتال وتسمى سنة هذه الحرب (٥٧٠ م) عام الفيل ومنها يؤرخون مولد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) المرأة البرزة : المتجالّة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون عنها وتكون موثوقة الرأي والعفاف .

(٢) رواية طرائف الأصفهاني ص ، ٢١٠ :

حولي بها ذو كلاع في منازلها ... وذو رُعينٍ وهمدان وذو يَزَنِ

وذو رعين : جدّ جاهلي يمني . وذو يزن : ملك من ملوك حمير وابنه سيف بن ذي يزن الذي قتل الحبشة وطردهم من اليمن وهو الذي بشّر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه .

(٣) راجع كتابنا «طرائف الأصفهاني في كتاب الأغاني» ص ٢١٠ فالرواية فيه مفصّلة وفيها اختلاف ببعض الألفاظ .

٧٩ ـ مسلمة : ثلاثة لا أعذرهم : رجل أحفى[١] شعره ثم أعفاه ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجل كان عنده سراري ثم تزوج حرة .

٨٠ ـ داود عليه السلام : امرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير ، والمرأة الصالحة له كالتاج المخوص بالذهب ، كلما رآها قرّت عينه .

٨١ ـ مرّ سليمان عليه السلام بعصفور يدور حول عصفورة ، فقال : هل ترون ما يقول ؟ يقول : زوجيني نفسك حتى أسكنك غرفة بدمشق ، وكذب ما بدمشق غرفة ، ولكنّ كل خاطب كاذب .

٨٢ ـ الجماع يصلع الإنسان ، وربما كان أصلع فإذا جامع نبت شعره .

٨٣ ـ قال داود لسليمان عليهما السلام : أمش خلف الأسد ولا تمش خلف امرأة .

٨٤ ـ استشار رجل داود في التزوج ، فقال : سل سليمان وأخبرني بجوابه . فصادفه ابن سبع سنين يلعب مع الصبيان يركب قصبة ، فقال : عليك بالذهب الأحمر ، والفضة البيضاء ، واحذر الفرس لا يضربك . فلم يفهم . فقال له داود : الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الشيِّب الشابة ، ومن وراءهما كالفرس الرموح .

٨٥ ـ لقي عيسى عليه السلام إبليس ، وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحماله ، فسأله ، فقال : أحمل تجارة وأطلب مشترين ، أما أحدهما فالجور ، قال : من يشتريه ؟ قال السلاطين . قال : فما الثاني ؟ قال : الكبر ، قال فمن يشتريه ؟ قال : الدهاقين[٢] . قال : فما الثالث ؟ قال :

---

(١) أحفى شعره : قصّه . وأعفاه : أطاله .
(٢) الدهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الأقليم . وقيل : هو التاجر .

الحسد ، قال : فمن يشتريه ؟ قال العلماء . قال : فما الرابع ؟ قال : الخيانة ، قال : فمن يشتريها ؟ قال : التجار . قال : فما الخامس ، قال : الكيد ، قال : فمن يشتريه ؟ قال : النساء .

٨٦ ـ قيل للإسكندر : لو استكثرت من النساء ليكثر ولدك ، ويدوم بهم ذكرك . فقال دوام الذكر بتحسين السيرة والسنن ، ولا يحسن بمن غلب الرجال أن تغلبه النساء .

٨٧ ـ علي بن أبي طالب عليه السلام : النساء شر كلهن ، وشر ما فيهن قلّة الاستغناء عنهن .

٨٨ ـ يحيىٰ بن أكثم : نعم لهو المرأة الغزل .

٨٩ ـ قيل لأعرابي : إن فلاناً يخطب فلانة ، قال : أموسر من عقلٍ ودين ؟ قالوا : نعم ، قال : فزوجوه .

٩٠ ـ قال عبد الملك لابن الرقاع : كيف علمك بالنساء ؟ قال : أنا والله أعلم الناس بهن ، وأنشأ يقول :

قضاعية العينين كندية الحشا ... خزاعية الأطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف ... ومنطق داود وعفّة مريم

٩١ ـ عمر بن أبي ربيعة ، وكان المنصور كثيراً ما ينشده :

إنها بين عامر بن لؤي ... حين تعزى وبين عبد مناف
ولها في المطيبين حدود ... ثم نالت ذوائب الأحلاف
بنت عم النبي أكرم من يمـ ... ـشي بنعل على التراب وحافي
لا تراها على التبذل والزيـ ... ـنة إلّا كدرة الأصداف

٩٢ ـ سئل المغيرة بن شعبة عن النساء فقال : بنات العم أحسن مؤاساة والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأقران مثل ابن السوداء .

٩٣ ـ قال الحجاج لابن القرية : أي النساء أحب إليك ؟ قال : الودود

الـولود ، التي أعـلاهـا عسيب[1] ، وأسفلهـا كثيب ، آخـذهن من الأرض إذا جلست ، وأطـولهن في السمـاء إذا قلمت ، التـي إن تكـلمت رودت ، وإن صنعت جـودت ، وإن مشت تـأودت[2] ، العـزيـزة في قـومهـا ، الـذليلة في نفسها ، الحَصَان[3] من جارها ، الهلوك[4] إلى بعلها .

٩٤ ـ وعن خالد بن صفوان : حصان من جارها ، ماجنة على بعلها .

٩٥ ـ النبي ﷺ : إنما النساء لعب فتخيروا .

٩٦ ـ استعمـل عثمان رضي الله عنـه الوليـد بن عقبة بن أبي معيط على صـدقات كلب ؟ فتـزوج له نـائلة بنت الفرافصـة[5] بن الأحوص النصـراني ، فقال : زوجتني نصرانية ؟ قال : إن رأتك أسلمت ، فقدم بها وقد أسلمت . فلما خلا بهـا قال لهـا : أتأتينـا أم نأتيـك ، قالت : بـل نأتيـك ونعمة عين ، تكلفنا إليك السير من أرض قومي وهي أبعـد من ناحيـة البيت . فقال : إنـك تـرين شيباً وتعليـاً في السن ، وإن عندي بقيـة من عـلالـة . فقالت: إن أحب الأزواج إلي من ذهبت عنـه متعة الشبـاب ، ووثقت برأيـه حلمه . فقيـل لـه :

---

(١) عسيب : اسم جبل .

(٢) تأوّدت في مشيتها : تمايلت في غنج ودلال .

(٣) المرأة الحَصَان : العفيفة .

(٤) المرأة الهلوك : التي تحرص على زوجها ، وهي الحسنة التبعُّل له . وفي حديث مازن : إني مولع بالخمر والهلوك من النساء .

(٥) نائلة بنت الفرافصة : زوجة عثمان بن عفان . كانت خطيبة . شاعـرة ، حُملت إليه من بادية السماوة فتزوجهـا وأقامت معـه في المدينـة . ولما كـان بدء الثـورة عليه نصحتـه باستصلاح علي بن أبي طـالب ، وكان قـد جاء وحـذّره ، فأرسـل إليه يـدعوه ، فقـال عليّ : قد أعلمته أني لست بعـائد . ودخـل المصريـون دار عثمان وبـأيديهم السيـوف فضربه أحدهم فألقت «نائلة» نفسها على عثمان وصاحت بخادمها رباح فقتل الـرجل . وهجم آخر فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فأمسكت نائلة السيف فحزّ أصابعهـا ، وقُتل عثمان فخـرجت تستغيث ، ففرَّ القتلة . فكتبت إلى معـاوية تصف دخـول القوم على عثمـان وأرسلت إليه قميصـه مضرجـاً بالـدم وبعض أصابعهـا المقـطوعـة . ولمـا سكنت الفتنة خطبها معاوية لنفسه فأبت .

كيف رأيت ؟ فقال : ما دخلت على امرأة أوفى عقلاً منها ، ولا أحرى أن تغلبني على عقلي[1] .

٩٧ ـ قال أسماء بن خارجة لبنته ليلة هدائها . عليك بأطيب الطيب وهو الماء ، وبأحسن الحسن وهو الكحل والحناء . وإياك وكثرة المعاتبة فهي مقطعة للمودة ، والغيرة في غير موضعها فهي مفتاح الطلاق .

٩٨ ـ أهدت أعرابية بنتها فقالت لها : أي بنية ، إنك قد فارقت الحواء الذي منه خرجت ، والعش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . ثم أوصتها بوصايا منها : عليك بالتعهد لموضع عينيه وأنفه ، لا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك إلاَّ طيب ريح ، والتعرف لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة[2] .

٩٩ ـ تزوج الحسن بن علي امرأة ، فبعث إليها مائة خادم ، مع كل خادم ألف درهم .

١٠٠ ـ حكيم : منيتك نفسك ، فإن شئت فأخرجه ، وإن شئت فلا .

١٠١ ـ آخر : لا تحقر شيئاً يخرج منك مثلك ، يعني الجماع .

١٠٢ ـ أطول الناس أعماراً الخصيان . ولم يـر فيما يعاشر الناس أعمر من البغال ، ولا أقصر عمراً من العصافير .

---

(١) راجع هذه الحكاية في كتابنا «طرائف الخلفاء والملوك» ص ٢٥ طبعة دار الكتب العلمية فالقصة فيه موسَّعة .

(٢) راجع هذه القصة بتفصيل وتوسّع في كتابنا «طرائف من التراث العربي» ص ٣٤٠ طبعة دار الكتاب اللبناني ، وفيه :
لما خطب عمرو بن حجر الكندي إلى عون بن محلّم الشيباني ابنته أم إياس وأجابه إلى ذلك ، أقبلت عليها أمّها ليلة دخوله بها توصيها ؛ فكان ممّا أوصتها به أن قالت : (أوردت عشر خصال) فقبلت وصية أمّها فأنجبت له الحارث بن عمرو جدّ امرىء القيس الملك الشاعر .

١٠٣ ـ أراد الحسن تزويج بنته من رجل ، فقيل : من حاله ويساره كيت وكيت ، وله مائة ألف ما يحركها . فقال : أما والله ما اجتمعت مائة ألف عند رجل إلاَّ من ظلم ، وأبى أن يزوجه .

١٠٤ ـ علي عليه السلام : سمعت رسول الله يقول لعثمان : لو أن لي أربعين بنتاً لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن أحد .

١٠٥ ـ سهل بن معاذ الجهني رفعه : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى في الله ، وأنكح في الله ، فقد استكمل الإيمان .

١٠٦ ـ وعنه عليه الصلاة والسلام : من ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر تواضعاً كساه الله حلة الكرامة ، ومن زوج لله توَّجه الله تاج الملك .

١٠٧ ـ علي عليه السلام رفعه : لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء ، فإن اللبن يعدي .

١٠٨ ـ قال موسى بن عبد الله بن الحسن لامرأته أُم سلمة ، وكانت من ولد أبي بكر الصديق :

فإني زعيم أن أجيء بضرّةٍ ... قرّابةٍ فرّامةٍ للضرائر

فأجابه الربيع بن سليمان مولى الحسنين :

أبنت أبي بكر تريد بضرة ... لعمرك قد حاولت إحدى الكبائر

١٠٩ ـ الرحال بن النميري :

فلا بارك الرّحمٰن في عرس أهلها ... عشية زفوها ولا فيك من بكر
فما غرني إلاَّ خضاب بكفها ... وكحلٍ بعينيها وأثوابها الصفر
أتوني بها قبل المحاق بليلةٍ ... فكان محاقاً كله ذلك الشهر[1]

---

(١) المحاق : آخر الشهر القمري . وقيل ثلاث ليالٍ من آخره . يُقال : انمحق الهلال ، أي لم يكد يُرى في آخر الشهر .

ألا ليتهم زفوا إليَّ مكانها شديد القصيري ذا عرام من النمر
إذا شدَّ لم ينكل وإن همّ لم يهب شديد الوقاع لا ينهنه بالزجر

١١٠ ـ هو معذور في أقوائه لجاهليته ، وشغل بما دهي به عن تسوية القوافي .

١١١ ـ طاهر بن سيار العجلي :

رأيت مواعيد النساء كأنها سراب لمرتاد المناهل خاتل
ومنتظر الموعود منهن كالذي يؤمل يوماً أن تلين الجنادل(١)

١١٢ ـ زوّج المهلب قتادة بن مقرب اليشكري امرأة من الأزد فقال فيها :

تجهزي للطلاق وانشمري هذا جزاء الجوامح الشمس
لليلتي حين بت طالقة ألذ عندي من ليلة العرس
بت لديها بشر منزلةٍ لا أنا في نعمة ولا فرسي
هذا على الخسف لا قضيم له وبتّ ما إن يسوغ لي نفسي

فقال يزيد بن المهلب : راجعها ، فقال :

باللّه جهد اليمين أحلف ما قرَّت بها عين من يضاجعها
ظلت عن الخير لا تطيق له فعلاً فتاللّه لا أراجعها

١١٣ ـ كان غيلان بن سلمة الثقفي أحد حكام قيس في الجاهلية ، وكانت له ثلاثة أيام يوم يحكم فيه ، ويوم ينشد فيه ، ويوم ينظر فيه إلى جماله . وجاء الإسلام وعنده عشر نسوة ، فأسلم فخيَّره رسول الله فاختار أربعاً فصارت سنة .

١١٤ ـ علي عليه السلام : لا تهيجوا النساء بأذى وأن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم ، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول . إن

(١) الجنادل : الصخور القاسية .

كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالقهر والهراوة فيعير بها وعقبه من بعده .

- وعنه : المرأة عقرب حلوة اللّسعة .

- وعنه : جهاد المرأة حسن التبعُّل .

- وعنه : خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها ، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها .

١١٥ - وكان في أصحابه فمرت امرأة جميلة فرمقوها ، فقال : إن أبصار هذه الفحول طوامح ، وإن ذلك سبب هبابها ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فيلمس أهله ، فإنما هي امرأة كامرأته . فقال بعض الخوارج : قاتله كافراً ما أفقهه ! فوثبوا ليقتلوه ، فقال : رويداً إنما هو سب بسبب ، أو عفو عن ذنب .

- وعنه : المرأة الصالحة ليست من الدنيا ، إنما هي من الآخرة ، لأنها تفرغك لها . ولو كنت تطبخ وتسرح وتفرش لشغلك ذلك .

١١٦ - تميم بن خزيمة التميمي :

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطي إليَّ ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ منظومةٍ ... ثقبت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة:

إن المطية لا يلذ ركوبها ... ما لم تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أربابه ... ما لم يؤلف في النظام ويثقب

١١٧ - خطب بعض الظرفاء خطبة نكاح فقال : الحمد لله الذي جعل في الطلاق اجتلاباً للأرزاق ، فقال تعالىٰ : ﴿**وإن يتفرقا يغن الله كلاً من**

سعته﴾ . أوصيكم عباد الله بالسلوة والملالة ، والتجني والجهالة ، واحفظوا قول الشاعر :

اذهبي قد قضيت فيك فضالي وإذا شئت أن تبيني فبيني

تعاهدوا نساءكم بالسب ، وعاودوهن بالضرب ، وكونوا كما قال الله : ﴿فاهجروهن في المضاجع﴾[1] .

ثم إن فلاناً في خمول نسبه ، ونقصان أدبه ، خطب إليكم فازهدوا فيه .

فرق الله بينهما ، وعجل لهما حينهما .

١١٨ ـ يُقال : أشأم على الأزواج من عاتكة بنت الفرات . رأت في المنام أنها كسرت ثلاثة ألوية ، فتزوجها ثلاثة من الرؤساء فماتوا .

١١٩ ـ وأشأم من حبيب بنت قيس ، مات عنها عدة أزواج . فقال عمر رضي الله عنه من أراد الشهادة العاجلة الحاضرة فليتزوج بها .

١٢٠ ـ كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[2] عند عبد الله بن أبي بكر الصديق ، وكان معجباً بها ، فشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل فقال :

أعاتك لا أنساك ما ذرَّ شارقٌ وما لاح نجم في السماء محلق

---

(١) سورة النساء من الآية : ٣٤ .

(٢) عاتكة بنت زيد بن نفيل: شاعرة صحابية حسناء من المهاجرات إلى المدينة . تزوّجها عبد الله بن أبي بكر الصديق ومات فرثته بأبيات منها :

فآليت لا تنفك عيني حزينةً عليك ولا ينفك خدّي أغبرا

وتزوجها عمر بن الخطاب ، وهو ابن عمها ، فاستشهد ، ورثته ، فتزوجها الزبير بن العوام ، وقتل ، فرثته ، وقيل : خطبها علي بن أبي طالب فأرسلت إليه : إني لأضنّ بك عن القتل . وبقيت أيّماً إلى أن توفيت نحو سنة ٤٠ هـ .

راجع ترجمتها في الاستيعاب والإصابة الترجمة ٦٩٥ وحسن الصحابة ١٠٤ .

ولم أر مثلي اليوم طلق مثلها ... ولا مثلها من غير جرم نطلق
لها خلق جزل ورأي ومنصب ... وخلق سوي في حياء ومصدق

فأمره أبو بكر بمراجعتها . ثم أصابه حجر في حصار الطائف ، فمات شهيداً . فرثته بقولها :

أقسمت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

ثم خطبها عمر رضي الله عنه ، فلما أولم بها قال عبد الرحمٰن بن أبي بكر : يا أمير المؤمنين أتأذن أن أدخل رأسي على عاتكة ؟ فأدخل رأسه فقال :

آليت لا تنفك عيني قريرة ... عليك ولا ينفك جلدي أصفرا

فنشجت نشيجاً عالياً . فقال عمر : ما أردت إلى هذا غفر الله لك ! .

ثم خطبها الزبير بعد عمر ، فكانت تخرج إلى المسجد بالليل ، فقال لها : لا تخرجي ، فقالت : لا أزال أخرج أو تمنعني . وكان يكره أن يمنعها ، لقوله عليه السلام : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله . فقعد لها متنكراً في جوف الليل فقرصها ، فتركت الخروج . فقال لها : ما بالك لا تخرجين ؟ فقالت : كنت أخرج والناس ناس ، ففسد الناس ، فبيتي أوسع لي .

١٢١ ـ خرج صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء في غزاة ، فجرح فمرض ، فقال بعض عواده لامرأته : كيف أصبح صخر ؟ فقالت : لا حي فيرجى ولا ميت فينسى ، لقينا منه الأمرين . وسأل أُمه فقالت : أصبح بنعمة الله صالحاً ، ولا يزال بخير ما رأينا سواده بين أيدينا كأصلح ما يكون عليل . فقال صخر :

أرى أُم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني[1]

---

(١) رواية صدر البيت في الكامل للمبرّد ٢ : ٣٤٥ هي :
* أرى أُمّ صخرٍ ما تجفّ دموعها *

وما كنت أخشى أن أكون جنازةً عليك ومن يغتر بالحدثان[1]
فأي امرىء ساوى بأُم حليلة فلا عاش ذلاً في شقا وهوان[2]
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان[3]
أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العَيْر والنزوان[4]

كان قد خبأ سيفه تحت فراشه ، فلما جلست رفع السيف ليضربها به فلم يقدر ، فهو معنى قوله : أهم بأمر الحزم .

١٢٢ ـ شيخ من بلعنبر كان يقول : النساء ثلاث : معينة لينة عفيفة مسلمة . تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها . وأُخرى وعاء للولد . وأُخرى غل قَمِل يضعه الله في عنق من يشاء .

١٢٣ ـ علي عليه السلام : خير نسائكم العفيفة في فرجها ، الغلمة لزوجها .

١٢٤ ـ عروة بن الزبير : ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ، ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء . ثم قال : لعن فلانة ، ألفت بني فلان بيضاً طوالاً فقلبتهم سوداً قصاراً .

١٢٥ ـ بغثر الأسدي :

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

١٢٦ ـ أبو عمرو بن العلاء عن رجل : لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها ، قيل : كيف ؟ قال : أنظر إلى أبيها وأُمها بأنها تجيء بأحدهما .

---

(١) في لسان العرب مادة (جنز) قال ابن منظور : «وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتمّوا به فهو جنازة عليهم» وأنشد هذا البيت .

(٢) رواية الأغاني (بشرحنا ١٥ : ٧٦) : فلا عاش «إلّا» في شقا وهوان .

(٣) رواية الأغاني : لعمري لقد «نبَّهت» ورواية الكامل ٢ : ٣٤٥ لقد أنبهت .

(٤) العَيْر : الحمار وأراد بالنزوان : النكاح . وفي الأغاني اختلاف في ترتيب الأبيات .

١٢٧ ـ عمر رضي الله عنه : يا بني السائب قد أضويتم فانكحوا في النزائع .

١٢٨ ـ الأصمعي عن بعض العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن أعجمية .

١٢٩ ـ الزبرقان بن بدر : أحب كنائني إليّ الذليلة في نفسها ، العزيزة في رهطها ، البرزة[١] الحيَّة ، التي في بطنها غلام ويتبعها غلام . وأبغض كنائني إليَّ الطلعة الخبأة ، التي تمشي الدِّفِقَّى[٢] ، وتجلس الهبنقعة[٣] ، الذليلة في رهطها ، العزيزة في نفسها ، التي في بطنها جارية وتتبعها جارية .

١٣٠ ـ هند : المرأة غل[٤] فانظر ما تضع في عنقك .

١٣١ ـ بعث رسول الله ﷺ أُم سليم تنظر إلى امرأة . فقال : شمي عوارضها وانظري إلى عقبيها .

١٣٢ ـ قال الأصمعي إذا أسود عقب المرأة أسود سائرها . وقال النابغة :

ليست من السود أعقاباً إذا انصرفت ولا تبيع بجنبي نخلة البرما[٥]

١٣٣ ـ حضر أبو طالب نكاح رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها ، ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ، فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم

---

(١) المرأة البرزة : التي تبرز للناس تجالسهم ويتحدّثون إليها . وقد تقدم شرحها قبل قليل :

(٢) يمشي الدِفِقَّى : أي يسرع ويباعد الخطو .

(٣) الهبنقعة : قعود الرجل على عرقوبيه قائماً على أطراف أصابعه ، وجلس الهبنقعة ، هي جِلسة المزهو .

(٤) الغلّ : القيد .

(٥) البَرَمُ : ثمر العضاه واحدته برمة . والبَرَمُ أيضاً : حبّ العنب .
والبُرمة : قِدْر من حجارة والجمع بُرَم وهي المقصودة هنا .

وزرع إسماعيل، وضئضئ[1] معد وعنصر مضر، وجعلنا سدنة[2] بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.

ثم إن محمد بن عبد الله بن أخي، من لا يوزن به فتى من قريش إلاّ رجح به براً وفضلاً وكرماً وعقلاً، ومحتداً[3] ونبلاً، وإن كان في المال قلّ، فإن المال ظل زائل ورزق حائل، قد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصدقات ما عاجله وآجله في مالي. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم خطر جليل.

١٣٤ ـ تزوج عبد الرّحمٰن بن ملجم لعنه الله قطام بنت علقمة من تيم الرباب، وكانت خارجية، فقالت: لا أقنع إلاّ بصداق أسميه، وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل علي بن أبي طالب، فقال لها: لك ما سألت إلاّ علياً، وكيف لي به؟ قالت: تروم ذلك غيلة، فإن سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك، وإن أصبت دخلت الجنة. فقال:

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينة ... وقتل عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن علا ... ولا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم

١٣٥ ـ النبي ﷺ في الأشراط: وتركب ذوات الفروج على السروج من أُمة لعنة الله عندها.

١٣٦ ـ يُقال في الخاطب المردود: خطب إليهم فرمل أنفه وغسل من الدّرمك[4] فاهُ. قال:

اغسل من الدرمك عني فاكا

---

(١) الضئضىء: الأصل.
(٢) السدانة: الخدمة.
(٣) المحتد: الأصل الكريم.
(٤) الدَّرمُك: هو دقيق الحُوَّارى. قال الأعشى:
له درمك في رأسه ومشارب ... وقِدرٌ وطبَّاخ وكأس وديسقُ
وقيل: الدرمك الذي يُدرمَك حتى يكون دُقاقاً من كل شيء.

١٣٧ ـ تزوج الفضل بن الربيع منصرفه من الحج بدوية من بني كلاب ، فقال عثمان بن سالم مولى بني لوذان :

نأت شعثاء عنك فما تزور ... ولطت دونها عنك الستور
فراحت في القباب الحمر خود ... مبتلة لها وجه نظير
وأمست دونها حرس شداد ... وأبواب مظاهرة ودور
فقلت لمنكحي شعثاء مولى ... وفي أحيائها حسب وخير
أمِنْ عوزٍ نزوجها الموالي ... لحاك إلٰهك العالي القدير

١٣٨ ـ سئل عبد الله بن الزبير عن المتعة ، فقال : الذئب يكنى أبا جعدة . يريد أنها تسمى متعة وهي زنا .

١٣٩ ـ سمع عمر رضي الله عنه ذات ليلة من بيت مغنية تقول[1] :

تطاول هذا الليل وإزداد جانبه ... وأرقني أن لا خليل ألاعبه[2]
فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه[3]

فأمر برد زوجها .

١٤٠ ـ خطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فقال : الحمد لله ذي العز والكبرياء ، وصلّى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمته ، واختارك ولم يختر

---

(١) الخود من النساء : الشابة الحسنة الحيّية .

(٢) راجع القصة في كتابنا «طرائف الخلفاء والملوك» ص ١٤ بعنوان : عمر يحدّد مدة غياب الزوج عن زوجته وفيها تفصيل .

(٣) رواية «طرائف الخلفاء والملوك» :

ألا طال هذا الليل وازورّ جانبه ... وليس إلى جنبي خليل ألاعبه

(٣) رواية «طرائف الخلفاء والملوك» :

فوالله لولا الله تُخشى عواقبهْ ... لحرّك من هذا السرير جوانبه

وبعده :

مخافة ربّي والحياء يعفّني ... وإكرام بعلي أن تُنال مراتبه

وفي القصة أن عمر أمر أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر .

عليك ، وقد زوجناك على ما في كتاب الله ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

١٤١ ـ دخل الأشعث على علي عليه السلام صبيحة بنائه على بعض نسائه . فقال : كيف وجد أمير المؤمنين أهله ؟ قال كالخير من امرأة قباء[١] جباء[٢] . قال : وهل يريد الرجال من النساء غير ذلك ؟ قال : كلا ، حتى تروي الرضيع ، وتدفىء الضجيع .

١٤٢ ـ وبعث عبد الملك إلى الحجاج يطلب امرأة من أجمل نساء أشراف العراق ، فأرسل في كل ناحية حتى وصفت له كاملة في الجمال غير أنها طرطبة[٣] . فقال زوجنيها فإنها أدفأ للضجيع وأسقى للرضيع .

١٤٣ ـ جاء صياد إلى أبرويز بسمكة أعجبه سمنها ، فأجازه بأربعة آلاف درهم ، فخطأته شيرين وقالت : إن جاءك فقل أذكر كانت أم أُنثى ؟ فإن قال ذكراً أو أُنثى فاطلب منه الآخر . فسأله ، فقال : كانت أُنثى ، فقال : جئني بذكرها ، فقال : عمر الله الملك ، كانت بكراً لم تتزوج . فقال : زه ، وأمر له بثمانية آلاف درهم . وقال : اكتبوا في الحكمة : الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم الثقيل .

١٤٤ ـ خطب أبان بن عثمان بن عفان إلى معاوية بنته ، فقال : إنما هما إبنتان ، فإحداهما عند أخيك عمرو والأُخرى عند ابن عامر ، فتولى أبان وهو يقول :

تربص بهذا أن يموت ابن عامر ورملة يوماً أن يطلقها عمرو

---

(١) القباء من النساء : الضامرة البطن الرقيقة الخصر .

(٢) وامرأة جبّاء : لا أليتين لها ، أي رسحاء .

(٣) المرأة الطرطبة : التي لها ثديان كبيران مسترخيان . قال المتنبي في هجاء ضبة العتبي :

ما أنصف القوم ضبّة وأُمّه الطُرطُبّهْ

الطرطبة : هي المرأة القصيرة الضخمة المسترخية الثديين .

فـإن صـدقت أمني كنت مـالكـاً لإحـديهما إن طـال بي وبهـا العمـر

١٤٥ ـ زوج إبـراهيم بن النعمان بن بشيـر الأنصاري ابنتـه يحيى بن أبي حفصة ، فعيره طلبة بن قيس بن عاصم بقوله :

لعمـري لقـد جللت نفسـك خزيـةً وخـالف فعـل الأكبـرين الأكـابـر
ولـو كـان جـداك اللذان تـوافيـا ببـدر لمـا رامـا صنيـع الألائـم

فقال إبراهيم :

ومـا تـركت عشـرون ألفـاً لقـائـلٍ مقـالاً فـلا تجهـر بـذكـر الآلائم
وإن أَكُ قد زوجت مولى فقـد مضت بـه سنـة قبـلي وحـب الـدراهـم

١٤٦ ـ ابن يزداد بن سويد في جارية له :

أيـا من بهـا أرضى من النـاس كلهم وإن كنت أخشى تيههـا وازورارهـا
لـو أن الأمـاني خيـرت فتخيـرت من الحسن إنسـانـاً لكنت اختيـارهـا

١٤٧ ـ كانت قريش تستحب للخـاطب أن يطيـل ، وللمخطوب إليـه أن يـوجز . فخـطب رجل إلى عمـر بن عبد العـزيـز فـأطـال ، فـأجـابـه عمـر بن عبـد العزيـز فقال : الحمـد لله ذي العزة والكبـرياء ، وصلّى الله على محمـد خـاتم الأنبياء ، إن الـرغبة منـك دعتك إلينـا ، والرغبـة فيك أجـابتـك . وقـد زوجتك على ما أمر الله به ، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

١٤٨ ـ أبـو دهبـل الجمحي في عبـد الله بن عثمـان من ولـد حكيم بن حزام :

تمـطت بـه بيضـاء فـرع كـريمـة هجان وبعض الوالـدات عُرام[1]

١٤٩ ـ قال رسول الله ﷺ لعبـد الرّحمٰن بن عـوف حين جهزه إلى دومـة

---

(١) الهجان من كل شيء : خياره وخالصه . وامرأة هجان : بيضاء لينة . والوالدة العُرام : الشديدة القوية والشرسة .

الجندل[1] : إن فتح الله عليك فتزوج بنت ملكهم . فتزوج تماضر بنت الأصبغ بن ثعلبة بن جهضم ، وكانت جميلة ، وهي التي صولحت عن ربع ثمنها بثمانين ألف دينار .

١٥٠ ـ خطب عمر رضي الله عنه أُم كلثوم بنت علي من فاطمة عليهما السلام ، وقال : زوجنيها وأنا أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد . فقال : هي صغيرة ، وأنا أبعثها إليك ، فإن رضيتها فقد زوجتكها . فبعثتها ببرد وقالت لها : قولي له هذا البرد الذي قلت له . فقال : قولي لقد رضيت رضي الله عنك . فتناول قناعها فقالت : لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك . وقالت لأبيها : بعثتني إلى شيخ سوء . فقال : مهلاً يا بنية فإنه زوجك .

فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين الأولين في الروضة فقال : رفئوني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل سبب ونسب وصهر منقطع يوم القيامة إلاَّ نسبي وسببي وصهري . وصار لي به السبب والنسب فأردت أن أجمع إليه الصهر .

وولد منها لعمر زيد ورقية . وأما زيد الأصغر وعبيد الله بن عمر فقد ولدا من أُم كلثوم بنت جرول من خزاعة .

وخرج زيد من عند معاوية فأبصر بسر بن أرطأة[2] على دكان ينال من علي رضي الله عنه ، فصعد الدكان واحتمله وضرب به الأرض ، وطفر عليه

---

(١) دومة الجندل : هي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وقيل : دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبليْ طيء كانت به بنو كنانة من كلب .

(٢) بسر بن أرطأة : قائد فتّاك من الجبارين . وُلد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثين ثم كان من رجال معاوية بن أبي سفيان وشهد فتح مصر وكان معاوية أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب الإمام علي فقتل منهم جمعاً . ولّاه معاوية البصرة سنة ٤١ هـ بعد مقتل الإمام علي وصلح الحسن . أُصيب بعقله ومات في دمشق ، وقيل في المدينة سنة ٨٦ هـ عن نحو تسعين عاماً . =

فدق ضلعين من أضلاعه . فقال معاوية : أبعد الله بسراً ، أبعد الله بسراً . أيشتم هذا الرجل وهو يسمع ؟ أما علم أن زيداً بين علي وعمر ، وأُم زيد ابنة علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ .

وماتت أُم كلثوم وزيد في وقت واحد ، وصلّى على جنازتهما سعيد ابن العاص ، وكان والي المدينة . وقال له الحسين بن علي عليهما السلام : تقدم ، ولولا أنك أمير ما قدمتك .

١٥١ ـ قال سعيد بن المسيب للمطلب بن السائب : ما يمنعك أن تتخذ أهلاً ؟ قال : ليس عندي مهر . قال : وكم عندك ؟ قال ثلاثة دراهم ، قال : زوجتك بها بنت سعيد . ثم قال لأمها زوجته : لو مشطت بنيتي وغيرت يديها ، فلما فعلت قال : أخرجي بها إلى المسجد العشاء الآخرة ، فلما حاذى بيت المطلب قرع بابه وقال : أهلك بارك الله لك فيهم .

١٥٢ ـ قال عبد الله بن عمر لأبيه : أخطب عليَّ بنت نعيم النحام ، فخطبها ، فرده وقال : لي ابن أخ مضعوف لا يزوجه الرجال ، فإذا تركت لحمي ترباً فمن يذب عنه ؟ .

١٥٣ ـ زوج رسول الله ﷺ عثمان رقية ثم أُم كلثوم ، فلما ماتت عنه قال: ألا أبا أيم ، ألا أخا أيم يزوج عثمان ، فقد زوجته بنتي ، ولو أن عندي عشراً لزوجتهن إياه واحدة واحدة .

١٥٤ ـ أتى الحسن بن علي في جارية زفت إلى بيت رجل فوثبت عليها ضرتها ، وضبطها بنات عم لها فافتضّتها بإصبعها . فاستفتى الحسن فقال: إحدى دواهيكم يا أهل الكوفة ! ولا عليَّ لها اليوم فما ترون ؟ قالوا: أنت أعلم ، قال : فإني أرى أن التي افتضتها زانية ، عليها صداقها، وجلدها مائة. وأرى اللائي ضبطنها مفتريات عليهن جلد ثمانين.

= راجع ترجمته في الإصابة ١ : ١٥٢ وميزان الاعتدال ١ : ١٤٤ وتاريخ الإسلام ٣ : ١٤٠ .

١٥٥ ـ كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي[١] ليخطب له أُم حبيبة رملة بنت أبي سفيان[٢] . فبعث إليها امرأة كانت تقوم على نسائه فبشرتها بذلك ، فأعطتها سوارين وخواتيم من فضة . واستحضر من بالحبشة من المسلمين، وخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه النبي الذي بشر به عيسى بن مريم .

أما بعد ، فإن رسول الله ﷺ بعث إلي أن أزوجه أُم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة .

وسمع بذلك أبو سفيان فقال : ذلكَ الفحل لا يقرع أنفه .

١٥٦ ـ محمد بن كعب القرظي : إنَّ المرأة المؤاتية إحدى الحسنيين .

١٥٧ ـ رجاء بن حيوة : إذا تزوج العبد صرخ إبليس صرخة يجمع إليه جنوده ، فيقولون : ما بك يا سيدنا ؟ فيقول : عصم اليوم ابن آدم من فخ كنت أصيده به .

١٥٨ ـ عن عمر رضي الله عنه : أنه أتى أهل بيت من الأزد ، وفتاتهم في خدرها قريباً منه، فقال: إن مروان بن الحكم يخطب إليكم وهو سيد شباب قريش ، وأن جرير بجيلة يخطب إليكم وهو سيد أهل المشرق ، وإن أمير المؤمنين يخطب إليكم ، يريد نفسه . فقالت الفتاة : أجاد أمير

---

(١) النجاشي : لقب ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون فراراً من ظلم قريش . مات في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلّى عليه الرسول صلاة الجنازة وكبّر أربع تكبيرات . راجع الإصابة ١ : ١١٢ .

(٢) رملة بنت أبي سفيان : سيدة جليلة هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة في الهجرة الثانية . ثم تنصّر هناك ومات على النصرانية وثبتت أُم حبيبة رملة على دينها الإسلام ، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

راجع ترجمتها في كتابنا «زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاده» طبعة مؤسسة عزّ الدين .

وراجع كتابنا «أخبار النساءفي العقد الفريد» ص ٨٥ فلها فيه خبر موسّع .

المؤمنين ؟ قال نعم ، للجد جئت . قالت زوجوا أمير المؤمنين . فتزوجها ، وولدت منه .

١٥٩ ـ قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : يا بني ، أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا . قالوا : يا أبانا ، قد علمنا إحسانك صغاراً وكباراً ، أفرأيت قبل أن نولد ؟ قال : قد طلبت لكم موضعاً في النساء لكي لا تعيروا .

في الحديث : تنكح النساء على أربع : الجمال، والنسب، والمال، والدين ، فمن نكح للجمال عاقبه الله بالغيرة ، ومن نكح للنسب عاقبه الله بالذل ، فلا يخرج من الدنيا حتى يكسر جبينه ، ويشج وجهه ، وتخرق ثيابه وجيبه عليه . ومن نكح للمال لم يخرجه من الدنيا حتى يبتليه بمالها ، ثم يقسي قلبها عليه فلا تعطيه قليلاً ولا كثيراً . ومن نكح للدين أعطاه المال والجمال والنسب وخير الدنيا والآخرة .

١٦٠ ـ دخل بعض المتقدمين داره ، وقد أرضعت امرأة لم يرضها ولده ، فأخذه وعلقه وضرب قفاه حتى قاء اللبن ، وقال : لا أدعه يتفرق في عروقه ، وينشأ على خلقها .

١٦١ ـ أراد نوح بن أبي مريم قاضي مرو الروذ[1] أن يزوج ابنته ، فاستشار جاراً له مجوسياً فقال : سبحان الله ! الناس يستفتونك وأنت تستفتيني ! قال : لا بد أن تشير علي ، قال : إن رئيسنا كسرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ، ورئيس العرب كان يختار النسب ، ورئيسكم محمد كان يختار الدين ، فأنظر أنت لنفسك بمن تقتدي .

---

(١) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان في خراسان ، فيها مات المهلب بن أبي صفرة ومنها خرج خلق من أهل الفضل والعلم . راجع معجم البلدان ٥ : ١١٢ .

١٦٢ ـ كان شاذان بن عبد في مجلسه وحوله الناس ، فجاءته امرأة فقالت : أأنت شاذان بن عبد ؟ ففاضت عيناه وقال : ألا من رآني فلا يتزوجن امرأة ذات مال ، لأن امرأتي رفعت اسم أبي عني . وكان عبد رجلاً غنياً زوج شاذان بنته فنسب إليه ، ونسي اسم أبيه .



البـــاب الخامس والثمانون

النصيحة ، والموعظة ، والزجر عن القبيح والشفقة ، والرحمة ، وما يجري مجراها

١ ـ جرير بن عبد الله : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم .

٢ ـ وعنه ﷺ : الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم .

٣ ـ عمر بن عبد العزيز : من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته .

٤ ـ مطرف[1] : وجدنا أنصح العباد لله الملائكة ، ووجدنا أخشى العباد لله الشياطين .

٥ ـ أكثم[2] : رأي النصيح دليل لا يجور .

٦ ـ النبي ﷺ : المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه.

٧ ـ مسعر: ما نصحت أحداً إلاَّ فتش عن عيوبي .

---

(١) مِطرف : هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الجرشي العامري المتوفّى سنة ٩٥ .
(٢) أكثم : هو أكثم بن صيفي . تقدّمت ترجمته .

٨ ـ من كتم السلطان نصحه ، والأطباء مرضه ، والأخوان بثه ، فقد خان نفسه .

٩ ـ قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إني قد أعددتك لأمر . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله ورسوله قد أعد لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على عدوك .

١٠ ـ أنشد الأصمعي :

النصح أرخص ما باع الرجال فلا ... تردد على ناصح نصحاً ولا تلمِ
إن النصائح لا تخفي مناهجها ... على الرجال ذوي الألباب والفهم

١١ ـ آخر :

ومَنْ يكن الأشرار شيعة همّه ... فليس إلى موحي النصيحة سامعا

١٢ ـ رأي مخضته ونصح محضته .

١٣ ـ قال رجل لعمر بن عبد العزيز في وفاة ابنه عبد الملك : آجرك الله يا أمير المؤمنين ، وأشار بشماله ، فقال عمر : أسر بيمينك ، فقال : سبحان الله ! أما في موت عبد الملك ما يشغلك ؟ قال : لا ، ما في موت عبد الملك ما يشغلني عن نصيحة المسلم .

١٤ ـ نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .

١٥ ـ في نوابغ الكلم[1] : وجد قريناً يناصحه فظنه قرناً يناطحه .

١٦ ـ ما منع قول الناصح أن يروقك ، وهو الذي ينصح خروقك .

١٧ ـ كان معاذ بن مسلم الهراء النحوي ـ قيل له الهراء لأنه كان يبيع الهروي ـ صديق الكميت بن زيد ، وكانا يتشيعان ، فنهاه أن يأتي خالد بن عبد الله القسري ، فخالفه ، فحبسه وعزم على قتله ، فقال معاذ :

---

(١) نوابغ الكلم : من كتب المؤلف . راجع مقدمتنا في أول هذا الكتاب .

نصحتك والنصيحة إن تعدَّت هوى المنصوح عزَّ لها القول
فخالفت الذي لك فيه حظ فغالك دون ما أمّلت غول

١٨ ـ آخر :

يخبركم أنه ناصح وفي نصحه حمة العقرب

١٩ ـ سليمان الخواص : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنها فضيحة .

٢٠ ـ محمد بن تمام : الموعظة جند من جنود الله ، ومثله مثل الطين يضرب به على الحائط فإن استمسك نفع ، وإن وقع أثر .

٢١ ـ أبو جعفر المصري : إنما القلب بمنزلة القمع الذي يُصَبُّ فيه الزيت أو العسل فيخرج منه وتبقى فيه لطاخته .

٢٢ ـ علي عليه السلام : ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلَّا إذا بلغت في إيلامه فإن العاقل متعظ بالأدب ، والبهائم لا تتعظ إلَّا بالضرب .

٢٣ ـ أنشد الجاحظ :

وليس يزجركم ما توعظون به والبهم يزجره الراعي فينزجر

٢٤ ـ آخر :

أُهان وأُقصى ثم ينصحونني ومن ذا الذي يعطي مودته قسرا

٢٥ ـ آخر :

تنخلت آرائي وسقت نصيحتي إلى غير طلق للنصيح ولا هش

٢٦ ـ آخر :

ولقلما تجدي نصيحة قائلٍ أفعاله أفعال غير مصيب

٢٧ ـ كتب رجل إلى صديق له : أما بعد ، فعِظِ الناس بفعلك ، ولا

تعظهم بقولك . واستحي من الله بقدر قربه منك ، وخَفْهُ بقدر قدرته عليك ، والسلام .

٢٨ ـ الأصمعي : كان يُقال : منك من نهاك ، وليس منك من أغراك ، من كان له من نفسه واعظ ، كان له من الله حافظ .

٢٩ ـ خذ نفسك عن هواها بالشكائم ، وانهها عن رداها بالخزائم .

٣٠ ـ أنشد المبرد :

أهدت لي اللوم أوفى وهي ظالمة ... واللوم تجزع منه جلة الإبل
وما نصحت لحيٍّ ما نصحت لهم ... واحتلت لو أرشدت عمياءهم حيلي

٣١ ـ أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده في يد الحجاج ، فلم يقبل منه ، وصار إليه ، فحبسه وأهله . فقال فيروز :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
أمرتك بالحجاج إذ أنت قادر ... فنفسك ولِّ اللوم إن كنت لائما
فما أنا بالباكي عليك صبابةً ... وما أنا بالداعي لترجع سالما

٣٢ ـ أم الدرداء : من وعظ أخاه سراً فقد زانه ، ومن وعظه علانية فقد شانه .

٣٣ ـ ابن مسعود رفعه : من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة .

٣٤ ـ دخل عامل لعمر رضي الله عنه فوجده مستلقياً وصبيانه يلعبون على بطنه ، فأنكر ذلك . فقال : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت سكت الناطق . قال : اعتزل ، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأُمة محمد .

٣٥ ـ أنس : أتى رسول الله ﷺ قوماً يعودهم : فإذا امرأة تنسج برداً

وعندها صبي لها ، فتارة تضرب بحقها[1] ، وأحياناً تقبل على صبيها ، فقال أترون هذه ترحم صبيها ؟ قالوا : نعم ، قال الله أرحم بعباده من هذه بصبيها .

٣٦ ـ محيسن بن أرطأة الأعرجي :

عرضت نصيحتي مني ليحيى	فقال غششتني والنصح مرُّ
وما بي أن أكون أعيب يحيى	ويحيى طاهر الأخلاق برُّ
ولكن قد أتاني أن يحيى	يُقال عليه في بقعاء شرُّ
فقلت له تجنب كل شيء	يُقال عليك إن الحر حرُّ

٣٧ ـ من اصفر وجهه عند النصيحة اسود لونه من الفضيحة .

٣٨ ـ أعرابي : ما أُم واحد بين صفين بأشفق مني عليها .

٣٩ ـ النبي ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

٤٠ ـ أبو موسى رفعه : إذا مرّ أحدكم في مسجدنا وفي سوقنا ، ومعه نبل ، فليقبض على نصالها بكفه ، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء . قال أبو موسى : والله ما متنا حتى سددناها بعضنا في وجوه بعض .

٤١ ـ أبو هريرة عن النبي ﷺ : لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة ، في شجرة قطعها من ظهر الطريق ، كانت تؤذي الناس .

٤٢ ـ عبد العزيز بن أبي رواد : كان الرجل إذا رأى من أخيه شيئاً أمره في ستر ، ونهاه في ستر ، فيؤجر في نهيه ، ويؤجر في ستره .

٤٣ ـ عمر رضي الله عنه : إذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوموه وسدّدوه ، وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه . ولا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم .

---

(١) الحق : وعاء صغير تضع فيه المرأة أغراضها الخاصة .

٤٤ ـ لقمان : إن الموعظة تشق على السفيه ، كما يشق الصعود الوعر على الشيخ الكبير .

٤٥ ـ أوحى الله إلى داود عليه السلام : إنك إن أتيتني بعد لي آبق[١] كتبتك عندي جهبذاً[٢] ، ومن كتبته عندي جهبذاً لم أعذبه بعدها أبداً .

٤٦ ـ لقمان : يا بني ، ارحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم الأغنياء لقلّة شكرهم ، وارحم الجميع لطول غفلتهم .

٤٧ ـ شاعر :

أدنى الأعاجيب إلى تعسي ... أنصح غيري وأغش نفسي

٤٨ ـ الموصلي :

كأنني حين ألحاها وأزجرها ... في الجهل بالجهل أوصيها وأغريها[٣]

٤٩ ـ آخر :

أصبحت في هيئة المرآة يخبرنا ... صفاؤها بالذي فيها من الكدر

٥٠ ـ أنا له كالجفن الواقي لمقلته .

٥١ ـ [شاعر] :

إني وسعد كالحوار وأمه ... إذ وطئته لم يضره اعتمادها[٤]

٥٢ ـ نصح رجل لهشام فقال : لا تعدن يا أمير المؤمنين عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات فكن على حذر .

---

(١) أبق العبد : هرب من سيّده فهو آبق .

(٢) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيّد من الرديء والجمع جهابذة .

(٣) لحاه : لامه ونازعه وخاصمه .

(٤) الحوار : ولد الناقة قبل أن يُفصل عنها جمع أحورة وحيران .

فحدث الهادي بهذا الخبر ، وفي يده لقمة ، فأمسك حتى سمعه مرّات .

٥٣ ـ وفي وصية علي عليه السلام : يا بني ، أجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك .

٥٤ ـ قال الرشيد لمنصور بن عمار : عظني وأوجز ، فقال يا أمير المؤمنين ، هل أحد أحب إليك من نفسك ؟ قال : لا . قال : إن رأيت أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل .

٥٥ ـ أبو حازم المدني : ثنتان إذا عملت بهما أصبت خير الدنيا والآخرة لا أطول عليكم . قيل : وما هما يا أبا حازم ؟ قال : تتحمل ما تكرهه إذا أحبه الله ، وتترك ما تحبه إذا كرهه الله .

٥٦ ـ وعظ ابن السماك الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما هو دبيب من سقم ، حتى تزل قدم ، ويقع ندم ، فلا توبة تنال ، ولا عثرة تقال ، فاتق الله[1] .

٥٧ ـ علي عليه السلام رفعه : قال الله تعالىٰ : يا ابن آدم ، لا يغرنك ذنب الناس عن ذنبك ، ولا نعمة الناس عن نعمتك ، ولا تقنط الناس من رحمة الله وأنت ترجوها لنفسك .

٥٨ ـ وعظ مجوسي أبا مسلم فقال : قُلْ ما يقبل ، وخذ ما يسهل ، وافعل ما يجمل .

---

(١) المعروف عن ابن السماك أنه وعظ الرشيد مرّة فغشي عليه .

البـــاب السادس والثمانون

النعمة وشكرها ، والإشادة بذكرها، وغمطها وكفرانها ، والامتنان بها ، وما شابه ذلك

١ ـ معاذ بن جبل : أتى رسول الله ﷺ على رجل وهو يقول : اللَّهمَّ إني أسألك تمام النعمة ؟ فقال : أتدري ما تمام النعمة ؟ قال : يا رسول الله دعوة دعوتها أريد بها الخير . قال : فإن تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة .

٢ ـ وعنه ﷺ : ما عظمت نعمة الله على أحد إلَّا عظمت مؤونة الناس عليه .

٣ ـ قالوا للنبي ﷺ يوم فتح مكة حين صفح : فعلوا بك وفعلوا ، قال : إني سميت محمداً لأحمد .

ولما بلغه ﷺ هجاء الأعشى لعلقمة بن علاثة[1] ، نهى أصحابه أن يرووه ، وقال : إن أبا سفيان شعث مني عند قيصر فرد عليه علقمة وكذب

---

(١) علقمة بن علاثة : كان والياً ، من الصحابة ، من بني عامر بن صعصعة . كان في الجاهلية من أشراف قومه . وفد على قيصر ، ونافر عامر بن الطفيل ثم أسلم . وارتدّ في أيام أبي بكر فانصرف إلى الشام فبعث إليه أبو بكر القعقاع بن عمرو ففرَّ علقمة منه ثم عاد إلى الإسلام وولّاه عمر بن الخطاب حوران فنزلها إلى أن مات . كان كريماً ، وللحطيئة قصيدة في مدحه . توفي نحو سنة ٢٠ هـ .

راجع ترجمته في الإصابة الترجمة ٥٦٧٧ وخزانة البغدادي ١ : ٨٨ .

أبا سفيان . قال ابن عباس : فشكر له ذلك .

٤ ـ قام رجل من الأنصار إلى عمر رضي الله عنه فقال : اذكر بلائي إذا فاجأك ذو سفه يوم السقيفة والصديق مشغول . فقال عمر بأعلى صوته : ادنُ مني ، فدنا منه ، فأخذ بذراعه حتى استشرفه على الناس ، وقال : ألا أن هذا رد عني سفيهاً يوم السقيفة ، ثم حمله على نجيب[١] ، وزاد في عطائه ، وولاه قومه ، وقرأ : ﴿هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان﴾[٢] .

٥ ـ علي عليه السلام : احذروا نفار النِعَم ، فما كل شارد مردود .

ـ وعنه : إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة الشكر .

ـ وعنه إذا رأيت أخاك يتابع عليك نعمة فاحذره .

٦ ـ بعض السلف : إن كفران النعم بوار[٣] ، وقلما أقشعت نافرها فرجعت إلى نصابها ، فاستدع شاردها بالشكر ، واستدم راهنها بكرم الجوار ، ولا تحسب أن ستر الله غير مقلص عما قليل إذا أنت لم ترج لله وقاراً .

٧ ـ أتى عمرو بن معد يكرب مجاشع بن مسعود السلمي بالبصرة ، فقال له : اذكر حاجتك ، قال : حاجتي صلة مثلي . فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وفرساً من بنات الغبراء ، وسيفاً قلعياً ودرعاً حصينة وغلاماً خبازاً .

فلما خرج من عنده قيل له : كيف وجدت صاحبك ؟ قال : لله بني سليم ! ما أشد في الهيجاء لقاءها ! وأكرم في الكرامات عطاءها ! وأثبت في المكرمات بناءها ! لقد قاتلتها فما أجبنتها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتها فما أفحمتها .

---

(١) النجيب : الفاضل النفيس في نوعه .
(٢) سورة الرّحمٰن الآية : ٦٠ .
(٣) البوار : الهلاك .

ولـلّه مـســؤولاً نـوالاً ونـائـلاً	وصاحب هيجا يوم هيجا مجاشع

٨ ـ إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر .

٩ ـ حكيم : الشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد .

١٠ ـ شاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة	يدي ولساني والضمير المحجبا

١١ ـ النبي ﷺ : لا تصلح الصنيعة[١] إلَّا عند ذي حسب ودين ، كما لا تصلح الرياضة إلَّا في نجيب .

١٢ ـ مر زياد بن أبيه بأبي العريان المكفوف ، فقال : رب أمر قد نقصه الله ، وعبد قد رده الله . فكتب به زياد إلى معاوية ، فأمر أن يبعث إليه بألف دينار ويمر به ، ففعل . فقال : رحم الله أبا سفيان كأنها تسليمته ونعمته ، فعرف معاوية ذلك ، فكتب إلى أبي العريان :

ما لبثتك الدنانير التي حملت	أن لوَّنتك أبا العريان ألوانا

فكتب إليه جواباً :

من يسد خيراً يجده حيث يطلبه	أو يسد شراً يجده حيثما كانا
فأبعث لنا صلة تحيا النفوس بها	قدكدت يا ابن أبي سفيان تنسانا

١٣ ـ أعرابي : من كان مولى نعمتك فكن عبد شكره عليها .

١٤ ـ آخر : الكريم يرعى في حق اللفظة وحرمة اللحظة .

١٥ ـ مسلم بن دارة : ما زلت استجفي عائشة رضي الله عنها في قولها بمنّة الله لا بمنتك . حتى سألت أبا زرعة الرازي فقال : ولّت الحمد أهله .

---

(١) الصنيعة : عمل الخير والمعروف .

١٦ ـ أعرابي : رب منع ألذ من عطاء ، وشوك أنهد من وطاء[1] .

١٧ ـ بكر بن عبد الله المزني : كن عداداً لنعم الله ، فإنك إن أحصيتها كنت قمناً[2] أن تشكرها ، وإذا نسيتها كنت قمناً أن تكفرها .

١٨ ـ ابن عائشة[3] : كان يُقال : ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها إلّا كان حقيقاً على الله أن يزيلها عنه .

١٩ ـ علي عليه السلام : أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه .

٢٠ ـ أنشد أبو العباس ابن عمارة :

أعارك ماله لتقوم فيه   بواجبه وتقضي بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن   قويت على معاصيه برزقه

٢١ ـ علي عليه السلام : وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فإنك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك . وان اليسير من الله أعظم من الكثير من خلقه .

٢٢ ـ كاتب : آجر لساني فضلك المتظاهر ، وملك أعضائي إحسانك المتناصر .

٢٣ ـ شاعر :

ولو أن لي في كل منبت شعرة   لساناً يطيل الشكر فيك لقصرا

٢٤ ـ آخر من الكتبة : طال إحسانه قمم الأقوال ، ونظر إلى الشكر من مكان عال .

---

(١) الوطاء : خلاف الغطاء ، أي ما تفترشه .
(٢) القمن : الجدير .
(٣) ابن عائشة : هو عبد الرّحمٰن عبيد الله بن محمد التيمي . كان أديباً عالماً بالحديث والسيرة من أهل البصرة . توفي سنة ٢٢٨ هـ .

٢٥ ـ عيسى عليه السلام : لو لم يعذب الله أحداً على معصيته لكان ينبغي أن لا يعصى شكراً لنعمه .

٢٦ ـ جعفر بن محمد : إني رأيت المعروف لا يتم إلّا بثلاث : تعجيله ، وستره ، وتصغيره . فإنك إذا عجلته هنأته ، وإذا سترته أتممته ، وإذا صغرته عظمته .

٢٧ ـ خرج قوم إلى الصيد فطردوا ضبعاً حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي ، فأجارها وجعل يطعمها ، فبينا هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه ومرّت . وجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بقير[1] ، فتبعها حتى قتلها ، وقال :

ومن يصنع المعروف في غير أهله	يلاقي كما لاقى مجير أُم عامر[2]
أعد لها لما استجارت ببيته	أحاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت	فرته بأنياب لها وأظافر[3]
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من	يجود بمعروف على غير شاكر

٢٨ ـ اشكر لمن أنعم عليك ، وانعم على من شكرك .

٢٩ ـ الصاحب[4]: وللنعم من الشكر تمائم، تحرسها من عين النمائم.

٣٠ ـ أعرابي : من خاف أن يسأل عن الشكر طاب نفساً عن النعم .

٣١ ـ محمد بن حبيب الراوية : إذا قل الشكر حسن المن . ويروى إذا جحدت الصنيعة حسن الامتنان .

٣٢ ـ سابور : من لم ترب معروفه فكأنه لم يصنعه .

---

(١) البقير : المشقوق البطن .
(٢) أم عامر : كنية الضّبع .
(٣) فرته : قطّعته وشقّته .
(٤) الصاحب : هو الصاحب بن عباد. تقدّمت ترجمته .

٣٣ ـ أنوشروان : الإنعام لقاح ، والشكر نتاج .

٣٤ ـ قال الحجاج لابن القرية : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر جود في أرض سبخة[1] لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها ، وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف إلى عنّين[2] أعمى وصنيعة تسدى إلى من لا يشكر .

٣٥ ـ كان يُقال : من عجزت مقدرته على المكافأة ، ولسانه عن الشكر ، فلا يعجز عن معرفة النعمة ، ومودة المنعم .

٣٦ ـ مرّ أبو الديك المعتوه بمن ينشد :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال : كذب شاعركم ، بل يصرف المعروف إلى أهله وغير أهله ، وإلا كيف ينالني وكنيتي أبو الديك وأنا معتوه ؟ .

والبيت لقيس بن يزيد بن هلال النخعي ، وبعده :

فإذا صنعت صنيعة فاقصد بها وجه الإلٰه وما يثيبك أودع

وسمعها جعفر بن محمد عليهما السلام فقال : قاتل الله قائل هذا الشعر يأمر الناس بالبخل ، لكني أقول :

يد المعروف غنم حيث كانت تحملها كفور أو شكور
فعند الشاكرين لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

وقيل إن قائلهما عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو الملقب بقطب السخاء .

٣٧ ـ جاء رجل إلى أحمد بن دؤاد، فقال : أيها القاضي ، مالي إليك

---

(١) الأرض السبخة : المالحة التي لا تصلح للزراعة .
(٢) العنين : الذي لا يأتي النساء .

حاجة سوى عموم معرفتك . ثم أنشأ يقول :

مـالي إلى ابن دؤاد حـاجـةٌ تـدني إليه ولا لـه عندي يـد
إلَّا يـد عمت فكنت كـواحـد ممن يعين على الثنـاء ويحمـد
نـال الأبـاعـد نفعه فشكـرتـه والحـر يشكـر أن ينـال الأبعـد

٣٨ ـ أبو عصمة : شهـدت سفيان وفضيـلاً فما كـانا يتـذاكـران إلى أن يتفرقا إلَّا النعم ، يقولان : أنعم علينا بكذا ، وفعل بنا كذا .

٣٩ ـ الحسن : إذا استـوى يـومـاك فـأنت نـاقص . قيـل : كيف ذاك ؟ قال : إن الله زادك في يومك هذا نعماً فعليك أن تزداد له فيه شكراً .

٤٠ ـ عبـد الأعلىٰ بن حماد النـرسي : دخلت على المتوكـل فقال : يـا أبـا يحيى ، هممنـا أن نصلك بخيـر فتـدافعت الأيـام . فقلت : يـا أميـر المؤمنين ، بلغني عن جعفر بن محمـد الصـادق : من لم يشكـر الهمـة لم يشكر النعمة ، وأنشد :

لأشكـرن لك معـروفاً هممت بـه إن اهتمامك بـالمعروف معـروف
ولا ألـومـك إن لم يمضـه قـدر فالشيء بالقدر المحتوم مصـروف

٤١ ـ قـال رجـل لسعيـد بن العـاص وهـو أميـر الكـوفـة : يـدي عنـدك بيضاء . قال : ومـا هي ؟ قال : كَبَتْ بـك فرسـك ، فتقدمت إليـك غلمانـك فرفعت بضبعك[1] ، وهـززتك مـراراً ، ثم سقيتك مـاء ، ثم أخذت بـركابـك حتى ركبت . قال : فأين كنت ؟ قال : حجبت عنك ، قـال : فقد أمـرنا لـك بمـائتي ألف درهم ، وبما يملكـه الحاجب تـأديبـاً لـه أن يحجب مثلك وهـذه وسيلتك .

٤٢ ـ أعـرابي : اللَّهمَّ إن شكـره عـظم في نفسي فـأعـظم في نفسه ثوابك .

---

(١) الضبع : العضد وقيل : الإبط .

٤٣ ـ أبو فراس الحمداني :

ومـا نعمـة مكفـورة إن صنعتهـا	إلى غير ذي شكر بمانعتي أخرى
سـآتي جميـلاً مـا حييت فـإنني	إذا لم أفد شكراً أفـدت به أجـرا

٤٤ ـ خـرج أوس بن حجـر حتى إذا كـان بـأرض بني أسـد تقحمت بـه نـاقة ظمـأ فـانـدقت فخـذه وشـردت . فلمـا أصبـح غـدت إلى جـوارٍ يجنين الكمـأة[1] فرأينـه ، فأجلين غيـر واحدة ، فقـال لها : من أنت ؟ قـالت حليمة بنت فضـالة بن كلدة ، فـأعطاهـا حجراً[2] وقـال لها : قـولي لأبيك يقـول ابن هـذا أئتني . فبلغته ، فقـال : لقد أتيت أبـاك بمدح كبيـر أو هجـاء طـويـل . واحتمل بيته فبناه عليه ، وأخدمه حليمة . فقال :

لـعمـرك مـا ملّت ثـواء ثـويهـا	حليمـة إذ ألـقى مـراسي مقـعـد
ولكن تلقت بـالـيـدين ضـمـانتي	وحـل بفلج فـالقنـافـذ عـودي[3]
ولم تُلْهِهـا تلك التكـاليف إنـهـا	كـمـا شئت مـن أكـرومـة وتفـرد
سـاجزيـك أو يجـزيـك عني مثـوّب	وقصـرك أن يثنى عليـك وتحـمـد

٤٥ ـ قـدم عقفان بن قيس بن عـاصم المنقري مكـة ، فنـزل على أروى بنت كريز أُم عثمان بن عفان فأكرمته ، فقال عند رحيله :

خلّف على أروى سـلامـاً فـإنمـا	جـزاء الثـويّ أن يعف ويحمـدا
سـلاماً أتى من وامق غيـر عـاشق	أراد رحيـلاً مـا أعف وأمجـدا[4]

---

(١) الكمأة : نبات يُقال له أيضاً «شحم الأرض» يوجد في الربيـع تحت الأرض وهو أصـل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق لونه يميل إلى الغبرة .

وفي اللسان : الكمءُ : نبات يُنقّض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر والجمع كمأة .

(٢) الحجر : الأُنثى من الخيل .

(٣) فَلْجٌ : وادٍ بين البصـرة وحمى ضرية من منازل عـدي بن جندب بن العنبـر بن عمرو بن تميم من طريق مكّة . وقيـل غير ذلـك . راجع معجم البلدان ٤ : ٢٧٢ والقنـافذ اسم موضع ذكره ياقوت ولم يحدّده . راجع معجم البلدان ٤ : ٤٠١ .

(٤) الوامق : المحب: والمقة : المحبة . والفعل : ومق .

٤٦ ـ علي عليه السلام : من امتطى الشكر بلغ به المزيد .

٤٧ ـ جعفر بن محمد : النعم وحشية فاشكلوها بالشكر .

٤٨ ـ الحسن : أوطد الناس نعمة أشد في الشكر نهمة .

٤٩ ـ العتابي : استوثقوا من عرى النعم بالشكر .

٥٠ ـ داود : إلهي كيف أشكر لك وأنا لا أطيق الشكر إلاَّ بنعمتك ؟ فأوحى إليه : يا داود ، ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يا رب . قال : فإني اقتصر على ذلك منك شكراً .

٥١ ـ من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد .

٥٢ ـ كان يُقال : أحيوا المعروف بإماتته .

٥٣ ـ بعض الخوارج : ضاع معروفُ واضعِ المعروفِ في غير أهله .

٥٤ ـ النبي ﷺ : أنا شريك المكفرين . أي الذين تكفر نعمتهم .

٥٥ ـ مرّ عمرو بن يزيد الأسدي على الحسن ، فقام إليه فسأله عن حاله ، وألطف في سؤاله . فقال عمرو بن عبيد : أتقوم لهذا ؟ فقال : إنه صنع إلي جميلاً في أيام الخوف ، ونقلني من مكان إلى مكان ، فأنا أشكر له ذلك وأرعاه .

٥٦ ـ قال وهب : ترك المكافأة من التطفيف .

٥٧ ـ ابن السماك : النعمة من الله على عبده مجهولة فإذا فقدت عُرفت .

٥٨ ـ من لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها .

٥٩ ـ فلان يلقح النعمة بشكرها ، ويفيحها بدوام ذكرها .

٦٠ ـ الشكر يقي النعمة من الارتجاع ، ويجعلها في حمى من الانتزاع .

٦١ ـ موسى صلوات الله عليه : يا رب ، دلني على خفيّ نعمتك ، فقال : النفسان ، يدخل أحدهما وهو بارد ، ويخرج الآخر وهو حار ، ولولاهما لفسد عيشك . وهل تبلغ قيمة نفس منهما ؟ .

١٦٢ ـ كان الصاحب[1] يقول : أنا استحسن قول البحتري : الشكر نسيم النعم .

٦٣ ـ حكيم : لا تصطنعوا[2] ثلاثة : اللئيم فإنه بمنزلة السبخة[3] ، والفاحش فهو يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو لمخافة فحشه ، والأحمق فهو لا يعرف قدر ما أسديت إليه .

٦٤ ـ وإذا اصطنعت الكريم فاصنع المعروف واحصد الشكر .

٦٥ ـ من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن بهته إياك ، ومن أظهر لك شكر ما لم تأت إليه فاحذر أن يكفر بنعمتك .

٦٦ ـ تعليم الأبله إبطال للعلم ، واصطناع الكفور إضاعة للنعمة ، فعليك بإرتياد الموضع قبل الإقدام على العمل .

٦٧ ـ الشكر أفضل من النعم لأنه يبقى وتلك تفنى .

٦٨ ـ كان المهدي يقول : ما توسل أحد إليّ بوسيلة ، ولا تذرع بذريعة ، هي أقرب من تذكيري يداً سلفت مني إليه ، أتبعها بأختها ، وأحسن ريّها . لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل .

٦٩ ـ محمود الوراق :

إذا كان شكري نعمة اللّه نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلاَّ بفضله ... وإن طالت الأيام واتسع العمر

---

(١) الصاحب : هو الصاحب بن عبّاد .
(٢) لا تصطنعوا : لا تعملوا خيراً وتأتوا معروفاً .
(٣) السبخة : الأرض التي لا تصلح للزراعة ولا تعطيك شيئاً .

إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلَّا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والبر والبحر

٧٠ ـ أبو شراعة القيسي :

بني رياح أعاد اللّه نعمتكم حتى المعاد وأسقى ربعكم ديما[١]
لم يلبسوا نعمة اللّه مذ خُلقوا إلَّا تلبسها أخوانهم نعما

٧١ ـ سلمةبن أبان الكاتب :

ليس يجني الثمار من شجر الشوك وغرس الثناء إلَّا الكريم .

٧٢ ـ مسعر بن كدام :

العرف من يأته يحمد مغبَّته ما ضاع عرف ولو أوليته حجرا

٧٣ ـ دخل أبو نخيلة على السفاح ينشده ، فقال : وما عسيت تقول فيَّ بعد قولك لمسلمة :

أمسلم إني يا ابن كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض
شكرتك أن الشكر حبل من التقى وما كل من أوليته صالحاً يقضي
وأحييت لي ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال : هكذا يكون شعر الأشراف ! مدح صاحبه ولم يضع من نفسه .

٧٤ ـ البذال بن بذل في علي بن يحيى المنجم :

يا ابن يحيى وما المغالط والجا حد مثل المقر بالتقصير
لا أراني بالقول أبلغ من شكـ ـرك بعض الذي يجن ضميري
أي يوم يمضي ولم تسقني فيـ ـيه بنوء من راحتيك غزير
أنت حصني وحسن رأيك مالي وأياديك عزتي ونصيري

---

(١) الدّيم : جمع ديمة وهي السحابة الماطرة .

٧٥ ـ معاوية بن صخر لقريش :

إذا أنـا أعـطيت القليـل شكـوتمُ ... وإن أنا أعطيت الكثير فلا شكـر

فـكيـف أداوي داءكـم ودواؤكـم ... يـزيـدكـمُ داء لقـد عـظم الأمـر

سـأحـرمكم حتى تـذل صعـابكم ... وأبلغ شيء في صـلاحكم الفقـر

٧٦ ـ قطري بن الفجاءة الخارجي أسره الحجاج ثم منَّ عليه وقال : أتعاود القتال يا عدو الله ؟ قال : هيهات ! غل يداً مطلقها ، وأرق رقبة معتقها ، ثم قال :

أأقـاتـل الحجـاج عن سلطانـه ... بيـد تقـر بـأنـهـا مـولاتـه

مـاذا أقـول إذا وقـفـت إزاءه ... في الصف واحتججت لـه فعلاتـه

أأقـول جـار عـلي لا إنـي إذن ... لأحق من جـارت عليـه ولاتـه

وتحـدث الأقـوام أن صنيعـة ... غرست لديه فحنظلت ثمـراته[1]

إني إذن لأخـو الجهـالـة الـذي ... طمّت على إحسـانـه جهـلاتـه

هـذا ومـا ظني بـجبن فيكـمُ ... إني لمـطرق مشهـد وغـلاتـه

٧٧ ـ كتب عدي بن أرطأة[2] إلى عمر بن عبد العزيز : إني احتفرت نهراً لأهل البصرة عذب به ماؤهم ، ولم أرَ عليه شكراً ، فليأذن لي أمير المؤمنين أن أسكره . فكتب إليه ثكلتك أُمك يا عدي ، أفما شرب منه أحد فقال الحمد لله ؟ إن الله حين أدخل أهل الجنة الجنة رضي الله عنهم أن قالوا الحمد لله ، بها ثواباً من نهرك .

---

(١) حنظلت ثمراته : أصبحت بطعم الحنظل : والحنظل نبات مرّ الطّعم .

(٢) عديّ بن أرطأة : هو أبو واثلة عدي بن أرطأة الفزاري ، أمير ، من أهل دمشق . كان من العقلاء الشجعان . ولّاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ . فاستمرّ إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط في فتنة أبيه (يزيد) بالعراق . توفي سنة ١٠٢ هـ .

راجع ترجمته في الكامل للمبرّد ٢ : ١٤٩ ورغبة الآمل ٢ : ٢٦ ثم ٧ : ١٥٩ واليعقوبي ٣ : ٥٣ .

٧٨ ـ عمر بن عبد العزيز : تذاكر النعم شكر .

٧٩ ـ نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ : من أنعم على رجل نعمة فلم يشكره فدعا عليه استجيب له .

ثم قال نصر : اللَّهمَّ إني قد أنعمت على بني بسام فلم يشكروا ، اللَّهمَّ فاقتلهم . فقتلوا كلهم .

٨٠ ـ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : من أنعم عليه نعمة فأنعم على الناس فقد أخذ أماناً من الذم ، وخلع ربقة سوء العواقب من عنقه .

٨١ ـ علي بن الحسين عليهما السلام : قال رسول الله ﷺ : إن المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله فيعطيه من الأجر ما يعطي الصائم القائم . أن الله يحب الشاكرين .

٨٢ ـ محمد بن علي عليهما السلام : ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من الله ألَّا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ، ولا أذنب عبداً ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه ، وإن شاء غفر له ، وإن شاء آخذه به ، إلَّا غفر له قبل أن يستغفره .

٨٣ ـ علي عليه السلام رفعه : ما عظمت نعمة الله على عبد إلَّا عظمت عليه مؤونة الناس . فمن لم يحتمل تلك المؤونة للناس عرض تلك النعمة للزوال .

٨٤ ـ جعفر بن محمد : أحيوا المعروف بإماتته[1] ، فإن المنّة تهدم الصنيعة .

٨٥ ـ شاعر :

ولا عيب في معروفكم غير أنه ... يبين عجز الجاهدين عن الشكر

---

(١) أحيوا المعروف بإماتته : أي بعدم ذكره بعد تنفيذه واصطناعه .



البـــاب السابع والثمانون

النوم ، والاحتلام ، والسهر ، والرؤيا
وما جاء من عجائب التأويلات ، وما يتعلق بذلك

١ ـ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : ما من أحد ينام إلّا ضرب على صماخه[١] بجرير معقد ، فإن هو استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، فإن هو توضأ حلت عقدة أُخرى ، فإن قام فصلّى حلّت العقد كلها . فإن هو لم يستيقظ ولم يتوضأ ولم يصل أصبحت العقد كلها كهيأتها ، وبال الشيطان في أذنيه .

٢ ـ وقالت أُم خالد بن خالد بن سعيد بن العاص لمولاة لها عند السحر : حلّلي عقد الشيطان ، ليست بساعة نوم .

٣ ـ كان زمعة بن صالح يصلّي ليلاً طويلاً ، فإذا أسحر[٢] نادى أهله :

يا أيها الركب المعرسونا أكل هذا الليل ترقدونا[٣]

فيتواثبون من بين باكٍ وداعٍ ومستغفر ومتوضىء . فإذا أصبح نادى :

---

(١) الصماخ : خرق الأُذن الباطن الماضي إلى الرأس .

(٢) أسحر : صار في السّحَر .

(٣) التعريس : النزول في آخر الليل . وعرّس المسافر : نزل في وجه السّحَر . وقيل : المعرّس : الذي يسير نهاره ويعرّس أي ينزل أول الليل .

عند الصباح يحمد القوم السرى[1] .

٤ ـ ابن عباس : عن النبي ﷺ : أشراف أُمتي حملة القرآن وأصحاب الليل .

٥ ـ قالت أُم سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان : يا بني ، لا تكثر النوم ، فإن صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلساً .

٦ ـ الثوري[2] : كان يعجبهم إذا كان الرجل فارغاً أن ينام طلباً للسلامة . وكان يقول : ما أعرف في زماننا أمثل من النوم .

٧ ـ ورؤي الثوري يقول للطبيب : دلني على شيء إذا أردت النوم جاءني ، فقال أكثر من دهن رأسك .

٨ ـ العرب : نومة الضحى في الصيف مبردة ، وفي الشتاء مسخنة .

٩ ـ قيل للحسن : إن ابن سيرين[3] ما احتلم قط . فقال : إن الاحتلام عِرس[4] النسّاك إذا علم الله منهم العفاف .

١٠ ـ إن نومة الضحى مخلفة للفم .

١١ ـ ابن الجهم : إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم تناولت كتاباً من كتب الحكم ، فأخذ اهتزازي للفوائد ، والأريحية[5] التي تعتريني ،

---

(١) السُّرى : السير ليلاً . وأول من قال هذا المثل خالد بن الوليد وتمام البيت :

عند الصباح يحمد القوم السّرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى

يضرب هذا المثل للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

راجع تفاصيل المثل في مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٣ طبعة دار القلم .

(٢) الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق .

(٣) ابن سيرين : هو محمد بن سيرين المشهور بتعبير الرؤيا .

(٤) العرس (بالكسر) : زوجة الرجل .

(٥) الأريحيَّة : عمل الخير والارتياح له ٠ والأريحي هو الذي يفرح لعمل الخير والمعروف .

أشد من نهيق الحمار ، وهدة الهدم .

١٢ ـ شاعر :

إلَّا إن نومات الضحى تورث الفتى　　خبالاً ونومات العصير جنونا[١]

١٣ ـ الحارث بن الحارث المكي : إني لأعجب ممن يستلقي على فراشه ، ويطبق عينيه يبتغي النوم ، كيف لا يقوم يصلّي حتى تغلبه عيناه ؟ فلا نوم ألذ من ذلك النوم .

١٤ ـ طاووس[٢] : لئن تختلف السياط على ظهري أحب إلي من أن أنام يوم الجمعة والإمام يخطب .

١٥ ـ محمد بن النضر الحارثي : ترك النوم قبل مدته بسنتين إلَّا القيلولة[٣] .

١٦ ـ مكحول : من آوى إلى فراشه ثم لم يتفكر فيما صنع في يومه ، فإن عمل خيراً حمد الله ، وإن أذنب استغفر الله ، كان كالتاجر الذي ينفق ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر .

١٧ ـ كان شداد بن أوس الأنصاري على فراشه كأنه حبة على المقلى ، وهو يقول : اللَّهمَّ إن النار منعتني النوم .

١٨ ـ شاعر :

غيرت موضع مرقدي　　ليلاً ففارقني السكون
قل لي فأول ليلتي　　في حفرتي أنّي تكون[٤]

---

(١) الخبان : ضرب من الجنون .
(٢) طاووس : هو طاووس بن كيسان الخولاني . تابعي ، متقشّف جريء على وعظ الخلفاء والملوك .
(٣) القيلولة : النوم عند الظهيرة : والفعل : قال ، يقيل .
(٤) أنّى تكون : كيف تكون .

١٩ ـ خوات بن جبير : نوم أول النهار خرق ، وأوسطه خلق ، وآخره حمق .

٢٠ ـ وعن العباس بن عبد المطلب أنه مرّ بابنه وهو نائم نومة الضحى ، فركله برجله وقال : قم لا أَنام الله عينك ، أتنام في ساعة يقسم الله فيها الرزق بين عباده ؟ أوَ ما سمعت ما قالت العرب إنها مكسلة مهزلة ، منساة للحاجة ؟ .

٢١ ـ والنوم على ثلاثة أنواع : نومة الخرق ، ونومة الخلق ، ونومة الحمق . فنومة الخرق نومة الضحى ، ونومة الخلق هي التي أمر رسول الله ﷺ بها أُمته فقال : قيلوا[١] فإن الشياطين لا تقيل . ونومة الحمق بعد العصر ، لا ينامها إلاَّ سكران أو مجنون أو مريض .

٢٢ ـ الصبي إلى أربع سنين لا يحلم حلماً يعتد به ، ومنهم من لم يحلم إلى أن أسن ، ومنهم من لم يحلم البتة .

٢٣ ـ قيل لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك : ما أذهب ملككم ؟ قال : نوم الغدوات ، وشرب العشوات .

٢٤ ـ هشام بن عبد الملك لولده : ولا تصطبحوا[٢] فإنه شؤم ونكد .
أبو دلف العجلي :

أمالكتي ردي عليَّ فؤاديا ... ونومي فقد شرَّدته عن وساديا
ألا تتقين اللّه في قتل عاشقٍ ... أمتّ الكرى عنه فأحيا اللياليا

٢٥ ـ علي عليه السلام : ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب . يعني أنه يصبر على قتل الولد ولا يصبر على سلب المال .

٢٦ ـ ابن سيرين : لا يحتلم ورع إلاَّ على أهله .

---

(١) قيلوا : أي ناموا في الظهيرة .
(٢) الاصطباح : شرب الخمرة عند الصباح ، وخلافه الغبوق .

٢٧ ـ سلمان الفارسي : إني لاحتسب نومتي كما احتسب قومتي .

٢٨ ـ عمر بن أبي ربيعة :

فلو كنت مـاء كنت صـوب غمـامـة ولـو كنت ليلاً كنت رابعـة العشـر[1]
ولـو كنت لهـواً كنت تعليـل سـاعـة ولـو كنت نـومـاً كنت إغفـاءة الفجـر

٢٩ ـ يُقال بات فلان بليلة أنقد ، وهو القنفذ ، أي ساهراً .

٣٠ ـ قيـل للشعبي : كيف بت البارحـة ؟ فـطوَّل كسـاءه في الأرض ثم نام عليه وتوسد يده ، وقال : هكذا بت .

٣١ ـ يحيى بن اليمان : رأيت رجُلاً نام ، وهو أسـود الرأس واللحيـة ، شاب يملأ العين ، فرأى في منامه كأن النـاس قد حشـروا ، وإذا بنهر من نـار وجسر يمر عليه الناس ، فدعي فدخل الجسر ، فـإذا هو كحـد السيف ، يمور به يميناً وشمالاً . فأصبح أبيض الرأس واللحية .

٣٢ ـ رأى رجـل في منامـه كأنـه يصب الزيت في الـزيتـون . فقـال ابن سيرين : إن صدقت فإنك تفعل بأُمك . فكان كما قال :

٣٣ ـ أتى دومة بنت معتب آت في المنام فقال لها :

ألا أبـشـرن لـولـد أشبـه شيء بـالأسـد
إذا الـرجـال في كنـد تـغـالـبـوا عـلى بـلد
كـان لـه حظ الأشـد

فولدت المختار بن أبي عبيد . وذلك في سنة الهجرة .

٣٤ ـ رؤي غـزوان الصوفي في المنـام ، فقيل لـه : ما فعـل الله بـك ؟ فقال :

حـاسبـونـا فـدققـوا طـالبـونـا فحققـوا
ثـم مـنُّـوا فـأعـتـقـوا

(١) الصوب : المطر . والغمامة : السحابة .

٣٥ ـ لما انصرف أبو مسلم من حرب عبد الله بن علي رأى في المنام كأنه على فيل ، والشمس والقمر في حجره . فقصه على عابر سبيل ، فقال : الرسم . فقبض عشرة آلاف درهم . ثم قال : اعهد عهدك فإنك هالك . وقرأ : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر .

٣٦ ـ رأى رجل كأنه ينظر في لوح من ذهب . فقيل : يذهب بصرك . فعمي .

٣٧ ـ قال رجل لسعيد بن المسيب : رأيت كأني بلت خلف المقام . قال : فهو عبد الملك ، قال يلي أربعة من صلبه الخلافة .

وروي أنه قال : رأيت كأن رسول الله ﷺ يبول في ذيل عبد الملك أربع مرّات . فقال : إن صدقت رؤياك خرج من صلبه أربعة خلفاء.

٣٨ ـ رأى علي بن الحسين مكتوباً على صدره قل هو الله أحد ، فاستعبر سعيد فقال : بضعة من رسول الله ﷺ نعيت إليه نفسه .

٣٩ ـ الشافعي رحمه الله : رأيت علياً عليه السلام في المنام ، فقال لي : ناولني كتبك ، فناولته ، فأخذها فبددها . فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته ، فقال : سيرفع الله شأنك ، وينشر علمك .

٤ ـ ابن مسعود رفعه : من رآني في منامه فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي .

٤١ ـ بات أبو الهندي بمرو على سطح ، وكان إذا نام تقلب تقلباً قبيحاً ، فشدوا رجله بحبل ، فتدحرج وبقي معلقاً برجله ، واختنق فمات .

٤٢ ـ النبي ﷺ : الرؤيا على جناح طائر ما لم تعبر ، فإذا وقعت فلا تقصها إلاّ على وادٍ أو ذي رأي .

٤٣ ـ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : رأيت كأن رأسي قد قطع

وكأني أنظر إليه . فضحك رسول الله ﷺ وقال : بأية عينين كنت تنظر إلى رأسك ؟ فلم يلبث رسول الله ﷺ أن توفي . فأولوا رأسه بنبيِّه، ونظره إلى اتباع سنته .

٤٤ ـ قال رجل لعلي بن الحسين : رأيت كأني أبول في يدي . فقال : تحتك محرم . فنظروا فإذا بينه وبين امرأته رضاع .

٤٥ ـ كان مع صلة بن أشيم أعرابي ، فقال : يا أبا الصهباء ، رأيت كأنك أتيت بثلاث شهدات ، فأخذت اثنتين وأعطيتني واحدة . فقال : الشهادة إن شاء الله . فغزوا فاستشهد أبو الصهباء وابنه والأعرابي .

٤٦ ـ أنشد أبو غانم الثقفي :

رقدت رقاد الهيم حتى لو أنني يكون رقادي مغنماً لفنيت

فقلت : لمن هذا البيت ؟ فقال : لرقّاد من رقاد العرب .

٤٧ ـ أبو حنيفة رحمه الله : رأيت كأني نبشت قبر رسول الله ﷺ فضممت عظامه إلى صدري . فهالني ، فسألت ابن سيرين ، فقال : ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا . قلت : أنا رأيتها . قال : إن صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك .

٤٨ ـ شاعر :

وليلك شطر عمرك فاغتنمهُ ولا تذهب بنصف العمر نوما

٤٩ ـ آخر :

وكيف يكون النوم أم كيف طعمه صِفا النوم لي إن كنتما تصفان

٥٠ ـ فلان لا يتصالح جفناه .

٥١ ـ رأى رجل غراباً وقع على أعظم أطم[1] بالمدينة فقال ابن

---

(١) الأطم : الحصن المبني بالحجارة .

المسيب : يتزوج أفسق الفاسقين أشرف امرأة بالمدينة .

٥٢ ـ رأى نبطي[١] الحجاج بن يوسف الثقفي في المنام ، فقال له : إلى ما صيرك ربك ؟ قال : وماذا عليك يا ابن الفاعلة ؟ فقال : ما سلمنا من فعلك حياً ولا من سبك ميتاً .

٥٣ ـ نام عبود ، وكان عبداً أسود حطَّاباً في محتطبه أسبوعاً ، فضرب به المثل فقيل : قد نام نومة عبود .

٥٤ ـ قيل تماوت على أهله وقال : اندبوني لأعلم كيف تندبونني إذا متُّ . فسُجّي وندب ، فإذا به قد مات .

٥٥ ـ وقال عبد الله بن الحجاج :

قوموا فأهل الكهف مع عبـ ـود عندكمُ صراصر

٥٦ ـ يُقال إن ملك الرؤيا ينسخ من اللوح المحفوظ ما كتب للعبد فيريه في منامه .

٥٧ ـ رأى رسول الله ﷺ أسيد بن أبي العيص في الجنة بعد موته ، فأولها لولده عتاب بن أسيد .

ـ وعنه ﷺ : الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بما له عند الله من الكرامة في الآخرة .

٥٨ ـ قال أشعب لرجل : رأيتك مطلياً بعذرة . فقال : هو عملك الخبيث ألبسكه الله ، وعملي الطيب ألبستنيه . قال : في الرؤيا شيء آخر ، قال : وما هو ؟ رأيتك تلحسني ورأيتني ألحسك[٢] .

---

(١) النبط : جيل من الناس كانوا ينزلون القطائع بين العراقين أو سواد العراق وهم الأنباط . كان لهم في قديم الزمان دولة ومدينة . الواحد نبطي .

(٢) هذه الطرفة رواها المدائني والكلام فيها موجّه لامّه وليس «لرجل» كما قال الزمخشري .

٥٩ ـ المعلى بن علاء الطائي :

كم ليلة ذدت الرقاد وأنتما تتنازعان حواشي الأحلام
وحملتما لوماً عليَّ وربما كان الملام أحق بالـلوَّام

٦٠ ـ رأى نوف البكالي صاحب علي عليه السلام كأنه يسوق جيشاً ، ومعه رمح طويل في رأسه شمعة تضيء للناس . فتأولها بالشهادة . فخرج إلى الغزو ، فلما وضع رجله في الركاب قال : اللَّهمَّ أرمل المرأة وأيتم الولد وأكرم نوفاً بالشهادة . فوجدوه وفرسه مقتولين مختلطاً دمه بدم فرسه وقد قتل رجلين .

٦١ ـ أبو سليمان الداراني : إنما يرى العبد الرؤيا ليثبت فإذا أخلص انقطع عنه كثرة الرؤيا .

٦٢ ـ كان أبو سالم يقول : الرؤيا كلام يكلم الله به عبده .

٦٣ ـ رأى عبد الملك في منامه أن أُم هشام شقّت رأسه فلطعت من دماغه عشرين لطعة ، فطلقها . ثم بعث إلى سعيد بنَ المسيب فسأله . فقال : تلد غلاماً يملك عشرين سنة . فندم .

٦٤ ـ رأى شرحبيل بن حسنة رؤيا فقصها على أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : نامت عينك ورأيت خيراً .

٦٥ ـ جابر بن عبد الله : كنا ننام في المسجد ومعنا علي بن أبي طالب ، فدخل علينا رسول الله ﷺ فقال : قوموا لا تناموا في المسجد ، فقمنا لنخرج ، فقال : أما أنت يا علي فنم ، فإنه قد أذن لك .

٦٦ ـ ابن عمر : تضرعت إلى ربي سنة أن يريني أبي في النوم ، حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه، فسألته فقال : لولا رحمة الله لهلك أبوك . إنه سألني عن عقال بعير الصدقة ، وعن حياض الإبل ، فكيف عن الناس ؟ فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز ، فصاح وضرب بيد على يد

وقال : فعل هذا بالطاهر التقي ، فكيف بابن المترف عمر بن عبد العزيز ؟

٦٧ ـ سئل ابن سيرين عن رجل رأى في منامه كأنه يمضغ شدقه ، فقال : هذا رجل يغتاب أقرباءه .

= راجع هذه الطرفة (كما رواها أبو الفرج) في كتابنا «طرائف الاصفهاني في كتاب الأغاني» ص ١٠ .

البـــاب الثامن والثمانون

الوفاء ، وحسن العهد ، ورعاية الذمم ، والأمانة والثقة ، وكتمان الأسرار ، وما أشبه ذلك

١ ـ أبـو بكر رضي الله عنـه : قال لي رسـول ﷺ : يا أبـا بكر ، عليـك بصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وحفظ الأمانة ، فإنها وصية الأنبياء .

٢ ـ نـزل ناس من محـارب إلى جنب المدينـة ، فـاشتـرى منهم رسـول الله جزوراً[١] بوسق[٢] من تمـر . فلما ذهب بهـا وتوارى في بيـوت المدينـة ، قالوا : أعطينا رجلاً لا نعرفه . فقالت عجـوز منهم : لقد رأيت وجـه رجل مـا كان ليلبسه غدراً . فما كـان إلَّا أن أرسل إليهم فـدعاهم ، ثم أمـر بالتمـر فنثر على نـطع[٣] ، ثم قـال : كلوا ، فـأكلوا حتى شبعـوا ، ثم وفــاهم ثمنهم . فقالوا : ما رأينا كاليوم في الوفاء .

٣ ـ أوصت أعرابية أبناً لها فقالت : يا بني ، اعلم أنـه من اعتقد الـوفاء والسخاء فقد استجـاد الحلة بربـطتها وسـربالهـا ، وإياك والنمـائم فإنهـا تنبت

---

(١) الجزور : الحيوان المعدّ للذبح .

(٢) الوسق : ستون صاعاً . قال الخليل : الوسق هو حمل البعير فأما الـوِقر فحمـل الحمار أو البغل .

راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٦ .

(٣) النطع : البساط من الجلد .

السخائم ، وتفرق بين المحبين ، وتحسي[1] أهلها الأمرين .

٤ ـ ليس شيء أوفى من قمرية[2] ، فإنها إذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ، ولا تزال تنوح عليه إلى أن تموت .

٥ ـ شاعر :

أشدد يديك بمن يلفّ وفاءه إن الوفاء من الرجال عزيز

٦ ـ علي عليه السلام : الوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جنة أوقى منه ، وما يغدر من علم كيف المرجع . ولقد أصبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة . ما لهم قاتلهم الله ؟ قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها . وينتهز فرصتها من لا خريجة له في الدين .

٧ ـ وفد عدي بن حاتم على عمر رضي الله عنه ، وكان قد ثبت إسلامه في الردة ، فقال : أتعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، أنت الذي آمن إذ كفروا ، ووفى إذ غدروا .

٨ ـ وكان مع علي عليه السلام في حروبه ، وفقئت عينه يوم الجمل ، وهو القائل لمعاوية :

يجادلني معاوية بن حرب وليس إلى الذي يبغي سبيل
يذكرني أبا حسن علياً وحظي في أبي حسن جليل

٩ ـ قال المنصور لاسحاق بن موسى العقيلي ، وكان قبله خصيصاً عند مروان بن محمد ، وقد ضمن غلاماً من بني أُمية : ما ضمانك له إلاَّ حباً

(١) تحسي : تُذيق .
(٢) القمرية : نوع من الحمام .

لبني أُمية ؟ فقال : هـذا وفائي لمن لـه عندي يـد[1] وقد زالت عنه الدولـة ، فكيف وفائي لمن له عندي يد والدولة عليـه باقيـة ؟ فاستحسن قـوله وأطلق لـه الغلام من غير ضمان .

١٠ ـ الوفاء وفاء لمن لا ترجوه ولا تخافه .

١١ ـ إذا أردت أن تعـرف وفاء الـرجل فـانظر إلى حنينـه إلى أوطـانـه ، وإلى بكائه على ما مضى من زمانه .

١٢ ـ أتى حـاجب بن زرارة التميمي في جـدب أصـاب قـومـه بـدعـاء رسول الله ﷺ ، كسرى فسـأله أن يـأذن لهم في دخول بـلاده حتى يمتاروا[2] . فقال : إنكم معشر العرب قوم غـدر . فقال : إني ضـامن للملك ألا يفعلوا ، قال : فمن لي بأن تفي ؟ قـال : أرهنك قـوسي . فضحك من حـوله ، فقـال كسرى : ما كان ليخالف ، فقبلها منه وقـال : يا حـاجب ، إن قوسـك لقصيرة معـوجّة ، قـال : أيها الملك ، إن وفـائي طويـل مستقيم . فمـات حـاجب ، فـطلبها ابنـه عـطارد فـردّت عليـه ، وكسـاه كسـرى حلة . فلمـا أسلم عـطارد أهداها إلى رسول الله ﷺ فلم يقبلها ، فباعها بأربعة آلاف درهم .

وبقيت قوس حاجب فخراً لبني تميم ، قال أبو تمام :

إذا افتخـرت يـومـاً تميم بقـوسهـا فخـاراً على مـا وطّـدت من منـاقب
فـأنتم بـذي قـار أمـالت سيـوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

١٣ ـ وقد ملّح المطراني في قوله :

تـزهى علينا بقـوس حـاجبهـا زهـو تميم بقـوس حـاجبهـا

١٤ ـ وللمصنف[3] في صباه :

---

(١) قوله : له عندي يد : أي فضل ومعروف وإحسان وغير ذلك .
(٢) يمتاروا : يأتوا بالميرة وهي الطعام .
(٣) المصنّف : هو الزمخشري صاحب هذا الكتاب .

أكل وفاء كان في قوس حاجبٍ وأنت جمعت الغدر في قوس حاجب

١٥ ـ أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه ، فرأى من الدرّ والياقوت شيئاً لم يرَ مثله ، فكره أن يمسّه بيده ، فأخذ عوداً فجعل يقلب ذلك وينظر إليه . فلما أطال النظر قال : إن الذي أدى هذا لأمين . فقال له علي : يا أمير المؤمنين ، إنك أديت الأمانة إلى الله ، فلما أديتها إلى الله أُدّيت إليك .

١٦ ـ قال لقمان لأبنه : إذا كان خازنك حفيظاً وخزانتك أمينة سدت في دنياك وآخرتك .

١٧ ـ عروة بن محمد عن أبيه رفعه : ثلاث إذا رأيتهن فعندكَ عندك : خراب العامر وعمارة الخراب ، وأن يكون الغزو رفداً ، وأن يتمرس البعير بالشجرة .

١٨ ـ ابن عباس : أتى رسول الله التجار فقال : يا معشر التجار ، إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلاَّ من صدق ووصل وأدى الأمانة .

١٩ ـ ابن عمر رفعه : خلق الله تعالىٰ من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة استودعتكها . الفرج أمانة . والسمع أمانة ، والبصر أمانة ، واللسان أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له .

٢٠ ـ أخذ لبنت أبي قحافة طوق يوم الفتح ، فقال : أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشدكم الله والإسلام طوق أختي . قالها ثلاثاً ، فلم يجبه أحد ، فقال : يا أخيَّة أحتسبي طوقك فإن الأمانة في الناس قليل .

٢١ ـ مكتوب في التوراة : الأمين من أهل الأديان كلها عائش بخير .

٢٢ ـ لقمان : يا بني كن أميناً تعش غنياً .

٢٣ ـ النبي ﷺ : الأمانة غنى .

٢٤ ـ اتقوا النعمة أن تقول كفرت ، والأمانة أن تقول أخفرت .

٢٥ ـ شاعـر :

سقى اللّه أطلال الوفاء بكفّه فقد درست أحلامه ومنازله[١]

٢٦ ـ قال رجل لسلمان رضي الله عنه : يا أبا عبد الله ، فلان يقرئك السلام . فقال : أما أنك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك .

٢٧ ـ قال حارث بن عوف بن أبي حارثة للنبي ﷺ : أجرني من لسان حسان فلو مزج به البحر لامتزج . فحدث بذلك ابن عائشة فقال : أوجعه قوله :

وأمانة المري حيث لقيته مثل الزجاجة صدعها لا يجبر[٢]

٢٨ ـ قدم مكة كهمس بن سعد البارقي ورجل من بني زبيد ، فظلم البارقي أبي بن خلف ، فقال :

أتظلمني مالي بمكة ظالماً أبي ولا قومي لديَّ ولا صحبي
وناديت قومي بارقاً لنجيّتي وكم دون قومي من فياف ومن سهب[٣]
سيأبى لكم حلف الفضول ظلامتي بني خلفٍ والحق يؤخذ بالغصب[٤]

٢٩ ـ وظلم الزبيدي العاص بن وائل السهمي ، فصعد الجبل رافعاً عقيرته[٥] :

يا للرجال لمظلومٍ بضاعتهُ ببطن مكة نائي الدرّ والنّفر
ومحرم أشعث لم يقضِ عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر

---

(١) درست المنازل والأحلام : امّحتْ وزال أثرها .
(٢) ومثله قول الشاعر :
إن القلوب إذا تنافر ودُّها مثل الزجاجة كسرها لا يُجبر
(٣) الفيافي والسهب : المفاوز والصحاري الواسعة .
(٤) حلف الفضول : من أهم مبادئه الأخذ من القوي للضعيف وللغريب من القاطن ، وسيشرح المؤلف سبب قيام هذا الحلف والذين قاموا به بعد قليل .
(٥) العقيرة : الصوت .

هل مخفر من أخي سهمٍ بقدرته فعادل أم ضلال نال معتمر[1]
إن الحرام لمن تمّت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فتحالف ثلاث نفر الزبير عم النبي ﷺ وقد قيل العباس أولهم ، والمتحالفون بنو هاشم ، وقيل بنو عبد مناف ، وزهرة ، وتيم بن مرة ، وأسد ابن عبد العزى . وزاد بعضهم الحارث بن فهر رهط أبي عبيدة . فقال من عداهم من قريش : لقد دخل هؤلاء في فضول من الأمر فسمي حلف الفضول .

وقيل سمي بذلك تشبيهاً له بحلف كان بمكة أيام جرهم على التناصف والأخذ من القوي للضعيف ، وللغريب من القاطن ، قام به رجال من جرهم يُقال لهم الفضل بن الحارث ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن فضالة فقيل لهم حلف الفضول جمعاً لأسماء هؤلاء كما يُقال سعد السعود . وقيل سمي بذلك لما فيه من الشرف والفضل . وقيل لأنه شيء تفضلوا به .

وشهده رسول الله ﷺ ، وكان يقول : لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفاً لو دعيت إلى مثله اليوم لأجبت . وكانت صورة الحلف : والله القابل ، إنا اليد على الظالم حتى نأخذ للمظلوم حقه ما بلَّ بحر صوفة .

٣٠ ـ دعا معاوية قيس بن سعد بن عبادة إلى مفارقة علي عليه السلام حين تفرق عنه الناس ، فكتب إلى معاوية : يا وثن بن وثن ، تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك ، وتخوفني بتفرق أصحابه عنه ، وانثيال الناس عليك ، واجفالهم إليك ، فوالله الذي لا إلٰه غيره لا سالمتك أبداً وأنت حربه ، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه ، ولا اخترت عدو الله على وليّه ، ولا حزب الشيطان على حزبه ، والسلام .

٣١ ـ سأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في بعض حروبه مع

---

(١) المعتمر : الزائر القاصد . وهو في الشرع زائر البيت الحرام بشروط مخصوصة مذكورة في كتب الفقه . وهو المراد هنا .

الخوارج ، فقال : فعل كذا وصنع كذا رحمه الله . فقال المنصور : قم عليك لعنة الله . تطأ بساطي وتترحم على عدوي ! فقام الرجل وهو يقول : والله إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي . فقال المنصور: ارجع يا شيخ ، فإني أشهد أنك جهيض حرة ، وغراس شريف . ودعا له بمال ، فأخذه وقال : لولا جلالة أمير المؤمنين وامتطاء طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة . فقال له المنصور : مت إذا شئت ، لله أنت ! فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً .

٣٢ ـ قال عمرو بن العاص : إذا أفشيت سري إلى صديقي فأذاعه فهو في حل. فقيل له : كيف ؟ قال أنا كنت أحق بصيانته .

٣٣ ـ المهلب : أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ إليه .

٣٤ ـ فيلسوف : القلوب أوعية السرائر ، والشفاه أقفالها ، والألسنة مفاتيحها ، فليحفظ كل منكم مفتاح وعاء سره .

٣٥ ـ حكيم : ضع سرك عند من لا سر له عندك .

٣٦ ـ لا يصلح للسر إلَّا لسانان وأربع آذان .

٣٧ ـ رجل من بني سعد :

إذا ما ضاق صدرك عن حديث   فأفشته الرجال فمن تلوم
إذا عاتبت من أفشى حديثاً   وسري عنده فأنا الظلوم

٣٨ ـ أوس بن حجر :

ليس الحديث بنهبي بينهن ولا   سر يحدثنه في الحي منشور

٣٩ ـ قيل لأعرابي : ما بلغ من حفظك للسر ؟ قال : أفرقه تحت شغاف[١] قلبي ثم لا أجمعه ، وأنساه كأني لم أسمعه .

---

(١) شغاف القلب : غلافه .

٤٠ ـ فلان كتوم الرغاء ، بعيد مقبل السر ، حنيت عليه أضالعه ، وتلاقت عليه حيازيمه[١] .

٤١ ـ الجاحظ : تقول العرب : من ارتاد لسره فقد أشاعه ، وأرى الأول قد أذن في واحد وهو قوله :

سِرّك دمك فانظر أين تريقه[٢] .

٤٢ ـ أبو الشيص :

ضع السر في صماء ليست بصخرة صلودٍ كما عاينت من سائر الصخر
ولكنها قلب امرىء ذي حفيظةٍ يرى ضيعة الأسرار قاصمة الظهر

٤٣ ـ كان يُقال : أحزم الناس الذي لا يفشي سره إلى صديقه ، مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه :

٤٤ ـ حكيم : قلوب الأحرار قبور الأسرار .

٤٥ ـ بزرجمهر : الطمأنينة إلى كل أحد قبل الإختيار حمق .

٤٦ ـ نصيب :

وقد طال كتمانيك حتى كأنني برجع جواب السائلي عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي على الناس يسلم

٤٧ ـ سلمة اليشكري :

إذا ما غفرت الذنب يوماً لصاحب فلست معيداً ما حييت له ذكرا
ولست إذا ما صاحب حال عهده وعندي له سر مذيعاً له سرا

٤٨ ـ مرّ أبو بكر رضي الله عنه بجارية سوداء تطحن لمولاتها ، فقالت مولاتها : يا أبا بكر اشترها فإنها على دينك . فلما علم أنها مسلمة حكم

---

(١) الحيازيم : أضلاع الصدر .
(٢) تريقه : تصبّه . والفعل راق يريق ريقاً .

مولاتها ، فاشتراها على المكان ودفع ثمنها ، وقال : قومي يا جارية . فقالت : يا أبا بكر ، إن لها علي حقاً بقديم ملكها ، فأئذن لي أن استتم طحينها . ففعل .

٤٩ ـ عاذ الفرزدق ببكر بن وائل في بعض مخاوفه ، ثم ارتحل عنهم ذاماً لهم . فقال رجل منهم :

لقد بوأتك الدار بكر بن وائل ... وردت لك الأحشاء إذ أنت مجرم
زمان تمنى أن تكون حمامة ... بمكة واراها الستار المحرّم
فإن تنأ عنا لا تضرنا وإن تعد ... فإنّا على العهد الذي كنت تعلم

٥٠ ـ كان قيس بن الرقيات مع مصعب ، فلما قتل تردد هارباً في البلاد ، حتى عاذ بعبد الله بن جعفر ليستشفعه إلى عبد الملك . فقام ابن جعفر بين يديه وقال : حاجة . قال : حاجاتك كلها مقضية إلاَّ دم ابن قيس . قال : فهذه حاجتي ، فأطرق هنيهة ثم قال : على أن تضع يده في يدي . فلما دخل عليه وقد أمر قبل بعساس خلنج[1] ، فملئت ألبان البخت[2] يحمل العسّ جمانة ، ثم صفت بين يديه ـ قال له : أين هذه العساس من عساس مصعب حين تقول :

جلب الخيل من تهامة حتى ... وردت خيله جبال زرنج[3]
يلبس الجيش بالجيوش ويسقي ... لبن البخت في قصاع الخلنج[4]

قال : لا أين أمير المؤمنين لو طرحت كلها في أصغر عس من أعساس مصعب لتقلقلت داخله . قال : قاتلك الله ! أبيت إلاَّ كرماً . وعفا عنه ووصله .

---

(١) العسّ : القدح الكبير . والخلنج : شجر تُتّخذ من خشبه الأواني (فارسي معرّب) .
(٢) البخت : الإبل الخراسانية .
(٣) زرنج : اسم مدينة هي قصبة سجستان ، وسجستان اسم الكورة . راجع معجم البلدان ٣ : ١٣٨ .
(٤) القصاع : جمع قصعة وهي القدر الكبيرة تكون من الخشب والفخار .

٥١ ـ كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس، ختن[١] رسول الله ﷺ على بنته زينب ، تاجراً تضاربه قريش بأموالها فخرج إلى الشام سنة الهجرة فلما قدم عرض له المسلمون فأسروه ، وقدموا به المدينة ليلاً . فلما صلوا الفجر قامت زينب على باب المسجد فقالت: يا رسول الله ، قد أجرت أبا العاص وما معه . فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجرت . ودفع إليه جميع ما أخذ منه ، وعرض عليه الإسلام ، فأبى وخرج إلى مكة . فدعا قريشاً وأطعمهم ثم دفع إليهم أموالهم . وقال : هل وفيت ؟ قالوا : نعم قد أديت الأمانة ووفيت . قال : اشهدوا جميعاً أني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله . وما منعني أن أسلم إلاّ تقولوا أخذ أموالنا . ثم هاجر فأقره رسول الله على النكاح الأول . وتوفي سنة ثنتي عشرة .

٥٢ ـ قال رجل لراهب : قتلت تسعة وتسعين ، فهل لي من توبة ؟ قال : لا . قال : لأكملن بك مائة ، فقتله . ثم ذهب إلى راهب آخر فقال له: قتلت مائة ، فهل لي من توبة ؟ قال : نعم ، على أن تطيعني ولا تعصيني ، فقال له : قاسمني العمل . قال أنا بين يديك . فأراد أن يخبز فقال : عليّ العجين والإلزاق وعليك السجر[٢] . فاستجر التنور يوماً وقال للراهب : قم فالزق ، فقال : اذهب واجلس في التنور ، فذهب فجلس فيه، فجاء الراهب ينظر ، فإذا الرجل قاعد في التنور ، ما به إلاَّ أنه يرشح عرقاً . فقال له : قم فاخرج فأنت خير مني . فجُوزيَ بوفائه .

---

(١) الختن : الصهر .

(٢) السّجر : إيقاد النار وإشعالها .

الـبــاب التاسع والثمانون

الوقاحة ، والسفاهة ، والجسارة ، وقلّة المبالاة وذكر الغوغاء والحشوة ، ونحو ذلك

١ ـ النبي ﷺ : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأُولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت .

٢ ـ حكيم : الخرس خير من الكذب ، والخصاء خير من الزنا . والمعيشة بالجهد والفاقة خير من المعيشة بالبذاء وقلّة الحياء .

وذكر رجلاً وقحاً : لو دق بوجهه الحجارة لرضها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها .

٣ ـ ابن سلام : العاقل شجاع القلب ، والأحمق شجاع الوجه .

هو صفيق الدرقة[1] ، صليب الحدقة[2] .

٤ ـ الفاقة خير من الصفاقة .

٥ ـ الصخر هش عند وجهك في الوقاحة .

٦ ـ يُقال : وجوههم وأيديهم حديد . أي وقاح بخلاء .

---

(١) الدرقة : ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب .

(٢) صليب الحدقة : أي غير صافي العين . والكناية هنا واضحة .

٧ ـ لمّا حضرت أد بن مر الوفاة عدل بإرثه عن تميم إلى سائر ولده ، فعاتبه تميم ، فقال : يا بني ، إني لم أفعل بك ذلك لذنب استحقيته . ولكن للثقة بما في يدك من عوض يغنيك عن أخوتك ، ويفقرهم إليك ، ويكسبك السؤدد . قال : وما هو يا أبه ؟ قال : صفاقة وجهك .

٨ ـ أنوشروان : أربع قبائح ، وهي في أربعة أقبح : البخل في الملوك ، والكذب في القضاة ، والحدة في العلماء ، والوقاحة في النساء .

٩ ـ أبو عثمان الناجم :

لك عرض مثلّم من قوا ... رير ووجه ململم من حديد

١٠ ـ صفاقة العينين خير من غلة دارين .

١١ ـ في النصائح الصغار[1] : الوجه ذو الوقاحة من وجوه الرقاحة ، يفيء على صاحبه الأنفال ، ويفتح الأقفال ، ويلقطه الأرطاب ، ويلقمه ما استطاب ، ويجسره على قول المنطيق ، وييسر له فعل ما لا يطيق .

وكل ذي وجه حيي ذو لسان عيي ، معتقل لا ينشط لمقال ، ولا ينشط من عقال . لا يزال ضيق الذرع ، بكي الضرع ، يشبع غيره وهو طيان ، ويعطش وصاحبه ريان .

ولكن لا كان من يتوقح ، ولا ما يتربح ويتوقح . فلعمري ما النائل الوقح إلاّ ما ناله الوقح . وأيم الله إن الرشحة في الجبين أحسن من الشمم في العرنين ، ولئن تغر عرضك وما في سقائك جرعة خير أن تملك البحر وما في وجهك مزعة .

١٢ ـ نافر[2] رجل من جرم رجلاً من الأنصار إلى قرشي، فقال للجرمي : أبالجاهلية تفاخره أم بالإسلام ؟ قال بل بالإسلام ، قال : كيف

---

(١) النصائح الصغار : من كتب المؤلف . راجع مقدمتنا في أول هذا الكتاب .

(٢) نافر: فاخر، وقد شرحنا معنى المنافرة عند العرب .

وقد أووا رسول الله ﷺ ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجرمي : وكيف يكون قلة الحياء ؟ .

١٣ ـ كان يُقال : إثنان لا يتفقان أبداً القناعة والحسد . وإثنان لا يفترقان أبداً الحرص والقحة .

١٤ ـ هجا أبو الهول الفضل بن يحيى ، ثم أتاه راغباً إليه ، فقال له : بأي وجه تلقاني ؟ قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر . فضحك ووصله .

١٥ ـ شاعر :

أكولٌ لأرزاق العباد إلى شتا　　　صبور على سوء الثناء وقاح

١٦ ـ من جسر أيسر ، ومن هاب خاب .

١٧ ـ المسترسل موقى ، والمحترس ملقى .

١٨ ـ شاعر :

لا تكونن في الأُمور هيوبا　　　فإلى خيبة يصير الهيوب

١٩ ـ آخر :

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً　　　تقلَّب في الأُمور كما يشاء

٢٠ ـ آخر :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخشَ خالقاً　　　وتستح مخلوقاً فما شئت فاصنع

٢١ ـ من سبح في النهر الذي فيه التمساح عرض نفسه للهلكة .

٢٢ ـ علي عليه السلام : إذا هبت أمراً فقع فيه ، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه .

٢٣ ـ كان الحسن : إذا ذكر أهل السوق والغوغاء قال : قتلة الأنبياء .

٢٤ ـ وقال علي عليه السلام فيهم : إذا اجتمعوا ضروا ، وإن تفرقوا نفعوا . قيل : قد علمنا مضرة إجتماعهم ، فما منفعة افتراقهم ؟ يرجع أصحاب المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم . كرجوع البناء إلى بنائه ، والنساج إلى منسجه ، والخباز إلى مخبزه .

وعنه : وأنتم معاشر أخفاء الهام[1] ، سفهاء الأحلام .

٢٥ ـ بعض السلف : لا تسبوا الغوغاء ، فإنهم يطفئون الحريق ، ويخرجون الغريق ، ويسدون البثوق .

٢٦ ـ أبو العبر وهو من عقب علي بن عبد الله بن عباس :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز باللّذة المستهتر النَّهج

٢٧ ـ الأحنف : ما قل سفهاء قوم إلَّا ذلوا .

٢٨ ـ حكيم : لا يخرجن أحد من بيته وقد أخذ في حجزته قيراطين من جهل ، فإن الجاهل لا يدفعه إلَّا الجهل . أراد السَّفَهَ .

٢٩ ـ قال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

٣٠ ـ الحارث بن حلزة اليشكري : الجاهل من لا جاهل له ، أي الجاهل بتدبير أمره لا سفيه له يدفع عنه ، قال :

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا ... أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

٣١ ـ صالح بن جناح :

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً ... وخيرت أيًا شئت فالحلم أفضلُ
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ... ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثلُ

---

(١) الهام : أعلى الرأس .

٣٢ ـ ما جزاء السفيه سبٌّ ، ولكن إذا عدا الثور تنتزع أنيابه .

٣٣ ـ الأحنف بن قيس :

وذي ضعن أمت القول عنه بحلم فاستمر على المقال
ومن يحلم وليس له سفيه يلاقِ المعضلات من الرجال

٣٤ ـ شاعر :

لا بد لسؤدد من أرماح ومن عديد تتقي بالراح
ومن سفيه دائم النباح

٣٥ ـ أتى علي عليه السلام بجان ومعه غوغاء، فقال : لا مرحباً بوجوه لا ترى عند سوءة .

٣٦ ـ الفند الزماني[1] :

وبعض الحلم عند الجهـ ـل للذلة اذعان
وفي الشر نجاة حيـ ـن لا ينجيك إحسان

(١) الفند الزماني : هوشهل بن شيبان بن ربيعة بن زمَّان الحنفي ، من بني بكر بن وائل ، شاعر جاهلي . كان سيد بكر في زمانه ، وفارسها وقائدها . وهو من أهل اليمامة . شهد حرب بكر وتغلب ، وقد ناهز عمره المئة . وفي ديوان الحماسة شيء من شعره . يقول ابن جنّي : سُمّي «الفند» لعظم خلقته تشبيهاً بفند الجبل ، وهو القطعة منه . توفي نحو سنة ٧٠ قبل الهجرة .
راجع ترجمته في شرح الشواهد ٣٢٠ والمبهج لابن جني ١٤ وخزانة البغدادي ٢ : ٥٨ .

الـبـــاب التسعون

الهدية ، والرشوة ، وما جاء في الاهداء والاستهداء، وذكر من ارتشى في الحكم وغيره

١ ـ أهدى رسول الله ﷺ إلى عمر هدية فردها ، فقال : يا عمر ، لم رددت هديتي ؟ قال : لأني سمعتك تقول : خيركم من لم يقبل شيئاً من الناس . فقال : يا عمر ، إنما ذاك ما كان عن ظهر مسألة ، فأما ما أتاك من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك .

٢ ـ قالت أم حكيم الخزاعية : قلت للنبي ﷺ : أتكره رد اللطف ؟ قال : ما أقبحه ؟ لو أهدي إلى ذراع لقبلت ، ولو دعيت إلى كراع لأجبت .

قالت : وسمعته يقول: تهادوا فإنه يورث الحب ، ويذهب بغوائل الصدر .

٣ ـ ابن عباس رفعه : ما أهدى المسلم لأخيه أفضل من كلمة حكمة ، يزيده الله بها هدى ، ويرده بها عن الردى .

ـ وعنه رفعه : نعمت العطية ، ونعمت الهدية كلمة حكيمة تسمعها فتنطوي عليها ، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها .

٤ ـ الحسن : تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح .

٥ ـ الجاحظ : ما استعطف السلطان ، ولا استرضى الغضبان ، ولا

استلّت السخائم ، ولا استدفعت المغارم بمثل هذه الهدايا.

٦ ـ في نشر المهاداة طي إلمعاداة.

٧ ـ التهادي سنة متقبلة ، ومكرمة متقيلة .

٨ ـ عائشة : اللّطفة[١] عطفة تزرع في القلوب المحبة .

ـ وعنها : كان رسول الله يقبل الهدية ، ويثيب عليها ما هو خير منها .

٩ ـ وعنه عليه السلام : الهدية رزق من الله ، فمن أهدي إليه شيء فليقبله .

ـ وعنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

ـ وعنه : تهادوا تحابوا .

١٠ ـ قدم غلام لعلي رضي الله عنه ، فأهدى للحسن والحسين دون ابن الحنفية . فتمثل علي بقول عمرو بن كلثوم :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

فأهدى إليه .

١١ ـ الجاحظ :

لو كنت لا أهدي إلى أن أرى شيئاً على قدرك أو قدري
لكنت أهدي سدرة المنتهى ترفل في أنوابها الخضر[٢]

١٢ ـ كتب المؤيد إلى المتوكل مع قارورة دهن : إن الهدية متى كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لصقت ودقت كانت أبهى وأحسن . وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع .

---

(١) اللَّطفة : الهدّية .

(٢) السّدر : شجر النبق ، وسدرة المنتهى في أقصى الجنة إليها تبتهي علم الأولين والآخرين ولا يتعدّاها .

١٣ ـ كتب إبراهيم بن إسماعيل إلى المأمون يوم النيروز[1] : وجهت إلى أمير المؤمنين جام[2] فضة مذهبة ، فيها سبع تفاحات من مسك وعنبر ومسك وصندل[3] وكافور وزعفران وعود ، وتفاءلت لأمير المؤمنين باجتماعها وفيوح رائحتها أن يملك الأقاليم السبعة ، وإن يفوح عدله وحسن سيرته مع رعيته كفيوحها إن شاء الله .

١٤ ـ أهدى مرة أبو الهذيل إلى مويس بن عمران دجاجة وصفها له بصفات ، ثم لم يزل يذكرها كلما ذكر شيء ما بجمال أو سمن قال أحسن وأسمن من الدجاجة التي أهديتها لكم ، وإن ذكروا حادثاً قال : كان ذلك قبل أن أهدي لكم الدجاجة بشهر ، وما كان بين هذا وبين إهداء الدجاجة إلا أيام قلائل . فسارت مثلا لمن يستعظم شيئاً يهديه أو يذكره .

١٥ ـ لبعضهم :

وإن امرأً أسدى إلي صنيعةً — وذكَّر فيها مرةً لَلَئيم

١٦ ـ أهدى رجل إلى امرأة الحارث بن يحامر الأشعري قاضي دمشق هدية ، فكلمته حتى قضى له ، فقال عبد الملك بن مروان :

إذا رشوة من باب بيت تقحَّمت — لتسكن فيه والأمانة فيهِ
سعت هرباً منها وولّت كأنها — حليم تنحَّى عن جوار سفيهِ

١٧ ـ سفيان الثوري : إذا أردت أن تتزوَّج فأهدِ للأم .

١٨ ـ ميمون بن مهران : إذا كانت حاجتك إلى كاتب فليكن رسولك إليه الطمع .

١٩ ـ النبي ﷺ : الهدية تجلب السمع والبصر والقلب .

---

(١) النيروز : اسم عيد للفرس .
(٢) الجام : القدح الضّخم .
(٣) الصندل : شجر طيّب الريح .

٢٠ ـ أبو العالية : إذا دخلت الهدية صر الباب وضحكت الأسكفة[١] .

٢١ ـ كان ابن عباسٍ يروي : من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها . فأهدى إليه صَديق ثياباً من ثياب مصر ، وعنده قوم ، فذكر الخبر فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ، أما في ثياب مصر فلا .

٢٢ ـ كعب الأحبار : قرأت فيما أنزل الله على أنبيائه : الهدية تفقأ عين الحكيم .

٢٣ ـ وفي نوابغ الكلم[٢] : إن البراطيل[٣] تنصر الأباطيل .

٢٤ ـ شفع مسروق لرجل شفاعة ، فأهدى له جارية ، فغضب وقال : لو علمت أن في نفسك هذا ما تكلمت فيها ، ولا أتكلم فيما بقي منها أبداً ، سمعت ابن مسعود يقول : من شفع شفاعة ليرد بها حقاً ، أو يدفع بها ظلماً فأهدي له فقبل بذلك السحت[٤] ، قالوا : ما كنا نرضى السحت إلا الأخذ على الحكم . قال : الأخذ على الحكم كفر .

٢٥ ـ كان شقيق يقول لجاريته : يابركة ، إن جاءك أصحابي بشيء فخذيه وإن جاءك يحيى بشيء فردّيه . وكان يحيىٰ ابنه قاضياً على الكناسة[٥] .

٢٦ ـ كتب الحمدوني إلى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها .

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا   وقد أتتك الهدايا من مواليك

---

(١) الأُسكفة : عتبة الباب التي يُوطأ عليها ، والساكف أعلاه الذي يدور فيه الصائر ، والصائر أسفل طرف الباب الذي يدور أعلاه .

(٢) نوابغ الكلم : من مؤلفات الزمخشري . راجع مقدمتنا في أول هذا الكتاب .

(٣) البراطيل : الرشوة .

(٤) السّحت : المال الحرام .

(٥) الكناسة : محلّة بالكوفة عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

فـأطـرفيني ممـا أطـرفـوك بـه ولا تكن طـرفتي غير المسـاويك[1]
ولـست أقبـل إلا مـا جلوت بـه ثنيّتيـك ومـا ردّدت فـي فيـك

٢٧ ـ كان إبراهيم بن أدهم إذا أهـدي إليه شيء لم يـرده ، وكـافـأ بمثليه ، فإذا لم يجد إلا ثوبه خلعه .

٢٨ ـ شربت الزريقاء جارية ابن رامين الدواء ، فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة على جمل قراسية .

٢٩ ـ عمر رضي الله عنه : لا تولوا اليهود والنصارى ، فإنهم يقبلون الرشى ، ولا تحل في دين الله الرشى ، قال الرشيدي : فأصحابنا اليوم أقبل للرشى منهم .

٣٠ ـ أبو إدريس الخولاني : قال موسى عليه السلام : يا رب ، من يسكن حضيرة القدس ؟ قال : الذين لا ينظرون بأعينهم في الزنا ، ولا يضعون أموالهم في الربا ، ولا يأخذون في حكم الله الرشى .

٣١ ـ شـاعـر :

إذا أتـت الهـديـة دار قـومٍ تـطايرت الأمـانة من كـواها

٣٢ ـ الهدية أجلها أقلها ، وأشفها أخفها .

٣٣ ـ لقلة الهدية معنيان يوحيان القبول ، وإن كان لك عند المهدي يد فلا تستنقصها لمزيد ، وإن كان مبتدئاً فالتفضل لا يستقل .

٣٤ ـ شـاعـر :

تفضـل بـالقبـول علي إنّي بعثت بمـا يقـل لعبـد عبـدك

---

(١) المساويك : جمع مسواك وهو العود الذي تنظف به الأسنان ويكون عادة من عود شجر الأراك .

٣٥ ـ كاتب : هذا يوم جرت فيه العادة بإلطاف[1] العبيد السادة ، وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة ، وفي سؤدده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة، وقد وجهت ما حضر علماً بأنه لا يستكثر ما جلّ ، ولا يستقل لعبده ما قلّ ، فإن رأى أن يتطول بقبول القليل تطوله بإهداء الجزيل فعل.

٣٦ ـ شاعر :

رأيت كثيرَ ما يهدي قليلاً … لعبدك فاقتصرت على الدعاء

٣٧ ـ بعث إبراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب أشنان[2] إلى المأمون وكتب : قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر خالية من الذكر ، فبعثت بالمبدوء لبركته ، وبالمختوم به لنظافته.

٣٨ ـ كان كل واحد من أبي صالح كاتب الرشيد ، وسعدان بن يحيىٰ كاتب زبيدة صاحب مصانعات . فدخل الرشيد يوماً عليها فقال : أما سمعت ما قيل في كاتبك :

صب في قنديل سعدا … ن مع التسليم زيتا
وقناديل بنيه … قبل أن يخفي الكميتا[3]
إن سعدان بن يحيىٰ … قد بنى للقمط بيتا

قالت : ما قيل في كاتبك أشنع ، فأنشدته :

---

(١) إلطاف العبيد : تقديم الهدايا لهم . واللطفة : الهدية والجمع لُطَف .
(٢) الشنّ : القربة الخَلَق المصنوعة من الجلد . وتشنّن السقاء : أخلق .
وفي الحديث : أنه أمر بالماء فقرّس في الشنان . ولم أسمع أشناناً في جمع شن ، وإنما جمع الشن : شِنان .
(٣) الكميت : اسم للخمرة .

قنديل سعدان على ضوئه فرخ لقنديل أبي صالح
تراه في مجلسه أحولاً من لمحه للدرهم اللائح

فاستحي الرشيد : ومن ثم قيل : صب في قنديله زيتاً إذا رشاه . وسمّوا المصانعة قندلة ، كما تسمى البرطلة . قال :

إذا ما صب في القنديل زيت تحولت القضية للمقندل
فبرطل إن أردت الأمر يمشي فما يمشي إذا ما تبرطل

٣٩ ـ وقال ابن لنكك :

أراكم تقلبون الحكم قلباً إذا ما صب زيت في القنادل

٤٠ ـ متابعة الأرطال تبطل سورة الأبطال ، مثل فيمن ارتشى فسكن .

٤١ ـ في بعض الحديث : استدروا الهدايا برد الظروف ، إن حبس الظرف ليس من الظرف .

٤٢ ـ كتب إبراهيم بن المهدي إلى أخ له : لو كانت التحفة على حسب ما يوجبه حقك لأجحف بنا أداء حق من حقوقك ، ولكنها على حسب من يخرج من الوحشة ، ويوجب الأنس . والسلام .

٤٣ ـ قدم علي بن عيسى بن ماهان على الرشيد من خراسان ، فسأله أن يركب مع خواصه إلى الميدان لينظر إلى هداياه . وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالآس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وعليهم اللباس المرتفع والمناطق المعرقة بالفضة ، وبيد كل واحد شهري[١] من فره[٢] الدواب ، كلها مجللة مبرقعة بالديباج ، وعلى رأس كل

---

(١) الشهري والشهرية : نوع من البراذين ، وهو بين البرذون والمُقرف من الخيل .
(٢) البغل الفره : النشيط .

غلام عمامة من جنس لباسه. وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية، عليهن الديباج والمناطق المعرقة بالذهب، مسبلات الشعور، على كل واحدة تخت[1] ثياب من الملحم[2] الفاخر وغيره. وقد بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع[3] صبت عليها الأموال حتى صارت جبلاً عظيماً، وبحذائها نوافج[4] المسك مثلها.

فلما رجع (الرشيد) فنزل قال: يا جعفر أين كنا عن هذه الأموال قال: يا أمير المؤمنين، أسرك أن أخذ علي بن عيسى أموال الفقراء والأرامل وجاءك بها ناراً يتقرب بها إليك؟ والله لتعلمن إذا وضحت الأمور أنك تستوخم فائدتها، ولتنفقن بدل كل درهم ديناراً. ثم لا تنجو.

فقال موسى الهادي: عادلت الرشيد حين خرج إلى خراسان، فتنفس تنفسة كادت نفسه تخرج، ثم قال: لله جعفر بن يحيىٰ! وذكر كلمته، وقال: كانت أقوى الأسباب في تغيري للبرامكة. وقد والله أنفقت بدل كل درهم ديناراً، وأراني لا أنجو.

٤٤ ـ أهدى معاوية إلى الدؤلي[5] هدية فيها حلوى، فقالت ابنته: ممن هذا يا أبه؟ فقال: هذا من معاوية، بعث بها يخدعنا عن ديننا. فقالت:

أبا لشهد المزعفر يا ابن حرب ... نبيع عليك أحساباً ودينا
معاذ الله كيف يكون هذا ... ومولانا أمير المؤمنينا

٤٥ ـ بلغ الحسن بن عمارة أن الأعشى يقع فيه ويقول: ظالم ولي

---

(١) التخت: الوعاء الذي تُصان فيه الثياب (المحفظة الكبيرة).
(٢) المُلْحَمُ: جنس من الثياب وهو ما كان سداه ابريسم أي حرير أبيض ولحمته غير أبريسم.
(٣) الأنطاع: جمع نطع وهو البساط من الجلد. كان يوضع تحت المحكوم عليه بالقتل.
(٤) نوافج: جمع نافجة وهي وعاء المسك، أو الجلدة التي يجتمع فيها المسك.
(٥) الدؤلي: هو أبو الأسود الدؤلي الشاعر المعروف. تقدّمت ترجمته.

الظالم . فأهدى إليه . فمدحه الأعشى بعد ذلك وقال : الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا . فقيل له : كنت تذمه ثم مدحته . فقال : إن خيثمة حدثني عن عبد الله أن رسول الله قال : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .

٤٦ ـ أهديت لقتادة نعل رقيقة ، فقال : تعرف عقل الرجل بسخف هديته .

٤٧ ـ عبد الملك بن مروان : ثلاثة أشياء تدل على مقدار عقول أربابها : الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه ، والرسول يدل على مقدار عقل مرسله ، والهدية تدل على مقدار عقل مهديها .

كان يقول : أهدوا إلى الولاة فأنهم إن يقبلوا أحبوا .

٤٨ ـ لم يرتش حكم في الجاهلية غير ضمرة بن ضمرة النهشلي ، تنافر إليه عبادة بن أنف الكلب الصيداوي ومعبد بن نضلة الفقعسي ، فرشاه عبادة مائة بعير ، فنفره على معبد .

٤٩ ـ الأصمعي : وقفت في البدو على شيخ محتبٍ[١] بعقل يقضي بين أهل الحلة بالحق ، فقلت : يا أعرابي ، هل نظرت في الفقه ؟ فقال : وما الفقة ؟ قلت : فما هذه الإصابة ؟ قال : تنوي الخير وتقول ويوفق الله . فقلت : فهل تميل مع أحد الخصمين لجعل ؟ فضحك وقال : إذاً لا ينزل التوفيق .

٥٠ ـ الحسن : كان القاضي في بني إسرائيل إذا اختصم إليه الخصمان رفه أحدهما الرشوة في كمه فأراها إياه ، فلا يسمع إلا قوله : فأنزل الله قوله : سماعون للكذب أكالون للسحت[٢] .

---

(١) الحَبْوة : ما يُحتبى به أي يُشتمل به من ثوب أو عمامة . يُقال : احتبى بالثوب : أي اشتمل به وجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٢) السّحت : المال الحرام .

٥١ ـ أهدى عمر بن جوي وكان على الري إلى إسحاق بن سعيد بن عمارة الكلاعي وهو على مصر فقال :

وإن امرأً أهدى إليَّ ودونه لكل بريد مسرع ألف فرسخ
لمستوجب نصحي ومحض مودتي وإنزاله في القلب منزلة الأخ

٥٢ ـ أهدى عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون فرساً . وكتب إليه :

يا إماماً لا يدا نيه إذا عدّ إمام
فضل الناس كما يف ضل نقصاناً تمام
قد بعثنا بجواد مثله ليس يرام
فرس يزهى به لـ حسن سرج ولجام
دونه الخيل كما دو نك في الفضل الأنام
وجهه صبح ولكن سائر الخلق ظلام
والذي يصلح لـ مولى على العبد حرام

٥٣ ـ عبد الوهاب بن رؤبة بن العجاج تعذرت عليه حاجة فرشا دراهم فقضيت له ، فقال :

لما رأيت الشفعاء بلدوا وسألوا أميرهم فأنكدوا
نافستهم برشوة فأقردوا وسهل الله بها ما شددوا

٥٤ ـ أنشد المبرد :

وكنت إذا خاصمت خصماً كببته على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت عليّ وقالت قم فإنك ظالم

٥٥ ـ غيره :

إذا توسلت إلى حاجة فبالرشى فهي رشاء النجاح
ولا تؤمل غيرها شافعاً فكل ما دون الرشى كالرياح

٥٦ ـ قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، فأهدى له خارجة بن زيد

بن ثابت ألف عذق موز ، وألف قرعة عسل أبيض ، وألف شاة ، وألف دجاجة ، ومائة أوزة ، ومائة جزور . فقال سليمان : أجحفت بنفسك يا خارجة، قال : يا أمير المؤمنين قدمت بلد رسول الله ﷺ ونزلت في أهل بيتي مالك بن النجار ، وأنت ضيف ، وإنما هو قرى . فقال : هذا وأبيكم السؤدد . ثم سأل عن دَيْنه فقيل خمسة وعشرون ألف دينار ، فقضاها عنه وأعطاه عشرة آلاف دينار .

٥٧ ـ لما خرج الأحنف مع مصعب أرسل إليه مائة ألف درهم ، فجلست زبراء جاريته بين يديه وأرسلت عينها . فقال : ما يبكيك ؟ قالت : مالي لا أبكي عليك إذا لم تبك على نفسك ؟ أبعد نهاوند[١] ومرو الروذ[٢] صرت تجمع بين غارين من المسلمين ؟ قال : نصحتني والله في ديني إذ لم أنتبه لذلك ، وأمر بفساطيطه[٣] أن تقوَّض .

فبلغ ذلك مصعباً فقال : من دهاني في الأحنف ؟ قيل : زبراء . فبعث إليها بثلاثين ألفاً ، فجلست بين يديه وأرخت عينها . قال : مالك يا زبراء ؟ قالت : جئت باخوانك من البصرة تزفهم زفّ العروس ، حتى إذا صيرتهم في نحور أعدائهم أردت أن تفت في أعضادهم وتشمت بهم ! قال : صدقت . يا غلام رد المضارب مكانها .

٥٨ ـ أهدى عثمان لعائشة هدية ، فقال رسول الله ﷺ : ابعثي منها إلى النسوة . قالت : ما من واحدة إلا وقد أتاها مثلها ، فقال : اللهم لا تنساها لعثمان .

٥٩ ـ أهدى معاوية إلى سعيد بن العاص يوم النيروز كسىً كثيرة ،

---

(١) نهاوند : أعتق مدينة في الجبل فُتحت سنة ١٩ وقيل سنة ٢٠ هـ . وكانت وقعة نهاوند سنة ٢١ أيام عمر بن الخطاب وأمير المسلمين النعمان بن مُقرن المزني .
راجع التفاصيل في معجم البلدان ٥ : ٣١٣ .

(٢) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان . تقدم تحديدها . راجع معجم البلدان ٥ : ١١٢ .

(٣) الفساطيط : المضارب . جمع فسطاط .

وآنية ذهب وفضة . فقال للرسول : ما قدرت لنفسك في طريقك فخذه ، ثم فرّق سائرها على أصحابه ، ولم يأخذ إلا ثوباً واحداً .

٦٠ ـ عن نافع عن ابن عمر كانت تأتيه جوائز المختار فيأخذها .

٦١ ـ أهدى ملك الروم إلى المأمون ، فقال : اهدوا له ما يكون مائة ضعف ، ليعلم عز الإسلام ونعمة الله علينا به . ثم قال : ما أعز الأشياء عندهم ؟ قالوا : المسك والسمور[١] . قال : وكم في الهدية منهما ؟ قالوا : مائتا رطل[٢] ، ومائتا جلد ، قال زيدوهم مثل ذلك .

---

(١) السّمور : نوع من الحيوانات معروفة بفرائها الثمينة .

(٢) الرطل : وزن يبلغ اليوم ، في بعض البلاد ، اثنتي عشرة أُوقية وكان في ما مضى يقرب من الأُوقيّتين والجمع أرطال .

البــــاب الحادي والتسعون

اليأس ، والقناعة ، والرضا بما رزق الله ، والتوكل على الله ، والتفويض إليه ، والنزاهة عن المطمع

١ ـ قال رسول الله ﷺ لحبّة وسواء ابني خالد : لا تيأسا من روح الله ما تهزهزت رؤوسكما ، فإن أحدكم يولد أحمر لا قشر عليه ثم يكسوه الله ويرزقه .

٢ ـ وعنه عليه الصلاة والسلام : القناعة مال لا ينفذ .

٣ ـ حدث الأعمش عن أبي وائل قال : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي ، فجلسنا عنده فقال : لولا أن رسول الله نهانا عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أبزار عليه ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صعتر ، فبعث سلمان بمطرته فرهنها على الصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي أقنعنا بما رزقنا . فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك الله لم تكن مطهرتي مرهونة .

٤ ـ لقمان الحيكم : كفى بالقناعة عزاً ، وبطيب النفس نعيماً .

٥ ـ عيسى عليه السلام : اتخذوا البيوت منازل ، والمساجد مساكن ، وكلوا من بقل البرية ، واشربوا من الماء القراح[1] ، واخرجوا من الدنيا بسلام .

---

(١) الماء القراح : الصافي .

٦ ـ عباد بن منصور : كان بالبصرة من هو أفقه من عمرو بن عبيد وأفصح ، ولكنه أصبر عن الدرهم والدينار، فساد أهل البصرة.

٧ ـ قال له خالد بن صفوان : لِمَ تأخذ مني ؟ قال : لا يأخذ أحد من أحد إلا ذلّ له ، وأنا أكره أن أذل لغير الله . وكان معاشه من دار غلتها كل شهر دينار .

٨ ـ كان الناس يكسبون الرغائب بعلم الخليل ، وهو فيما بين أخصاص البصرة لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها .

٩ ـ سأل ابن سيرين عن أرخص ما يباع في السوق ، فقيل : السمك الصغار . فقال : اجعلوا أدمي منه .

١٠ ـ وهب : أرملت مرة حتى كدت أقنط ، فأتاني آت في المنام ومعه شبه لوزة ، فقال : افضض ، ففضضتها فإذا حريرة فيها ثلاثة أسطر : لا ينبغي لمن عقل عن الله أمره ، وعرف لله عدله، أن يستبطىء الله في رزقه . ثم أعطاني فأكثر .

١١ ـ قيل للحسن : إن أبا ذر كان يقول : الفقر أحب إليَّ من الغنى ، والسقم أحب إلي من الصحة . فقال الحسن : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن الاختيار من الله لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له .

١٢ ـ العمري : انقطعتم إلى غير الله فما ضيعكم ، فإن انقطعتم إلى الله خفتم الضيعة .

١٣ ـ في بعض الكتب : يقول الله : يا ابن آدم ، أتخاف أن أقتلك بطاعتي هزلاً وأنت تتفتق بمعصيتي سمناً ؟ .

١٤ ـ قيل لأبي حازم : ما مالك ؟ قال : لي مالان لا أخشى معهما

الفقـر : الثقة بـالله ، واليأس مما في أيدي الناسَ. وروى شيئـان لا عيلة عليّ معهما : الرضا عن الله والغنى عن الناس .

١٥ ـ العمري : يا ابن آدم : الـطير لا يـأكل رغـداً ، ولا يخبىء لغد ، وأنت تأكل رغداً ، وتخبىء لغدٍ ، فأحسنت الطير الظن بـالله ، وأسـأت ظنـك بالله .

١٦ ـ حبس عمـر بن عبـد العـزيـز الغـداء على مسلمـة حتى بـرح بـه الجوع ثم دعا بشربة سـويق فسقاه ، حتى إذا انتفـخ بطنـه دعا بـالغداء ، فلم يقدر على الأكل . فقال : يا مسلمة ، أما يكفيـك من الدنيـا ما تـرى ؟ قال : بلى ، قال : فعلام التهافت في النار ؟ وروي : التقحم .

١٧ ـ أنشد المبرد :

إن ضن يحيى بمـا في بـطن راحتـه	فـالأرض واسعـة والـرزق مبسـوط
إن الـذي قـدّر الأرزاق حـكمتــه	لم ينسني قاعداً والرحل محـطوط[1]

١٨ ـ عبـد الواحـد بن زيد : مـا أحسب شيئاً من الأعمـال يتقدم الصبـر إلا الرضا ، ولا أعلم درجة أرفع من الرضا ، وهو رأس المحبة .

١٩ ـ قـال ابن شبـرمـة[2] في محمـد بن طـارق : لـو أن أحــداً اكتفى بالتراب لاكتفى به .

٢٠ ـ أوحى الله عـز وجـل إلى مـوسى عليه السلام : قـل لعبـادي المستخـطين لرزقي : إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا .

---

(١) الـرّحل : مـا يوضـع على ظهر الـدابة للركـوب . وقولـه : الرحـل محطوط أي جـاهز للركوب من أجل السفر في سبيل العمل واكتساب الرزق الحلال .

(٢) ابن شبرمة : هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسّان الضبي . توفي سنة ١٤٤ هـ .

٢١ ـ قالت رابعة لسفيان : أترى الله عليك غضبان ؟ قال : لا أدري ، قالت : ومن أعلم بذلك منك ؟ أنظر إن كنت عنه راضياً فهو عنك راض . قيل : متى يكون العبد راضياً عن ربه ؟ قالت : إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة .

٢٢ ـ كان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدي ، فسكر يوماً ففاتته الصلوات فجاءت جارية بجمرة فوضعتها على رجله ، فانتبه مذعوراً ، فقالت : له : لم تصبر على نار الدنيا ، فكيف تصبر على نار الآخرة ؟ فقام فصلى الصلوات ، وتصدق بما معه ، وذهب يبيع البقل .

ثم دخل عليه فضيل وابن عيينة ، فإذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شيء ، فقالا : إنه لم يدع أحد شيئاً إلا عوضه الله منه بدلا ، فما عوضك مما تركت له ؟ قال : الرضا بما أنا فيه .

٢٣ ـ إبراهيم التيمي : اشترى أبي عبيداً بأربعة آلاف درهم من البصرة فبنوا له داره ، ثم باعهم بربح أربعة آلاف درهم . فقلت له : لو عدت إلى البصرة فاشتريت مثل هؤلاء فربحت . فقال يا بني ، ما فرحت بذلك حين أصبته ، ولا حدثتني نفسي بإصابة مثله .

٢٤ ـ أصابت داوُد الطائي ضيقة شديدة ، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه ، فقال : هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه ، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحي ، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة .

٢٥ ـ الثوري : ما وضع أحد يده في قصعة[1] غيره إلا ذلّ له .

ـ وعنه : لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة .

٢٦ ـ مسعر بن كدام : من صر على الخل والبقل لم يستعبد.

---

(١) القصعة : القدر الكبيرة تكون من الفخار أو الخشب .

٢٧ ـ فضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، ألا تراه كيف يصنع بعبده كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها ؟ تطعمه مرة صبراً ، ومرة خبيصاً ، تريد بذلك ما هو أصلح له .

ـ وعنه : من رضي بما قسم الله له بارك الله له فيه ووسعه ، ومن لم يرض لم يبارك له فيه ولم يوسعه .

٢٨ ـ في التوراة : يا ابن آدم ، أطعني فيما أمرتك ، ولا تعلمني ما يصلحك .

٢٩ ـ إبراهيم بن أدهم كان من أهل النعم بخراسان ، وأصله من بني عجل ، فبينما هو مشرف من أعلى قصره إذ نظر إلى رجل في فيء قصره ، أكل رغيفاً وشرب عليه ماءً ثم نام . فقال : ما أصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت ؟ فخرج سائحاً إلى الله تعالى .

٣٠ ـ أقبل عليه رجل أثر السفر فقال : أنا غلامك بعثني أُخوتك ومعي عشرة آلاف دينار وفرش وبغلة ، فقال له : إن كنت صادقاً فأنت حر ، وما معك لك ، اذهب ولا تخبر به أحداً .

٣١ ـ من باع الحرص بالقناعة فقد ظفر بالغنى .

٣٢ ـ رويم البغدادي : الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى .

٣٣ ـ المحاسبي : من استغنى بشيء دون الله فقد جهل قدر الله تعالى .

٣٤ ـ عيسى عليه السلام : الشمس في الشتاء صلائي ، ونور القمر سراجي ، وبقل البرية فاكهتي ، وشعر الغنم لباسي ، أبيت حيث يدركني الليل ، ليس لي ولد يموت ، ولا بيت يخرب ، أنا الذي كببت الدنيا على وجهها .

٣٥ ـ شاعر :

إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هماً يؤرقه

٣٦ ـ علي عليه السلام: أكل من تمر دقل[1] ، ثم شرب عليه الماء وضرب على بطنه فقال : من أدخله بطنه النار فأبعده الله ، ثم تمثل :

وإنك مهما تعط بطنك سؤله   وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

٣٧ ـ الحسن : الحريص الراغب والقانع الزاهد كلاهما مستوف أكله ، غير مزداد ولا منتقص مما قدر له ، فعلام التهافت في النار .

٣٨ ـ جابر رفعه : لا تستبطئوا الرزق ، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له ، فاجملوا في الطلب ، أخذ الحلال وترك الحرام .

٣٩ ـ ابن عمر رفعه : أجملوا في الطلب ، فوالذي بعثني بالحق إن الرزق ليطلب أحدكم كما يطلبه الموت .

٤٠ ـ ابن مسعود رفعه : ليس أحد بأكيس من أحد ، فقد كتب له النصيب والأجل ، وقسم المعيشة والعمل ، فالناس يجرون فيهما إلى منتهى .

٤١ ـ عيسى عليه السلام: أنظروا إلى طير السماء ، تغدو وتروح ، وليس معها شيء من أرزاقها ، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها ، فإن زعمتم أنكم أكبر بطوناً من الطير ، فهذه الوحوش من البقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها .

٤٢ ـ سويد بن غفلة كان إذا قيل : قد ولي فلان ، قال : حسبي كسرتي وملحي .

٤٣ ـ وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك . فقال : ألست القائل :

لقد علمت وما الإسراف من خلقي   أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

---

(١) الدقل : أردأ التمر .

أسعى إليه فيُعييني تطلّبه ولو قعدت أتاني لا يعنّيني[1]
كأن حظ أمرىء غيري سأبلغه لا بد لا بد أن يجتازه دوني

وقد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ؟ يا أمير المؤمنين وعظت فأبلغت ، فخرج فركب ناقته ونصها[2] إلى الحجاز راجعاً .

فلما كان من الليل تعار هشام على فراشه ، فذكر عروة فقال : رجل من قريش قال حكمة ووفد علي فجبهته ورددته . ووجه إليه ألفين ؟ فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال . فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له : كيف رأيت قولي ؟ سعيت فأكديت ، فرجعت فأتاني رزقي في منزلي .

٤٤ ـ عمر رضي الله عنه : تعلموا أن الطمع فقر ، وأن اليأس غنى ، وأن المرء إذا يئس من شيء استغنى عنه .

٤٥ ـ أنس : أهدي إلى رسول الله ﷺ ثلاثة طيور فأطعم خادمه طائراً فلما كان من الغد أتته به ، فقال لها : ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد ؟ فإن الله تعالى يأتي برزق كل غد .

٤٦ ـ عبد الله بن عمر رفعه : لقد أفلح من أسلم ، ورزقه الله كفافاً ، وقنعه الله تعالى بما آتاه .

٤٧ ـ مالك بن دينار : لما بعث الله عيسى بن مريم كب الدنيا على وجهها ، ثم رفعها الناس حتى بعث الله تعالى محمداً فكب الدنيا على وجهها ، ثم رفعناها بعد ، فما لقينا منها ؟ .

٤٨ ـ سليمان عليه السلام : كل العيش قد جربنا لينه وشدته ، فوجدنا يكفي منه أدناه .

---

(١) لا يعنّيني : لا يتعبني .
(٢) نصّ الناقة : استحثها شديداً .

٤٩ ـ اشترى عمر بن عبد العزيز عنباً بدانقين[1] فأكله هو وامرأته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، فقال : يا فاطمة ، كان يأتي أهلك منه أوقار[2] البغال ، فلم يكن ينالنا إلا بقدر ما أكلنا من هذين الدانقين .

٥٠ ـ لقمان : يا بني ، اجعل همك فيما خلقت له ، ولا تجعل همك فيما كفيته .

٥١ ـ في وصية علي عليه السلام : وألجىء أمورك كلها إلى إلٰهك ، فإنك تلجئها إلى جهف حريز ومانع عزيز .

ـ وفيها : وأعلم علماً يقيناً أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، فإنك في سبيل من كان قبلك . فأحسن في الطلب ، وأجمل في المكتسب ، فإنه ربّ طلبٍ جرّ إلى حرب ، وليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم .

ـ وفيها : وقد يكون اليأس إدراكاً ، إذا كان الطمع هلاكاً .

٥٢ ـ ولي عبد الله بن عامر العراق ، فقصده صديقان له أنصاري وثقفي ، فلما سارا تخلف الأنصاري وقال : الذي أعطى ابن عامر العراق قادر أن يعطيني . ووفد الثقفي وقال : أحرز الحظين . فلما دخل قال له : ما فعل زميلك الأنصاري ؟ ووصله بأربعة آلاف دينار ، ووصل الأنصاري بضعفها . فخرج الثقفي وهو يقول :

أمامة ما حرص الحريص بنافع ... فعفتي ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعاً من مساقط روسنا ... على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الناعجات ببابه ... تخلف عنا اليثربي ابن جابر
وقال ستكفيني عطية قادرٍ ... على ما يشاء اليوم للخلق قاهر

---

(١) الدانقان : مثنى دانق والدانق سدس الدرهم .

(٢) أوقار : جمع وقر وهو الحمل الثقيل يكون للبغل أو الحمار أمّا الوَسَقُ فهو حمل البعير .

فإن الذي أعطى العراق ابن عامر لربي الذي أرجو لسد مفاقري[1]
فقلت خلا لي وجهه ولعله سيجعل لي حفظ الفتى المتزاور
فلما رآني سال عنه صبابة إليه كما حنّت ظؤور الأباعر[2]
فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعاً ولا ظائراً شيء خلاف المقادر[3]

٥٣ ـ حين حج الرشيد ماشياً أعياه المشي يوماً ، فاستلقى على قفاه في ظل ميل ، فوقف عليه من قال له :

وما تصنع بالدنيا وظل الميل يجزيك

٥٤ ـ عائشة : قال رسول الله ﷺ : إن أردت اللحوق بي فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب. ولا تستخلعي ثوباً حتى ترقعيه. وإياك ومجالسة الأغنياء .

٥٥ ـ الحسن : كان عطاء سلمان خمسة آلاف ، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وكان يخطب في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها ، فإذا خرج عطاؤه تصدق به ، وأكل من سفيف يده .

٥٦ ـ جاء جبرائيل إلى رسول الله ﷺ بخزائن الدنيا كلها على بغلة شهباء ، فقال له : هذه الدنيا خذها ، ولا ينقصك حظك عند الله بها شيئاً ، فقال : يا جبرائيل ، لا حاجة لي فيها ، يا جبرائيل ، جوعتين وشبعة .

٥٧ ـ وجد مكتوباً على حائط : يا ابن آدم ، ما أنت ببالغ أملك ، ولا بسابق أجلك ، ولا بمغلوب على رزقك ، ولا بمرزوق ما ليس لك ، فعلامَ تقتل نفسك ؟ .

٥٨ ـ قال زاهد لصبيانه يرزقكم الله الذي يرزق العصافير في الدوّ[4] .

(١) المفاقر : الدواهي : جمع الفاقرة . يُقال : فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره .
(٢) الظؤور : المرضعة .
(٣) أبت : رجعت . والإياب : العودة والرجوع .
(٤) الدوّ : المغازة والصحراء الواسعة.

٥٩ ـ صالح المري : تغدو الطير خماصاً[1] ، وتروح بطاناً ، واثقة بأن لها في كل غدوة رزقاً لا يفوتها والذي نفسي بيده إنكم لو غدوتم إلى أسواقكم على مثل إخلاصها رجعتم وأنتم أبطن من بطون الحوامل .

٦٠ ـ أنشد الجاحظ للحسين بن الضحاك :

يا روح من حسمت قناعته	سبب المطامع في غد وغد
من لم يكن لله متهماً	لم يمسَ محتاجاً إلى أحد

٦١ ـ أوحي إلى موسى عليه السلام : أتدري لِمَ رزقت الأحمق ؟ قال : لا يا رب ، قال ليعلم أن الرزق ليس بالاحتيال .

٦٢ ـ وهب بن منبّه في قوله تعالى : ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾[2] ، قال : القناعة . أنشد حماد لبعض العرب :

ولا تجزع إذا أعسرت يوماً	فقد أيسرت في زمن طويل
ولا تظننْ بربك سوء ظنٍ	فإن الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسارٌ	وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقاً	لكان المال عند ذوي العقول

٦٣ ـ قال الله تعالى ليوسف عليه السلام : أنظر إلى الأرض، فانفرجت فرأى ذرة[3] على صخرة معها الطعام ، فقال : أتراني لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبي بن نبي بن نبي .

٦٤ ـ قال عيسى عليه السلام للحواريين : أنتم أغنى من الملوك . قالوا : كيف ؟ قال : لأنكم لا تطلبون وهم في الطلب .

٦٥ ـ دخل علي عليه السلام المسجد ، وقال لرجل : أمسك على بغلتي . فخلع لجامعها وذهب به . وخرج علي وفي يده درهمان ليكافئه فوجدها

---

(١) قوله : تغدو الطير خماصا ، أي جائعة . وقوله : تروح بطاناً ، أي شبعى .

(٢) سورة النحل من الآية ، ٩٧ .

(٣) الذرّة : هي من صغار النمل .

عطلاً ، فركبها ومضى ، فأعطى غلامه الدرهمين ليشتري بها لجاماً ، فوجد الغلام اللجام في السوق وقد باعه السارق بدرهمين . فأخذه بالدرهمين فقال علي : إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ، ولا يزداد على ما قدر له .

٦٦ ـ قيل لراهب : من أين تأكل ؟ فأشار إلى فمه وقال : من خلق هذه الرحى[١] أتاها بالطحين[٢] .

٦٧ ـ عاتب الفضل بن الربيع علي بن الهيثم كاتبه يوماً على تأخره فقال :

أظن والظنون قد تعدى أني لا أصيب منه بدا
أعد منه ألف يد عدا

وانصرف ولم يعمل للسلطان بعد ذلك .

٦٨ ـ أبو شراعة القيسي :

إن الغنى عن لئام الناس مكرمةٌ وعن كرامهمُ أدنى إلى الكرم

٦٨ ـ ذو الحرق الطهوي :

ولما أتاني تغلب قد نبت به لقاح بني أرطاة قلت لتغلب[٣]
إذا حدثتك النفس أنك قادر على ما حوت أيدي الرجال فجرب

٦٩ ـ سليمان بن المهاجر البجلي :

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه به الله عن غشيان كل بخيل
فلم يبتذل وجهي بخيلٌ ولم أقم على بابه يوماً مقام ذليل
وإن قليلاً يستر الوجه أن يرى إلى الناس مبذولاً لغير قليل

---

(١) الرحى : كناية عن الفم الذي يمضغ الأكل ويطحنه .
(٢) الطحين : كناية عن الأكل ، وكل ما يقع في الفم ليؤكل .
(٣) اللقاح من الإبل : الناقة الغزيرة اللبن .

٧٠ ـ عميرة بن طارق التميمي :

ولا تعـدليـني إن رأيـت معـاشـراً لهم نعم دثـر وأن كـنت مـصـرمـا
متى ما نكن في الناس نحن وهم معاً نكن منهمُ أكسى جنـوبـاً وأطعمـا

٧١ ـ قـال العلاء بن زيـاد لعلي عليه السلام : يا أميـر المؤمنين ، أشكـو إليـك أخي عاصماً ، لبس العبـاءة وتخلى عن الدنيـا ، قال عليٌّ بـه ، فقال لـه : يا عدوّ نفسه ، لقـد استهام بـك الخبيث ، أما رحمت أهلك وولـدك ؟ أترى الله أحـل لك الـطيبات وهـو يكره أن تـأخذهـا ؟ أنت أهـون على الله من ذلـك . قـال : يا أميـر المؤمنين هذا أنت في خشـونـة ملبسـك ، وجشـوبـة مـأكلك ! قـال : ويحك ! إنّي لست كـأنت ؟ إن الله فرض على أئمـة العدل أن يقـدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يبيع بالفقير فقره .

ـ وعنـه : إن إستـطعت أن لا يكـون بينـك وبين الله ذو نعمـة فـافعـل ، فإنك مـدرك قسمك ، وآخـذ سهمك ، وإن اليسيـر من الله أكرم وأعـظم من الكثير من غيره . ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس .

ـ وعنه : يا ابن آدم ، لا تحمل يومك الذي لم يـأتك على يـومك الـذي قد أتاك ، فإنه إن يكن من عمرك يأتِ الله فيه برزقك .

٧٢ ـ قـال رجل لإبـراهيم بن أدهم : بقيت في عظم المؤونـة ، احتـاج في غـدائي إلى شـاة ، وفي عشـائي إلى شـاة ، تلبس امـرأتي في حيضهـا القـوهي[1] ، وفي طهرهـا الشـطوي . فقـال إبـراهيم : مـا أُتي أهلك إلا من قبلك ، لـو اقتصـرت لاقتصـروا فـأصبـح الـرجـل صـائمـاً وأفـطر على فـول بدانق[2] . فأخبر إبراهيم أن امرأته تلبس في طهرها الزطي .

٧٣ ـ ورث داوُد الـطائي من أبيه دارا ودنـانيـر ، فكـان كلمـا خـرب في الـدار بيت انتقل إلى غيـره ولم يعمره ، ولم يـزل يتقوت بـالدنـانير حتى كفن في آخرها .

(١) القوهي : نوع من الثياب .
(٢) الدانق : سدس الدرهم .

٧٤ ـ وقف الملك على سقراط وهو في المشرقة[١] قد أسند ظهره إلى حب[٢] كان يأوي إليه ، فقال : سل حاجتك . قال : حاجتي أن تزيل عني ظلك فقد منعني المرفق في الشمس . فدعا له بذهب وبكسى فاخرة من الديباج والقصب ، فقال : ليس بسقراط حاجة إلى حجارة الأرض وهشيم النبت ولعاب الدود . إن حاجته إلى شيء يكون معه أنَّي توجه[٣] .

٧٥ ـ إبراهيم بن متمم بن نويرة :

ولا تهلكنّ النفس لوماً وحسرةً	على الشيء سدّاه لغيرك قادره
ولا تيأسنْ من صالحٍ أن تناله	وإن كان شيئاً بين أيدٍ تبادره
وأنك لا تعطي أمرأً حظّ غيره	ولَا تمنع الشق الذي الغيث ناصره

٧٦ ـ صلى معروف خلف إمام ، فلما انفتل قال له : من أين تأكل ؟ قال : أصبر حتى أعيد ما صليت خلفك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأن من شكّ في رزقه شك في خالقه .

٧٧ ـ أبو حازم : ما لم يكتب لي لو ركبت ذنب الريح ما أدركته .

٧٨ ـ التقى عبد الرحمٰن بن عوف وأبو ذر الغفاري ، فقبل عبد الرحمٰن ما بين عيني أبي ذر لكثرة سجوده ، وقبل أبو ذر يمين عبد الرحمٰن لكثرة صدقته . فلما افترقا بعث عبد الرحمٰن إليه ببدرة[٤] ، وقال لغلامه : إن قبلها منك فأنت حر . فأبى أن يقبلها ، فقال الغلام : إقبل رحمك الله فإن في قبولها عتقي ، فقال أبو ذر : إن كان عتقك فيه ففيه رقي ، ورده .

٧٩ ـ وجد مكتوباً على حائط مدني :

نعم الصديق صديق لا يكلفنا	ذبح الفراخ ولا شيّ الفراريج

(١) المشرقة : موضع القعود في الشمس بالشتاء .
(٢) الحُبُّ: الجرّة الكبيرة أو الخابية جمع حباب وحببة وأحباب .
(٣) أنّى توجه : كيفما توجّه .
(٤) البدرة : الكيس الذي توضع فيه الدراهم (تكون عادة عشرة آلاف درهم) .

يرضى بلونين من كشكٍ ومن عدسٍ فإن تشهى فزيتون بطسوج[1]

٨٠ ـ قال علي لعمر رضي الله عنهما : إن سرك أن تلحق بصاحبك فأقصر الأمل ، وكل دون الشبع ، وانكس الإزار ، وارفع القميص ، واخصف النعل ، تلحق بهما .

٨١ ـ أبو صالح : حدثت أبا زيد النحوي بقول ابن عباس : ما رضى الله الناس بشيء من أقسامهم كما رضّاهم بأوطانهم . فقال : بلى والله ، وبأحسابهم ، قلت : كيفِ ؟ قال : تراه من عكل أو سلول أو محارب وهو يفاخر ، وهو قوله تعالى : ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾[2] . وقد افتخر الحائك بحياكته فقال :

وما أنا خياط أخرق إصبعي ويشغلني التغضين عبد الطبائب
ولكنني ضرّاب حقة حائكٍ ورام لسهم أسود الرأس صائب

وقال الأول :

كل امرىء في نفسه أعلى وأشرف من قرينه

٨٢ ـ وقال الجاحظ : إن الله تعالى إنما خالف بين طبائع الناس ليوفّق بينهم في مصالحهم ، ولولا ذلك لاختاروا كلهم المُلك والسياسة أو التجارة والفلاحة ، وفي ذلك ذهاب المعاش وبطلان المصلحة . فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه ، فالحائك إذا رأى من صاحبه تقصيراً أو خرقاً قال : يا حجام ، والحجام إذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال : يا حائك : فأراد الله تعالى أن يجعل الاختلاف سبباً للائتلاف ، فسبحانه من مدبّر .

وترى البدوي في بيت من قطعة كساء معمد بعظام الجيف مع كلبه ،

---

(١) الطسُّوج : حبتان من الدوانيق . والدانق : أربعة قساسيج . وقيل : الطسُّوج مقدار من الوزن (معرّب) .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٣٢ .

لباسه شملة من وبر أو شعر ، ودواؤه بول الإبل ، وطيبه القطران وبعر الظبي ، وحلي امرأته الوَدَع[1] ، وثماره المُقْل[2] ، وصيده اليربوع[3] ، في مفازة[4] لا يسمع فيها إلا تنئيم بومة وزقاء هامة[5] وعواء ذئب ، وهو راضٍ بذلك مفتخر به .

٨٣ ـ عمر بن أبي عمر النوفاني :

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه وإنيَ في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسعٌ غناه ولا الحرمان والله رازق

٨٤ ـ التهستاني :

غني بلا دنيا عن الناس كلهم وإن الغنى إلا عن الشيء لا به

٨٥ ـ العمركي :

نظرت فلما لم أر الناس كالناس أمتُّ رجائي واسترحت إلى الياس

٨٦ ـ الحارث النجراني :

صبرت النفس لا أهـ ـلع من حادثة الدهر
رأيت الرزق لا يكـ ـسب بالعرف ولا النكر
ولا بالعقل والدين ولا بالجاه والقدر
ولا بالسلف الأمـ ـثل أهل الفضل والذكر
ولا بالسمر اللو ن ولا بالقضب البشر

---

(١) الودع : مناقيف صغار تخرج من البحر أو جوف في جوفها دويبة . الواحدة ودعة جمع ودعات .
(٢) المقل : ثمر شجر الدوم ، وهو أيضاً صُمغ شجرة يتداوى به .
(٣) اليربوع : نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين جمع يرابيع .
(٤) المفازة : الصحراء الواسعة .
(٥) الهامة ، والجمع الهام : نوع من البوم الصغير يألف القبور والأماكن الخربة ينظر من كل مكان أينما درت أدار رأسه واحدته هامة وتسمى أيضاً الصدى .

ولا يدرك بالطيش ولا الجهل ولا الهذر
ولكن قسم تجري بما ندري ولا ندري

٨٧ ـ قيل لعلي عليه السلام : لو سُدَّ على رجل باب بيت وترك فيه من أين يأتيه رزقه ؟ قال : من حيث يأتيه أجله .

ـ وعنه عليه السلام : ولقد كان في رسول الله كاف لك في الأسوة ، ودليل على ذم الدنيا وكثرة مساوئها ، إذ قبضت عنه أطرافها ، ووطئت لغيره أكنافها .

وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله إذ يقول : إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير. والله ما سأله إلا خبزاً يأكله ، لأنه كان يأكل بقلة الأرض . ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه ، لهزاله وتشذب لحمه .

وإن شئت ثلّثت بداوُد صاحب المزامير وقارىء أهل الجنة ، فقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ، ويقول لجلسائه : أيكم يكفيني بيعها ؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها .

وإن شئت قلت في عيسى بن مريم ، فلقد كان يتوسد الحجر ، ويلبس الخشن ، وكان إدامه الجوع ، وسراجه بالليل القمر ، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم . ولم تكن له زوج تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال يلفته ، ولا طمع يذله ، دابته رجلاه ، وخادمه يداه .

فتأسَّ بنبيك ، عُرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها ، وعلم أن الله أبغض شيئاً فأبغضه ، وصغر شيئاً فصغره . ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ، وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقاً لله ومحادة عن أمره .

ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض ، ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع بيده ثوبه ، ويركب الحمار العري ، ويردف خلفه . ويكون الستر على باب بيته فيه التصاوير ، فيقول : يا فلانة غيبيه عني ، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها . فأعرض عن الدنيا بقلبه ،

وأمات ذكرها عن نفسه ، وأحب أن يغيب زينتها عن عينه . ولقد كان لك في رسول الله ما يدلك على مساوئها وعيوبها ، إذ جاع فيها مع خاصته ، وزويت عنه مع عظيم زلفته ، فلينظر ناظر بعقله أأكرم الله محمداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال أهانه ، فقد كذب والعظيم ، وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس إليه . خرج من الدنيا خميصاً[1] ، وورد الآخرة سليماً . ثم يضع حجراً على حجر ، فما أعظم منَّة الله عندنا حين أنعم به علينا سلفاً نتبعه ، وقائداً نطأ عقبه ! والله لقد رقعت مدرعتي[2] هذه حتى استحييت من راقعها ، ولقد قال لي قائل : ألا تنبذها ؟ فقلت : أغرب عنّي ، فعند الصباح يحمد القوم السُّرى .

٨٨ ـ جاء فتح الموصلي إلى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئاً للعشاء وهم بغير سراج ، فجلس ليله يبكي من الفرح ، يقول : بأي يد كانت مني ؟ بأي شيء يترك مثلي على هذه الحال ؟ .

٨٩ ـ لما لقى هرم أويساً قال : السلام عليك يا أويس بن عامر ، قال : وعليك السلام يا هرم بن حيان . قال هرم : أما أني عرفتك بالصفة ، فكيف عرفتني ؟ قال: أرواح المؤمنين تشامّ كما تشامّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . قال : أوصني ، قال : عليك بالأسياف ، يعني السواحل ، قال : فمن أين المعاش ؟ قال : أف ، خالط الشك الموعظة ، أتفرّ إلى الله بدينك وتتهمه في رزقك ؟ .

٩٠ ـ اليأس واقع والرجاء بلاقع .

٩١ ـ منصور الفقيه :

الموت أسهل عندي ... بين القنا والأسنّة
والخيل تجري سراعاً ... مقطعات الأعنّة

---

(١) قوله : خرج من الدنيا خميصاً ، أي جائعاً .

(٢) المدرعة : جبّة مشقوقة المقدم .

مـن أن يـكـون لـنـذلٍ عـليَّ فـضـل ومِـنّـه

٩٢ ـ طلبت الرزق في مظانه[1] فأعياني رزقي إلا يوماً بيوم .

٩٣ ـ عمر بن عبد العزيز في خطبته : أيها الناس ، إنه من يقدر له رزق برأس جبل أو بخضيض أرض يأته ، فاجملوا في الطلب .

٩٤ ـ وقَّع ذو الرياستين[2] : أجمل في الطلب تكفك المقادير ، ما هو كائن لك أتاك على ضعفك وما هو عليك لم تدفعه بقوتك .

٩٥ ـ أنشد ابن الأعرابي :

أبـا مـالك لا تسأل الناس والتمسْ بـكـفَّـيـك رزق الله فـالله أوسـع

فلو تسأل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملّوا ويمنعوا

٩٦ ـ أعرابي :

أتـيـأس أن يـقـارنـك الـنـجـاح فـأيـن الله والـقـدر الـمـتـاح

٩٧ ـ قال رجل لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه : أوصني ، فقال : عليك باليأس مما في أيدي الناس ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

٩٨ ـ إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديق .

٩٩ ـ عبد الأعلى القاص : المؤمن ثوبه علقة ، ومرقته سلقة ، وسمكته شلقة ، وخبزته فلقة .

١٠٠ ـ قيل لأعرابية : من أين معاشكم ؟ فقالت : لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش .

١٠١ ـ أعرابي : أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك ، ولا يحقرك بها من فوقك .

---

(١) مظان الرزق : المكان الذي يوجد فيه .

(٢) ذو الرياستين : هو الفضل بن سهل . تقدّمت ترجمته .

١٠٢ ـ المعـري :

إذا كنت تبغي العيش فـابـغ تـوسـطاً   فعنــد التنــاهي يقصــر المتــطاول
تــوفـى البــدور الـنقص وهـي أهلة   ويــدركهـا النقصــان وهي كـوامــل

١٠٣ ـ أعرابي : استظهر على الدهر بخفة الظهر .

١٠٤ ـ أصيب أعرابي ببعير لم يكن لـه غيره ، فقـال : يا رب اصنـع ما شئت فإن رزقي عليك .

١٠٥ ـ قيـل لرابعـة : ألا تكلّم السلطان يصلح منزلـك ؟ فقـالت : والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها ؟ .

١٠٦ ـ حجت أعرابية على ناقة لهـا ، فقيل لهـا : أين زادك ؟ فقالت : ما معي إلا ما في ضرعها .

١٠٧ ـ قـال رجـل لابن سيـرين : مـا فعلت بغلتـك ؟ قـال : بعتهــا ، قال : ولِمَ ؟ قال : لمؤونتها ، قال : أفتراها خلقت ورزقها عندك ؟ .

١٠٨ ـ النبي ﷺ : لـو أنكم تـوكلون على الله حق تـوكّله لرزقكم كمـا يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً[١] .

١٠٩ ـ خالد بن صفوان : كن أحسن ما تكـون في الظاهـر حالاً أقـل ما تكـون في الباطن مـالاً ، فإن الكـريم من كرمت عنـد الحاجـة خلته ، واللئيم من لؤمت عند الفاقة طعمته .

١١٠ ـ دخـل رجـل على خـالـد بن عبـد الله القسـري ، فقــال : أيهـا الأميـر ، أكلمك بجـرأة اليـأس أم بهيبـة الأمـل ؟ فقـال : بـل بهيبـة الأمـل ، فأكرمه وقضى حاجته .

١١١ ـ هشام بن إبراهيم البصري :

---

(١) تغدو خماصاً وتروح بطاناً : أي تذهب باكراً جائعة وتعود شبعى ، وقد تقدم هذا القول قبل قليل ؛ قاله صالح المرّي .

وكم ملك جـانبتـه عـن كـراهـةٍ   لإغـلاق بـابٍ أو لتشـديـد حـاجب
ولي في غنى نفسي مـرادٌ ومـذهبٌ   إذا انصـرفت عني وجـوه المـذاهب

١١٢ ـ ليس ينبغي للمرء أن يكون في دنياه إلا كالمدعو إلى وليمة ، إن أتته صحفة تناولها ، وإن فاتته لم يرصدها ولم يطلبها .

١١٣ ـ محمد بن وهيب :

أجـارتـنـا إن القـداح كـواذب   وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

١١٤ ـ آخـر :

رخي البـال ليس لـه عيـال   خلي من حـربت ومن دهيت
وأكبـر همـه ممـا عـليـه   تـذابح من تـرى خلق وقـوت

١١٥ ـ آخـر :

قـطعي يـدي بيـدي أخف عليَّ من   مـدي إلى نكـدٍ لأخـذ يـدٍ يـدا
غـضب الإلـه عـليَّ إن أكُ راضيـاً   ليـدي بـأن تمتـاح من يـده يـدا[1]

١١٦ ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه :

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها   وإن مسهـا حتى يضـر بهـا الفقـر
ومـا عسـرة فـاصبـر لهـا إن لقيتهـا   بـكـائنـةٍ إلا سيـتبـعـهـا يـسـر

١١٧ ـ قـال أبـو نيـزر وهـو من أبنـاء ملوك العجم ، رغب في الإسلام وهو صغير ، فأتى رسول الله فأسلم ، وكان معه ، فلما تـوفي رسول الله صـار مـع فاطمـة وولدهـا : جاءني علي عليه السلام ، وأنـا أقوم بـالضيعتين عين أبي نيـزر والبغيبغـة[2] ، فقال : هـل عندك من طعـام ؟ قلت : طعـام لا أرضـاه لـك ،

---

(١) تمتاح : تأخذ . يُقال : متح الماء : استخرجه بالدّلو .
(٢) البغيبغة : البئر القريبة الرشاء . راجع بشأن عين أبي نيـزر والبغيبغة معجم البلدان ١ : ٤٦٩ ففيه التفاصيل . وأبو نيزر الذي تنسب إليه العين هو مـولى علي بن أبي طالب ، كان إبناً للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون لصُلبه وأن علياً وجده عنـد=

قرع من قرع الضيعة صنعته بإهالة سنخة . فقال عليٌّ به . فقام إلى الربيع فغسل يده ثم أصاب منه شيئاً ، ثم رجع إلى الربيع فغسل يده بالرمل ، ثم ضمّ يديه فشرب بهما حسىً من الماء وقال : يا نيزر : إن الأكف أنظف من الآنية ، ثم مسح ندى الماء على بطنه ، ثم قال : من أدخله بطنه النار فأبعده الله .

ثم أخذ المعول فجعل يضرب بالمعول في العين ، فأبطأ عليه الماء ، فخرج وجبينه ينضح عرقاً وهو ينشفه بيده . ثم عاد فأقبل يضرب فيها وهو يهمهم ، فانثالت كأنها عنق جزور . فخرج مسرعاً وقال : أشهد أنها صدقة . علي بدواة وصحيفة ، فكتب : هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على أهل المدينة وابن السبيل ، ليقي الله وجهه حر النار يوم القيامة ، لا تُباعان ولا تُرهنان حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين . إلا أن يحتاج الحسن والحسين فهما طلق لهما ، وليسا لأحد غيرهما .

فركب الحسن دين فحمل إليه معاوية بعين نيزر مائتي ألف دينار ، فقال : إنما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ، ولست بائعها بشيء .

١١٨ ـ قارف الزهري ذنباً فساح ، فلقيه علي بن الحسين ، فقال : يا زهري لقنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

= تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه ، وذكروا أن الحبشة مَرِجَ عليها أمرها بعد موت النجاشي وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي ليملّكوه عليهم ويتوّجوه ولا يختلفوا عليه ، فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله عليَّ بالإسلام . راجع التفاصيل في معجم البلدان ٤ : ١٧٥ ـ ١٧٦ .



الباب الثاني والتسعون

الخيل، والبغال، والحمير، وذكر الفروسية، وما اتصل بذلك

١ ـ النبي ﷺ : عليكم بإناث الخيل، فإن ظهورها حرز، وبطونها كنز.

٢ ـ قيل للنبي ﷺ : أي المال خير؟ قال : سكة مأبورة، ومهرة مأمورة.

ـ وعنه عليه الصلاة والسلام : لا تقصوا نواصي الخيل ولا معارفها ولا أذنابها، فإن معارفها أدفاؤها، وأذنابها مذابها، والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.

٣ ـ جرير بن عبد الله البجلي : رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول : الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.

ـ وعنه : الخيل ثلاثة أجر وستر ووزر، فأمّا الذي له الأجر فرجل حبس خيلاً في سبيل الله فما سنت له شرفاً إلا كان له أجر. ورجل استعف بها وركبها ولم ينس حق الله فيها فذلك الذي له ستر. ورجل حبس خيلاً فخراً ونواءً على أهل الإسلام فذلك الذي عليه الوزر.

ـ وعنه في صفة البراق[1] : يضع حافره منتهى طرفه.

---

(١) البُراق : دابة يركبها الأنبياء عليهم السلام، مشتقة من البرق، وقيل : البراق فرس جبرائيل=

٤ ـ أعرابي في وصف فرسه : ما طَلبت عليها إلا لحقت ، وما طلبت إلا فت .

٥ ـ أرسل بعض الأمراء ابن عم له ، وكان صاحب قنص ، إلى الشام يشتري له خيلاً ، فقال : لا علم لي بها . فقال : كل شيء تستحسنه في الكلب فاشترطه في الفرس . فقدم بخيلٍ لم يكن في العرب مثلها .

٦ ـ إذا بلغ الفارس المنزل لم يكن له هم إلا التمدد ، وقَوْد الفرس ، والاستراحة من اللغوب[1] . وترى التركي إذا عاين في ذلك الوقت بعض الصيد ابتدأ الركض بمثل نشاطه الأول قبل السير .

٧ ـ ورث سليمان عليه السلام عن أبيه ألف فرس ، فاستعرض تسعمائة منها فشغلته عن ذكر الله تعالى ، فمسح بالسوق والأعناق ، وبقيت مائة . ثم أن وفداً من أهل مصر قدموا عليه ، فلمّا رجعوا طلبوا زاداً يبلغهم بلادهم ، فأعطاهم فرساً ، وقال هذا زادكم ، وهو مصيب لكم من الصيد في كل منزل ما يكفيكم ، فكانوا لا ينزلون منزلاً إلا حملوا عليه واحداً ، فيصيد لهم كل صيد أرادوه ، فسموه زاد الركب . ومنه أصل كل فرس عربي .

٨ ـ لم يكن فرس مثل شبذيركسرى أبرويز في زمانه عظم خلق ، وكرم خلق ، وجمعاً لشرائط العنق . ولما نفق[2] لم يركب إلّا الفيل ، وكان هذا الفرس من خصائص أبرويز . وما قدروا أن ينعوه إليه ، فسألوا فلهبذ المغني أن يعرض به ، فغنى بشيء معْناه : شبذير لا يسعى ولا يرعى ولا ينام ، فقال : قد مات إذن . فقال فلهبذ : من الملك سُمِعتْ .

وكان أشقر مروان يشبه به ، واشتراه مروان بثلثمائة ألف درهم ، وصار

= صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم ، وقيل : البراق اسم دابة ركبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج ، وذُكر في الحديث قال : وهو الدابة التي ركبها ليلة الإسراء ، سمّي بذلك لنصوع لونه وشدّة بريقه ، وقيل : لسرعة حركته شبهه فيها بالبرق .

(١) اللغوب : الضعف .

(٢) نفق الفرس : مات ، وهذا الفعل يستعمل خاصة للحيوانات .

إلى السفاح بعده . وهرم وتحطّم ، فكان لكرامته عليهم يحمل في محفّة[1] عاج وينقل من مرج إلى مرج .

٩ ـ ساير عبد الحميد مروان ، فقال له : طالت صحبة هذه الدابة لك . فقال : من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علتها ، قال : كيف سيرها ؟ قال : همها أمامها ، وسوطها عنانها ، وما ضربت قط إلا ظلماً .

١٠ ـ أراد علي بن هشام مسايرة شبيب بن شيبة ، فقال : كيف لي بها وأنا على برذون إن تركته وقف ، وإن ضربته قطف[2] ، وأنت على فرس إن تركته سار وإن ضربته طار ؟ فحمله على فرس عتيق .

١١ ـ أسامة بن سفيان البجلي :

أمست بأكناف ذي قار مخيمةً   وأنت في جحفل يهدى إلى الشام
يخرجن من مستطير النقع دامية   كأنّ آذانها أطراف أقلام

١٢ ـ كتب الأخفش سعيد بن مسعدة النحوي إلى المعذل بن غيلان :

أردت الركوب إلى حاجة   فمر لي بفاعلة من دببت

فأجابه :

بريذننا يا أخي غامز   فأنعم وكن فاعلاً من عذرت[3]

١٣ ـ لما غلب المختار بن عبيد الله على الكوفة وقع بينه وبين عدي ابن حاتم ، فهمَّ عدي بالخروج عليه ، ثم عجز لكبر سنه ، وقد بلغ مائة وعشرين سنة ، فقال :

---

(١) المحفّة : سرير يحمل عليه المريض أو المسافر ويسمى تخت روان .

(٢) القطوف من الدواب : البطيء . وقطفت الدابة : أساءت السير وأبطأت . وقيل : القِطاف : تقارب الخطو في سرعة من القطف وهو القطع .

(٣) بريذننا : تصغير برذون . والبرذون ضرب من الدواب التركية عظيم الخلقة غليظ الأعضاء ، يُقال له : دابة الحمل الثقيل .

أصبحت لا أنفع الصديق ولا أملك ضراً للشانىء الشرس[1]
وإن جرى بي الجواد منطلقاً لم تلمك الكف رجعة الفرس

١٤ ـ عمرو بن الأسلع :

أتتك كأنها عقبان دجنٍ تجاذب في حناجرها اليراع[2]

١٥ ـ عمرو بن معاوية بن المنتفق فارس مشهور من بني عامر قلده معاوية أرمينية وأذربيجان والأهواز[3] :

إني امرؤ للخيل عندي مزية على فارس البرذون أو فارس البغل
وإني على هول الجنان لنازل منازل لم ينزل بها نازل قبلي

١٦ ـ عن بعض الراضة : إنما يجمح البرذون ليصرع راكبه فقط ، ألا ترى أنه إذا رمى به وقف ؟ إلا برذوناً واحداً فإني رأيته شد عليه بعد أن ألقاه يكدمه ويرمحه[4] . وكان الناس يشدون عليه فيتنحى عنه ويشد عليهم ، فإذا جفلوا من بين يديه رجع إليه يكدمه ويرمحه .

١٧ ـ شك عمر رضي الله عنه في العتاق[5] والهجن[6] ، فدعا سليمان ابن ربيعة الباهلي بطست فيه ماء ، ثم قدمت الخيل فما ثنى سنبكه فشرب هجنه . وما شرب ولم يثن سنبكه عربه ، وذلك أن العتاق قود دون الهجن .

١٨ ـ النبي ﷺ : ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها ، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار .

---

(١) الشانىء : المبغض .
(٢) عقبان دجن : أي سوداء . والدجن اليوم الذي تكثر فيه الغيوم السوداء والمطر .
(٣) الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم يجمعهن الأهواز.
(٤) رمح البرذون صاحبه : رفسه .
(٥) الخيل العتاق : الكريمة الأصل .
(٦) الهجين من الخيل : الذي ولدته برذونة من حصان عربي .

١٩ ـ أبو هريرة رفعه : إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله سخرها لكم لتبلغكم بلداً لم تكُونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم .

٢٠ ـ وقف الهيثم بن المطهر على باب الخيزران[1] على دابته ، فبعث إليه الكاتب في دارها : إنزل عن ظهر دابتك ، فقد جاء في الأثر : لا تجعلوا ظهور دوابكم مجالس ، فبعث إليه : إني رجل أعرج وإن خرج صاحبي خفت أن لا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو حبيس أن أنزلتني عنه أقضمه شهراً ، فانظر أيهما خير له تعب ساعة أو جوع شهر ؟ قال : هذا شيطان فاتركوه .

٢١ ـ نظر ابن سيابة إلى مبارك التركي على دابة ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : يا رب ، هذا حمار وله دابة ، وأنا إنسان وليس لي حمار ! .

٢٢ ـ وأنشد أبو محلم لنفسه :

ما يصنع الليل والنهار ... ما للفتى منهما انتصار
من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار
كم من حمار له جواد ... وسيد ما له حمار

٢٣ ـ الفَرَسُ لا يحب الماء الصافي فلا يضرب بيديه كما يضرب بهما

(١) الخيزران : هي زوجة المهدي العباسي وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد ، ملكة حازمة متفقّهة يمانية الأصل ، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي ، وكانت من جواري المهدي فأعتقها وتزوجها ، ولما مات وولي ابنها الهادي انفردت بكبار الأمور وأخذت المواكب تغدو وتروح إلى بابها . وحاول الهادي منعها من ذلك حتى قال لها : إذا وقف ببابك أمير ضربت عنقه وسعى إلى عزل أخيه الرشيد من ولاية العهد . وقيل : إنها علمت عزمه على قتل الرشيد فأرسلت إليه بعض جواريها وهو مريض فجلس على وجهه حتى مات خنقاً . وولي بعده الرشيد فحجّت وأنفقت أموالاً كثيرة في الصدقات وأبواب البرّ ، وتوفيت ببغداد سنة ١٧٣ هـ فمشى الرشيد في جنازتها وعليه طيلسان أزرق وأخذ بقائمة التابوت حافياً يخبّ في الطين حتى أتىٰ مقابر قريش فغسل رجليه وصلّى عليها ودخل قبرها وتصدّق عنها بمال عظيم .

عند الكدر فرحاً به ، لأنه يرى فيه شخصه فيفزعه ولا يراه في الكدر ، كما أن الإبل لا يعجبها إلا الماء الغليظ . وأما الثور فيحب الماء الصافي .

٢٤ ـ كان يقال لعبد الرحمٰن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب روَّاض البغال ، لأنه كان ركاباً لها . قال له صفوان بن عمرو بن الأهتم : مالك ولهذا المركب الذي لا يدرك عليه الثأر ، ولا ينجيك يوم الفرار ؟ فقال : إنه نزل عن خيلاء الخيل ، وارتفع عن ذلة العَيْر ،[١] وخير الأمور أوساطها . فقال صفوان : إنا نعلمكم فإذا علمتم تعلمنا منكم .

٢٥ ـ بعضهم : إذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق ثجدة في نجابها ، مشرفة الهادي تجده في طاعتها ، مجفرة الجوف تجده في صبرها .

٢٦ ـ رأيتك على عير لئيم ، ثم رأيتك قد أدمت ركوب هذه البغلة . فقال : البغال أعدل ، وسيرها أقصد .

٢٧ ـ كانت لابن سيرين بغلتان ، بغلة لخاصة نفسه وبغلة للعارية .

٢٨ ـ الهدايا النفسية والطرف العجيبة التي أهدتها بلقيس إلى سليمان عليه السلام إنما كانت على البغال الشهب .

٢٩ ـ نظر أعرابي إلى بغل قد تفاج[٢] ليبول فاستحثه صاحبه ، فقال : إنها إحدى الغوائل قطع الله منك الوتين[٣] .

٣٠ ـ ابن خازم الباهلي :

مالي رأيتك لا تدو م على المودة للرجال
خلق جديد كل يو مٍ مثل أخلاق البغال

---

(١) العَيْرُ : الحمار .

(٢) التفاجّ : المبالغة في تفريج ما بين الرجلين . وقوله تفاجّ ليبول : أي باعد ما بين فخذيه .

(٣) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

ـ ولـه :

ومتى اختبرت أبا العلاء وجدته متلوّناً كتلون البغل

٣١ ـ كان خالد بن عثمان بن عفان بالسقيا ، فقال : هذا يوم الجمعة ، لِمَ لا أجمع[1] مع أمير المؤنين ؟ إنها للسوءة السوآء . فركب بغلة له لا تساير فسار تسعين ميلاً ، فأتىٰ المدينة وقت الصلاة فخر ميتاً ، ونفقت البغلة .

٣٢ ـ حمل زيد الضبي البردخت الشاعر على بغل فصرعه فقال :

أقول للبغل لما كاد يقتلني لا بارك الله في زيد وما وهبا
أعطاني الحتف لما جئت أسأله وأمسك الفضة البيضاء والذهبا

٣٣ ـ الجاحظ : كان بعض الراضة يكوم[2] بغلة ، فأدغم عليها ذات يوم فتأخرت حتى أسندته إلى زاوية وضغطته حتى مات .

٣٤ ـ وجه المأمون ثمامة ليتعرف على أخبار البريد فقال : رأيت بغلاً على معلف وهو يقرأ . وما دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، وآخر قد عدا على رجل عليه طيلسان أخضر ظن أنه حزمة من علف فطرحه فوقف يشمه ، وآخر يغني بقوله :

ولقد أبيت على الطوى وأظله كيما أنال به كريم المأكل[3]

٣٥ ـ بعض أهل العراق : كنت عند قاضي مصر فسمعته يقول لبعض جلسائه : أريد بغلة أصيب منها . فقلت : هو أمجن الناس ! يتكلم بنحو هذا وهو قاضي المسلمين ! فقيل لي : عافاك الله ! ما منّا أحد إلا وعنده بغلات يصيب منهن . فزدت إنكاراً حتى فسر لي أن البغلات جوار من رقيق

---

(١) قوله : لِمَ لا أجمع مع أمير المؤمنين : أي لِمَ لا أشهد معه الجمعة للصلاة .

(٢) يكوم البغلة : ينكحها . والكوم بالنسبة للحيوان كالمجامعة بالنسبة للنساء .

(٣) أبيت على الطوى : أي أنام جائعاً .

مصر ، نتاج ما بين الصقالبة[1] وجنس آخر، لهن أبدان ودثارة وجدارة .

٣٦ ـ كان لعكرمة بن ربعي الفياض بغل يؤثره على كل مركوب ، وله فيه :

لم أر شيئاً بين شيئين مثله ... أشد انتزاعاً للتشابه في الأصل
تقسمه أطرافه فاستوى له ... بقسمة عدل من يدي حكم عدل

٣٧ ـ قال أهل التجربة : ليس في جميع الحيوان الذي يعايش الناس أطول عمراً من البغل ، ولا أقصر عمراً من العصفور ، لكثرة سفاد[2] العصفور وقلة ذلك من البغل .

قالوا : ولذلك وجدنا طول الأعمار في الرهبان وأصحاب الصوامع وفي الخصيان .

٣٨ ـ ابن عباس : نهى رسول الله أن ننزي حماراً على فرس ، ونهانا أن نأكل الصدقة ، وأمرنا أن نسبغ الوضوء .

٣٩ ـ أبو هريرة : إن رسول الله كان يسمي الأنثى من الخيل فرساً .

٤٠ ـ قيل لوهرز الفارسي حين أراد رمي مسروق بن أبرهة الأشرم : وقد نزل عن الفيل وركب الفرس ، فقال : دعوه فإنه على مركب من مراكب الفرسان ، فأطال الوقوف حتى ملَّ ظهر دابته فأتوه ببغل فركبه ، فقيل لوهرز : نزل عن الفرس وركب البغل ، فقال : نزل عن مراكب الملوك ومعاقل الفرسان ثم ركب البغل ابن الحمار .

٤١ ـ شاعر :

وإني إذا ما المرء آثر بغله ... على نفسه آثرت نفسي على بغلي
وأبذله للمستعيرين ظهره ... بلا علةٍ ما دام ينقاد في الحبل

(١) الصقالبة :جبل حمر الألوان صهب الشعور تتاخم بلادهم بلاد الخزر وبعض بلاد الروم .
(٢) السفاد للعصافير كالمجامعة للإنسان .

٤٢ ـ الفرس يشم رائحة الحِجر[١] من مسافة ميل فيقلق في مكانه ويحمحم ، ويقف عن القضم وقد خبط بيده آنفاً وحمحم إلى ناسفه .

٤٣ ـ بغلة أبي دلامة مثل في كثرة العيوب ، وفيها يقول :

وتفزع من صقاع الديك شهراً ... وتنفر للصفير وللخيال
إذا استعجلتها عثرت وبالت ... وقامت ساعة عند المبال
شفّار تقدم كل سرجٍ ... تصيّر دفتيه على القذال
وتضرط أربعين إذا وقفنا ... على أهل المجالس للسؤال
فتقطع منطقي وتحول بيني ... وبين حديثهم مما توالي
وألف عصا وسوط أصبحيٍ ... ألذّ لها من الماء الزلال
وكانت قارحاً أيام كسرى ... وتذكر تبعاً عند الفصال[٢]
وتذكر إذ نشا بهرام جورٍ ... وذو الأكتاف في الحقب الأوالي[٣]

٤٤ ـ أبو قموص كنية البغل . وقدّم بغل إلى أعرابية لتركبه فقالت : أبو قموص لعله شحدود أو حبوص ، أو كما يكنى به قموص .

٤٥ ـ الشحدود : السيء الخلق بالدال غير المعجمة ، والحبوص الشديد العدو .

٤٦ ـ تساير مروان بن أبي حفصة وعباد بن شبل الصنعاني على بغليتهما وكانت بينهما صداقة ، فقال ابن شبل في بغلة مروان :

أرى الشهباء تخبز إذ غدونا ... برجليها وتعجن باليدين

فقال مروان :

---

(١) الحجر : انثى الفرس .

(٢) القارح من ذي الحافر: الذي شقّ نابه وطلع . وتبّع : لقب الملك الأكبر من ملوك حمير مثل كسرى عند الفرس وقيصر عند الروم والنجاشي عند الحبشة وخاقان عند الترك والجالوت عند البربر . .

(٣) ذو الأكتاف : تقدمت ترجمته . سمي ذو الأكتاف لأنه كان يخلع أكتاف العرب .

أرى خلق القطاة فازدريها ويملأ منظر الشهباء عيني

وقال أيضاً :

لعمر أبيك لو غير ابن شبلٍ هجا الشهباء قطَّعه الهجاء
ولكن عرضه عندي وعرضي إذا ميلّت بينهما سواء

٤٧ ـ في رسالة عبيد الله بن سليمان بن وهب : رأى رسول الله ﷺ أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعه ابنه (معاوية) يقوده ويزيد يسوقه : لعن الله الراكب والقائد والسائق .

٤٨ ـ عبد الحميد الكاتب : لا تركب الحمار ، فإنه إن كان فارهاً[1] أتعب يدك ، وإن كان بليداً أتعب رجلك .

٤٩ ـ فضل الرقاشي : نظر يوماً إلى حمارٍ فارهٍ تحت ابن قتيبة ، فقال : قعدة نبي وبذلة جبار .

٥٠ ـ كان عيسى عليه السلام يسيح في الأرض ، فقيل له : لو اتخذت حماراً . فقال : أنا أكرم على الله من أن يبتليني بحمار .

٥١ ـ العَيْر عار لا يركبه إلا عيار .

٥٢ ـ ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركب الرجال . يقولون إن الحمار مطية الدجال .

٥٣ ـ المصنّف :

فإن الحمار ومن فوقه حماران شرُّهما الراكب

٥٤ ـ حمار عثرة نخرة ، تبوع للحِجرة ، أي كثير العثار والتحير .

٥٥ ـ قال ابن مكرم لنخاس : أريد أن تبتاع لي عَيْراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر . إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام

---

(١) الحمار الفاره : النشيط .

تـرفق ، يصر إذا ركبتـه بأذنيـه ، ويلعب بيديـه ، ويمرح برجليه إن استنهضتـه هـام ، وإن استوقفتـه قام ، وإن أقللت علفـه صبر وإن أكثـرتـه شكـر . فقـال اصبر قليلاً فإن مسخ القاضي حماراً اشتريته .

٥٦ ـ قـال مـوسى للخضـر : أي الـدواب أحب إليـك ؟ قـال الفـرس والحمار والبعير ، لأن الفـرس مركب أولي العـزم من الرسـل ، والبعير مـركب هـود وصـالـح وشعيب ومحمـد ، والحمـار مـركب عيسى وعـزيـر . وكيف لا أحب شيئاً أحياه الله بعد موته قبل الحشر .

٥٧ ـ تمنَّـع الحمار لعسـره ونكده أن يـدخل السفينـة ، وإبليس لعنه الله آخذ بذنبه ، فقال نـوح عليه السلام : أدخل يـا ملعون ، فـدخل ودخـل معه إبليس ، فقـال نوح : مـا أدخلك ؟ قال أمـرتني ، قـال : ومتى أمـرتـك ؟ قـال : حين قلت أدخل يا ملعون ، ولم يكن ثم ملعون غيري .

٥٨ ـ عَيْـر أبي سيارة مثـل في القوة والصحـة ، وهو حمـار أسـود أجـاز عليه الناس من منى إلى المزدلفة أربعين سنة .

وكـان خالـد بن صفـوان والفضـل بن عيسى الـرقـاشي يختاران ركـوب الحمار ، ويجعلان أبا سيارة قدوة لهما وحجة .

وقيل للفضل : لِمَ تـركبه ؟ فقـال : لأنه أقـل الدواب مؤونـة ، وأكثرهـا معونة ، وأسلمها جماحـاً ، وأخفضها مهـوى ، وأقربهـا مرتقى ، يـزهى راكبه وقد تواضع ، ويدعى مقتصداً وقد أسرف في ثمنه ، ولـو شاء أبـو سيار لـركب جملاً مهرياً[1] ، أو فرساً عربياً ، ولكنه امتطى عيراً أربعين سنة .

٥٩ ـ وقـال خالـد : عير من نسـل الكداد ، أصحـر السربـال ، محملج القـوائم ، مفتـول الأجـلاد ، يحمـل الـرجلة ، ويبلغ العقبـة ، يقـل داؤه ،

---

(١) المهرية من الإبل : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن وقـالوا إنهـا كانت لا يعدل بها شيء في سرعة جريانها جمع مهارى ومهارٍ ومهاري .

ويمنعني أن أكون جباراً ، ولولا ما في الحمار من المنافع لما امتطاه أبو سيارة أربعين سنة .

فعارضهما أعرابي فقال : الحمار إن أوقفته أدلى[1] ، وإن تركته ولّى ، كثير الروث ، قليل الغوث ، سريع إلى الفرارة ، بطيء في الغارة ، لا ترقأ به الدماء ، ولا تمهر به النساء ، ولا يحلب في الأناء .

٦٠ ـ وحمار طيَّاب مثل في الضعف والهزال ، وكان طياب سقاءً ، قد استقى عليه زماناً طويلاً ، وكان في جوار أبي علالة المخزومي ، فتولّع به في شعره ، وله فيه :

يا سائلي عن حمار طيّابْ ذاك حمار حليف أوصابْ
كأنه والذباب تأخذه من وجه تيغار دوشاب

٦١ ـ وحمار القصار مثل في سوء الحال ، يقال : كان يوم فلان كيوم حمار القصار ، إن جاع شرب وإن عطش شرب .

٦٢ ـ حمير مصر لا تُخرج البلاد أمثالها ، وكان الخلفاء لا يركبون غيرها في دورهم وبساتينهم . وكان المتوكل يصعد في منارة سرّ من رأى[2] على حمار مريسي ، ومريس قرية من قرى مصر ، وطول المنارة تسع وتسعون ذراعاً .

٦٣ ـ حكيم : خذ من الحمار شكره وصبره ، ومن الكلب نصحه لأهله ، ومن الغراب كتمانه للسفاد .

٦٤ ـ رأى عبادة تحت مخارق[3] برذوناً يقرمط ، فقال : برذونك هذا يمشي على استحياء .

---

(١) أدلى الحيوان : أخرج جردانه (قضيبه) ليضرب (ليجامع) .
(٢) سُرَّ من رأى : مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة ، خفّف الناس هذا الاسم فقالوا : سامرّاء . راجع حديثها مطوّلاً في معجم البلدان ٣ : ١٧٣ ـ ١٧٨ .
(٣) مخارق : هو مخارق أبو المهنأ ابن يحيىٰ الجزار ، إمام عصره في فنّ الغناء ، ومن=

٦٥ ـ الأقيشر في حماره :

إذا مـا انتحيٍ في لجة المـاء لم ترم　　قـوائمــه حتى يؤخــر بــالحمــل
وإن بلغ الضحضــاح فحّـج بــائـلاً　　صبوراً على ضرب الهراوة والركل[١]

٦٦ ـ وآخــر :

أيـا منـزلي مـالي عليـك كـرامـةً　　إذا أنت لم تكــرم عليَّ جــوادي

٦٧ ـ أبو المهوش الأسدي :

نجى إيــاداً ولخمـاً كــل سلهبـةٍ　　واستلحم الموت أصحاب البراذين[٢]

٦٨ ـ عداوة الحمار للغراب مثل ، قال :

عــاديتنــا لا زلت في قبــاب　　عــداوة الـحـمــار لـلغــراب

٦٩ ـ يزيد بن مسلمة بن عبد الملك :

عــودتــه فـيمــا أزور حبــائبي　　إهمــالــه وكـذاك كـل مخـاطـر
فــإذا احتبى قـربــوسـه بعنــانـه　　علك الشكيم إلى انصراف الزائر[٣]

= أطيب الناس صوتاً . كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرّة على السرير معه ، وأعطاه ٣٠ ألف درهم ، واتصل بعد ذلك بـالمأمـون وزار معه دمشق . تـوفي بسرّ من رأى . كان مملوكاً لعـاتكة بنت شُهـدة بالكـوفة وهي التي علّمتـه الغناء والضـرب على العود وباعته فصار إلى الرشيد فأعتقه وأغناه . توفي سنة ٢٣١ هـ .

(١) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر . والضحضح : الماء اليسير .

(٢) السلهب من الخيـل : الـطويـل على وجـه الأرض ، وربمـا جـاء بـالصـاد والجمـع السلاهبة . والسلهبـة من النساء : الجسيمـة . وليست بمِدحـة . يقال : فـرس سلهب وسلهبـة للذكر إذا عـظم وطال ، وطـالت عظامـه . والبراذين : جمـع برذون وهـو دابة الحمل الثقيل .

(٣) القربوس : حنو السرج أي قسمه المقوّص المرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخره . وهما قربوسان والجمع قرابيس . والشكيم من اللجام : الحـديدة المعتـرضة في فم الفرس والجمع شكائم وشُكُم وشكيم .

٧٠ ـ شـاعـر :

جـرى والجيـاد فلمـا جـرى   حثـا في وجـوه الجيـاد الثـرى

٧١ ـ روث الحمـار إذا عصر وهـو حار وشـرب ماؤه نفـع من الحصاة ، وهو دواء للضرس المأكول .

٧٢ ـ وقيل لميسرة الفـراس وهو أحـد الأكلة : كيف تصنع إذا جهـدتك الكـظة والعرب تقـول : إذا كنت بطناً فعـدك زمنـاً ؟ قـال : آخـذ روثـاً حـاراً ،أعصـره وأشـرب مـاؤه ، فـأختلف عليـه مـراراً ، فـلا ألبث أن يلصق بـطني بصلبي ، وأشتهي الطعام .

٧٣ ـ زياد بن وهب في صفة الفرس :

شـديد الفقـار طـويـل العـذار   أمين الشـظا لا يخاف العثـارا
بعيـد مـداه كمـا أمـرَّت قـواه   إذا السـوط أفزعـه قلت طـارا
مبين لـه السبق عنـد الـرهـان   في الحرب ترزق منـه الوقـارا

٧٤ ـ كـان لغني فرس مشهـور يعرف بـالضاري . قـال أبو عبيـدة : هـو الضـاري بن الأوج بن الدينـار بن هجنس بن زاد الراكب . فلمـا نفق[1] نعتـه عجـوز من بني عامـر إلى نسائهم ، وقـالت : أربعن يا نسـاء بني عـامـر فقـد رزئتنّ غـرة من غرر المجـد ، ألا إن الضاري قـد نفق . فمـا بقيت امـرأة من نساء بني عامر إلا كسرت رباعتها[2] عليه . وفيه قيل :

غـداة صبّحنا بـطرفٍ أعـوجي   من نسب الضاريّ ضاريّ غني

٧٥ ـ كـان لعمر بن عبـد العزيـز برذون يحتـطب عليـه ويستقي ، وكـان يركبه .

٧٦ ـ جـاءت فـرس لهشـام سـابقـة فسـأل الشعـراء أن يقـولـوا فيهـا

(١) نفق الفرس : مات . تُقال للحيوانات خاصة .
(٢) الرباعية : السن التي بين الثنيّة والناب والجمع رباعيات .

فاستمهلوا ، فقال أبو النجم : هل لك فيمن ينقذك إذ استنسؤوك، قال : هات ، فقال :

أشاع للطراد فيه ذكرها   قوائم عوج أطعن أمرها
مليونة شد المليك أسرها   أسفلها وبطنها وظهرها
يكاد هاديها يكون شطرها

فأمر له بجائزة سنية .

٧٧ ـ كان يزيد بن عبد الملك وهو يزيد الناقص[١] مغرماً بالخيل ، فبلغه عن فرس لرجل من عبد القيس فراهة واستيلاء في الحلب على القصب ، فوجه إليه من يشتريه له ، فقال : لا أبيعه إلا بحكمي ، فبذلوا له عشرة آلاف دينار . فقال : لو أعطيتموني بوزن الفرس مائة مرة دنانير ما بعته إلا بحكمي . قالوا : فما حكمك ؟ قال : ترك لعن علي بن أبي طالب . فكتب يزيد إلى الآفاق بذلك وأخذ الفرس . فترك لعنه إلى اليوم .

٧٨ ـ عبد الله بن عمران بن أبي فروة : كنت أسير مع الغمر بن يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر ابن أبي ربيعة : ودع لبابة قبل أن تترحّلا[٢] . فأمر غلامه فحملني على بغلة فلما أراد غلامه أن يأخذها قلت: هو

---

(١) يزيد الناقص : هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام . مولده ووفاته في دمشق . ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك لسوء سيرته فبويع بالمزّة واستولى على دمشق وكان الوليد بتدمر فأرسل إليه يزيد من قاتله في نواحيها . وقتل الوليد فتمّ ليزيد أمر الخلافة في مستهل سنة ١٢٦ هـ . ومات في ذي الحجة بالطاعون وقيل : مسموماً سنة ١٢٦ هـ . يقال له «الناقص» لأنّ سلفه الوليد بن يزيد كان قد زاد في أعطيات الجند ، فلما ولي يزيد نقص الزيادة . ويُقال إن مروان الجعدي لما ولي نبش قبره ، وصلبه .
راجع ترجمته في اليعقوبي ٣ : ٧٤ وابن خلدون : ٣ : ١٠٦ والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(٢) من قصيدة له في ديوانه ص ٢٩٦ (بتحقيقنا) مطلعها :
ودّع لبانة قبل أن تترحّلا   واسأل فإن قليله أن تسألا   =

أشرف من أن يحملني على بغلة ثم يأخذها . فقال له : دعها ، ذهبت لبابة والله ببغلة مولاك .

٧٩ ـ سوبق بين الخيل فجاء فرس من بني جعدة متقدّماً ، فارتجز الجعدي يقول :

غاية مجد رفعت فمن لها نحن حويناها فكنا أهلها
لو ترسل الطير لجئنا قبلها

فلم ينشب[1] أن سبقه فرس ابن طلحة فقال عمر بن عبد العزيز للجعدي : سبقك والله ابن السباق إلى الخيرات .

٨٠ ـ عثر بالعباس بن محمد بن علي فرسه فمات ، فقيل : قتل الجواد الجواد[2] .

٨١ ـ قال محمد بن سليمان بن علي لبشار : ما حسبك عنا ؟ قال : ركبت حماري فسقط ميّتاً في الطريق ، فلم أعرف سبب موته حتى رأيته البارحة في المنام فسألته ، فقال لي :

سيدي خذ بي أتانا	عند باب الأصبهاني
سحرتني برقاها	وثناياها الحسان
وبخدين أسيلين	وجيد الشيفران
ولها إذن ذراع	بذراع الشاهمان
فبها مت ولو عشـ	ـت بها طال هواني

= ولبانة : اسم امرأة ولعلّها «لبابة» إذ يُروى أن عمر بن أبي ربيعة رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس تطوف بالبيت الحرام وهي أحسن خلق الله فكاد يذهب عقله فسأل عنها فأُخبر بحقيقتها فأنشأ قصيدته هذه .

(١) لم ينشب : لم يلبث .

(٢) قوله قتل الجواد الجواد : أي قتل الفرس الكريم الذي هو العباس بن محمد بن علي المنعوت بالجود والكرم .

فضحك محمد وقال: وما الشيفراز يا أبا معاذ؟ قال: ومن يدري غريب الحمار؟ فأمر له بحمار فاره[1] .

٨٢ ـ أنس : ركب عمر رضي الله عنه برذوناً فهزه ، فنزل عنه وقال : ما يصلح هذا إلا أن يذهب عليه صاحبه إلى الغائط .

٨٣ ـ شاعر :

. . . .	إيجاف كلّ منير الوجه بسام[2]
يخرجن من مستطير النقع دامية	كأن آذانها أطراف أقلام[3]

(١) الحمار الفاره : النشيط .
(٢) لم نستطع أن نتبيّن ما في صدر البيت في كلام .
(٣) النقع : الغبار .



البــــاب الثالث والتسعون

الابل ، والبقر ، والغنم ، وما يتصل بها وينسب إليها

١ ـ عبد الله بن جعفر رضي الله عنه : دخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار ، فإذا جمل ، فلما رأى رسول الله جن وذرفت عيناه ، فأتاه فمسح ذفريه فسكت ، فقال : لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لي يا رسول الله ، فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه .

٢ ـ سهل بن الحنظلية : مر رسول الله ببعير قد لصق ظهره ببطنه[1] ، فقال : اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة .

٣ ـ أبو هريرة رفعه : تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين ، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات[2] معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله . وأمّا بيوت الشياطين فلم أرها . كان سعيد بن هند يقول : ما أراها إلا هذه الأقفاص التي تستر بالديباج .

---

(١) قوله : لصق ظهره ببطنه ، أي هو جائع ضامر البطن .

(٢) النجيب : الفاضل النفيس في نوعه جمع نُجب واحدته نجيبة . والنجيبة من الإبل الكريمة الأصل السمينة النفيسة .

٤ ـ ما خلق الله خيراً من الإبل ، إن حملت أثقلت ، وإن سارت أبعدت ، وإن حلبت أروت ، وإن نحرت أشبعت .

٥ ـ قيل لأعرابي : ما الناقة القرداح ؟ قال : التي كأنها تمشي على أرماح . يريد طول القوائم .

٦ ـ أهدى الرعيل بن الكلب ناقة لهشام بن عبد الملك فلم يقبلها . فقال : يا أمير المؤمنين ، أرددت ناقتي وهي هلواع ، مرياع ، مرباع ، مقراع ، مسياع ، ميساع ، حلبانة ركبانة . فضحك وقبلها وأمر له بألف درهم .

٧ ـ المرياع : التي تقدم الإبل ثم تعود . والمرباع التي تعجل اللقاح ، والمقراع : التي تلقح أول ما يقرعها الفحل . والمسياع : السمينة من السياع ، قال القطامي :

فلما أن جرى سمن عليها كما بطنت بالفدن السياعا

والهلواع : الخفيفة . والمسياع : الواسعة الخطو .

٨ ـ دجاجة بن ذروة الضبي جاهلي :

إبلي بحمد الله ضامنة القرى إذا طرَقَتْهَا بالعشي الطوارق[1]
محبسة لابن السبيل تنوبها حقوق وتبريها السنون العوارق

٩ ـ الجمل يجب في المجهدة سنامة ، والكبش تقطع إليته ، وهما يصبران .

١٠ ـ الغنوي : إذا تصوب المرزم[2] أرسلت الفحول في النعم، فضربت في خيار الإبل ومتعطراتها، وهي التي تتحسن للفحل بنقيها وحسن حالها.

---

(١) القرى : طعام الضيف . والطوارق : جمع طارق وهو الزائر ليلاً .
(٢) المِرزم : النجم (وهما مرزمان) . يقال مرزما الشّعْريين أحدهما في الشّعرى والآخر في الذراع . وهما نجمان من نجوم المطر .

١١ ـ عطاء رفعه : الغنم بركة موضوعة : والإبل جمال لأهلها .

١٢ ـ قيل لبنت الخُس[1] : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قنى . قيل : ففي مائة من الضأن ؟ قالت : غنى . قيل : ففي مائة من الإبل ؟ قالت : منى .

١٣ ـ بعض القصاص : مما أكرم الله به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر .

١٤ ـ النبي ﷺ : إمسحوا رغام الشاء ، ونقوا مرابضها من الشوك والحجارة ، فإنه ما من مسلم له شاة إلا قدس كل يوم مرة ، فإن كانت له شاتان قدس كل يوم مرتين .

١٥ ـ أكل أبو الدرداء طعاماً دعاه إليه رجل من أصحابه ، ثم قال : الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير بعد الأسودين الماء والتمر . ورأى عنده ضانية فقال : أطب مراحها ، واغسل رغامها ، فإنها من دواب الجنة ، وهي صفوة الله من البهائم .

١٦ ـ يقال : أقفط[2] من تيس بني حمان . ومن تكذبهم أنه قفط

---

(١) بنت الخُس : هي هند بنت الخُس بن حابس بن قريط الإيادية . فصيحة جاهلية ، كانت ترد سوق عكاظ ولها أخبار فيه . قال الجاحظ في وصفها : «من أهل الدهاء والنكراء واللّسن والجواب العجيب والكلام الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة» . تلقب بالزرقاء . قيل : أدركت القلمّس أحد حكام العرب في الجاهلية وتحاكمت هي وأختها خمعة؟ إليه في كلام لهما ومدحته بأبيات ، وبعض الرواة يزعم أنها ماتت في زمن النعمان عند هند ابنته وليس الأمر كذلك .

راجع ترجمتها في الأعلام ٨ : ٩٧ والبيان والتبيين وعيون الأخبار ٢ : ٢١٤ وخزانة البغدادي ٤ : ٣٠١ والتاج مادة «خس» والأزمنة والأمكنة ٢ : ١٧٦ .

(٢) أقفط : أنزى . وقفط التيس : نزا . واقفاطّت المعزى اقفيطاطاً : حرصت على الفحل مدّت مؤخّرها إليه . والقفطي والقفيط كلاهما : الكثير الجماع .

سبعين عنزاً بعد ما فريت[1] أوداجه[2]. قال الفرزدق :

لعمـرك مـا تـدري فـوارس منقـر أفي الأست أم في الرأس تلقي الشكائم[3]
وألهى بني حمـان عسب عتـودهـم عن المجـد حتى أحرزته الأكارم[4]

١٧ ـ وفي ديوان المنثور[5] : هم أفخـر به من بني تميم بقـوسها ، ومن بني حمان بتيسها .

١٨ ـ تقـول العـرب : قـالت الضـانيـة : أولا رخـالاً ، وأجـز جفـالاً ، واحلب كثباً عجالاً ، ولم تر مثلي مالاً .

١٩ ـ أبـو سعيـد الخـدري : كـان رسـول الله ﷺ يضحي بكبش أملح أقرن فحيل . ينظر في سواد ويأكل في سواد ويمشي في سواد .

٢٠ ـ الضـأن تلد في السنة مـرة ، وتفرد ولا تتئم . والمعـز تلد مرتين ، وتضـع الثلاث وأكثـر . والنماء والبـركة في الضـأن . والخنزيـرة ربمـا ولـدت عشرين خنوصاً ولا نساء فيها .

٢١ ـ يقـال في المدح هـو كبش من الكباش، وفي الـذم هـو تيس من التيوس .

---

(١) فريت : تشقّقت .

(٢) الأوداج : جمع ودج وهو عرق الأخدع يقـطعه الذابـح فـلا يبقى معه حيـاة . ويقال في الجسد عرق واحـد حيثما قـطع مات صـاحبه ولـه في كل عضـو اسم . فهو في العنق الـودج والوريـد أيضاً . وفي الـظهر النبـاط وهو عـرق ممتد فيـه ، والأبهـر وهـو عـرق مستبطن الصلب والقلب متصل به ، والوتين في البطن ، والنسا في الفخـذ ، والأبجل في الرجل ، والأكحل في اليد ، والصافن في الساق .

(٣) الإست : المؤخرة : والشكائم : جمع شكيمة وهي من اللجام الحديدة المعترضـة في فم الفرس .

(٤) العسب : ماء الفحل . والعتود التيس ، أو الجدي ، الذي بلغ السفاد .

(٥) ديوان المنثور : من مؤلفات الزمخشري صاحب هذا الكتاب . راجع مقدمتنا في مطلع الجزء الأول .

٢٢ ـ إسحاق بن حسان في الثور :

وأغلب فضفاض جلد اللبان يدافع غبغبه بالوظيف[١]

٢٣ ـ شاة سعيد مثل في الهزال ، وهي شاة أهداها سعيد بن أحمد إلى الحمدوني ، فنثر فيها كنانته[٢] ، منها قوله :

يقول لي الأخوان حين طبختها أتطبخ شطرنجاً عظاماً باللّحم

وكذلك شاة منيع ، وهي شاة جار لمحمد بن بشير عبثت ببستان له في منزله ، فوصفها بجميع أوصاف الرداءة .

٢٤ ـ أبو أيوب كنية الجمل ، كني بذلك لصبره على البلاء . قال ابن الرومي في أبي أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر وكان قد مدحه فلم يجزه :

يا أبا أيوب هذي كنية من كنى الأنعام قدماً لم تزل
ولقد وفق من كناكها وأصاب الحق فيها وعدل
أنت شبه للذي تكنى به ولبعض الخلق من بعض مثل
قد قضى قول لبيد بيننا إنما يجزى الفتى ليس الجمل

٢٥ ـ عمر بن نَصر القصافي التميمي :

خوص نواج إذا صاح الحداة بها رأيت أرجلها قدام أيديها

٢٦ ـ قال دعبل : قال القصافي الشعر ستين سنة فلم يعرف له إلا هذا البيت .

٢٧ ـ الجاموس أجزع خلق الله من عض جرجسة وبعوضة ، وأشده

---

(١) اللبان : الصدر . والغبغب والغبب: الجلد الذي تحت الحنك . وقيل : الغبب للبقر والشاء وهو ما تدلّى عند النصيل تحت حنكها ، والغبغب للديك والثور . والوظيف : مستدق الذراع أو الساق من الخيل والإبل وغيرها جمع وُظُف وأوظفة .
(٢) الكنانة :جعبة من جلد أو خشب تُجعل فيها السهام والجمع كنائن وكنانات.

هـرباً منهـا إلى الماء ، وهـو يمشي إلى الأسد رضي البـال ، رابط الجـأش ، ثابت الجنان[1] .

٢٨ ـ علي عليه السلام : إنمـا مثلي ومثـل عثمـان كمثـل أثـوار كن في غيضـة[2] ، أسـود وأحمـر وأبيض ومعهن أسـد ، فكـان إذا أراد واحـداً منهن اجتمعن عليه فلم يطقهن . فقـال للأسـود والأحمر : إن هـذا الأبيض يفضحنا في غيضتنا بياضـه فخلّيا عني آكله ، ففعـلا ، فلم يلبث أن قال لـلأسود : إن هـذا الأحمـر يفضحنـا فلو خليتني آكله ، فخـلاه . ثم قـال لـلأسـود : إني آكلك ، قـال : خلني أصوّت ثـلاثة أصـوات ، فصاح ثـلاثـاً : ألا إنمـا أكلت يوم أكل الأبيض . ألا إنما دهيت يوم قتل عثمان .

٢٩ ـ كان لأبي الدرداء جمل اسمه دَمَون ، فكان إذا أعاره لأحد قال : لا تحملوا على جملي إلا كذا فإنمـا يطيق ذلـك ، فلما حـان قال : لا تحملوا على جملي إلا كذا فإنما يطيق ذلك . فلمان حان ما تطيق .

---

(١) الجنان : القلب .

(٢) الغيضة : المكان الكثير الشجر .

الباب الرابع والتسعون

الوحوش من السباع وغيرها، وذكر أحوالها، وما يصطاد منها ويتألف، وما أشبه ذلك

١ ـ لما تلا رسول الله ﴿والنجم وما هوى﴾[1] قال عتبة بن أبي لهب: كفرت برب النجم. فقال ﷺ: سلّط الله عليك كلباً من كلابه. فخرج مع أصحابه في عير إلى الشام، حتى إذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد، فجعلت فرائصه ترعد، فقالوا: من أي شيء ترعد فرائصك؟ فوالله ما نحن وأنت إلا سواء، فقال لهم: إن محمداً دعا علي، ولا والله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد. ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه، ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا. فجاء الأسد يهمس يستنشي رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فضغمه ضغمة كانت إياها. فسمع وهو بآخر رمق يقول: ألم أقل لكم أن محمداً أصدق الناس.

٢ ـ دخل أبو زبيد الطائي على عثمان رضي الله عنه، فقال: من أين؟ فقال: خرجت في صبابة من أفناء قريش وقبائل العرب ذوي شارة حسنة، ترتمي بنا المهاري بأكسائها القيروانات، على فتو البغال عليها العبدان تقود جياد الخيل، نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام.

---

(١) سورة النجم، الآية: رقم ١.

فـاخـروط بنـا السيـر في حمّـارةَ القيظ ، حتى إذا عصبت الأفـواه ، وذبلت الشفاه ، وسالت الميـاه ، وأذكت الجوزاء العـزاء ، وذات الصيهد[١] ، وصـر الجندب ، وضاف العصفـور الضب في وجاره[٢] ، قـال قائلنـا : أيها الـركب غـوروا بنـا في صنـوج هـذا الـوادي ، فـإذا واد قـد بـدا عن يميننـا ، كثيـر الدغل ، دائم الغلل ، أشجاره مغنة ، وأطياره مرنـة[٣] ، فحططنـا رحالنـا في أُصـول دوحات كنهيـلات متهدلات ، فـأصبنا من فضـلات المزاود وأتبعنـاهـا بالماء البارد . فإنَّا لنصف حر يـومنا ومصـاولته ومطاولته إذ صـر أقصى الخيل بأذنيه ، وفحص الأرض بيـديه ، ثم مـا لبث أن جال فـال ، وفعل فعله الـذي يليـه واحداً إثـر واحد ، فـارتـدّت الخيـل وتقهقـرت البغـال ، وتكعكعـت[٤] الإبـل ، فمن نافض لشكـاله ، ونـاهض بعَقالـه ، فعلمنا أن قـد أتينـا ، وأنـه السبع ، ففزع[٥] كل منا إلى سيفـه فاستله من جـربانـه ، ثم وقفنا لـه رزدقاً ، فأقبل يتطالع في مشيتـه كأنـه مجنوب في هجـار ، لبلاعيمـه غطيط ، ولصـدره نحيط ، ولطـرفـه وميض ، ولأرسـاغه نقيض ، كـأنـه يحبط هشيمـاً ، أو يـطأ صريماً . وإذا هامة كالمجن ، وخد كـالمسن ، وعينان سجـروان[٦] ، كأنهمـا سـراجـان يتّقـدان ، وكتـد مغبط ، وزور مفـرط وقصـرة ربلة[٧] ، ولهـزمـة[٨] رهلة ، وعضد مفتول ، وساعد مجـدول ، وكف خشنة البـراثن ، إلى مخالب كـأنها المَحـاجن[٩] . ثم كشر فـأفرج ، وزأر فـأرهج ، ونهم فبـربـر ، ونحط

---

(١) الصيهد : شدّة الحرّ ، وقيل : السراب ، وقيل : الفلاة التي لا يُنال ماؤها .

(٢) الوجار : بيت الضب . والضب : حيوان من الزحافات شبيه بالحرذون ذنبه كثيـر العقد والجمع أضُب وضباب وضِباب ومضبّة .

(٣) الأطيار المرنّة : المصوّتة .

(٤) تكعكعت الإبل : ضعُفت وجبُنت .

(٥) فزع إلى السيف : لجأ إليه واحتمى به .

(٦) العينان السجروان : اللتان تقدحان شرراً . وسجر : أشعل . يقال : سجر التنّور .

(٧) الربلة : أصول الأفخاذ .

(٨) اللهزمة : عظم ناتىء في اللحي تحت الأُذن ، وهما لهزمتان والجمع لهازم .

(٩) المحجن : العصـا المنعطفـة الرأس أو كـل معطوف الـرأس على الأطـلاق . ومحجن الطائر : منقاره والجمع محاجن .

فجرجو ، فاستقدم تخال البرق تتطاير من خلال جفونه ، من عن شماله ويمينه ، فلا وذي بيته في السماء ، ما اتقيناه إلا بأخ لنا من فزارة ، ضخم الجزارة ، فوقصه وقصةً مفظعة ، فتفضفض متنه ، وبقر بطنه ، وجعل يلغ في دمه .

فذمرت أصحابي ، فبعد لأي ما أجابوا ، فهجهجنا به ، فكر مقشعراً زئيره ، كأن به شيهماً حولياً ، فاختلج من دوني رجلاً أعجز ذا حوايا ، فنفضه نفضة تزايلت منها الأوصال ، فأرعشت الأيدي ، واصطكت الأرجل، وانخزلت المتون ، ولصقت البطون وساءت الظنون ، هناك ابتلى المؤمنون ، ثم قال :

عبوس شموس مصلخد مكابر	جريء على الأقران للقرن قاهر[1]
براثنه شثن وعيناه في الدجى	كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر[2]
يدل بأنياب حداد كأنها	إذا قلص الأشداق عنها خناجر

فقال عثمان : أسكت ، أسكت الله نأمتك ، فقد خشيت أن يثب عليَّ .

٣ ـ عارض أسد رفقة، فخرج إليه رجل فاختطفه وبرك عليه ، فهاجوه ثم قالوا للرجل : ما حالك ؟ قال : لا بأس علي ، ولكن سلح الأسد في سراويلي .

٤ ـ قد يجيء الأسد إلى قلس[3] السفينة بالليل فيتشبث به ، فيحسب الملاحون أنه التف على شجرة أو صخرة ، فيذهب المداد ليخلّصه ، فيتمدد الأسد ويلتصق بالأرض ويغمض عينيه ليخفي وميضهما . فإذا دنا وثب عليه

---

(١) مصلخد: عبوس شرس مكابر . والقرن : نظيرك في الشجاعة ، ومن يقاومك والجمع أقران .

(٢) البراثن الشثنة: الغليظة . وفي صفته صلى الله عليه وآله وسلم : شثن الكفّين والقدمين أي أنهما تميلان إلى الغِلظ والقِصر . والغضا : شجر يطول حجره حتى ينطفىء .

(٣) قلس السفينة : حبلها الطويل الضخم والجمع قلوس وأقلاس .

فحطمه ، فلا يكون للملاحين هم إلا العبور والفرار .

٥ ـ بنو أسد حراص على أكل الكلاب ، وقد أكل أسدي جرو كلب ، فقيل له : أتأكل الكلب وقد قيل فيكم :

إذا أسدي جاع يوماً ببلدة وكان سميناً كلبه فهو آكله

فقال :

رضينا بحظ الليث طعماً وشهوةً فسائل أخا الحلفاء إن كنت لا تدري[1]

وذلك أن الأسد أحرص شيء على لحم الكلاب ، وقيل لا يحرص على أكل الكلاب حباً للحمه ، ولكنه يقصد القرية أو الصرم ليتطرف من النعم ، فتنبح الكلاب فتهيج الناس ، فيحرص عليها حنقاً وغيظاً .

٦ ـ الأسد لا يدنو من النار ، ولا يأكل الحار ولا الحامض وكذلك أكثر السباع .

٧ ـ وتقول الروم : إن الأسد يذعر من صوت الذئب ، ولا يدنو من المرأة الطامث ، وهو قليل الشرب للماء . وثلاثة من الحيوان ترجع في فيئها ، الأسد والكلب والسنور ، وأربع أعين تضيء بالليل . عين الأسد والنمر والسنور والأفعى .

٨ ـ السباع العادية تصاد بالمغويات وهي آبار تحفر في أنشاز من الأرض ، ولذلك يقال : قد بلغ السيل الزبى .

٩ ـ الأسد والنمر متعاديان ، وأما الببر فلا يعادي واحداً منهما لسلامة ناحيته وقلة شره ، وهما لا يعرضان له لما يعرفان من عجزهما عنه .

١٠ ـ الهند أصحاب الببور والفيل ، كما أن النوبة أصحاب الزرافات دون غيرهم من الأمم . وأهل غانة تكثر النمور في بلادهم ، ولذلك كان

---

(١) الحلفاء : نبت أطرافه محدّدة كأنها سعف النخل والخوص ينبت في مغايض المياه . الواحدة حلفة وحلفاء .

لباسهم جلود النمور .

١١ ـ أشراف السباع ثلاثة الببر والأسد والنمر ، وأشراف البهائم ثلاثة الكركدن والفيل والجاموس .

١٢ ـ الأسد يأكل الملح على سبيل التملّح والتحمض كالفرس . لا شيء أشد حضراً من الأسد يمشي ثلاثين فرسخاً في ليلة لطلب الملح .

١٣ ـ شاعر :

الليث ليث وإن جُزَّت براثنه　　والكلب كلب وإن طوقته ذهبا

١٤ ـ الذئب يأتي الجمل فيقبض بفقميه[1] على حجامي عينه فيلحس عينه بلسانه حاسياً فكأنما قورت عينه تقويراً لما أعطي من قوة النفس ، ولسانه أشد برياً للحم والعصب من لسان البقر للخلي . وليس في الأرض يعض على عظم إلا ولتكّسر العظم صوت بين لحييه إلا الذئب، فإن لسانه يبري العظم بري السيف ولا يسمع له صوت . كما قال الزبير بن عبد المطلب :

وينهي نخوة الجهال عني　　غموض الحد ضربته صموت

وفي أمثالهم : ضربه ضربة كأنما أخطأه ، يريدون سرعة المر .

١٥ ـ إذا دمي الذئب وثب عليه صاحبه فأكله . وربما رأيت الذئبين متساندين على من يتعرضان له ، فإذا أصاب أحدهما خدشة أنحى عليه صاحبه وترك التعرض له .

١٦ ـ وإذا دمي الإنسان فشم الذئب منه رائحة الدم ، لم ينج منه ، وإن كان أشد الناس قلباً وأتمهم سلاحاً .

١٧ ـ والببر إذا دمي استكلب حتى خافه السباع .

---

(١) الفقم : طرف خطم الكلب أو الجمل ، وهو أيضاً اللحيُ .

١٨ ـ والحية إذا خدشت طلبها الذر[١] فلا تكاد تنجو منه .

١٩ ـ وإذا عض الإنسان الكلب طلبه الفأر فبال عليه ، وفيه هلكته ، فيحتال له بكل حيلة وإذا أغد[٢] البعير طلبته القردان .

٢٠ ـ في صفة الذئب :

هو الخبيث عينه فزاره ... أطلس يخفي شره غباره
في رأسه شفرته وناره ... بهما بنو محارب مزداره

٢١ ـ حميد بن ثور :

ترى طرفيه يعملان كلاهما ... كما اهتز عود الساسم المتتابع[٣]
ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي ... بأُخرى المنايا فهو يقظان هاجع

٢٢ ـ يزعمون أن النمرة لا تضع ولدها إلا وهو متطوق بأفعى ، وأنها تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل .

٢٣ ـ خلا معاوية بجارية له خراسانية ، فلما همَّ بها نظر إلى وصيفة له مقبلة ، فتركها وخلا بالوصيفة . ثم قال للخراسانية : ما اسم الأسد بالفارسية ؟ قالت : كفتار . فخرج وهو يقول : أنا الكفتار . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، الكفتار الضبع ، فقال : قاتلها الله ! أدركت ثأرها . والفرس إذا استقبحت صورة قالت : روى كفتار .

٢٤ ـ كتب عمر بن يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة بن مسلم حين

---

(١) الذرُّ : صغار النمل .

(٢) غد البعير وأغدّ : عضب حتى صار ذا غدّة فهو مغدّ .

(٣) الساسَمُ : شجر أسود . وقيل هو الآبَنُوس . وقيل : هو شجر تُتّخذ منه السهام ، قال النمر بن تولب :

إذا شاء طالع مسجورةً ... ترى حولها النّبعَ والساسما

قال أبو حنيفة : هو من شجر الجبال وهو من العُتُق التي يَتّخذ منها القسيّ . وزعم آخرون أنه الشيز .

عـزل وكيع بن أبي سـود عن رئاسـة بني تميم وولاهـا ضـرار بن حصين الأسدي : عزلت السباع ووليت الضباع .

٢٥ ـ سئل أبو هريرة عن الضبع ، فقال : الفرغل ؟ تلك نعجة من الغنم . يعني أنها حلال الأكل ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله . وعند أبي حنيفة لا تحل لأنها سبع كالذئب .

٢٦ ـ زعموا أن الطبع تكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى .

٢٧ ـ لا يعرف الإلتحام عند السفاد إلّا في الكلاب والذئاب . وإذا هجم الصائد على الذئب والذئبة متسافدين قتلهما كيف شاء .

٢٨ ـ وحدث الجاحظ عن أحمد بن المثنى قال: كنت في بعض صحاري جوخى[١] إذ عرض لي ذئب فلم يزل يراوغني حتى ديرني وأيقنت بالهلكة ، إذا ذئبة مستسفدة[٢] ، فما تلعثم أن ركبها وتركني . فلما تلاحما مشيت إليهما بسيفي حتى قتلتهما ، وكان ذلك من صنع الله تعالى وتأخر الأجل .

٢٩ ـ قال المنتجب محمد بن أرسلان في صفة أهل الزمان :

هُمُ ما هم سباع ضاريات ... وتأبى أن تشاكلها السباع

فأجابه عبد الله الفقير إليه[٣] :

هُمُ شرّ السباع فلا ذئاب ... مكلحةُ الوجوه ولا ضباع

هُمُ ضرر أناخ بغير نفعٍ ... عليك وربما نفع السباع

معلمها يحوش عليك صيداً ... ونفسك بينهم صيد شعاع

---

(١) جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، بالجانب الشرقي منه الراذانان، وهو بين خانقين وخوزستان ، قالوا : ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخى، كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم حتى صرفت دجلة عنها فخربت وأصابهم بعد ذلك طاعون شيرويه فأتىٰ عليهم .

(٢) ذئبة مستسفدة: أي طالبة السّفاد . وسفد الذئب الذئبة : نزا عليها .

(٣) قوله : عبد الله الفقير إليه : أراد نفسه ، أي الزمخشري صاحب هذا الكتاب .

فيـا نهشاً بـأنيابٍ وفـرسـاً　　تحلّم عنـده العُبس الجيـاع

٣٠ ـ الأسـد لا يثب على الإنسـان للعـداوة ولكن للطعم ، ولـو مـر بـه وهو شبعان لم يعرض له .

٣١ ـ الفهـد أنوم الخلق ، وأمـا الكلب فنـومـه نعـاس ، ونـومـة الفهـد مصمت ، قال حميد بن ثور .

ونمت كنـوم الفهـد عن ذي حفيـظة　　أكلت طعـامـاً دونـه وهـو جـائـع

٣٢ ـ ويقـال إن السبـاع تشتهي ريحـه تستـدل بـريحـه على مكـانـه ، وتعجب بصـوته فتصغي إليـه إصغاء شـديداً . وقـد علم شهـوة الأسـد والنمـر السباع لريحه فلا يكون على علاوة الـريح . وإذا اصـطيد مسنـاً كان أنفـع في الصيـد لأهله من الجرو الـذي يـربـونـه . لأن الجـرو يخـرج خبـاً ، ويخـرج المسن على التأديب صيوداً غير خب ولا مواكل .

٣٣ ـ وتعتقد العامة أن الفهود مسخ اليهود ، والصبيـان يصيحون بـالفهد يا يهودي . والصائد يشـد وراءه شداً حتى ينبهـر ويحفى فيأخـذه . فإذا أخـذه غـطى عينيه وأدخله في وعـاء ، ثم أدخله بيتاً مـظلماً ووضـع عنده مصبـاحاً ، ولازمه الليل والنهار ، ولم يدعه يرى الدنيا ، وهيـأ شيئاً كـظهر الـدابة وأخـذه بركبوبه . وأطعمه بيـده حتى يستأنس . وإنـاث الفهود أصيـد ، وكذلـك إناث عامة الجوارح .

٣٤ ـ الثعلب يعلم أن تمـاوتـه يجـوز على الصـائـد ولا يجـوز على الكـلاب فإذا أحس بصـائد استلقى ونفـخ خـواصـره حتى لا يشـك أنـه ميت فيجـوزه ، فإذا أحس بـالكلب وثب كـأنـه البـرق ، لأن الكلب لا يخفى عليـه الميت من المغشي عليـه من المتمـاوت ، ولـذلـك لا يحمـل من مـات من المجوس إلى الناووس حتى يدني منه كلب فيعمل ما يستدل به على حاله .

٣٥ ـ وقـد يتماوت الكلب ، قـال بعضهم : رأيت جرواً مهـزولاً ضـربـه الصبيـان وعقروه ، فتمـدد لهم كالميت ، فضـربوه بـأرجلهم فلم يتحـرك حتى

أيقنوا بالموت فخلوه . فنظرت فإذا هو قد فتح عينيه وتأمل ، ثم وثب وهرب .

٣٦ ـ وسِلاح الثعلب سُلاحه[١] ، وهو أنتن من سُلاح الحبارى[٢] ، فإذا تعرض للقنفذ ، ولقيه شوكه واستدار كالكرة سلح عليه ، فانسدخ مما يغشى عليه من نتن سُلاحه ، فعندها يقبض على مراق بطنه .

٣٧ ـ وإذا كثرت البراغيث في فروة الثعلب تناول بفيه صوفة ، ثم يدخل في الماء قليلاً قليلاً . والبراغيث ترتفع إلى أن يغمس خطمه ، فتجتمع في الصوفة ، ثم يرميها في الماء ويثب إلى الشط .

٣٨ ـ ربما كانت الأرض ملبسة بالجليد ، مغطَّاة بالثلج ، والكلّاب العاقل المجرب لا يدري أين مكان الوحش ، فلا يزال يتبصر ويتشمم حتى يقف على أفواه الحجرة ويثير الذي فيها .

٣٩ ـ أبو عبيدة : خرج رجل إلى جبانة بلده مع أخيه وجارٍ له ينتظر الرفاق وتبعه كلب له . فضربه ورماه بحجر فلم ينته ، فلما قعد ربض بين يديه ، وجاء عدو له يطلب بطائلة ، فجرح جراحات ، وطرح في بئر قريبة القعر ، وحُثي عليه التراب ، وقد فر أخوه وجاره ، والكلب ينبح حوله . ثم أتاه عند انصراف العدو وكشف التراب عن رأسه حتى تنفس ، ومر ناس فاستشالوه وأدوه إلى أهله ، وسمي الموضع ببئر الكلب ، وقيل في ذلك :

يعود عنه جاره وشقيقه ... وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

٤٠ ـ اقتنى رجل جرواً ثم غاب عنه سنة ورجع وهو كلب شاغر ، فعرفه وتبصبص حوله ، وصاح صيحة السرور بقدومه ، وكان يثب على كل أحد ويتوعده ، وقد زجره صاحبه عن صديق له ثلاث مرات ، فاستثناه بعد

---

(١) سُلاح الثعلب (بالضمّ) سلحه (الغائط ، البراز) .

(٢) الحبارى : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً يضرب به المثل في البلاهة والحبارى أنواع كثيرة والجمع حبارات .

ذلك عن الناس فلم يهر عليه .

٤١ ـ الكلبة تحيض في كل سبعة أيام ، وأكثر ما تضع اثنا عشر جرواً وذلك في القرط ، والغالب خمسة أو ستة ، وربما وضعت واحداً .

٤٢ ـ ويعيش الكلب في الأكثر أربع عشرة سنة ، وربما بلغ عشرين سنة . وللكلب ثلاثة أصناف من المرض : الكَلَب ، والذبحة ، والنقرس . ويكنى أبا خالد ، قال ابن الرومي :

أخالد لا تكذب فلست بخالدٍ بزعمك بل أنت المكنى بخالد
وللكلب خير منك لؤمك شاهدي عليه وما دهري بإبعاد شاهدي

٤٣ ـ آخر :

هو الكلب إلا أن فيه ملالةً وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

٤٤ ـ كان يقال لمالك بن مسمع ابن قتيل الكلاب لأن أباه مسمع بن سنان لجأ في الردة إلى قوم من عبد القيس ، فكان كلبهم ينبح ، فخاف أن يدل على مكانه فقتله ، فقتل به .

٤٥ ـ قال بعضهم[١] :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتّقي مربض المستأسد الحامي

٤٦ ـ وعن عمر بن أبي ربيعة أنه عرض لبعض الحواجّ ، فلما أرادت الطواف استصحبت أخاً لها فتمثّلت به .

---

(١) في الأغاني (١ : ٨٨ بتحقيقنا) أن قائل هذا البيت هو النابغة المتوفى سنة ١٨ قبل الهجرة ، ونحن نشك في أن يكون له لأنه لم يرد في ديوان شعره وإنما نسب إليه في كتاب «العقد الثمين» وروايته فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستنفر الحامي

وورد في كتاب «شرح الأشعار» كالآتي :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتّقي صولة المستأسد الحامي

والصولة : الوثبة .

٤٧ ـ يقال : عليه واقية كواقية الكلاب للّئيم تطول سلامته ، قال دريد ابن الصمة حين ضرب امرأته بالسيف فسلمت :

وأبقاهن أن لهنّ لؤماً ووافية كواقية الكلاب

٤٨ ـ محمد بن الجهم : دعاني المأمون يوماً فقال : قد نبغ لك أخ بقول الشعر فأنشدني له ، فلم أذكر ألا قوله في الكلب :

أوصيك خيراً به فإن له سجية لا أزال أحمدها
يدل ضيفي علي في غسق الليـ ـل إذا النار نام موقدها

فقال : أحسن الموصي بالكلب ، وأمر لي بمال .

٤٩ ـ وكانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ، وهادي الضمير ، وداعي الكرم ، ومتمم النعم ، ومشيد الذكر ، لما يجلب من الأضياف بنباحه . والضمير الضيف الغريب ، من أضمرته البلاد إذا غيبته . وكانوا إذا اشتدّ البرد وهبت الرياح ولم تثبت النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي ، وجعلوا لها مظال وربطوها إلى العمد لستوحش فتنبح فتهدي الضلّال .

٥٠ ـ وصف للمتوكل كلب بأرمينية يفترس الأسد ، فأرسل من جاء به . فقال له الطريحي . يا أمير المؤمنين ، هنأك الله بما خصك به من نيل مباغيك ، وإدراك محابيك ، فما شيء يصغر مع طلب أمير المؤمنين عن أن يهنأ به ، أو يرغب إلى الله في زيادته .

فقال المتوكل : هو لك جزاء عن هذه التهنئة ، فبعه مني بحكمك . فباعه منه بألفي دينار . فألقاه على أسد فتواثبا وتناهشا حتى وقعا ميتّين .

٥١ ـ كلب القصاب يشبه به الفقير يجاور الغني ، فيرى من نعيمه وبؤس نفسه ما يفت كبده ، ويقال : كلاب القصابين أسرع عمى من غيرها بعشر سنين .

٥٢ ـ خرج المهدي يوماً يتصيّد فصاد ظبياً ، ورمى علي بن سليمان

فأصاب كلباً ، فضحك المهدي ، وقال لأبي دلامة : قل . فقال :

قد رمى المهدي ظبياً رمية شك فؤاده
وعلي بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل امـ ـرىء يأكل زاده

فأمر له بعشرة آلاف .

٥٣ ـ شاعر :

تخيرت من الأخلا ق ما ينفي عن الكلب
فإن الكلب مجبو ل على النصرة والذب
وفي يحفظ الدا ر وينجيك من الكرب
فلو أشبهته لم تـ ـك طاعوناً على القلب

٥٤ ـ كان لأعرابي بنيان ، أحدهما مستهتر بالكلاب والثاني بالحملان ، فقال :

مالي أراك مع الكلاب جنيبة وأرى أخاك جنيبة الحملان

فأجابه :

لولا الكلاب وهرشها من دوننا كان الوقير فريسة الذؤبان

٥٥ ـ قيل لرجل : ما بال الكلب يشغر[1] إذا بال ؟ قال : يخاف تتلوث دراعته[2] . قيل : أو للكلب دراعة ؟ قال : هو يتوهم أنه بدراعة .

٥٦ ـ الخنزير يحتمل من السهم النافذ والطعن الجائف ما لا يحتمله غيره . والخنفساء في ذلك أعجب . وكذلك الضب .

٥٧ ـ رأى أحدهم أثر ست أرجل في مواضع كثيرة ، فقال : ما أعرف

---

(١) شغر الكلب : رفع رجله وبال .
(٢) الدراعة : هي جبّة مشقوقة المقدم .

دابة لها ست أرجل ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : إن الخنزير يركب الخنزيرة وهي ترتع ، فربما قطعت أميالاً ويداه على ظهرها ورجلاه خلف رجليها .

٥٨ ـ المهاجر بن حبيب يكره الضحك في موطنين : عند اطلاعك في القبر فإنه مدخل عظيم ، وعند رؤية القردة لأنهم كانوا عباداً لله فمسخوا .

٥٩ ـ التفت ابن الرومي يوماً إلى أبي الحسن الأخفش وهو يحكي مشيته ، فقال :

هنيئاً يا أبا حسنٍ هنيئاً بلغت من الفضائل كل غاية
شركتِ القرد في قبحٍ وسخفٍ وما قصرت عنه في الحكاية

ـ وله :

ليتهم كانوا قروداً فحكوا شيم الناس كما تحكي القرود

٦٠ ـ الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز فيصعد ويرمي بالجوز إليها إلى أن تشبع ، وربما قطع من الشجرة الغصن العبل الضخم الذي لا يقطع إلا بالفأس والجهد ، ثم يشد به على الفارس فلا يصيب منه شيئاً إلا هتكه .

٦١ ـ الدبة تضع ولدها كندرة لحم غير متميزة الجوارح . فهي تخاف عليه الذر ، فلا تزال رافعة له في الهواء أياماً حتى يشتد وتفرج أعضاؤه.

٦٢ ـ الوعل يأكل الحيات والأفاعي أكلًا ذريعاً ، وقد يجد القناص رؤوسها ناشبة الأسنان في عنقه وجلد وجهه ، لأنه إذا هم بأكلها بدرته فعضته وهو يأكلها ، فتبقى الرؤوس معلقة به . ويصيبه العطاش العظيم عند أكلها .

٦٣ ـ وعن داوُد عليه السلام : شوقي إلى المسيح مثل الأيّل الذي أكل الحيات فاعتراه العطش الشديد ، تراه كيف يدور حول الماء .

٦٤ ـ وليس من الدواب شيء ينصل قرنه كل عام إلا الوعل ، فإذا علم أنه غير ذي قرن عديم السلاح لم يظهر مخافة السباع . فإذا نجم قرنه لم يجد بداً من أن يمضغه ويعرضه للشمس والريح . فإذا اشتد ظهر .

ويبقى في مكان واحد إلى أن يشتد قرنه يركبه الشحم ويسمن فيكثر من الجولان والتردد حتى يذهب شحمه ويشتد لحمه ، ويحتال في التحفظ من السباع عند ذلك . فإذا كان صدعاً برز وأمن . قال عصام بن زفر :

ترجو الثواب من صبيح يا جمل قد مصه الدهر فما فيه بلل
إن صبيحاً ظاعن محتمل فلائذ منك بشعب من جبل[١]
كما يلوذ من أعاديه الوعل

٦٥ ـ أحضر جعفر بن سليمان على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد ألبان الظباء وزبدها وسلاها[٢] ولبأها[٣] ، فاستطاب الرشيد طعومها ، فسأل عنها ، فأمر جعفر غلمانه فأطلقوا عن سرب من الظباء ومعها الخشفان[٤] حتى مرت تجاه الرشيد ، فاستخفه الفرح والتعجب ، فقال جعفر : هي من حلب هذه الظباء . وكان جعفر قد أخذها وهي صغار فرباها حتى تناتجت عنده .

٦٦ ـ والظبي يخضم[٥] الحنظل خضماً ويمضغه وماؤه يسيل من شدقيه ، وأنت تتبين فيه الاستلذاذ والاستحلاء لطعمه ، ويرد البحر فيشرب الماء الإجاج، كما تغمس الشاة لحيها[٦] في الماء العذب. فأي شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل ؟ .

---

(١) الشِعب : الطريق في الجبل .
(٢) السّلاء : السّمن .
(٣) اللبأ : أول النتاج من اللبن بعد الولادة .
(٤) الخشف : ولد الظبي أول ما يُولد والجمع جِشَفَة وخشفان .
(٥) يخضم الحنظل : يقطعه . والحنظل : نبات مرّ الطعم .
(٦) اللحي : عظم الحنك الذي عليه الأسنان . وقيل : منبت اللحية .

٦٧ ـ أنشد الجاحظ :

إذا ابتدر الناس المعالي رأيتهم ... قياماً بأيديهم مسوك الأرانب

أي لا كسب لهم إلا صيد الأرنب وبيع جلدها .

٦٨ ـ يقال للأرنب مفزعة الجن . أي أنها تحيض فلا يقربها . ومن شأنها إذا طلبت أن تقلب أكفها فتطأ على مآخيرها لئلا يقتص أثرها . وهو توبيرها ، يقال : وبرت الأرنب ، وهو من الوبر ، لأنها تمشي على وبر أكفها .

٦٩ ـ يقال للسنور أبو سعد ، وعطسة الأسد . لأنهم يزعمون أن أصحاب السفينة تأذوا بالفأرة ، فأخرج الله من عطسة الأسد السنور فأفناه .

٧٠ ـ الهر يجمع العض بالناب والخمش بالمخالب ، لأنه يجمع الأنياب والمخالب . وليس كل سبع كذلك . وهو يناسب الإنسان فيعطس ، ويتمطى ، ويغسل وجهه بلعابه ، ويلطع وبر ولده حتى يصير كأن الدهن يجري في جلده .

٧١ ـ السنانير يترددن صارخات في طلب السفاد ، فكم من حرة خجلت ، وذي غيرة هاجت حميته ، وعزب حرك منه شبقه. والسنور يألف الدار . والكلب يألف أهل الدار . وهو ضعيف الهامة وهي من مقاتله ، وفوه كفم الكلب ، وهو طيب النكهة . والفتيات يقبلن السنانير ويخبرن عن طيب أفواهها .

٧٢ ـ قال السندي بن شاهك : ما أعياني أحد من التجار إلا باعة السنانير يأخذون السنور الأكال للفراخ ، العباث في الطيور ، الوثاب على الأقفاص ، فيدخلونه في دن ويشدون رأسه ، ثم يدحرجونه حتى يغلبه الدوار ، ثم يدخلونه في قفص فيه الطير ، فإذا رآه المشتري رأى شيئاً عجباً ، وظن أنه ظفر بحاجته . فإذا مضى به إلى البيت تبين أنه اشترى شيطاناً يأكل طيره وطير جيرانه ، ولا يبقى ولا يذر .

٧٣ ـ وزعموا أن كل من أكل هراً أسود لم يعمل فيه سحر . وزعموا أن السكينة التي في تابوت موسى رأس هرّ .

والهرة تحمل خمسين يوماً .

٧٤ ـ سنور عبد الله مثل في مرجو في صغره فإذا شب تراجع . ومن أمثال العامة : السنور في صغره يباع بدرهم فإذا كبر بيع بثلث درهم .

٧٥ ـ قال بشّار :

كسنور عبد الله بيع بدرهمٍ ... صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط

٧٦ ـ أبو بكر العلاف في مرثية الهر :

يا من لذيذ الفراخ أوقعهُ ... ويحك هلا قنعت بالغدد
أطعمك الغي لحمها فرأى ... قتلك أرباً بها من الرشد
ولم تزل للحمام مرتصداً ... حتّى سقيت الحمام بالرصد
ما كان أغناك عن تسوّرك ... البرج ولو كان جنة الخلد
لم يرحموا صوتك الضعيف ... كما لم ترث منها لصوتها الغرد
أذاقك الموت من أذاق كما ... أذقت أطياره يداً بيد
لا بارك الله في الطعام إذا ... كان هلاك النفوس في المعد
عاقبة البغي لا تنام وإنْ ... تأخرت مدة من المدد
كم أكلة أدخت حشا شرهٍ ... فأخرجت روحه من الجسد
إن الزمان استفاد منك ومن ... يظلم بعين الزمان يستفد

٧٧ ـ قد جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور والوحشة منه . وحكي عن هارون مولى الأزد ، الذي كان يرد على الكميت[1] ويفخر بقحطان وكان شاعر أهل المولتان[2] ، أنه خبأ معه هراً تحت حضنه ،

---

(١) الكميت : هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، أبو المستهل ، شاعر الهاشميين . توفي سنة ١٢٦ هـ . والكميت ثلاثة : الكميت بن ثعلبة ، والكميت بن معروف ثم الكميت بن زيد وكلّهم من بني أسد .

(٢) المولتان : بلد في بلاد الهند على سمت غزنة ، به صنم تعظمه الهند وتحجّ إليه . راجع التفاصيل في معجم البلدان ٥ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

ومشى بسيفه إلى الفيل والسيف في خرطومه ، والفيالـون يذمرونه ، فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه ، ففر هرباً وتساقط الذين على ظهره ، وكبر المسلمون ، وكان سبب الهزيمة .

٧٨ ـ الفيلة تضع لسبع سنين ولداً مستوي الأسنان ، فيحتالون لأخذ ذلك الولد ، فيعيش عندهم ثمانين سنة إلى المائة ، وعمر الوحشية أطول .

٧٩ ـ وإذا احتمت المرأة من نجوها مع العسل لم تحبل أبداً ، وإذا علق على شجرة لم تحمل في تلك السنة .

٨٠ ـ ويزعمون أن الغوغاء إذا صاحوا بها : يا حجام بابك ! غضبت وركلت الصائح ، ولا غرو أن تفهم ذلك كما يفهم كثير من الحيوان اسمه وما يخاطب به .

٨١ ـ ويعملون من جلد الفيل ترساً ، فيكون أصلب من كل ترس .

٨٢ ـ طرف لسان الفيل إلى داخل ، وأصله إلى خارج ، بخلاف جميع الحيوان . وتقول الهند لولا أن لسان الفيل مقلوب لتكلم إذا لُقِّن .

٨٣ ـ لا ثدي لحيوان في صدره إلا الإنسان والفيل .

٨٤ ـ والفيل أضخم الحيوان وأعظمه جرماً ، وما ظنّك بخلق ربما كان في نابيه أكثر من ثلثمائة مَنٍ[١] وهو مع ذلك أملح وأظرف وأطرب من كل خفيف الجسم رشيق ، حتى فَضُل في رشاقته على الببغاء ، وهو من أعجب العجب . وربما مر الفيل مع عِظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر بوطئه ، ولا يحس بممره ، لخفة همسه ، واحتمال بعض بدنه لبعض .

٨٥ ـ أركب أبو الجلال الهدادي الفيل أيام الحجاج ، فصاح : الأرض . وأراد أن يرمي بنفسه فرقاً[٢] حتى أنزلوه ، فقال :

---

(١) إذا لم يكن في الكلام نقص هما ، فالمنّ هو كيل يساوي رطلين مثناه منوان ومنيان وجمعه أمناء وأمنٍ ومنيٍّ .
(٢) قوله : يرمي بنفسه فرقاً ، أي خوفاً .

وما كنت يوم الفيل فوق مطيةٍ ... ولكن على وطفاء جون ربابها

٨٦ ـ أنشد ابن الأعرابي :

هو البعوضة إن كلفته كرماً ... والفيل في كل أمر خالط اللوما

٨٧ ـ أنشد الجاحظ :

ولو أبصرت الستر ... لوجيهه تهاويل
وفيه الفيل منقوشاً ... وفي مشفره طول
لقالت ابعدوا الستر ... فلا يأكلني الفيل

٨٨ ـ زعم هارون مولى الأزد أنه مشى إلى الفيل ، فلما دنا منه وثب عليه وثبة فتعلق بنابيه ، والهند يزعمون أنهما قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين ، فجال به جولة كاد يحطمه ، وكان رجلاً أيّداً[1] رابط الجأش ، فاعتمد على أصول النابين فانقلعا من أصلهما ، وأدبر الفيل ، وبقي القرنان في يده ، وكانت الهزيمة . وأنشأ يقول :

ولما رأيت السيف في رأس هضبة ... كما لاح برق من خلال غمام
تغامسته حتى لزقت بصدره ... فلما هوت لازمت أي لزام
وعذت بقرنيه أريد لبانة ... وذلك من عادات كل محامي
فجال وهجيراه صوت مخضرم ... وأبت بقرني يذبل وشمام[2]

٨٩ ـ خرطوم الفيل أنفه ، وبه يوصل الطعام إلى جوفه ، وبه يقاتل ،

---

(١) الأيّد : القويّ .
(٢) هجيراه : قصاراه . ويذبل : جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها . وشمام اسم جبل لباهلة ذكره جرير في شعره فقال :

فهل نبئت عن أخوين داما ... على الأحداث إلّا ابني شمام
وإلّا الفرقدين وآل نعشٍ ... خوالد ما تحدّث بانهدام

ومنه يصيح ، وصياحه ليس في مقدار جرمه ، ويضرب به الأرض ، ويرفع به إلى السماء ، وهو مقتل من مقاتله ، وهو جيد السباحة ، وإذا سبح رفعه صعداً ، كما يغيب الجاموس جميع بدنه إلا منخريه . ويقوم خرطومه أيضاً مقام عنقه . والخرق الذي فيه لا ينفذ ، وإنما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو ماء أو لجه فيه ، لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى .

٩٠ ـ وللبعوضة خرطوم إلا أنه أجوف ، فإذا طعنت به في جلد فاسقت الدم قذفت به إلى جوفها ، فهو لها كالبلعوم .

٩١ ـ أبو الشمقمق :

يا قوم أني رأيت الفيل بعدكمُ ... فبارك الله لي في رؤية الفيل
رأيت بيتاً له شيء يحركه ... فكدت أصنع شيئاً في السراويل[1]

٩٢ ـ الزندبيل[2] مختلف فيه ، بعضهم يجعله نوعاً فيقول : الفيلة نوعان ، فيل وزندبيل ، كالبختي[3] والعربي ، والجاموس والبقر ، ويجعله بعضهم الذكر منها ، وبعضهم الأنثى ، وبعضهم العظيم منها .

٩٣ ـ إذا اغتلم الفيل لم يكن لسوَّاسه هم إلا الهرب بأنفسهم ، وربما رجع وحشياً . وقد اغتلم فيل لكسرى فلم يقم له شيء ، حتى دنا من مجلس كسرى فأمتنع عنه كل من معه إلا رجل من خواصه شد عليه بطبرزين في يده ، فضربه في جبهته ضربة غاب فيها ، فصدف عنه . فقال له كسرى : ما أنا بما وهب الله لي من الحياة على يدك بأسر مني بالذي رأيت من الجلد والوفاء ، وحين لم تخطىء فراستي فيك ، ولم يزل رأيي فيك إذا اختصصتك .

---

(١) قوله : فكدت أصنع شيئاً في السراويل : أي كاد يسلح ويتغوّط .
(٢) الزندبيل : هو الفيل والكُلثوم . (اللسان مادة زندبيل) .
(٣) البختي : الإبل الخراسانية .

٩٤ ـ الجاحظ : وقد رأيت أنا في عين الفيل صحة الفهم والتأمل ، وما شبّهت نظره إلا بنظر ملك عظيم الكبر راجح الحلم .

٩٥ ـ وقال سهل بن هارون :

إذا ما رأيت الفيل ينظر قاصداً ظننت بأن الفيل يلزمه الفرض

٩٦ ـ الفيل ضئيل الصوت ليس صوته على قدر جرمه .

٩٧ ـ وعن جابر الجعفي : رأيت الشعبي خارجاً ، فقلت : إلى أين ؟ قال : أنظر الفيل . فأتى الحيرة فنظر إليه .

٩٨ ـ كما يبصبص الكلب بذنبه إذا ألقيت إليه الكسرة كذلك الفيل إذا قدم إليه علفه تمسح وتملق .

٩٩ ـ ومن أعاجيب الفيل أن سوطه الذي يحث به ويضرب محجن[١] حديد ، أحدّ طرفيه في جبهته والآخر في يد راكبه ، فإذا أراد منه شيئاً غمزه في لحمه .

١٠٠ ـ أول شيء يؤدبون به الفيل ويعلمونه السجود للملك . خرج كسرى أبرويز لبعض الأعياد ، وقد صفوا له ألف فيل ، وقد أحدقت به وبها ثلاثون ألف فراس ، فلما بصرت به الفيلة سجدت له ، فما رفعت رؤوسها حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون .

١٠١ ـ الفيل يعرق عرقاً غليظاً غير سائل ، أطيب رائحة من المسك ، وربما وجد الناس في بيوتهم جرذاً أسود يجدون منه ريح المسك . وقيل هو الذي يخبّىء الدراهم . ولا تعرض لعرق الفيل تلك الريح إلا في بلاد خاصة .

---

(١) المحجن : العصا المنعطفة الرأس ، أو كل معطوف الرأس على الإطلاق .

١٠٢ ـ عظام الفيل كلها عاج ، إلا أن جوهر نابه أكرم وأثمن . ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الأحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله : نحن أكثر منكم عاجاً وساجاً وديباجاً وخراجاً .

١٠٣ ـ كنية الفيل أبو الحجاج ، وكانت كنية محمود فيل الحبشة أبا العباس .

١٠٤ ـ لسان الفيل صغير بالقياس إليه وقليلاً ما يدلعه .

١٠٥ ـ قال أبو علي بن سيناء : رأيت الفيل نزا[1] على الفيل بجرجانية خوارزم ، فألصق نابه بكفلها[2] واستعان به حتى علاها فضربها . ولا عادة للفيل في السفاد في غير بلاده . ومن غريب ما رأيت هناك أن الأسد المجلوبة إليها كانت تتسافد وتلد ، وكذلك الفهود .

١٠٦ ـ عنبسة الفيل النحوي سمي بذلك لأن معدان أباه كان يروض فيلاً للحجاج . فلما أنشد عنبسة هجاء جرير للفرزدق قال الفرزدق :

لقد كان في معدان والفيل زاجر   لعنبسة الراوي عليَّ القصائدا

جرى عليه النَّبَزُ[3] .

١٠٧ ـ وقيل لغيلان الراجز راكب الفيل ، ولسعدوية الطيوري عين الفيل لأن الحجاج كان يحسبهما عليه . فإذا سمي أهل البصرة إنساناً بفيل فصغروه قالوا : فيلويه ، كما يجعلون عمراً عمروية وحمداً حمدوية .

١٠٨ ـ الطرماح في صفة ثور وحش :

يبدو وتضمره البلاد كأنه   سيف على شرف يسل ويغمد

---

(١) نزا عليها : ركبها . والنزو هو السفاد .

(٢) الكفل من الدابة : العجز أو الردف والجمع أكفال .

(٣) النَّبَزُ : اللّقب والجمع الأنباز . يُقال : وتنابزوا بالألقاب : أي لّقب بعضهم بعضاً . والتنابز : التداعي بالألقاب وهو يكثر فيما كان ذماً . وفي التنزيل العزيز : **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾** .

١٠٩ ـ ابن عرس[1] صعب وحشي لا يكاد يتدرب ، وهو مع ذلك يصيد لصاحبه العصافير ، يقابل به بيت العصفور فيلج عليه فيأخذه وفراخه ولا يقتله حتى يأخذه منه ، ولا يزال كذلك ولو طاف به على ألف جحر.

١١٠ ـ القنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفاعي والحيات تعالجا بأكل السعتر البري .

١١١ ـ الكركدنة تكون نزوراً[2] ، وأيام حملها كأيام حمل الفيلة ، ولذلك قل هذا الجنس . وما من حيوان إلا وهو ناقص عند غايته النقص الفاحش .

١١٢ ـ وتزعم الهند أنه إذا كان ببلاد لم يدع فيها شيئاً من الحيوان حتى يكون بينه وبينه مائة فرسخ من جميع جهات الأرض هيبة له وهرباً منه . ويسمى الحمار الهندي . وله قرن واحد في وسط جبهته . ويزعمون أنه يخرج رأسه من بطن أمه فيأكل من أطراف الشجر ، فإذا شبع أدخل رأسه . ويزعمون أنه ربما نطح الفيل فرفعه بقرنه ، فلا يشعر بمكانه حتى يتقطع على الأيام .

١١٣ ـ قالوا في قرن الكركدن إن غلظه يبلغ شبرين ، وليس بطويل جداً ، وهو محدد الرأس شديد الملاسة في مدمج صلب لا يمتنع عليه شيء . وإذا قطعوه ظهرت في مقاطعه صور عجيبة .

١١٤ ـ إذا اجتمع في الفيل أن يكون وحشياً ومغتلماً لم يقم له شيء إلا الكركدن ، وإنه ليهجم عليه فيحجم عنه حتى تذهب عنه سكرة الغلمة فلا يطور طواره ولا يحل بأداني أرضه .

١١٥ ـ في أعلى بلاد النوبة تجتمع السباع والوحوش والدواب

---

(١) ابن عرس : دويبة تشبه الفأرة بعض الشبه أصلم الأذنين مستطيل الجسم جمع بنات عرس للمذكر والمؤنث .

(٢) امرأة نزور : قليلة الولد .

الكثيرة ، وذلك في حمارة القيظ[1] إلى شرائع المياه فيتسافدن[2] ، فمن ذلك الزرافة[3] وفلفل وقيل هي ولد النمر من الجمل .

١١٦ ـ ابن عرس أشد عداوة للفأر من السنور ، والشاة أشد فرقاً[4] من الذئب منها من الأسد والنمر والببر ، مع كون هؤلاء أقوى عليها . والحمام أفرق من الشاهين منه من الصقر والبازي .

١١٧ ـ وإذا نبح كلب على رجل بالليل وألح عليه ، ولا حارس ولا سبيل إلى الفوت ، فدواؤه أن يقعد بين يديه مستخذياً مستسلماً ، فإنه إذا رآه كذلك شغر[5] عليه ولم يهجه ، كأنه حين رآه تحت قدرته أراد أن يسمه بميسم ذل ، كما يجز الآسر ناصية الأسير[6] .

١١٨ ـ يرى الكلب العظم المدملجَ فيعلم أنه إن عضه رضه وإن ابتلعه استمرأه .

---

(١) حمّارة القيظ : وقت اشتداد الحرّ .

(٢) يتسافدن : ينزو بعضها على بعض .

(٣) الزرافة : حيوان من ذوات الظلف في حجم البعير قصير الرجلين طويل اليدين جلده مبقّع كجلد النمر وعنقه كعنق الفرس إلاّ أنه أطول وأكثر انتصاباً وله قرنان صغيران والجمع زرافيّ وزرافى وزرائف .

(٤) الفرق : الخوف .

(٥) شغر : رفع رجله وبال .

(٦) الناصية : الشعر في مقدّم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب أنهم إذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزّوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزّها يفتخر بها . وربما جُزّت ناصية الأسير شريفاً كان أو غير شريف وأُخذت للإفتخار . والعرب متفاوتون في ذلك ؟ قال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرّي أحد الأجواد في الجاهلية :

عظمت دسيقته وفضله ... جزّ النواصي من بني بدر

وقالت الخنساء مفتخرة :

جززنا نواصي فرسانها ... وكانوا يظنّون أن لا تجزّا

ومن ظن ممنّ يلاقي الحروب ... بألاّ يُصاب فقد ظنَّ عجزا

١١٩ ـ كان في بني ضبة كلب زبني يوضع السراج على رأسه ، وهو منتصب على عجب[١] ذنبه معلق يديه ، فيدعى باسمه ويلقى له اللحم فلا يتحرك ، فإذ أخذ عنه السراج وثب على اللحم ، ويعلق في عنقه المكتل[٢] وتوضع فيه الرقعة فيمضي إلى البقال ويأتي بالحاجة . ويطحنون عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضى إلى المتمعك فتمعك فيه كحمار الطحان .

١٢٠ ـ تلقح الكلبة من كلاب مختلفة الألوان ، وتأتي بالجراء على شيات مختلفة ، وتلقح أيضاً من غير الكلب ، وليس ذلك إلا لأرحام الكلاب .

١٢١ ـ أبو السري المحبي في دليل بن إسماعيل :

أيها المبتلي بحب كلاب لا يحب الكلاب غير الكلاب
لو تعريت بينها كنت منها إنما فقتها بلبس الثياب

١٢٢ ـ رفع إلى الحسن بن سهل أن الدواب وبئت ، فوقَّع : تقتل الكلاب ، فقال أبو العواذل .

له يومان من خير وشرٍ يسل السيف فيه من القراب
فأما الجود منه فللنصارى وأما شرّه فعلى الكلاب

وفرط الناس في قتلها فأكلت لحوم الدواب فكلبت على الناس ، واضطروا إلى قتلها ، وعلموا الصواب في توقيع الحسن .

١٢٣ ـ تكون بالبادية دابة من جنس السباع ، دقيقة الخطم ، على قدر ابن عرس ، تدنو من الناقة وهي باركة ثم تثب فتدخل حياءها فتندمس فيه حتى تصل إلى الرحم فتجذبها ، وتسقط الناقة ميتة . ويزعمون أنه شيطان ، وقلّ ما ترى ، واسمها العنزة .

---

(١) العجب : أصل الذنب عند رأس العصعص والجمع عجوب .

(٢) المكتل : الزبّيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب .

الباب الخامس والتسعون

دواب البحر من السمك وسائر الحيوان المختلف فيه وما وضع الله فيها العجائب

١ ـ جابر بن عبد الله : بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمر علينا أبا عبيدة نتلقّى عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء ، فيكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصيّنا الخبط[1] ثم نبلّه بالماء فنأكله . فانطلقنا على ساحل البحر ، فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر ، فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلثمائة حتى سمنا ، ولقد رأيتنا نغترف من وقب[2] عينيه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدرة[3] كالثور . ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ، ثم رجل أعظم بعير منا فمر من تحتها . وتزودنا من لحمه وسائق . فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : هذا رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟ فأرسلنا إلى رسول الله منه فأكله .

٢ ـ القرش دابة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير ، وتدع

(١) الخبط : ورق الشجر يُنفض بالمخابط.

(٢) الوقب : كل نقرة في الجسد كنقرة العين والكتف ، وقيل : أُنقوعة الدهن ونحوها .

(٣) الفِدرة : القطعة من اللحم المطبوخ البارد .

السفينة فتقلبها ، وتضربها فتكسرها .

وسمعت أنا من بعض البحارين بمكة : ونحن قعود عند باب بني شيبة ، يصف لي القرش فيقول : هو مدور الخلقة ، وعظمه كما بين مقامنا هذا إلى الكعبة ، ومن شأنه أن يتعرض للجلاب ، وهي السفن الكبار ، فلا يرده شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل ، فثم الحذر والمرور على وجهه كالبرق ، كل شيء عنده جلل إلا النار .

وقال : رأيت ملاحاً يصعد في المردي فلما نصفه خرَّ مقطوعاً نصفين فنظرنا فإذا القرش قد ضربه بذنبه .

وبه سميت قريش ، قال المشمرج بن عمرو الحميري :

وقريش هي التي تسكن البحـ	ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل ألغث والسمين ولا تتـ	رك فيه لذي جناحين ريشا

٣ ـ وللشريف الرضي ذي المناقب في قطعة له مليحة :

يبرهن العدلي والـ	ـمجبر في وعاوعه
والقرش لا يروعه الـ	ـنقيق من ضفادعه

٤ ـ حُكي أن تمساحاً وأسداً اعتلجا على شريعة[1] ، فضربه التمساح بذنبه ، وضغم الأسد رأسه ، فماتا جميعاً .

٥ ـ ذل التمساح على وجه الأرض شبيه بذل الأسد في الماء الغمر ، يذل حتى يركب الصبي ظهره ، ويقبض على أذنيه كيف شاء ، ويفعل ذلك غلمان السواد بشاطىء الفرات إذا احتملت الأسود المدود .

٦ ـ ويكون في النيل وخلجانه خيل في صور خيل البر ، وهي تأكل التماسيح ، وربما خرجت فرعت الزروع ، وإذا رأى أهل مصر حوافراها علموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان . وإذا أصابوا منها

---

(١) الشريعة : مورد الشاربة والجمع شرائع .

صغيراً ربوه في البيوت .

٧ ـ وفي سن من أسنان فرس الماء شفاء من وجع المعدة، وأعفاجه[١] تبرىء من الجنون والصرع،كما تبرىء لحوم بنات عرسٍ .

٨ ـ كل ماضغ يحرك فكه الأسفل إلا التمساح فإنه يحرك فكه الأعلى .

٩ ـ سمك البحر كله ليس له لسان ولا دماغ .

١٠ ـ الكوسج سمكة غليظة الجلد تشبه الجرّي ، إن اصطادوها ليلاً وجدوا في جوفها شحمة طيبة ، وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوها .

١١ ـ الشبوطة تنتهي في النهر إلى الشبكة فلا تستطيع النفوذ ، فتتأخر قاب[٢] رمح ثم تجمع جراميزها حتى تطفر[٣] الشبكة ، وربما كان ارتفاع وثبتها أكثر من عشرة أذرع .

١٢ ـ أكثر البياضة بيضاً السمك ، ثم الجراد ، ثم العقارب ، ثم الضباب ، لأن السمكة لا تزن ولا تلقم ولا تحضن ولا ترضع فكثر الله ذرها . وما زق وحضن ـ والزق ضرب من القيء وفيه عليه وهن وشدة ـ قلّل الله نسله ، كالحمامة لا تبيض إلا بيضتين . والدجاجة تحضن ولا تزق فزاد الله في بيضها وفراخها . والحية تضع ثلاثين بيضة ، ولها ثلاثون ضلعاً ولذلك قويت أصلابها. فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف ، وأحكم هذه الحكمة البالغة .

١٣ ـ من السمك قواطع كما في الطير ، منها الأسبور والنرسوج يقطع

---

(١) العَفْجُ : المعي ، وقيل : مكان الكرش لما لا كرش له والجمع أعفاج .
قال الجوهري : الأعفاج من الناس ومن ذوات الحافر والسباع كلّها : ما يصير الطعام إليه بعد المعدة وهو مثل المصارين لذوات الخُفّ والظّلف التي تؤدي إليها الكرش ما دبغته .

(٢) قاب : مقدار أو مسافة .

(٣) طفر : وثب في ارتفاع .والطفرة : الوثبة في ارتفاع .

من بحر الزنج إلى دجلة البصرة تستعذب الماء ، تتملح بعذوبة الماء كما تتحمض الإبل . تقطع في السنة مرتين . فتقيم في دجلة شهرين ، وهي في إحدى المرّتين أسمن منها في الثانية . ويزعمون أن بين بحر الزنج والبصرة أبعد مما بين الصين ومنها .

١٤ ـ الدخس دابة في البحر تنجي الغريق ، تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها ، يستعين بالإتكاء عليها والتعلق بها وهي تسبح .

١٥ ـ قالوا إنّ ببحر طبرستان سرطاناً على جلده من الوشي والنقوش الدقيقة العجيبة ما يتحير فيها الناظر .

١٦ ـ زعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويقرّ قرار المستمع ، فإذا قطع نفر ، وإذا أعيد عاد . وإذا سمع الدلفين وأنواع السمك صوت الرعد هرب إلى القعر وسدر[١] .

١٧ ـ والضفدع لا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في حنكه الأسفل بعض الماء صاح ، ولذلك لا تسمع له نقيقاً خارج الماء . وهو يعيش في الماء ، ويبيض في الشط كالسلحفاة والرق[٢] .

١٨ ـ الميخ بخراسان[٣] يكبس في الأزاج[٤] . ويحال بينه وبين الريح والهواء بأحكم ما يقدر عليه ومتى انخرق من تلك الخزانة في مقدار منخر الثور حتى يدخله استحال الميخ كله ضفادع .

---

(١) سَدِرَ : تحيَّر .

(٢) الرق : ضرب من دواب البحر يشبه التمساح ، أو العظيم من السلاحف أو ذكر السلاحف والجمع رقوق .

(٣) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وتشتمل على أمهات البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وغيرها .

(٤) الأزاج : الإناء المصنوع من الزجاج الذي يكبس فيه الميخ ، والميخ هذا لم نقف على تفسير له في المعاجم التي بين أيدينا .

١٩ ـ ويرى في غب المطر ما لا يحصى من الضفادع ، إذا كان المطر ديمة في مواضع لا يقربها بحر ولا نهر ولا شيء من معادن الماء ، تجدها في الضحاضح[1]وعلى ظهور المساجد ، وتذهب العامة إلى أنها كانت في السحاب ، وإنما تخلق عقب المطر في الأرض بعد وقوعه .

٢٠ ـ وزعم بعضهم أن أهل إيذج[2] مُطروا مرة أكبر شبابيط في الأرض وأسمنها وأعذبها .

٢١ ـ والضفادع من الخلق المائي الذي يصبر عن الماء أياماً صالحة ، وتعظم ولا تسمن كالدراج[3] والأرنب ، فإن سمنهما أن يحملا اللحم .

٢٢ ـ وفي سواحل فارس ناس يأكلونها ، وهي أجحظ الخلق عيناً . والأسد ينتابها في مظانها[4] فيأكلها أكلا شديداً . والحية تطلبها في الشرائع . قال الأخطل :

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

٢٣ ـ عبد الرحمٰن بن عثمان الليثي : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع .

٢٤ ـ ابن عمر : لا تسبوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح .

٢٥ ـ في خرافات مسيلمة[5] : يا ضفدع نقي ما تنقين ، نصفك في

---

(١) الضحاضح جمع ضحضاح : وهو الماء القريب القعر .

(٢) إيذَج : بلد بين خوزستان وأصبهان وسط الجبال يكثر فيها الزلازل مشهورة بقنطرتها كان فيها بيت نار قديم كان يوقد إلى أيام هارون الرشيد .

(٣) الدرّاج : نوع من الطير .

(٤) مظان الضفادع : المكان الذي توجد فيه .

(٥) مسيلمة : هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة ، متنبىء ، من المعمرين . وفي الأمثال «أكذب من مسيلمة» وهو الذي كتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك ، أما بعد فإني قد اشتركت في الأمر معك ، وإنّا لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون» فأجابه : =

الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، وكان يدعيها تنزيلاً من لدن حكيم عليم ، فسمع بها أبو بكر فقال : ما خرجت من إله .

٢٦ ـ شاعر :

قالت الضفدع قولاً فهمته الحكماء
في فمي ماء وهل ينـ ـطق من في فيه ماء

٢٧ ـ الماء الراكد إذا صار رقراقاً وضحضاحاً استحال دعاميص[1] ، وانسلخت الدعاميص فصارت فراشاً وبعوضاً .

٢٨ ـ من شأن الدلفين أن يقتل السمكة الكبيرة ، فإذا طفت استجن بها مندساً تحتها ، فعل الصائد بالذريعة ، فيقع عليها الطير يأكلها ، فيثب عليها من تحت فيأخذها . وفي المحرضات :

لعمرك ما عبد العزيز بكافلٍ تقيّ ولا عبد العزيز رضاً كافي
وإنك واستكفاء مثلك مثله كما استظهر الدلفين بالسمك الطافي

= «بسم الله الرحمٰن الرحيم : من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتّبع الهدى . أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» وذلك في أواخر سنة ١٠ هـ . وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن . وتوفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل القضاء على فتنته فلما انتظم الأمر لأبي بكر انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قوي هاجم ديار بني حنيفة ، وصمد هؤلاء ، فكانت عدّة من استشهد من المسلمين على قلّتهم في ذلك الحين ألفاً ومئتي رجل ، منهم أربعمائة وخمسون صحابياً (كما في الشذرات) وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ ، ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء من الصحابة ظاهرة في قرية «الجبيلة» حيث كانت الواقعة (باليمامة قرب العينية بوادي حنيفة في نجد) .

(١) الدعاميص : جمع دعموص وهو دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء .

الباب السادس والتسعون

الطيور وما أوتيت من أعاجيب الإلهام في حضنها ورزقها ورفرفتها على فراخها وتدبير أمرها

١ ـ النبي ﷺ : الديك الأبيض صديقي ، وعدو عدو الله ، يحرس دار صاحبه ويسمع أدؤر[١] حواليه ، وكان يبيته معه في البيت .

٢ ـ زعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق[٢] لم يزل ينكب في أهله وماله .

٣ ـ قال لقيم الدجاج في رسول الله عند افتتاح خيبر :

رميت نطاة[٣] من الرسول بفيلق   شهباء ذات مناكب وفقار

فوهب له دجاج خيبر عن آخرها . ولذلك قيل له لقيم الدجاج .

---

(١) أدؤر : جمع دار وهي المحل والمسكن مؤنثة وقد تذكر . وتجمع أيضاً على دور وديار وأدؤر وأدورة وديارة وأدوار ودورات وديارات ودوران وديران .

(٢) الأفرق : من كان شعره مفروقاً . والديك الأفرق : ذو العرف المفروق .

(٣) النطاة : من حصون خيبر وهذه الحصون هي : حصن ناعم وعنده قُتل مسعود بن مسلمة أُلقيت عليه رحى ، والقموص حصن أبي الحقيق ، وحصن الشقّ ، وحصن النطاة ، وحصن السُّلالم ، وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة ، وأمّا لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن . ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر ، وقد فتحها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلّها في سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان . وخيبر على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام .

٤ ـ كل ديك يقبض على الحبة فيحذف بها قدام الدجاجة ، ومن ذلك قيل أسمح من لاقطة، إلا ديك مرو فإنه يطرد الدجاج عن الحب وينزع الحب من أفواه الدجاج ، لبخل المراوزة .

٥ ـ ساوم مدني دجاجة بعشرة دراهم ، فقال والله لو كانت في الحسن كيوسف وفي العظم ككبش إبراهيم ، وكانت كل يوم تبيض ولي عهد للمسلمين ما ساورت أكثر من درهمين .

٦ ـ يوضع تحت الدجاجة بيضتان من بيض الطاووس ، لا تقوى على تسخين أكثر منهما ، ويتفقدونها حتى لا تقوم فيفسدها الهواء . وربما باضت الدجاجة بيضتين في يوم واحد ، وهو من أسباب موتها .

٧ ـ الحمامة تحضن بيضة الدجاجة فيخرج الفروج أكيس .

٨ ـ أبو عثمان الخالدي :

وأنكر من بومٍ يصرصر غدوةً ... وأشأم من ديك يصيح عشاء

٩ ـ إذا هرمت الدجاجة لم يكن لأواخر ما تبيض صفرة ، وإذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق منها فروج، لأنه غذاؤه المح ما دام في البيضة . وقد يكون للبيضة محّان فتفقس عن فروجتين يخلقهما الله من البياض ، ويتغذيان بالمحين ، لأن الفراريج تخلق من البياض والصفرة غذاؤها .

١٠ ـ الطرماح :

فيا ليل كمش غبّر الليل مصعداً ... ببم ونبه ذا العفاء الموشح
إذا صاح لم يخذل وجاوب صوته ... حماش الشوى يصدحن من كل مصدح

١١ ـ جران العود[١] :

---

(١) جران العود : هو عامر بن الحارث النميري ، شاعر وصّاف . أدرك الإسلام وسمع=

مــاذا يـؤرقنـي والنــوم يـعـجـبنـي	من صـوت ذي رعثات سـاكن الـدار
كــأن حمــاضــة في رأســه نـبتـت	من آخـر الصيف قـد همت بــإثمـار

١٢ ـ كان لمزيد ديك قـديم كان يكـرم عليه ، فحضـر العيد وليس معـه شيء ، فخرج إلى المصلى وأمر امرأته بذبحه واتخاذه طعامـاً . فأرادت أخـذه فـذهب يخرق السـطوح وهي تتبعه ، فسـألها جيـرانه وهم قـوم هاشميـون عن موجب ذبحه ، فـوصفت لهم الحال ، فقـالوا : مـا نرضى بـأن يبلغ الاضطرار بأبي إسحاق مـا نرى . فـأرسل إليـه هذا شـاة ، وهذا شـاتين ، وهذا بقـرة ، حتى امتـلأت داره . فجاء وسمـع الثغاء والخـوار ، فقـال : مـا هذا؟ فقصت القصـة ؟ فقال : كـان هذا الـديك أكـرم على الله من نبيه إسمـاعيـل ، فـدي بذبح واحد وفدي هذا بما أرى .

١٣ ـ أهـدى هلال بن الحـريش إلى عبد الـرحمٰن بن الأشعث دجـاجـة فائقة قد أعجب بسمنها ، فأخرج إليـه كتابـاً من الحجاج أن أبعث إليَّ بـرأس هلال ، فتغير وأرعد . فقال : لا عليـك يا هـلال ، لا نأكـل دجـاجتـك ونبعث إليه برأسك ، والله لا يصل إليك حتى يصل إليَّ . فأنشأ يقول :

وابنفسي دجــاجــة لم تخـني	وضعت لي نفسي مكان الأنوق
فــرجت كـربــة المنيــة عني	بعـدما كـدت أن أغص بريقي
يا ابن قيس ويا ابن خير بني كنـ	ـدة بـين الأشــج والـصـديق
إن شكري شكر الطليق من القتـ	ـل ووجدي عليك وجد الشفيق

١٤ ـ أبـو المنـذر ، وأبـو اليقـظان ، وأبـو بـرايـل ، وأبـو عقبــة ، كنى

= القـرآن واقتبس منه كلمـات وردت في شعره . ومعنى «جـران العود» مقـدّم عنق البعير المسن ، كان يلقّب نفسه به في شعره :

بــدا لــجـران الـعــود والـبـحــر دونــه	وذو حَـدَبٍ مـن سـرو حميـر مـشـرف
ومــا لــجـران الـعــود ذنـب ومــا لـنــا	ولــكـن جـران الـعــود ممّــا نـكـلّف

راجع ترجمتـه في اللباب ١ : ٢١٨ والعيني ٤٩٢ والشعـر والشعراء ٢٧٥ وهـو فيـه «العبدي» والتاج : مادة جرن ، ومقدمة ديوانه الذي شرحه أبو سعيد السكري .

الديك . الموصلي : سمعتني أعرابية وأنا أنشد :

وكأس مدامٍ يحلف الديك أنها لدى المزج من عينيه أصفى وأنور

فقالت يا أبا محمد ، إن الديك من صالح طيوركم ما كان ليحلف بالله كاذباً .

١٥ ـ إسماعيل بن أبير الواقدي :

نبهتها سحراً والليل معتكر والديك يمزج تصفيقاً بتصويت

١٦ ـ ابن الأعرابي : قلت لشيخ من قريش : من علمك هذا ؟ قال : علمني من علم الحمامة على بلهها تقليب بيضها كي تعطي الوجهين جميعاً نصيبهما من الحضن .

١٧ ـ كان الصحابة يقولون : كونوا بلهاً كالحمام ، عنوا أنها مع بلهها مصلحة أمر نفسها وفراخها .

١٨ ـ خرُؤ الحمام[١] نافع من الرمل والحصا ، يقتمح منه وزن درهمين مع مثله دار صيني .

١٩ ـ الهداية في الحمام لا تكون إلا في الخضر والثمر منها ، وأما الشديد السواد فكالزنجي القليل المعرفة . والأبيض ضعيف القوة . وإذا خرج الجوزل[٢] عن بيضته علم أبواه أن حلقه لا يتسع للغذاء ، فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا في حلقه الريح لتتسع حوصلته بعد التحامها ، ثم يعلمان أنه لا يحتمل في أول غذائه أن يزق بالطعم فيزقانه باللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعم ويسمى اللبأ . ثم يعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دبغ

---

(١) جرؤ الحمام : سلحه .

(٢) الجوزل : فرخ الحمام . قال الراجز :

يتبعنَ ورقاء كلون الجوزلِ

وجمعه جوازل .

فيأكلان من شورج أصل الحيطان . وهي شيء بين الملح الخالص والتراب ، فيزقانه به فإذا علما أنه قد دبغ زقاه الحب الذي قد غب في حواصلهما ثم يالذي هو أطرأ فأطرأ حتى يتعود ، فإذا علما أنه قد أطاق اللقط منعَاه بعض المنع ليحتاج ويتشوف فتطلبه نفسه وتحرص عليه . فإذا فطماه وبلغا منتهى حاجته إليهما نزع الله تلك الرحمة منهما ، وأقيل بهما على طلب نسل آخر . فسبحان من عرف الخلائق وأتقنها وسواها ، وجعلها دلالة لمن استدل بها عليه ، ومخبراً صادقاً لمن استخبرها عنه . ذلكم الله رب العالمين .

٢٠ ـ بعضهم : رأيت حمامة ذكراً له أنثيان ، وقد باضتا منه ، فهو يحتضن مع هذه وهذه ، ويزق معهما .

٢١ ـ الجاحظ : وللحمام من الفضيلة والمفخر أن الواحدة تباع بخمسمائة دينار، ولم يبلغ ذلك شيء من الطير غيره ، وهو الهادي الذي جاء من الغابة . قال : ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة . ولو حدث أن برذوناً أو فرساً بلغ خمسمائة دينار لكان سحراً .

وتباع البيضة الواحدة منه بخمسة دنانير ، والفرخ بعشرين . فمن كان له زوجان منه قاما في الغلة مقام ضيعة . وأصحابه يبنون من أثمانه الدور الجياد والحوانيت المغلّة، هو مع ذلك ملهى عجيب ، ومنظر أنيق ، ومعتبر لمن فكر .

٢٢ ـ جهم بن خلف :

وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة ... مطوقة ورقاء تصدح في الفجر
هتوف تبكي ساق حرٍ ولن ترى ... لها دمعة يوماً على نحرها تجري[1]

---

(١) الساق : الحمام الذكر . قال الكميت :

تغريد ساقٍ على ساقٍ يجاوبها ... من الهواتف ذات الطوق والعَطَل

عنى بالأول الورشان وبالثاني ساق الشجرة . وساق حُرٍّ : الذكر من القماري سُمّي بصوته . قال حميد بن ثور :

=

تغنت بصوت فاستجاب لصوتها نوائح بالأصناف في فنن السدر[1]

إذا فترت كرت بلحن شجٍ لها يهيج للصب الحزين جوى الصدر

دعتهن مطراب العشيات والضحى بصوت يهيج المستهام على الذكر

فلم أر ذا وجد يزيد صبابة عليها ولا ثكلى تبكي على بكر

فأسعدتها بالنوح حتى كأنها نوائح هبت يلتدمن على قبر[2]

بسرة واد من تبالة مونق كسا جانبيه الطلح واعتم بالزهر[3]

فقلت لقد هجتن صباً متيماً حزيناً وما منكن واحدة تدري

٢٣ ـ أكلت حية بيض مكّاء[4] ، فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها ، حتى إذا فتحت الحية فاها تريده وهمت به ألقى فيه حسكة ، فأخذت بحلقها حتى ماتت .

٢٤ ـ كان من دعاء مكحول : يا رازق الغراب في عشه . وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه فقس عنها بيضاً فينفر عنها ، فتفتح أفواهها فيرسل ذباباً تدخل في أفواهها فتكون غذاء لها ، حتى إذا اسودت انقطع الذباب وعاد الغراب يغذيها .

= وما هاج هذا الشوق إلاّ حمامةٌ دعت ساق حُرٍّ ترحةً وترنّما

وقال بعضهم : الساق : الحمام . وحُرّ : فرخها . ويقال : ساق حُرٍّ صوت القمري .

(١) السدر : نوع من الشجر . وقيل : شجر النبق .

(٢) يلتدمن : يلطمن : واللّدم : اللّطم ، والضرب بشيء يُسمع وقعه .

(٣) تبالة : في موضعين : ١ ـ موضع ببلاد اليمن . ٢ ـ وتبالة الحجاج . بلدة . مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن . وأسلم أهل تبالة وجُرش من غير حرب فأقرّهما رسول الله في أيدي أهلها على ما أسلموا عليه وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً . واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وكان فتحها سنة عشر وهي ممّا يضرب المثل بخصبها .

(٤) المكّاء : طائر من القنابر له تصعيد في الجو وهبوط ، أبيض اللون وله صفير حسن جمع مكاكي .

٢٥ ـ أنشد ثعلب :

وصاح ببينهم من بطن قوٍّ ... من الغربان شحاج حجول[١]
من اللائي لعنّ بكل أرض ... فليس لهن في أرض قبول
يناصرن النوى فإذا اتلأبت ... ركاب القوم واقلولى الحمول
يبادرن الديار يجلن فيها ... وبئس من المليحات البديل

٢٦ ـ الحارثي :

أقول وقد صاح ابن دأية غدوةً ... بين النوى لا أخطأتك الشبائك
أفي كل يوم رائعي أنت روعة ... ببيونة الأحباب عِرسك فارك[٢]
ولا بضت في خضراء ما عشت بيضةً ... وضاقت برحباها عليك المسالك

٢٧ ـ تعلم الحبارى[٣] أن سلاحها يدبق ريش الصقر ، فترميه به ، ثم تجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة طاقة حتى يموت . وكذلك الحبارى تموت كمداً إذا انحسر عنها ريشها ورأت صويحباتها تطير .

٢٨ ـ وفي ديوان المنظوم[٤] :

---

(١) قَوّ : ويقال لها بطن قوّ هو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة يرحل من النباج فينزل قواً . وهو وادٍ يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قوّ .
قال الجوهري : قوّ بين فيد والنباج .
قال زُرعة بن تميم الحطم الجعدي :
وإن تكُ ليلى العامريّة خيّمت ... بقوٍّ فإني والجنوب يمانِ
ومغترب من رهط ليلى رعيتهُ ... بأسباب ليلى قبلما يرياني
وقال أبو زيد الكلابي : قوّ بين اليمامة وهجر نزل به الحطيئة .
(٢) العِرس : (بالكسر) : زوجة الرجل . والفارك : المبغضة لزوجها المشاكسة .
(٣) الحبارى : نوع من الطير ، تقدم شرحه .
(٤) ديوان المنظوم : من مؤلفات الزمخشري صاحب هذا الكتاب ، راجع مقدمتنا في الجزء الأول منه .

وهل للحبارى بعد عشرين ريشة تساقطها حمقاً فتتلف بالكمد
مطايرة الشهم الأثيث جناحه إذا ساق كدري السماوة فاطرد
وهل يستطيع القرد والقرد ما به لضابثه طرف مصاولة الأسد

٢٩ ـ الطركلة[١] تتسافد بالأستاه . والحجلة تكون في سفالة الريح ، واليعقوب في علاوتها ، فتلقح كما تلقح النخلة من الفحال[٢] بالريح .

٣٠ ـ الجاحظ : أي شيء أعجب من العقعق ، وصدق حسه ، وشدة حذره ، وحسن معرفته ، ثم ليس في الأرض طائر أشد تضييعاً لبيضه وفراخه منه .

٣١ ـ والحبارى مع أنها أحمق تحوط بيضها وفراخها أشد الحياطة .

٣٢ ـ استلب عقعق مرة سخاباً[٣] كريماً لقوم ، فاتهموا به أعرابية ، فبينا هي تضرب إذ مر العقعق والسخاب في منقاره ، فصاحوا به فرمى به .

فقالت الأعرابية :

ويوم السخاب من تعاجيب ربنا كما أنه من بلدة السوء نجّاني

٣٣ ـ شاعر :

إذا بارك الله في طائرٍ فلا بارك الله في العقعق
طويل الذنابي قصير الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينين في رأسه كأنهما قطرتا زئبق

---

(١) الطرغل : القماري والدبّاسي والأطرغلات والصلاصل ذوات الأطواق ، ولعلّ الطرغل هذه هي الطركلة . وقوله : تتسافد : أي ينزو ذكرها على أُنثاها .
(٢) الفِحال : ذكر النخلِ .
(٣) السخاب: قلادة تُتّخذ من قرنفل وسُك ومحلب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء والجمع سُخُب .
والعقعق : طائر معروف من ذلك وصوته العقعقة . وقيل : هو ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ، قال : وإنما أُجيز قتله لأنه من نوع الغربان .

٣٤ ـ القطاة لا تبيض إلا أفراداً . قال أبو وجزة :

وهن ينسبن وهنـاً كـل صـادقة   بـاتت تباشـر عـرمـاً غيـر أزواج

٣٥ ـ آخـر :

ويصـاد القـطا فينجـو سليماً   بعــد يـأس ويهلك الصيَّـاد

٣٦ ـ ومن الـطير مـا يؤثـر التفـرد كـالعقـاب ، ومنـه مـا يتعـايش معـاً كالكراكي ، ومنه ما يتعايش أزواجاً كالقطا .

٣٧ ـ كان الرشيد في متصيد له ، فأتـاه البازيـار بدراج أبيض وقـال : ما رأيت مثله قط ، فقال : أطلقه من يدك ، فإن الشيء إذا جاوز حده سمج .

٣٨ ـ تغـدى مع الحكم بن أيـوب بعض عمالـه ، فتناول من بين يـديـه درلجة ، فاحتقدها عليه فعزله عن عمله ، وفيه يقول الفرزدق :

قد كان بـالعرض صيـد لو قنعت بـه   فيــه غنىً لــك عن دراجــة الحكم

٣٩ ـ وصف علي بن عبيـدة الريحـاني الطاووس ، ثم قـال في آخـره : وما يروق العين منه أكثر مما يحكي اللسان .

٤٠ ـ الصــاحب في خط قــابــوس : هــذا جنــاح الــطاووس أم خط قابوس .

٤١ ـ سأل أعرابي جعفر الصادق عن التـوحيد ، فتنـاول بيضة بين يـديه فـوضعها على راحتـه وقال : هـذا حصن مملق لا صـدع فيـه ، ثم من ورائـه عرقيء مستشف ، ثم من ورائه دمعـة سائلة ، ثم من ورائهـا ذهب مائـع ، ثم لا تنفك الأيام والليالي حتى تنفلق عن طاووس ملمـع . فأي شيء في العـالم إلا وهو دليل على أنه ليس كمثله شيء .

٤٢ الـظليم[1] يبتلع الحديـد المحمّى ، ثم يميعـه بحـر قـانصتـه ، ثم

---

(١) الظليم : ذكر النعام .

يحيله كالماء الجاري . وفي ذلك أعجوبتان : الغذي بما لا يغذو ، واستقراؤه لشيء لو طبخ في قدر أبداً لما انحل .

والذي سخر الحديد لجوف الظليم هو الذي سخر الصمّ الصلاب لأذناب الجراد ، إذا أرادت الجرادة أن تلقي بيضها غمزت ذنبها في ضاحي الصخرة فانصدعت لها ، وليس ذلك من جهة القوة ، ولكن من جهة التسخير . وعود الحلفاء[1] يتلقاه مع رخاوته ودقته في منابته الآجرّ والخزف الغليظ فيثقبه . وهو الذي سخر القمقم والطنجير والطست لإبرة العقرب حتى نفذت فيها .

وهو كالبعير من جهة المنسم والوظيف والخزامة التي في أنفسه ، وكالطائر من جهة الريش والجناحين والذنب والمنقار ، ثم ما فيه من شكل الطائر جذبه إلى البيض ، وما فيه من شكل البعير لم يجذبه إلى الولادة .

٤٣ ـ ويضربون المثل بالنعامة في التعلق بالعلل ، إذا قيل لها إحملي ؟ قالت : أنا طائر ، وإذا قيل لها طيري ، قالت : أنا بعير .

٤٤ ـ قال يحيىٰ بن نوفل :

ومثل نعامةٍ تدعى بعيراً ... تعاظمها إذا ما قيل طيري
وإن قيل إحملي قالت فإني ... من الطير المربّة بالوكور

٤٥ ـ ومن أعاجيب النعامة أنها مع عظم عظامها وشدّة عدوها لا مخّ فيها ومن أعاجيبها أنها مع عِظم بيضها تلزّه ثم تضعه طولاً ، حتى لو مددت عليه خيط المطمر مع وجدت لشيء منه خروجاً عن الإستواء ثم تعطي كل واحدة نصيبها من الحضن ، قال ذو الرمة :

ذاك أم خاضب بالسي مرتعه ... أبو ثلاثين أمسى وهو منفرد

---

(١) الحلفاء : نبت أطرافه محدّدة كأنها سعف النخل والخوص ينبت في مغايض المياه . الواحدة حلفة وحلفاء .

٤٦ ـ وقال ابن أحمر :

وضعن وكلهن على غرارٍ حصان الجيب قد وسقت جنينا

ومنها : أن أشدّ ما يكون لعدوها أن تستقبل الريح ، وكلما كان أشعر لعصوفها كان أشد لحضرها ، تضع عنقها على ظهرها ثم تخترق الريح .

ومنها : أن الصيف إذا دخل وابتدأ البسر في الحمرة ابتدأ لون وظيفيها في الحمرة ، فلا يزالان يزدادان حتى تنتهي حمرة البسر . ولذلك قيل لها خاضب .

ومنها : أنها لا تأنس بالطير ولا بالإبل ، وهي مشاكلة للقبيلين .

٤٧ ـ الذئب لا يعرض لبيض النعام وفراخه ما دام الأبوان حاضرين فانهما متى ثقفاه ركبه الذكر فطحره ، وأعجلته الأنثى فتركضته ، وتسلمه الذكر ، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً .

٤٨ ـ والنعام يتخذ في الدور ، وضرره شديد ، لأن النعامة ربما رأت في الجارية قرطاً فيه حجر أو حبة لؤلؤ فخطفته فأكلته ، وخرمت الأذن . أو رأت ذلك في ليتها فضربت بمنقارها فخرقته .

٤٩ ـ وتقول العرب : ضربان من الحيوان أصمان لا يسمعان : النعام والأفاعي . وعن ابن الأعرابي : كلم أعرابي صاحبه فرآه لا يسمع كلامه ولا يفهم ، فقال : أصلخ كصلخ[1] النعامة .

٥٠ ـ وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع ؟ فقال : يعرف بعينيه وأنفه ، لا يحتاج معهما إلى سمع .

٥١ ـ كل ذي رجلين إذا انكسرت إحداهما استعان في حركته ونهوضه

---

(١) الأصلخ : الأصم : وإذا دُعي على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة لأن النعام كلّه أصلخ .

بالباقية إلا النعامة ، فإنها تبقى جاثمة لا تمشي . ولبعض الأعراب وكان له أخ اسمه دحية وكانت امرأته تطرده :

أدحية عني تطردين تبددت ... بلحمك طير طرن كل مطير
فأني وإياه كرجلي نعامة ... على كل حال من غنىً وفقير

٥٢ ـ الطرماح في وصف الظليم :

مجتاب شملة برجد لسراته ... قدراً وأسلم ما سواه البرجد

٥٣ ـ الكراكي يجمعها أمير لها كيعسوب[1] النحل ، ولا يجمعها إلا أزواجاً .

٥٤ ـ العقاب إذا اشتكت كبدها من رفع الأرانب والثعالب في الهواء أكلت من الأكباد حتى تبرأ .

٥٥ ـ قال بشر أخو بشار بن برد له ، وكانوا ثلاثة لأم حنفي وسدوسي وعقيلي : لو خيرك الله أن تكون شيئاً من الحيوان أي شيء كنت تحب أن تكون ؟ قال : عقاب ، لأنها تبيت حيث لا ينالها سبع ولا ذو جناحين ، وهي معمرة ، إن شاءت كانت فوق كل شيء ، وإن شاءت كانت بقرب كل شيء ، تغدى باليمن . وتعشى بالعراق ، ريشها فروها في الشتاء ، وخيشها في الصيف . وهي أبصر خلق الله تعالى .

٥٦ ـ العرب : قيل للخفاش : لماذا ليس لك جناح ؟ قال : لأني تصوير مخلوق ، قيل : فلماذا لا تخرج نهاراً ؟ قال : حياء من الطيور .

٥٧ ـ العصافير أوالف للناس أوانس : لا تسكن داراً حتى يسكنها إنسان ، ومتى سكنتها لم تقم فيها إذا خرج الإنسان فبفراقه تفارق .

وإذا كان زمن الخروج إلى البساتين لم يبق في البصرة عصفور إلا

---

(١) يعسوب النحل : ذكره .

خرج إليها ، إلا ما أقام على بيضه وفراخه ، ولذلك قال أبو يعقوب الخريمي :

فتلك بغداد ما تبيت من الوحـ ... شة في دورها عصافرها

ويدرب العصفور فيستجيب من المكان البعيدة ويرخن . قال الجاحظ : بلغني أن عصفوراً درب من ميل .

وليس في الأرض رأس أشبه برأس الحية من رأس العصفور .
وليس في الحيوان الذي يعايش الناس أقصر عمراً منه لكثرة السفاد .

٥٨ ـ أبو منصور الثعالبي :

سقياً لأيام الصبا إذ أنا ... في طلب اللذات عفريت
أصيد كالبازي ولكنني ... أسفد كالعصفور ما شيت[١]

٥٩ ـ ويتميز الذكر من العصافير من أنثاها تميز الديك من الدجاجة ، لأن له لحية سوداء ، ولا شيء آخر أحنى على ولده من العصفور ، وإذا عرض له شيء صاح ، فأقبلت العصافير تساعده ، وليس لشيء في مثل جسم العصفور مراراً ماله من شدة الوطء[٢]، إذا كنت تحت السطح حسبت وقعه على حجر . والكلب منعوت بشدة الوطء أيضاً ، والخصيان من كل شيء . وذكورتها لا تعيش إلا سنة . وتجلب الحيات إلى المنازل لحرص الحيات على ابتلاع بيضها وفراخها .

٦٠ ـ كلثوم بن عمرو العتابي :

يا ليلة لي بحوارين ساهرة ... حتى تكلم في الصبح العصافير

٦١ ـ ويضرب المثل به في سخافة الحلم ، قال حسان :

---

(١) ما شيت : (بتخفيف الهمز) أي ما شئت.
(٢) الوطء : الوقع ، والوطء أيضاً : بمعنى الركب والمجامعة .

لا بأس بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ جسم البغال وأحلام العصافير[1]

٦٢ ـ جنس من العصافير الصغار فرخ طائر يقال له كيول في وزن الحمامة يزقه ويربيه .

٦٣ ـ يعقوب بن الربيع أخو الفضل :

يقطع قلبي بالصدود تجنياً ويزعم أني مذنب وهو مذنب
كعصفورة في كف طفل يسومها ورود حياض الموت والطفل يلعب

٦٤ ـ نعت إلى أشرف أبو الحسن ببغاء في دار الإمارة بمكة مجلوبة من اليمن ، وقال : ربما دخلنا وهي تنطق فيحسبه نطق إنسان ، وهي تعقد القاف كما يعقدها خلّص العرب . وقد وعدني أن تحمل إليَّ لأشاهدها فما اتفق .

٦٥ ـ قال الجاحظ : وقد يتهيأ لبعض الغربان من الحروف ما لا تفسّره الببغاء .

٦٦ ـ جنيد الكاتب الملقب باذنجانة في غلبة وصيف وبغا على المستعين وصدوره عن رأيهما :

مقتسم معتبد بين وصيفٍ وبغا
يقول ما قالا له كما تقول البغا

٦٧ ـ كان لسعيد بن خالد القرشي طائر اسمه كسرى وفرخ اسمه ساسان ، فأكل الفرخ سنور جار يعرف بأنس ، فكتب إلى العلاء بن منظور صاحب شرطة الكوفة وهو الذي وهب له كسرى :

يا ابن منظور بن قيس دعوة ضوؤها أنور من ضوء القبس
إن ساسان بن كسرى غاله في سواد الليل سنور أنس

---

(١) من قصيدة لحسان في ديوانه (ص ١٢٩ بتحقيقنا) مطلعها :
حارِ بن كعبٍ ألا الأحلام تزجركم عنّا وأنتمُ من الجوف الجماخير

فـأقـدنـا منـه أو أخلفـه أو   خل بين الناس من عز افترس

٦٨ ـ أكثر الحضن في الطيـور على الأنثى منها ، والـذكر لا يحضن إلا في صدر النهار يسيراً ، وأما الزق فأكثره على الذكر .

٦٩ ـ وفي الـطيـر جنس لا يقـع على الأرض إلا ريثمـا يضـع بيضـه في تـراب ويغطيـه ، ثم هو طيـار في الهواء أبـداً . وبيضـه يفقس من نفسـه عنـد انتهاء مدته ، فإذا بلغ فرخه الطيران كان كأبويه .

٧٠ ـ الجـاحظ : وأي شيء أعجب من طـائـرين يـأتيـان من نـاحيـة السنـد ، أحدهمـا كبيـر الجثـة ، يرتفـع في الهواء صعـداً ، والآخر صغيـر لا يزال يرفـرف حولـه ، ويربق على رأسـه ، ويطيـر عند ذنـاباه ، ويـدخل تحت جناحه وبين رجليه ، فلا يزال حتى يتقيه بـذرقه[1] ، فـإذا ذرق شحا لـه فاه ، والصغيـر يعلـم أن رزقـه ومـا يعيش في بـطنـه ، فـإذا وعـاه رجـع آخـذاً فـلا يخطىء حلقه . فـالكبير يعلم أنـه لا يخلصه منـه إلا اتقاؤه بـذرقه ، والصغيـر يعلم أن رزقه وما يعيش به في بطنه فإذا دعاه رجع آخذاً قوت يومه .

٧١ ـ قيـل لجيش ابن الأشعث جيش الـطواويس . لكثـرة مـا كـان فيـه من الفتيان المنعوتين بالجمال .

٧٢ ـ شــاعـر :

تـظل بـه الـطيـر صـداحـة   تـطارح فيـه صنـوف الغنـاء

٧٣ ـ النخعي : كانوا يكرهون أن يدفع الطير إلى الصبي يلعب به .

٧٤ ـ زعم الأطباء أنهم استفادوا معـرفة الحقنـة من الطائـر الذي أصـابه الـحصـر، أتـى إلـى الـبـحـر فـأخـذ بـمـنـقـاره مـن الـمـاء الـزعـاف ثم مجـه في جـوفـه من قبـل ذنبـه ، وأمكنـه ذلـك لـطول عنقـه ومنقاره ، ذم ذرق فاستراح .

---

(١) ذرق العصفور : سلحه .

٧٥ ـ عن ابن عباس : إن الله خلق من زمان موسى عليه السلام طائراً اسمها العنقاء[١] ، لها أربعة أجنحة من كل جانب ، وجهها كوجه الإنسان ، وأعطاها من كل شيء حسنٍ قسطاً ، وخلق لها ذكراً مثلها ، وأوحى إليه أني خلقت طائرين عجيبين ، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس ، وآنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل . فتناسلا وكثر نسلهما .

فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز ، فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العيسى بين عيسى ومحمد . فشكوها إليه . فدعا الله تعالى فقطع نسلها وانقرضت .

٧٦ ـ الجاحظ : الظن يُسرع إلى أن البيضة تخرج من جهة التحديد والتلطيف ، وإنما تخرج من الجانب الغليظ .

٧٧ ـ ثلاثة أشياء تخبىء الدراهم والدنانير وتفرح بها : العقعق ، وابن مقرض[٢] ، والفأرة .

٧٨ ـ يدرب العقعق فيتجسيب إذا دعي ، وينزجر إذا زجر ، ويخبىء الحلى فيصيح به صاحبه فيمضي به حتى يقفه على المكان الذي خبأه فيه ، ولكنه لا يتولى البحث عنه .

٧٩ ـ جرف الطاعون أهل بيت فسدوا بابه ، وثم طفل لم يشعروا به . ففتح بعد شهر فإذا الطفل ، وثم كلبة مجر قد عطفها الله عليه فكانت ترضعه مع جرائها .

٨٠ ـ وسجن رجل شهراً وقد أغلق بيته على زوجي حمام طيارين وزوجين

---

(١) العنقاء : طائر لم يبق في أيدي الناس من صفته إلّا اسمه . راجع التفاصيل في لسان العرب مادة عنق .

(٢) ابن مقرض : حيوان يشبه ابن عرس أكبر منه ، لونه أبيض مائل إلى الصفرة يصيد الجرذان والأرانب والعصافير .

مقصوصين ، وهو لا يشك في هلاك المقصوصين ، فإذا بهما سالمين ، قد هدى الله الطيارين إلى رزقهما حتى عاشا .

٨١ ـ ومن شأن طائر يقال له كاسر العظام أن يزق[١] كل فرخ ضائع بعد التوفر على فراخه .

٨٢ ـ والعقاب تبيض في الغالب ثلاث بيضات ، فإذا أفرخت خرجت من عشها واحداً لا تزقه ، وتقتصر على الاثنين فيعطف عليه كاسر العظام ويزقه مع شرهه وعظم بطنه .

٨٣ ـ اليراعة : طائر صغير إن طار بالنهار كان كبعض الطير ، وإن طار بالليل فكأنه شهاب ثاقب قد قذف به ، أو مصباح انفصل عن ذبالة[٢] .

٨٤ ـ جاءت عبد الله بن جعفر أعرابية بدجاجة ، فقالت : أصلحك الله ، إن هذه دجيجة[٣] دجنت في حجري ، كنت أطعمها من فتوتي ، وأنومها على فراشي ، والمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتاً على كبدي ، وإني نذرت لله عز وجلّ أن أدفنها في أكرم بقعة ، فلم أجد تلك البقعة إلا بطنك ، فضحك من قولها ، وأمر لها بعشرة أوقار[٤] من زبيب وبر . فقالت : أصلحك الله أن الله لا يحب المسرفين .

---

(١) زقّ الطائر فرخه : أطعمه بمنقاره .
(٢) الذبالة : الفتيلة والجمع ذُبال .
(٣) دجيجة : تصغير دجاجة ، الطائر المعروف .
(٤) أوقار : جمع وقر وهو الحِمل .



الباب السابع والتسعون

البعوض ، والهمج ، والذبان ، والفراش والزنابير، والجراد ، والجنادب ، وما أشبه ذلك

١ ـ النبي ﷺ : خلق الله ألف أمة ، منها ستمائة في البرّ ، وأربعمائة في البحر . فأول ما يهلك الجراد ، فإذا هلك تتابعت الأمم .

٢ ـ في الجراد نفع للعباد ، لأنه يُؤكل ويعاش به ، ولأنه إذا أصاب زرعاً كان لصاحبه الثواب إذا صبر والعوض .

٣ ـ علي عليه السلام : وإن شئت قلت في الجرادة ، إذا خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين ، وجعل لها السمع الخفي ، وفتح لها الفم السوي ، وجعل لها الحس القوي ، ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض ، يرهبها الزراع في زرعهم ، ولا يستطيعون ذبها[1] ولو أجلبوا بجمعهم ، حتى ترد الحرث في نزواتها ، وتقضي شهواتها ، وخلقها لا تكون إصبعاً مستدقة .

٤ ـ أبو زهير الكلبي :

قل لأبي الجودي عند الفجر   أتاك حصاد بغير أجر

مسربلين في ملاء صفر   لا يتشكين انقلاب الدهر

---

(١) لا يستطيعون ذبها : أي دفعها وطردها .

٥ ـ لعاب الجراد سمٌّ لا يقع على شيء إلا أحرقه .

٦ ـ المأمون : قالوا أن الذباب إذا دلّك على موضع لسعة الزنبور سكن . فلسعني زنبور فحككت على موضع لسعة عشرين ذبابة فما سكن ، فقالوا : هذا الزنبور كان حتفاً قاضياً ، ولولا هذا العلاج لقتلك .

٧ ـ زعموا أن رجلاً من ولد حليمة[١] ظئر[٢] رسول الله كان أصيد خلق الله كلهم ، وأحذقهم بالتدريب ، وبلغ من حذقه أنه ضرى[٣] ذئباً يصطاد به الظباء والثعالب ، وسرق منه فرجع إليه من ثلاثين فرسخاً . وضرى أسداً حتى صار أهلياً واصطاد به الحمر والبقر وعظام الوحش . وضرى الزنابير حتى اصطاد بها الذبان.

٨ ـ قالوا : إن الزنبور يأخذ الشيء الذي يتخذ منه بيته من زبد المدود ، ولا يدري أمن نفس الزبد أم شيء يكون في الزبد . فسبحان من علمه ذلك البناء العجيب ، ودلّه على ذلك الجوهر الغريب .

٩ ـ عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

---

(١) حليمة : هي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله السعدية . مرضع من مراضع العرب أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرُضعاء في سنة شهباء لم تُبق لها شيئاً ، فقدمت مكة فرأت محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم يُعرض على جملَة من المرضعات فيأبين أن يأخذنه إذ قيل لهن: إنّه يتيم لأنهن كن يأملن المعروف من أبي الرضيع . فما بقيت امرأة قدمت مع حليمة إلاّ وأخذت رضيعاً إلاّ حليمة . فلما أجمعن الإنطلاق قالت حليمة لصاحبها : إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعاً : والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه . قال : لا عليك أن تفعلي فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . فذهبت إليه فأخذته وأرضعته حتى أكملت رضاعه ، فدرّ عليها عملها هذا كثيراً من الخيرات والبركات .

راجع كتابنا أخبار النساء في العقد الفريد ص ٧٠ طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الظئر : المرضعة .

(٣) ضرى وأضرى الكلب بالصيد : عوّده إيّاه وأغراه به .

بخصـور تحكي خصور الـزنـا   بيـر رقاق هممن بـالانقصـاف

١٠ ـ النحل لا يقع على شيء منتن ولا ينزل على العطر .

١١ ـ خطب المأمون فوقـع ذباب على عينـه فطرده ، ثم عـاد مراراً حتى قـطع عليه الخـطبة ، فلمـا صلى أحضر أبـا الهـذيـل فقـال لـه : لِمَ خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة . قال : صدقت ، وأجازه بمال .

١٢ ـ قـالوا منَّ الله على النـاس بالـذباب ، لأنهـا تـأتي على البخـارات التي في الهـواء بأجنحتهـا ، ولولاهـا لتكدر عيشهم من الـروائـح العفنـة التي تتحلل في الحر ، وأما في الشتاء فالبرد مانع من تحلّل الروائح .

١٣ ـ الجـاحظ : من منافـع الذبـان أنها تحـرق وتخلط بالكحـل ، فإذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن . ونـرى المواشط[١] يستعلمنـه ويأمـرن به العرائس .

١٤ ـ من لم يـرض بالكفـاف وطمحت عيناه إلى مـا فـوقـه ، ولم ينـظر إلى ما يتخوف أمامه كان مثل الذباب الذي لم يرض بـالشجر والـرياحين حتى طلب الماء الذي يسيل من أُذن الفيل المغتلم[٢] ، فيضربه بأُذنه فيهلك .

١٥ ـ ذبـان الأسـد لا يقـوم لـه شيء ، أشـد من الـزنـابيـر وأضـرب من العقارب الطيـارة ، وهي تعض الأسد كمـا يعض الكلب ذباب الكلب . ومتى رأت بالأسد أدنى خدش اجتمعن عليه ، فلا يقلعن حتى يقتلنه .

١٦ ـ تأذى الصاحب[٣] بالذباب فقال : هـذا ذبـاب[٤] السيف لا ذباب الصيف .

١٧ ـ عنترة :

---

(١) المواشط : جمع ماشطة وهي التي تسرّح شعور النساء بالمدرى .

(٢) المغتلم : الشبق .

(٣) الصاحب : هو الصاحب بن عباد . تقدمت ترجمته .

(٤) ذباب السيف : طرفه الذي يُضرب به .

وخلا الذباب به فليس ببارحٍ هزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

١٨ ـ النحل تجتمع فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعمل العسل ، وبعضها يعمل الشمع ، وبعضها يبني البيوت ، وبعضها يستقي الماء .

١٩ ـ الجاحظ : من علم البعوضة أن وراء جلد الجاموس دماً ، وأن ذلك الدم غذاء لها ، وأنها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ المتين الصلب نفذ فيه خرطومها مع ضعفه على غير معاناة . ولو أنك طعنت فيه بسلاءة(١) شديدة المتن ، رهيفة الحد لانكسرت .

٢٠ ـ الجاحظ : غضب صاحب المسلحة على ملاح في أجمة البصرة، فجرده للبعوض مقموطاً، فصاح: اقتلني أي قتلة شئت وأرحني ، فأبى ، فصاح ساعة ، ثم عاد صياحه إلى الأنين ثم خفت . فنظرت فإذا هو ميت ، وهو أشد سواداً من الزنجي ، وأشد انتفاخاً من الزق المنفوخ وذلك كله بين العشاءين .

وحكيت أنا الحكاية لعربي ، فذكر أن البعوض يقتل البرذون في ساعة .

٢١ ـ شاعر :

لنعم البيت بيت أبي دثارٍ إذا ما خاف بعض القوم بعضا

٢٢ ـ البعض عض البعوض ، أو دثار كنية البيت الرقيق الذي يقال له الكِلّة(٢) .

---

(١) السّلاء : ضرب من النصال على شكل سلاء النخل (شوكه) . وفي الحديث في صفة الجبان : كأنما يُضرب جلدُه بالسلاء ، وهي شوكة النخل . واحدته سلاءة .
(٢) الكلّة : الستر الرقيق وهو غشاء يخاط كالبيت يتوقّى به من البعوض ويعرف بالناموسيّة .

٢٣ ـ بق البطاح مثل ، كجرارات الأهواز[١] ، وعقارب شهرزور[٢] ، وربما ظفرت بالسكران النائم فلا يبقى منه إلا عظام عارية .

٢٤ ـ أبو إسحاق الصابي :

وليلة لم أذق من حرها وسناً	كأن في جوها النيران تشتعل
أحاط بي عسكر للبق ذو لجب	ما فيه إلا شجاع قاتل بطل[٣]
من كل شائلة الخرطوم طاعنةٍ	لا تمنع الحجب مسراها ولا الكلل[٤]
طافوا علينا وحرّ الصيف يطبخنا	حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

٢٥ ـ يقال للبعوض الأحدب الطنان ، والمغنى المعنى .

٢٦ ـ راجز :

إذا تغنين غناء الزط	وهن مني بمكان القرط

فثق بوقع مثل وقع الشرط .

٢٧ ـ آخر :

يلدغ جلدي شرر النيران	من طائر يزمر في الآذان

٢٨ ـ في ديوان المنظوم[٥] :

أقول لنازل البستان طوبى	لعيشك ثم يسكتني البعوض
يململه فليس به قرار	ويثخنه فليس به نهوض
عماه قرصه وطنينه أنَّى	يبيت وعينه فيها غموض

---

(١) الأهواز : تقدم شرحها وهي سبع كور بين البصرة وفارس .

(٢) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين إربل . وهمذان أحدثها زور بن الضحّاك ومعنى شهر بالفارسية المدينة وأهل هذه النواحي كلّهم أكراد .

(٣) اللجب : الضجيج وصهيل الخيل وكثرة أصوات الأبطال .

(٤) شائلة الخرطوم : كناية عن البعوضة . والكلل : تقدم شرحها قبل قليل .

(٥) ديوان المنظوم : من مؤلفات الزمخشري . راجع مقدمتنا في مطلع الجزء الأول .

كأنك حين يهذي بالأغاني تكرر في مسامعك العروض

٢٩ ـ حدث شيخ من أهل اليمامة قال : رأيت بعيراً قد نهشته أفعى فقتلته ، وكل شيء حواليه من الطير والسباع التي أكلت منه ميت ، وإذا عليه بعوض كثير . فقلت في نفسي :

ما الذي مجته في هذا الجسم العظيم وما هي إلّا في وزن عرق من عروقه حتى قتلته وفسخته ؟ وحتى ذاقت هذه السباع منه فهلكت . وأعجب من ذلك أن هذا الخلق الضعيف المهين يأكل منه فلا يضره . فطارت واحدة فوقعت على وجهي ، فتورم رأسي ، وحملت إلى منزلي في محمل ، وتناثر شعر وجهي ورأسي ، وعولجت بأنواع العلاج فبقيت أقرع أمرط[1] .

٣٠ ـ لرجل من بني حمان وقع في جند الثغور[2] .

أأنصر جند الشام ممن يكيدهم وأهلي بنجد ذاك حرص على النصر
براغيث تؤذيني إذا الناس نوموا وبقٌ أقاسيه على ساحل البحر
فإن يكُ فرض بعدها لا أعدّله وإن بذلوا حمر الدنانير كالجمر

٣١ ـ ضرب من الفراش إذا طار بالليل حسبت أن شراراً يطير .

٣٢ ـ إذا نهق الحمار صعق الذباب . قال ابن مقبل :

ترى النعرات الحمر حنيَ لبانه أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

(١) الأمرط : المنتوف الشعر.

(٢) الثغر : المكان الذي يُخاف منه هجوم العدوّ وهو الحدّ بين المتعادين .

الباب الثامن والتسعون

الحشرات والهوام ونحوها من دواب الأرض ، وما اتصل بها وذكر منها

١ ـ خالد بن الوليد سيف الله : دخلت مع رسول الله ﷺ على ميمونة[1] زوج النبي فوجدت عندها ضباً محنوذاً قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله ﷺ ، وكان قلما يقدم إليه الطعام حتى يحدث به أو يسمي له . فأهوى بيده إلى الضب ، فقالت امرأة من النسوة الحضور : أخبرن رسول الله بما قدمتن له ، قلن : هو الضب يا رسول الله . فرفع يده ، قلت : أحرام الضب يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه ، فاجتررته فأكلته ورسول الله ينظر فلم ينهني .

٢ ـ جابر : أتي رسول الله ﷺ بضب ، فأبى أن يأكل منه ، وقال : لا أدري لعله من القرود التي مسخت .

٣ ـ وروى الخدري أن أعرابياً قال له : إني في غائط مضبة وأنه عامة

---

(١) ميمونة : هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة وأمّها هند بنت عوف بن حمير كان اسمها برّة فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة .

راجع ترجمتها وقصة زواجها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتابنا «زوجات النبي وأولاده» ص ٢٥٦ ـ ٢٦٦ .

طعام أهلي ، فلم يجبه ، فعادوه حتى قال في الثالثة : يا أعرابي ، إن الله غضب على سبط من بني إسرائيل فمسخهم دواب يدبون في الأرض ، فلا أدري لعل هذا منها ،فلا آكله ولا أنهى عنه .

٤ ـ وعن عمر رضي الله عنه : إن الله لينفع به غير واحد ، وأنه لطعام عامة الرعاع[١] ، ولو كان عندي لطعمته ، وإنما عافه رسول الله ﷺ .

٥ ـ وقال أبو الهندام ولد شبث بن ربعي :

أكلت الظباء فما عفتها ... وإني لأشهى قديد الغنم[٢]
وركبت زبداً على تمرة ... فنعم الطعام ونعم الأدم
فأما البسط وحياتكم ... فما زلت منها كثير السقم
وما نلت منها كما نسلتم ... فلم أر فيها كضب هرم
وما في البيوض كبيض الدجا ... ج وبيض الجراد شفاء القرم[٣]
ومكن الضباب طعام العريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم

٦ ـ أُطعم جران[٤] العود ضيفه ضباً ، فهجاه ابن عم له فقال :

وتطعم ضيفك الجوعان ضباً ... كأن الضب عندهمُ غريب

فأجابه :

ولولا أن أصلك فارسي ... لما عبت الضباب ومن قراها[٥]

٧ ـ آخر :

قربتِ للضيف من أضب كشاها ... وأي لوية إلا كشاها[٦]

---

(١) رعاع الناس : أوباشهم وعامّتهم .
(٢) القديد : اللحم اليابس .
(٣) القرم : الشديد الشهوة إلى أكل اللّحم .
(٤) جران العود : هو الشاعر عامر بن الحارث النميري . تقدمت ترجمته .
(٥) القرى : طعام الضيف .
(٦) الكشية : شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه والجمع كشىً .

اللوية ما يرفع للشيخ أو الصبي من الطعم الطيب .

٨ ـ وأنشد الجاحظ :

إنك لو ذقت الكشي بالأكباد　　لما تركت الضب يمشي بالواد

٩ ـ حضر بدوي من بني هلال مائدة الفضل البرمكي ، فذم الفضل أكله وأفرط ، وتابعه القوم فأفرطوا ، فغاظ ذلك الهلالي ، فلم يلبث الفضل أن أتى بصحفة من فراخ الزنابير ليتخذ منها زماورد ، وقد رأى ذلك بخراسان فاستظرفه . فخرج الهلالي وهو يقول :

وعلجٍ يعاف الضب لؤماً وخسةً　　وبعض أدام العلج هام ذئابِ[١]
ولو أن ملكاً كابر الحق معلناً　　لقالوا لقد أُوتيت فصل خطابِ

١٠ ـ آخر :

لعمري لضب بالعنيزة صائعة　　تضحى عرار فهو ينفخ كالقرم
أحب إلينا أن يجاور أرضنا　　من السمك النهري والسلجم الوخم[٢]

١١ ـ الأصمعي : يبلغ الحسل[٣] مائة سنة ثم تسقط سنة فحينئذ يسمى ضباً .

١٢ ـ لا يحفر الضبّ إلا في كدية[٤] ويطيل الحفر حتى تفنى براثنه ، ويتوخى الارتفاع عن مجاري الماء ومداق الحوافر . وقد علم أنه قليل الهداية فلا يحفر إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة ، ويمعن في جحره، ويجعل عند ذنبه عقرباً يتقي بها يد الحارش[٥] .

---

(١) العلج : الضخم الغليظ من رجال العجم . والهام : الرؤوس .

(٢) السلجم : نبات يعرف باللّفت ، وهو أيضاً اللّحي الكثيف أو الرأس الطويل اللّحيين .

(٣) الحِسل : ولد الضبّ والضب يكنىّ أبا حسل.

(٤) الكدية : الأرض الصلبة الغليظة .

(٥) الحارش : صائد الضب . وحرش الضب : اصطاده .

١٣ ـ أنشد يحيىٰ بن منصور الذهلي :

وبعض النـاس أنقض رأي حـزم　　من اليـربـوع والضب المكـون
يـرى مـرداتـه مـن رأس ميـل　　ويـأمن سيـل بـارقـة هتـون
ويحفـر في الكدى خـوف انهيار　　ويحمـل مكـره رأس الـوجين[1]
ويخـدع أن رأيت لـه احتيـالاً　　رواغ الـفهـد مـن أسـد كميـن
ويـدخـل عقـربـاً تحت الذنابـي　　ويعمـل كيـد ذي خـدع ضنين

١٤ ـ رأى بعض الفقهـاء رجلاً يـأكل الضب ، فقـال : اعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل .

١٥ ـ أخذ لبدويـة ضب تشق في حبالتهـا ، فاسعـدت الوالي ، فعـرض عليهـا عشرة أضب ، فـأبت أن ترضى ، وقـالت ، إن ضبي ليس كالضبـاب ، ضبي سبحـل[2] حائـل أعور عنين[3] ، ضب بكلدة ، لم يـر ضبـة ولم تـره ، فلم تزل حتى افتدوا منها ببكرٍ من الإبل .

١٦ ـ أعرابي :

فلو كـان هـذا الضب لا ذنب لـه　　ولا كشيـة ما مسـه الـدهـر لامس
ولكنـه من أجـل طيـب ذنيبـه　　وكشيتـه دبت إليـه الـدهـارس[4]

١٧ ـ الضبة ترمي بمَكْنِها[5] ثمانين وتدعه أربعين يـوماً ، ثم تجيء بعـد الأربعين فتبحث عن مكنها فإذا حسلة يتعادين ، فتأكل منه ما قدرت عليه .

١٨ ـ وذنب الضب أخشن من السفن ، وهو سلاحـه وقد أعـطي فيه من

---

(١) الوجين : شط الوادي ، والعارض من الأرض يرتفع قليلاً وهو غليظ صلب .
(٢) السبحل : العظيم المسنّ من الضّباب .
(٣) العنين من الرجال : الذي لا يأتي النساء .
(٤) الكشية : شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه .
(٥) المَكْنُ : بيض الضب والجراد ونحوهما .

القـوة نحو مـا أعطيت العقـاب في كفهـا ، فـرَبمـا ضـرب الحيـة فقـطعهـا أو قدها .

١٩ ـ وخـرء[١] الضب صالـح للكوكب[٢] في العين ، وقـد يتـداوى بـه الأعراب من وجع الظهر .

٢٠ ـ أبـو حيـة العكلي : كـانت الضبـة دجـاجـة ، وكـانت الأرنب دراجة[٣] ، يعني أن الطعمين متشابهان .

٢١ ـ شـاعـر :

شـديـد اصفـرار الكشيّين كـأنمـا تـطلى بـورس بـطنـه وشمـائلة[٤]
فـذلـك أشهى عنـدنـا من نتـاجكم لـحى الله شـاريـه وقبـح آكله[٥]

٢١ ـ إعرابي :

سقى الله أرضـاً يعلم الضب أنهـا بعيـد من الآفـات طيبـة البقـل
بنى بيتـه فيهـا على رأس كـديـةٍ وكان أمراً في حرفة العيش ذا عقـل

٢٢ ـ وأنشد الأصمعي :

ذكرتك ذكـرة فاصـطدت ضباً وكنت إذا ذكـرتـك لا أحيب
منحتكـم المـودة مـن فؤادي ومـالي من مـودتكم نصيـب

٢٣ ـ ومن خصـائص الضب طول الـذماء بعـد الذبـح ، وهشم الرأس ، والطعن الجائف ، وطول العمر . ومنـه المثل : لا آتيـك سن الحسل وإن لـه نزكين ولأنثاه قرنان . قال :

---

(١) خرء الضب : سلحه . والخرء : العذرة .
(٢) الكوكب : نقطة بيضاء تحدث في العين .
(٣) الدراج : نوع من الطير تقدم تعريفه .
(٤) الورس : نبات كالسمسم يُصبغ به ويتّخذ منه الغمرة .
(٥) لحى الله شاريه : لعنه .

سبحل له نزكان كانا فضيلة　　على كل حافٍ في الأنام وناعل[1]

ويشركه في هذا الحرذون والسنقور[2] . ومن الضباب ما له لسانان ، ويأكل أولاده كالهرة .

٢٤ ـ الورل[3] يقتل الضب ، وهو أشد منه سلاحاً . وقد يزيف إلى الإنسان وينفخ ويتوعد .

٢٥ ـ وعن بعض العرب : نجعت ورلاً بطره فنظرت فإذا هو قد عض إبهامي حتى اختفت فيها أسنانه ، فلم يخلها حتى عضضت على رأسه ، وشققته فإذا في قانصته حيتان عظيمتان ؛ يشدخ رأس الحية ثم يبتلعها ، وليس في الحيوان أقوى على أكل الحيات منه ، ولا أكثر سفاداً حتى لقد طم[4] على العصفور والخنزير والذباب في ذلك . ويغتصب الحيّة بيتها كما تغتصب الحية بيوت سائر الأحناش والطير .

٢٦ ـ كان رسول الله ﷺ يحب بلالاً ويمازحه ، فرآه يوماً وقد خرج بطنه فقال : أم حبين ، وهي عظاية لها بطن بارز ، وذكرها الحرباء ، ويقال لها أم عويف ، ويقول لها صبيان العرب :

أم عويف شمّري برديك　　إن الأمير غاضب عليك

وضارب بالسوط صفحتيك

فتنشر برديتها وتقوم على رجليها .

وهذا كما تقول للطحن ، وهو يشبه أم حبين : أطحن لنا جرابنا ، فيطحن بنفسه الأرض حتى يغيب فيها .

٢٧ ـ خطب ابن الأشعث فقال : أيها الناس ، أنه ما بقي من عدوكم إلا كما بقي من ذنب الوزغة[5] تضرب بها يميناً وشمالاً ثم لا تلبث حتى

---

(١) السبحل : الضب العظيم المسن . تقدم شرحه .

(٢) السنقور : طائر من الجوارح أعظم من الصقر وأجمل منه .

(٣) الـوَرَلُ : دابة على خلقة الضب أعظم منه طويل الذنب دقيقه جمع ورلان والأنثى وَرَلَة .

(٤) طمّ : زاد .

(٥) الوزغة : ضرب من الزحافات جمع وزغ ووِزاغ وأوزاغ .

تموت . فمر به رجل من بني قشير فقال : قبح الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس وترك الاستعداد .

٢٨ ـ ابن عباس : الوزغ بريد الشيطان لأنه يرسله ليفسد على الناس ملحهم . ورأيت أهل مكة أحرص شيء على قتل الوزغ ، وعلى تحصين الملح وحفظه منه . ويقولون : إذا تمرغ فيه تمرغ الدابة في التراب أفسده على صاحبه وحوله إلى مادة لتولد البرص .

٢٩ ـ دخل أعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفار ، فقال :

عجل رب الناس بالعقاب ... لعامرات البيت بالخراب
كحل العيون وقص الرقاب ... مجررات أجبل الأذناب
كيف لنا بأنمر الإهاب ... مُنهرت الشدق حديد الناب[1]
كأنما برثن بالحراب ... تفرسها كالأسد الوثاب

٣٠ ـ تزعم العامة أن الفأرة كانت طحانة ، والأرضة[2] كانت يهودية ، ولذلك يلطخون الأجداع بمرقة لحم الجزور .

٣١ ـ يجمع بين الفأرة والعقرب في زجاجة ، فتقرض إبرتها أولاً حتى تتعجل السلامة من لدغتها ، ثم تأكلها بعد ذلك .

٣٢ ـ الجرذ إذا خصي أكل الجرذان أكلاً لا يقوم له شيء منها. قالوا: الخصي من كل جنس أضعف من الفحل إلا الجرذ، فإن الخصاء يحدث فيه شجاعة وجرأة لا يدع الجرذان الكبار التي غلبت الهررة وبنات عرس[3] إلا قتلها .

---

(١) منهرت الشدق : واسعه . وهرّت الشيء تهريتاً : وسّعه .
(٢) الأرضة : دويبة تأكل الخشب جمع أَرَض .
(٣) بنات عرس : جمع ابن عرس للمذكر والمؤنث ، دويبة تشبه الفأرة بعض الشبه أصلم الأذنين مستطيل الجسم .

٣٣ ـ خرء[١] الفأره نافع من داء الثعلب[٢] .

٣٤ ـ من النـاس من يمشي إلى الأسـد ، ويقبض على الثعبـان ، ولا يقدر أن ينظر إلى الجـرذ ، ويعتريـه عند رؤيتـه من النُفضة[٣] والاصفـرار ما لا يعتري الصبور على السيف وهو يلاحظ بريقه عند قفاه .

٣٥ ـ بينا عبد الله بن خـازم السلمي عند عبيـد الله بن زياد إذا هـو بجرذ أبيض دخلوا بـه للتعجب فتجمع ابن خـازم حتى كأنـه فـرخ ، واصفـرّ وجهـه فقـال عبيد الله : أبـو صالـح يعصى الرحمٰن ، ويتهـاون بـالشيـطان ، ويقبض على الثعبـان ، ويمشي إلى الأسد ، ويلقى الـرماح بـوجهه ، وقـد اعتـراه من جرذ ما ترون . أشهد أن الله على كل شيء قدير .

٣٦ ـ جرذان الأنابيـر[٤] تخرج أرسـالاً إلى الماء ، والجـريّ[٥] قد كمن لها وهو فاتح فاه ، فإذا عب الجرذ في الماء التهمه .

٣٧ ـ ربما قطعت الفـأرة أُذن النائم ، وفي الفـأر ما إذا عضّ قتـل . قال الجـاحظ : وأنـا رأيت عنـد ذلـك من العـظاظ والعفـاس[٦] مـا لا يكـون بين شيئين . ويـزعمـون أنهم لم يـروا بين سبعين أو بهيمتين أشـد من قتـال بين جـرذين . ويأتي الجـرذ إلى القارورة الضيقـة الـرأس فيهـا الـدهن ، فيضـرب بذنبه ، فكلما ابتل أخرجه فلطعه ، حتى لا يبقى فيها شيئاً .

٣٨ ـ الهـرة إنما تحتـاط في دفن رجيعها[٧] وإخفـاء رائحته لئـلا تشمها

---

(١) خرء الفأر : سلحها وعذرتها .

(٢) داء الثعلب : علّة تساقط الشعر .

(٣) النُفضة : رعدة الحمىً .

(٤) النبر والأنبار : بيت التاجر الذي تُنضّد فيه الغلال والجمع أنابير.

(٥) الجرّي : نوع من السمك يعرف بالحنكليس .

(٦) العَفْس : الدّوس . واعتفس القوم : اصطرعوا . وعفسـه : جذبـه إلى الأرض وضغطه ضغطاً شديداً فضرب به .

(٧) رجيع الهرّة : عذرتها وخرؤها .

الفأرة فتهرب . وأحسن من هذا أن يلهمها الله ذلك لأنها من الطوافين عليهمَ والطوافات ، لينظروا إلى فعلها فيتعلموا منها إخفاء عذرتهم ، ولا يتركوها بارزة مكشوفة ، كما هي عادة أكثرهم الذين هم شر من البهائم .

٣٩ ـ ربما كان السنور في الأرض ، والفأرة في السقف ، فلا يومىء لها ثلاث مرات إلا دير بها فزعاً وطاحت فأكلها .

٤٠ ـ أبو زيد الأنصاري : دخلت على رؤبة[١] وإذا هو يمل جرذاناً ويأكلها ، وقال : إنها خير من اليرابيع والضباب إنها تأكل التمر والخبز .

٤١ ـ سُمع قاص يقول : اللهم أكثر جرذاننا وأقلل صبياننا .

٤٢ ـ الحيات تبتلع الجرذان ، وزعموا أنها منتنة الجلود والجروم لذلك ، بخلاف الأفاعي فإنها تأكل الفار . وربما كانت الحية في غلظ الإبهام وقد ابتلعت جرذاً أغلظ من الذراع .

٤٣ ـ يسقى صاحب الأسر خرء الفار فيطلق ، ويحتمله الصبي فيشفيه من الحصر .

٤٤ ـ اطلع رجل من أهل الشام على جرذ أخرج من جحره دنانير كثيرة فركمها وأخذ يلعب بها . ثم أخذ يدخلها في جحره فقام وأخذ الدنانير . فأقبل الجرذ يثب ويضرب بنفسه الأرض حتى مات .

٤٥ ـ يزعم أهل القاطول[٢] أن الفأر يخلق من طينة ، وأنهم ربما رأوا الفأرة لم يتم خلقها بعد ، فلا يريمون[٣] حتى يتم وتتحرك .

٤٦ ـ قال عمرو بن كركرة لأعرابي : أتأكلون القرنبي[٤] ؟ قال : طال

---

(١) رؤبة : هو الراجز رؤبة بن العجاج . تقدمت ترجمته .

(٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة وهو نهر كان في موضع سامّراء قبل أن تعمرً وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته قصراً سماه أبا الجند .

(٣) يريمون : يبرحون .

(٤) القرنبي : دويبة طويلة الرجلين تشبه الخنفساء .

والله ما سال ماؤه على شدقيه .

٤٧ ـ الخلد أعمى أصم ، يخرج من جحره فيقف على بابه ويفتح فاه ، فيجيء الذباب فيسقط على شدقيه أو يمر بين لحييه ، فيستدخلها بجذبه النَفَس ، يعلم أنه رزقه وقسمته . ويخرج من جحره تراباً فيضعه حوله ، وهو صالح للنقرس[١] يبل بالماء ويطلى به موضعه .

٤٨ ـ من اليربوع واحتياله بما يسوي من محافره التي إذا طلب من هذا خرج من هذا ، ومن هذا أخذت الزباء[٢] عمل الأنفاق . ومن شأنه أن يمشي على زمعاته في السهولة لئلا يِتقصى أثره ، كما تؤبر الأرنب .

٤٩ ـ القنفذ إذا نزعت فروه فما هو إلا شحمة قاعدة ، والأعراب تستطيبه ، وهو صالح للرياح . يشّبه به كل دخاس[٣] ونمام وناموس لأنه لا يظهر إلا بالليل. قال عبدة بن الطبيب :

قوم إذا دمس الظلام عليهم	خرجوا قنافذ بالنميمة تمزع

٥٠ ـ ومن القنافذ جنس أعظم من هذه القنافذ ، له شوك كصياصي[٤] الحاكمة والمداري[٥] ، وقد سخر له وذلل وهيئت له ، لأنه متى شاء أن يعمل منها شيئاً يرمي به الشخص الذي يخافه فعل ، وخرج كالسهم الذي

---

(١) النِقرس : داء معروف يأخذ في الرجل وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر .

(٢) الزباء : هي الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أُذينة بن السميدع ، الملكة المشهورة في العصر الجاهلي ، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة ، أمّها يونانية من ذرية كليوبطرة ملكة مصر . كانت غزيرة المعارف بديعة الجمال . توفيت سنة ٣٥٨ قبل الهجرة .

راجع ترجمتها وتفاصيل حياتها في الأعلام للزركلي ٣ : ٤١ .

(٣) الدخاس : الذي فيه عيب ، والدخيس : اللحم المكتنز .

(٤) الصياصي : جمع صيصة وهي شوكة الحائك ،والصنارة،وشوكة الديك .

(٥) المداري : الأداة التس تستعلمها الماشطة لتسريح الشعر وهي شبيهة بالمشط .

يحفـزه الوتـر . ونحو شجـر الخروع إذا جف حبـه في أكمامـه تصدّعت عنـه بعض التصدع حذف به ، فربما وقع على أكثر من قاب مح طويل .

٥١ ـ والبرذون يسقط عليه الذباب فيحـرك ذلك المـوضع من جسـده أي موضع كان ، سخره الله له كما مكنه من تحريك ذنبه .

٥٢ ـ ومن النـاس من يحرك أذنيـه ، وربما حـرك إحديهمـا ، ومنهم من يبكي بـإحـدى عينيـه ، وبـالتي يقتـرحهـا عليـه المعنت . ويحكى عن جـوارٍ بـاليمن أن إحـداهن تشخص قـرنـاً من قـرون رأسهـا أي قـرن شـاءت حتى ينتصب .

٥٣ ـ شـاعـر :

حمحم بعـد حلقـه ونـورتـه كقنفذ القف اختبى في فروته[1]

٥٤ ـ اعتـرض رجل عبـد الله بن الزبيـر في خطبتـه بكلمـة ، ثم طـأطـأ رأسه ، فقال : ما له قاتله الله ضبح[2] ضبحة الثعلب وقبع قبعة القنفذ .

٥٥ ـ بعضهم : رأيت حيـة ابتلعت كبشـاً عـظيم القـرنين ، فلم تقـدر على ابتـلاع القرنين ، فجعلت تضـرب به يمنـة ويسـرة حتى كسـرت القـرنين وابتلعتهما .

٥٦ ـ يقطع ذنب الحية فتعيش إن أفلت من الذر[3] .

٥٧ ـ قيل إن بالحبشة حيات تطير بها . ويزعمون أن الكمأة تعفن فيخلق منهـا أفاعي . ومن العجب أن الأفعى لا تـرد المـاء ، ولا تـريـده ، وهي مـع ذلك إذا وجدت الخمر شربت منها حتى تسكر.

٥٨ ـ الثعبـان عجيب الشـأن في إهـلاك بني آدم ، يلّوي على سـاق

---

(١) القَفّ : يبيس أحرار البقول وذكورها ، والقُفّ : ما ارتفع من الأرض .

(٢) ضباح الثعلب : صوته .

(٣) الذرّ : صغار النمل .

الإنسان فيكسرها . وليس له إلا النمس ، وهي دويبة تدنو منه فينطوي عليها يريد أكلها ، فتحتشي ريحاً وتزفر زفرة ، فينقد الثعبان قطعاً . ولولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر .

٥٩ ـ أبو حيان وأبو يحيىٰ كنية الأفعوان لأنه يعيش ألف سنة .

٦٠ ـ ابن الحجاج وقد وهبت له دابة :

فديت من صيرني راكباً ولم أزل أرجل من حية
فديته إن فدائي له في قلب من يحده كية

٦١ ـ رجلة الحية مشيها على بطنها .

٦٢ ـ جلود الحيات لا تفارقها ، وإنما الذي يسلخ قشر فوق الجلد ، وغلاف يخلق كل عام ، كما يسلخ الجنين المشيمة . والطير سلخها تحسيرها . والحوافر سلخها عقائقها . وسلخ الإبل طرحها أوبارها . وسلخ الأيائل نصول قرونها . وسلخ الأشجار إلقاء ورقها .

٦٣ ـ النابغة :

صلّ صفا لا ينطوي من القصر جارية قد صغرت من الكبر
مهروقة الشدقين حولاء النظر يفتر عن عوج حداد كالأبر

٦٤ ـ الحرباء ربما رآه الإنسان فتوعَّده ونفخ وتطاول له حتى يفزع منه من لا يعرفه . وما عنه خير ولا شر .

٦٥ ـ السنقور[١] إنما ينفع أكله إذ صيد في أيام سفاده ، لأن لحم الهائج أهيج لآكله .

٦٦ ـ مر ماجن بالمدينة على ملسوع ، فقال : أتريد أن أصف لك دواؤك ؟ قال : نعم، قال: عليك بالصياح إلى الصباح.

---

(١) السنقور: طائر من الجوارح أعظم من الصقر وأجمل منه .

٦٧ ـ سمع عالم رجلاً يقول : أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع . فقال : ما أقل علمك ! بل لعمري إنها تنفع ، إذا شقّ بطنها ثم شدّت على موضع اللسعة ، وتجعل في جوف فخار ويُشدُّ رأسه وتطيّن جوانبه ثم توضع في التنور ، فإذا صارت رماداً سقي منه من به الحصاة مقدار نصف دانق[1] فتتت الحصاة . وقد تلسع أصحاب ضروب من الحيات فيشفون . وتلقى في الدهن فيجتذب الدهن قواها فيكون مفرقاً للأورام الغلاظ . وتلسع الأفاعي فتموت .

٦٨ ـ بعضهم : رأيت بالبادية ناقة قد نهشت الأفعى مشفرها والفصيل يرضعها ، فبقيت الناقة سادرة[2] واقفة ، وخرَّ الفصيل ميتاً قبلها ، فتعجبتُ من سرعة ما سرى السم في لبن ضرعها حتى قتل الفصيل قبل أُمه .

٦٩ ـ عقارب القاطول[3] يموت بعضها عن لسع بعض ، ولا يموت عن لسعها غير العقارب .

٧٠ ـ لسع أعرابي فخيف عليه ، فقيل : ليس شيء خير له من أن تغسل خصية زنجي عرق ويُسقى غسالتها ، فلمّا سقوه قطب ، فقيل له : طعم ماذا تجد ؟ فقال : طعم قربة جديدة .

٧١ ـ أرض حمص لا تعيش فيها العقارب ، يزعم أهلها أن ذلك لطلسم . وإن طرحت فيها عقرب ماتت من ساعتها .

٧٢ ـ النبي ﷺ : لعن الله العقرب ما أخبثها ! تلسع المؤمن والمشرك ، والنبي والذمي .

---

(١) الدانق : أربعة طساسيج والطسوج ثلث ثمن مثقال . راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٧٤ طبعة دار المناهل .

(٢) سادرة : حائرة لا تتحرك .

(٣) القاطول : اسم نهر في العراق تقدّم تعريفه .

٧٣ ـ الصاحب : كتبت من قاشان[١] وقد قاسيت من خوف عقاربها ما يقاسيه شيخنا أبو عبد الله من عقارب الأصداغ .

٧٤ ـ ذكروا أن أقتل العقارب عقارب عسكر مكرم[٢] ، وأهله يرون أن أصلح ما يعالج به موضع اللسعة مص الحجام[٣] ، وربما فصلت ثنايا الحجام من مصه .

٧٥ ـ لسعت عقرب مفلوجاً فذهب عنه الفالج . وولد الحامل التي لسعت وربما ماتت ولم تضره . وأشدّ اللسع أن تلسع أول ما تخرج من جحرها بعد أن أقامت فيه فتوّتها .

٧٦ ـ مشايخ الأعراب لا يقتلون ورلاً[٤] ولا قنفذاً ، ولا يدعون أحداً يصطادهما ، لأنهما يقتلان الأفاعي ويريحان منها .

٧٧ ـ شتم رجل الأرضة . فقال له بكر بن عبد الله المزني : «مَهْ[٥] ، فهي التي أكلت الصحيفة التي تعاقد المشركون فيها على رسول الله ﷺ ، وبها تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .

٧٨ ـ الجاحظ : وإن الذي يعجز عن صنعة السُرفة[٦] وعن تدبير

---

(١) قاشان : مدينة قرب أصبهان أهلها كلّهم شيعة إمامية تجلب منها الغضائر القاشاني ، والعامة تقول القاشي .

(٢) عسكر مُكرم : بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نُمير بن عامر بن صعصعة صاحب الحجاج بن يوسف . وقيل : بل مكرم مولى كان للحجاج . راجع التفاصيل في معجم البلدان ٤ : ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٣) الحجام : الذي يتعاطى مهنة الحجامة وهي المعالجة الطبية بالمحجم وهو كالكأس يُفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيه تهيّجاً ويجذب الدمّ بقوّة .

(٤) الوَرَلُ: تقدمت ترجمتها ، وهي دابة على خلقة الضبّ ، أعظم منه طويل الذنب دقيق .

(٥) مَهْ : اسم فعل بمعنى انكففْ ، وقد يُقال مَهٍ .

(٦) السُرفة : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتّخذ لنفسها بيتاً من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه .

العنكبوت في قلتها ومهانتها وصغر جرمها ، ما ينبغي أن يتكبر في الأرض ، ويمشي الخيلاء، ويتهكم في القول ، ويتعالى ولا يستثني . وليعلم أن عقله منحة من ربه . وأن استطاعته عارية عنده .

٧٩ ـ إذا قدم القوم ليلة القرب من يصلح لهم أدوات السقي ، عرفوا بانتعاش القردان دنوهم ، من غير أن يحسوا حساً ، فائتزروا وتهيّأوا للعمل . قال ذو الرمة :

إذا سمعت وقع المطي تنعشت　　غشاشها من غير لحم ولا دم

٨٠ ـ احفظ بالأعجام في الغين فقد قلَّ في زماننا المحتفظون به وبأمثاله .

٨١ ـ الحرقوص دويبة أكبر من البرغوث ، وعضها أشد من عضّه ، وهي متولعة بفروج النساء تولع النملة بالمذاكير . وينبت لها جناحان فتصير فراشة ، كما ينبتان للنحلة والجعل[1] .

وقيل الحرقوص البرغوث بعينه ، واحتجَّ يقول الطرماح :

ولو أن حرقوصاً على ظهر قملةٍ　　يكسر على صفي تميم لولَّتِ

ويقال له النهيك ، قال أعرابي وقد عض بهن امرأته :

وإني من الحرقوص أن عض عضةً　　لما بين رجليها لجدّ غيور
تطيب نفسي عندما يستفزني　　مقالتها إن النهيك صغير

٨٢ ـ أعرابية :

يا أيها الحرقوص مهلاً مهلا　　أ إبلاً أعطيتني أم نخلا
أم أنت شيء لا يبالي الجهلا

٨٣ ـ كان أبو هريرة يفلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل ، فقال له أنس ، فقال : أبدأ بالفرسان ثم أعكر على الرجالة .

---

(١) الجُعَل : ضرب من الخنافس والجمع جِعلان .

٨٤ ـ الجاحظ : البرغوث أسود أحدب نزاء ، قال بعضهم : دبيبها من تحتي أشد علي من عضها . وليس ذلك بدبيب ، والكن البرغوث خبيث ، يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيدغدغ بها ، فيظن من لا علم له أنه يُمشي تحت جنبه .

٨٥ ـ أعرابي :

ليل البراغيث عناني وأنصبني ... لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون له ... أيتام سوء أغاروا في المواريث

٨٦ ـ محبوب بن أبي العشنط النهشلي :

الليل نصفان نصف للهموم فما ... أقضي الرقاد ونصف للبراغيث
أبيت حتى تساميني أوائلها ... أنزو وأخلط تسبيحاً بتغريث[1]
سود مداليج في الظلماء مؤذية ... قال المليك لها في جلده عيثي

٨٧ ـ أعرابي :

ألا يا عباد الله من لقبيلةٍ ... إذا ظهرت في الأرض شد مغيرها
فلا الدين ينهاها ولا هي تنتهي ... ولا ذي سلاح من معدٍّ يضيرها

٨٨ ـ لقي قوم الجهد من براغيث دمشق وأنطاكية ، فما خلصهم منها إلا قمص الحرير الصيني ، جعلوها طويلة الأردان والأبدان ، فناموا مستريحين .

٨٩ ـ أبو الرماح الأسدي :

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن ... بحنو الغضا ليلي عليَّ يطول
يؤرقني حدب قصار أذلة ... وإن الذي يؤذينه لذليل
إذا جلت بعض الليل منهن جولة ... تعلقن بي أو جلن حيث أجول
إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة ... علينا ولا يُنعى لهن قتيل
ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وليس لبرغوث عليَّ سبيل

---

(١) التغريث : التجويع . والغَرَثُ : أيسر الجوع . يقال : هو غَرِث وغرثان وهي غرثى .

٩٠ ـ آخــر :

هنيئــاً لأهــل الــري طيب بــلادهم ... وأن أميــر الــري يحيىٰ بن خــالــد
بــلاد إذا جــن الــظلام تــظافــرت ... بــراغيثهــا من بــين مثنى وواحــد
ديــازجــة ســود الــوجــوه كــأنهــا ... بغــال بــريــد أرسلت من مــذاود[١]

٩١ ـ القمـل لا يحدث من الـوسخ أو العـرق إذا علاهمـا ثوب أو ريش أو شعر حتى يكون لذلك المكان عفن وخموم .

٩٢ ـ وعن يحيىٰ بن خـالد البـرمكي : شيئان يـورثان القمـل ، الإكثـار من أكـل التين اليابس ، وبخـار اللبان . وثيـاب أكثـر النـاس تقمـل إلا ثيـاب المخدمين المترفين ، وربما كان الإنسان قمِلُ الطبع وإن تنـظّف وتعطّر وبـدّل الثياب .

٩٣ ـ كسـاء عُـرض لعبـد الـرحمٰن بن عـوف والـزبيــر بن العـوام حتى استأذنا رسول الله ﷺ في لبس الحرير ، فأذن لهما .

٩٤ ـ ويسـرع القمـل إلى الـدجـاج والحمـام إذا لم يغسـل ولم ينـظف بيته . ويعرض للقرد ، فإذا أصاب قملة رمى بها في فيه .

٩٥ ـ وخرج محمد بن زبيدة في أيام محـاربته المـأمون متنّـزهاً ، فـرأى دعاراً قد تطافروا من الحانات ، فـأراد أن يدخـل عليهم في مساكنهم ويسمـع من حـديثهم ، فقعد سـاعة فـدبت قملة على ثـوبـه فتنـاولهـا بعض خـدمـه ، فقـال : أي شيء تناولت ؟ فـأخبره ، فقـال : أرنيها فقـد والله سمعت بها ومـا رأيتهـا . قال الخـادم : فتعجبت من المقـاديـر كيف تـرفـع رجـلاً في السمـاء وتحط آخر في الثرى .

٩٦ ـ وألـوان القمل على حسب مقـارّه ، فهو في رأس الأسـود أسـود ، وفي رأس الأبيض أبيض ، وفي رأس المختضب أحمــر ، وفي رأس الأشمط

---

(١) المذود : مُعتلف الدواب والجمع مذاود .

أبـرق ، وفي وقت فصول الخضـاب يكون أشكـل ، فـإذا أبيض عـاد أبيض . وهكذا تخضرّ دود البقل وجراده وذبابه .

٩٧ ـ وليس ذلـك بأعجب من حـرة بني سليم[١] حيث اسـودّ كـل شيء فيها من إنسان وبهيمة وطائر وهامة . وبلاد الترك جميع حيوانـاتها على صـور الترك .

٩٨ ـ علي عليه السلام : ألا تنـظرون إلى صغير مـا خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تـركيبه ؟ وفلق لـه السمع والبصـر ، وسوى لـه العظم والبشـر ، أنـظروا إلى النملة كيف في صغـر جثتها ولـطافة هيئتهـا لا تكـاد تُنـال بلحظ البصـر ، ولا يستـدرك الفكـر ، كيف دبت على أرضهـا ، وصبت على رزقهـا ، تنقـل الحبة إلى جحرها ، وتعدهـا في مستقرهـا ، تجمع في حـرّها لبـردها ، وفي وردهـا لصدرهـا[٢] ، لا يغفلهـا المنـان ، ولا يحـرمهـا الـديـدان ، ولـو في الصفا[٣] اليابس ، والحجر الجامس .

ولـو فكرت في مجـاري أكلها ، وفي علوهـا وسفلها ، ومـا في الجـوف من شـراشيف بطنهـا ، وما في الـرأس من عينها وأذنهـا ، لقضيت من خلقهـا عجباً ، ولقيت من وصفها تعبـاً ، فتعالى الـذي أقامهـا على قوائمهـا ، وبناهـا على دعائمها . لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يُعْنهُ على خلقها قادر .

٩٩ ـ إذا خافت الذرة على الحب أن يفعن أخرجته إلى ظهر الأرض ليجف . وربمـا اختارت لـذلك الليـل، لأن الليل أخفى، وفي القمـر لأنها فيـه أبصر، وإذا خافت أن ينبت في مكان ندٍ نقرت مـوضع القـطمير[٤] من وسط الحبـة ، وهي تعلم أنها من ذلك الموضع تبتدىء في البنات .

---

(١) حرة بني سُليم : الحرّة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنهـا أُحرقت بـالنار . وحـرّة بني سُليم في عـالية نجـد . وسُليم هو سُليم بن منصـور بن عكرمـة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

(٢) وردها وصدرها : أي ذهابها إلى الماء والرجوع منه .

(٣) الصفا : الصخرة الملساء القاسية .

(٤) القِطمير : القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة.

١٠٠ ـ وعن لقمان : يا بني لا تكونن الذرّةُ أكيس منك تجمع في صيفها لشتائها .

١٠١ ـ وعن عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زياداً ، جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة .

١٠٢ ـ الذرة تفلق الحب أنصافاً لئلّا ينبت فيفسد ، وأما الكزبرة فتفلقها أرباعاً ، لأنها من بين الحب ينبت نصفها . قال الجاحظ : وهذا علم غامض إذا عرفه الفلاح المجرب والأكار[1] الحاذق فقد بلغ الغاية .

١٠٣ ـ وتجد من بعيد رائحة شيء لو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة ، كرجل دجاجة يابسة ، تجد رائحتها من جوف جحرها، فإذا تكلفت حملها وأعجزتها استدعت إليها سائر الذر واستعانت بها .

١٠٤ ـ إذا نضح باب قرية النمل بماء فيه زرنيخ أو كبريت هجرتها وهربت منها . وتهرب من دخان الميعة[2] ودخان قرن الأيل .

١٠٥ ـ الظربان[3] أنتن خلق الله فسوة ، تصيب الثوب فلا تذهب حتى يبلى ، ويفسو في الهجمة[4] وهي باركة فتتفرق ، فلا تجمع إلا بجهد .

ويقال : هما يتسمان ظرباناً ، إذا تهاجرا. ويدخل جحر الضب فيسد خصاصه وفروجه ببدنه ، وهو مستدير لأسفل الجحر حيث أمعن فيه ، فما يرسل ثلاثاً إلا خرج الضب وأعطى بيده ، وكان الموت أهون عليه .

١٠٦ ـ ليث عفرين ضرب من العناكب له ست أعين ، يصيد الذباب صيد الفهود . إذا رأى الذباب لطى بالأرض وسكن أطرافه ، فمتى وثب لم يخطىء .

---

(١) الأكار : الحرّاث .

(٢) الميعة : صمغ عطر يسيل من شجرة يتطبّب به .

(٣) الظربان : حيوان في حجم القط أغبر اللون مائلٍ إلى السواد رائحته كريهة جداً منتنة والجمع ظرابي وظرابين .

(٤) الهجمة من الإبل : ما بين الأربعين أو السبعين إلى المئة .

١٠٧ ـ شحمة الأرض : دويبة منقطة بحمرة ، كأنها سمكة بيضاء ، أعرض من الغطاية[١] ، تشبه كف المرأة بها .

١٠٨ ـ قملة النسر إذا سقطت استحالت منها دويبة خبيثة أكبر من القملة تكون بمهرجان[٢] تفسخ الإنسان بأوحى من الإشارة باليد.

١٠٩ ـ إذا أُقربت[٣] العقرب أكل أولادها جلد بطنها وخرقته حتى تخرج ، وقد ماتت الأم وقيل في ذلك:

وحاملة لا تكمل الدهر حملها تموت وينمى حملها حين تعطب

١١٠ ـ العقارب القتالة تكون بشهرزور[٤] ، وقرى الأهواز ، وعقارب نصيبين[٥] من شهرزور ، لأنهم حوصروا ورموا في المجانيق بكيزان محشوة من عقارب حتى توالدت هناك .

١١١ ـ صيد العقرب أن تشك جرادة في طرف عود ، وتدخل في جحرها، فتعلق بها . وتدخل فيه خوط كراث فلا تبقى فيه عقرب إلا تبعته .

* * *

وهذا آخر الكتاب . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

ووافق الفراغ منه في سنة أربع وثلاثين وستمائة ، عظم الله بركتها ويمنها بمنه ورحمته .

---

(١) العظاية : من الزواحف أصغر من الحرذون تقدم التعريف بها .

(٢) مهرجان أو مهريجان : قرية بمرو . ومهريجان أيضاً : قرية بكازرون من نواحي فارس .

(٣) المُقرب من الحوامل : التي قرب ولادها . وأقربت العقرب : حان وقت ولادها .

(٤) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان .

(٥) نصيبين : مدينة في الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام .

الفهـــرست